السيد النبهان
رضي الله عنه

نادرة الأزمان العارف بالله المحقق الوارث المحمدي الكامل المجدد

الشيخ محمد بن أحمد بن نبهان الحلبي

الجزء الثاني

دار المعرفة
للطباعة والنشر

السيد النبهان رضي الله عنه

السيد النبهان رضي الله عنه

نادرة الأزمان العارف بالله المحقق الوارث المحمدي الكامل المجدد

الشيخ محمد بن أحمد بن نبهان الحلبي

تقديم الأستاذ الدكتور الحفيد

محمد فاروق النبهان

تأليف

هشام عبد الكريم الآلوسي

تدقيق

الشيخ معن حسين نعناع الحلبي — الدكتور حامد فرحان الفهداوي

عني بترقيم آياته وتخريج احاديثه

الشيخ احمد فائق جواد العاني

الجزء الثاني

الطبعة الثانية
١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م
منقحة ومدققة

خطوط الغلاف والصفحة الأولى للخطاط العراقي: أحمد سامي الجميلي غفرالله له ولوالديه.
+٩٦٤٧٨٠٩١٣٢٨٣٧

المراسلة: مدرسة دار نهضة العلوم الشرعية النبهانية - سورية - حلب - الكلتاوية
هاتف ٠٠٩٦٣٢١٣٦٢٢٧٠٠
هشام عبد الكريم الآلوسي - العراق - الفلوجة
Hisham_alosy@yahoo.com ٠٠٩٦٤٧٩٠١٦٠٥٤٠٤

مكتبة أسامة بن زيد
حلب

دار المعرفة
بيروت - لبنان

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ
يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾

صدق اللّه العظيم

[يونس: ٦٢-٦٣]

القسم الخامس

وهو من دروسه المسجَّلة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

وفيه فصلان

الفصل الأول: مصابيح الطريق.

الفصل الثاني: آفات الطريق.

الفصل الأول

مصابيح الطريق

- ١ – علوّ الهمّة والمطالب العالية.
- ٢ – العمل بالشريعة.
- ٣ – الإنسانية.
- ٤ – بناء الشخصية.
- ٥ – تقوى الله تعالى.
- ٦ – السير والسلوك إلى الله تعالى.
- ٧ – العلم والعمل.
- ٨ – تزكية النفس.
- ٩ – المحبّة والاتباع.
- ١٠ – حسن الخلق.
- ١١ – وعلى ما في القلوب المعوّل.

- ١٢ - مجالسة أهل الله.
- ١٣ - صحبة الصادقين.
- ١٤ - الالتزام بالشيخ وتوجيهاته.
- ١٥ - ذكر الله تعالى.
- ١٦ - التوكل على الله تعالى.
- ١٧ - الوقوف مع الحق.
- ١٨ - الصبر على الابتلاء.
- ١٩ - الإحسان إلى المسيء.
- ٢٠ - حفظ السرّ.
- ٢١ - الشغل عبادة.
- ٢٢ - الاستعداد للخدمة.
- ٢٣ - نسبة النعم إلى المنعم.
- ٢٤ - محبة آل البيت النّبوي رضي الله عنهم .
- ٢٥ - محبة الصحابة رضي الله عنهم .
- ٢٦ - محبة الأولياء رضي الله عنهم .
- ٢٧ - محبة المريدين لبعضهم.
- ٢٨ - المائدة المحمّدية.

١ - علو الهمّة والمطالب العالية

قال رسول الله ﷺ: «**من جعل الهموم همّاً واحداً كفاه الله همَّ دنياه وآخرته، ومن تشعبت به الهموم لم يبالِ الله به في أيّ وادٍ هلك!**»[(١)].

قال سيّدنا النّبهان رضي الله عنه : إنَّ لكل إنسان همّة قوية أو ضعيفة، وهذه الهمّة تابعة ومنقادة إلى الهمّ، فلكل إنسان هَمّ، فطالب الدنيا همّه الدنيا وهمّته تابعة ومنقادة لهمّه، وطالب الوظيفة همّه الوظيفة وهمّته تابعة لهمّه، والعاشق للزوجة والأولاد وحبّاب المال همّه الوصول لمحبوبه وهمّته تابعة لهمّه، كما أنّ طالب الجنان والحور والقصور همّه الحصول عليها وهمّته تابعة لهمّه. وطالب الله همّه الحقّ، وهمّته تابعة لهمّه، وشتّان بين الهموم، فإذا قويت العلائق من زوجة ومال وولد وكرسي وغيره فمعناها أن الهمّة ضعيفة، فإذا وجّهتَ الهمّة للعلائق وضعتها بغير محلها، ويجب على صاحب الهمّة قطع العلائق ليتجه بهمّته إلى خالقه، وذاك إذا صرفها عن قلبه وتوجَّهَ بها لربّه، أما لو اشتغل بالدنيا بجسمه فقط لا بقلبه فذاك صاحب همّة ومتوجه لخالقه أيضاً، فليس الوصول إلى الله بكثرة الصوم والصلاة ولا بكثرة العلم والعبادة، لا والله، بل بتحقيق العلم بتحقيق العبادة، فبدلاً من أصلّي مائتي ركعة أصلّي ركعتين ما عدا المفروضات

---

(١) سنن ابن ماجه، (١/ ٩٥) برقم: (٢٥٧) بلفظ: «**من جعل الهموم هماً واحداً هم آخرته كفاه الله هم دنياه، ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا لم يبالِ الله في أيِّ أوديتها هلك**».

بخشوع وخضوع لله سبحانه، وأشهد هو الّذي يتولاني وهو الّذي وفّقني لهذه الصلاة ولهذا الخشوع فهذا هو تحقيق العبادة.

الدين لا بكثرة صوم ولا صلاة وذكر، ولكن بالوجهة الصادقة إلى الله، الّذي يقوّي الرابطة هو الصدق، أي صدق الطلب.

من الناس من يقطع بساعة ما لم يقطعْه أهل الذكر والعبادة والزهد في خمسين عاماً، وذلك من سلّم نفسه وما يملك فباعها بكاملها بلحظة.. فالموضوع يحتاج إلى صدق، بأن لا تجد في القلب غير المحبوب من وسخٍ وأموال وزوجة وعيال ومراتب أو جنّة[١]، أو ثواب ودرجات.

صاحب الهمّة:

يوجّه همّته بداية أمره على نفسه، حتى ينظِّفها من الأوساخ والعفونات، ينظفها من المعاصي والمكروهات، من المباحات[٢]، من ميولها وعاداتها، حتى تتطهرّ وتكمل، فإذا طهرت نفسه توجَّه بهمّته إلى الناس دالًّا على الله، فتنفعل الناس بهمّته العالية ويُقبلون على ربّهم.

وصاحب المرتبة الأولى، لا يُشغل نفسه بعيوب الناس، بل هو مشغول بعيوبه، لا ينظر إلى نقصهم بل إلى نقصه حتى يكمل كما ذكرنا، وهناك يؤذَن له بالإرشاد وتُسمَع إشاراته وتُفهَم عباراته، أما لو اشتغل بتذكير الناس

(١) ليس معنى هذا احتقار الجنّة كما يتوهم بعض الناس، بل معناه ألا يشغل المتجه إلى الله نفسه بالجنّة عن ربِّها.

(٢) ليس المراد من تنظيف النفس من المباحات أن يحرّمها المرء على نفسه ولكن لا ينشغل بها عن المعاني العالية والمقاصد الرفيعة.

ووعْظهم قبل تذكير نفسه ووعْظها فلا يُسمَع لكلامه، بل ربّما خسر الجهتين، خسر نفسه فمن باب أولى أن يخسر غيره.

صاحب الهمّة لا يرضى بالكرامات والمكاشفات، لا يرضى إلّا به عَزَّوَجَلَّ ولا يبتغي به بديلاً، صاحب الهمّة لا يُجالس إلّا من هو أعلى منه ليستفيد منه فيرقى، وهذا يرث المراتب العالية، أما صاحب النفس فيجالس من هو أدنى منه ليعمل عليه المشيخة أي ليجعل من نفسه شيخاً عليه وهذا دائماً في التدني تلعب به نفسه.

وقيمة الإنسان همّته، فأينما تعلّقت همّته كان ذلك مبلغه. قل: (الله) واركض!.

٢ - العمل بالشريعة

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنا من عندي خذوا: لو أنَّ أحداً مسك السماء والعرش والفرش، وطلع ومسكَ الوجود لا تؤمنوا به إذا خالف أدباً من آداب الشريعة، فكيف إذا خالف سنّة؟ فكيف بالّذي يخالف الفروض؟ الشريعة كلُّ من دخل منها نجا ونجح وأنجى غيره ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البقرة ١٨٩]. الشريعة فوقنا، تأمرنا وتنهانا، ونحن تحت إمرة الشريعة، الخير كلّه في الشريعة ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] نحن نعرف الشريعة، والشريعة أمرتنا ونهتنا، غير الشريعة ما عندنا.

أنا في الشريعة كالسمكة في الماء، إذا خرجت من الماء تموت، وأنا كذلك إذا خرجت عن الشريعة أموت، الشريعة أخذت لبّي، الشريعة طريقة حبيبي محمّد ﷺ، الشريعة فوقنا نعمل بمقتضاها والسلام.

لا بدّ أن نكون مع الله مثل كلب الصيد، إذا أرسله الصائد يرتسل، وإذا زجره ينزجر، وإذا أرسله وما ارتسلَ وزجره فما انزجر لا يُؤكَل صيدُه.

إذا أتوني برجل من العرش ولا يأتمر بما أمره الله ولا ينتهي عما نهاه الله لا أعترف به وليس على شيء البتّة.

المريد في حال السير يجب عليه أن يتأدب بآداب الشريعة.

لا شريعة دون حقيقة، الحقيقة والشريعة واحد، لكن الهمّة مطلوبة أولاً.

لا نتكلّم مع الشريعة[١]، الشريعة هي قائدنا إلى الحقيقة.

الرجل المحبوب إلى الله تعالى حقّاً هو الّذي يتبع أوامر الشريعة، أنا أتحدّى أن يكون هناك عاصٍ مسرور، سعادتنا باتباع الشريعة، الشريعة أخذت لبي.

لا بدّ أن نكون مع الشريعة، الشريعة قانون الإنسان. الشريعة أمرت بكلِّ كمال، وَنَهَتْ عن كلِّ نقص، ما جاء يوم ليس فيه الله، وما جاء يوم ليس فيه قانون إلٰهي.

علامة الشخص المقرَّب أنّه يأتمر بالأوامر وينتهي عمّا نهاه الله.

الّذي يخاف الله حق المخافة ويعمل بما أمره الله يهابه كل أحد وتهابه الملوك وغيرهم.

---

(١) يعني: نتقبلها بدون أخذ أو رد، ودون اعتراض بآرائنا.

الوجود قائم بالأمر والنهي وكذلك الإنسان لأنّه جامع ومأمور بالخلافة على كل ما هو جامع له.

ما أمرنا الله يوماً من الأيام بشيء يضرُّنا، وما نهانا عن شيء ينفعنا.

الحيوان لا يمشي إلّا بالعصا، ونحن المكلَّفون نمشي بالأوامر والنواهي الإلٰهية، هذه هي العصا التي تسوقنا إلى الله سبحانه وتعالى.

الله سبحانه وتعالى أمرني وأمرك، ونهاني ونهاك، فالّذي يأتمر وينتهي من السعداء، والّذي لا يأتمر ولا ينتهي من الأشقياء.

إذا كان للإنسان غرض شخصي ثمّ جاءت الشريعة بأحكامها فإن صاحب الغرض يتبع أغراضه الشخصية وهو عالم بأن الشريعة بخلاف أغراضه، إلّا المؤمن صاحب الإيمان الذّوقي فلا تكون له أغراض شخصية، بل أغراضه في اتباع الشريعة.

استعدوا للأمر والنهي، لا يوجد غير الشريعة: اصدق، صلِّ، صُمْ، لا تكذب، لا تخن، لا تغش، لا تسرق، لا تزنِ.. عليكم الائتمار بالشريعة بالأمر والنهي، لا تكن تابعاً لعقلك[١]، كن تابعاً للرسول ﷺ ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى﴾ [آل عمران: ٣١] ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [النور: ٥٤].

العمل الصالح هو مظهر للإيمان، الإيمان أمر معنوي يعني التصديق بالله، كثير من المسلمين لا توجد بينهم وبين الإسلام نسبة إلّا الصورة أو الاسم فقط! أين الانقياد والاستسلام لله؟ مستسلمون للحكمة الإلٰهية ﴿وَلَا

(١) المراد بالنهي عن اتباع العقل: النهي عن اتباع الآراء التي لا تستند إلى الشريعة، أما العمل بالعقل في فهم الشريعة للوصول إلى مراد الله ورسوله فهذا العقل تابع لله ورسوله، وهو على خير.

﴿تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٢] علينا أن نرجع إلى الله ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء: ٨] ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم ٤٧].

٣ - الإنسانية

تنبيه:

حينما نطلق كلمة إنسان أو آدميّ على أحد فهي للمعاني الخيِّرة وللغرائز الحميدة فيه، ولكونه جمع من صفات الكمال الإنساني أعلاها وأحلاها. فإذا انعكست صفاته نقول عنه ليس آدمياً ولا إنسانياً، إذ إن مفاهيم الإنسانية والآدمية معشوقة لدى جنس البشر، بغضّ النظر عن دينهم ومعتقدهم ولونهم وقوميتهم.

ومن ثم «فالإنسان ليس هو الحيوان الناطق» كما زعم المناطقة، ليستوي بتعريفهم جنس البشر، إنسانياً كان أو لا، إذ الآدمي والإنساني هو الّذي يمتلك الكمالات الإنسانية ويتعامل بها، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤] فمن ضيّع إنسانيته فهو ضائع، ومن قُتلت إنسانيته فهو مقتول، يمشي بلا هدف، ويعيش فوضى ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩]. وكما أن جوف الإنسان يتحسس إلى الماء والغذاء، فإن قلبه وروحه وسمعه وبصره يتحسس النقص الإنساني فيه!. وهناك دافع ذاتي في كل آدمي يبحث عن الحقيقة، فإن لم يجدها عانى التيه والحرمان، وربّما أدّى به إلى الانتحار!!.

ووظيفة الوارث المحمّدي إرجاع الآدمي إلى آدميته وإنسانيته وهي فطرة

الله التي فطر الناس عليها، قال عليه الصلاة والسلام: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه**»[(١)]، وقال سيّدنا النّبهان ﷺ: (ما خلق الله يهودياً ولا نصرانياً ولا مجوسياً ولا كافراً ولا مشركاً ولا شقياً، كلّه عارض، وجاءت الشريعة حتى تردّك إلى أصلك).

فيذكّر ﷺ الإنسان بفطرة الكمال الإنسانية المودعة فيه، يردّه إليها ليبني شخصيته، ويعرِّفه حقيقته، ويأخذ بيده إلى بارئ الإنسانية ومشرّع قوانينها، حتى يصل به إلى الكمال، فيكون عبداً لله تعالى، وخليفةً له في أرضه، وهذه قطوف من أزهار دعوته إلى الإنسانية[(٢)]:

قال ﷺ: (الإنسان لا يمكن أن يأخذ الدين من أصله إلّا إذا كانت إنسانيته كاملة ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤] الإنسانية قبل الإسلام[(٣)]، والّذي ليس عنده إنسانية ليس قابلاً للإسلام، وأدنى الإنسانية: عامِل الناسَ كما تحبّ أن يعاملوك به، وأعلى الإنسانية: أن تعمل بدون غرض، فمن ذاتك تعلم وتعرف وتذوق، وضمن الإنسان السرور والعلم والمعرفة ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣]. وما رأيت فلكاً كبيراً إلّا فلك الإنسان، كل الأفلاك العلوية والسفلية مندمجة في فلك الإنسان وفلك الإنسان يمدهم كلّهم، والإنسان يستمد من الرحمٰن ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

---

(١) أخرجه البخاري: (١/ ٤٦٥) برقم: (١٣١٩).

(٢) من كلام المؤلف.

(٣) يعني: من لم تكن عنده إنسانية لا يمكن أن يصل إلى الإسلام ويعمل به.

بعضهم يقول: لا بدّ للإنسان أن يزيل بشريته، البشرية هي حاجة الإنسان إلى الشراب والطعام وهذا غلط!. البشرية هي الكمال(١)، بشرط أن تكون تحت أمرنا كما نأمرها تأتمر؛ الحق خلقنا بشراً، سيّدنا محمّد ﷺ حكمَ على البشرية، بشر بالصورة لكنه حاكم بالحقيقة على بشريته وصار هو المسؤول في الوجود، فالبشرية تصير تحت أمر الإنسان..

أتــزْعــمُ أنّــكَ جِــرْمٌ صــغــيــرٌ
وفــيــكَ انــطــوى الــعــالَــمُ الأكــبــرُ

الإنسان يدلّك على الله وعلى رسول الله، وإن رسول الله هو أعظم إنسان ومرشد العبيد إلى الله، والإنسان مراد الله في أرضه، الموجود مع الإنسان غير موجود مع غيره، الموجود مع غيره كلّه موجود في الإنسان؛ لذلك لا يصلح للخلافة إلّا الإنسان ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]. عند أهل الله: الكتاب هو الإنسان(٢)! كل إنسان لا نعني به أهل النفوس وإنما الإنسان أهل الإنسانية ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة: ١٤١] الإنسان مهما كان، إنسان صادق ويحاسب نفسه عنده تمييز درجة أولى يعرف كلَّ شيء، فالإنسان البصير هو الإنسان، الإنسانية فوق كلِّ الكمالات لا بدّ أن نحفظها، يحفظها الإسلام، جاء الإسلام قانوناً للإنسانية.

الإنسانية أعلى من الملائكة، الحق خَلَقَها كاملةً، قابلة للحسن

(١) يعني: كل صفات البشرية ومقوماتها من عقل وقلب... إذا وضعت تحت أمر الشريعة أصبحت كمالاً، أما إذا وضعت في غير موضعها الشرعي فذلك يؤدي إلى الفساد.

(٢) يعني: الإنسان الذي كملته آداب كتاب الله فجعلت له بصيرة كما يتضح ذلك مما بعده.

والسيئ[(١)]، فالّذي يسيء ويخالف الشريعة، ويميل للمدنية[(٢)]، ويحب الدنيا؛ قطع الصلة مع الحضرة الإلٰهية، والّذي يضع اللحية والعمامة لا يليق به أن يقع منه خلاف الأولى، ولا يعمل المباح إلّا بالنيّة، يقلبه فرضاً أو سنّة أو نفلاً أو ما شابه ذلك. الإنسانية جمعت أو عكست إنسان العين، الوجود كلّه عين، والحق يقول: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ [الطور: ٤٨] يعني أنت الإنسان، أنت النور، بك الإدراك، نحن عين كلنا، السماء والأرض والعرش.. وسيّدنا محمّد ﷺ هو البصر هو الإنسان.

الضمير في الإنسانية، والّذي ما عنده ضمير لا يفهم شيئاً، الإنسان لمّا يدرك، يدرك بمقدار شخصيته الإنسانية؛ لأجل ذلك فإن شخصية الرسول ﷺ ما كان أكبر منها أبداً ولا أجمل ولا أبهى ولا أتمّ ولا أكمل، من هنا مدحه الحق قال: ﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧] مع كونه ﴿لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٨] رأى الآيات الكبرى بمقدار شخصيته، ولا قدر أن يسير مع الشخصية العظيمة إلّا سيّدنا الصدّيق رضي الله عنه أي السير الأتمّ والأكمل.

في السير والسلوك بعض الأفراد أحباب الله تصير عندهم لوعة، هذه تتمكن إذا رجع إلى إنسانيته التي خلق عليها «**كل مولود يولد على الفطرة..**»[(٣)]. هذه القضية تقوّيه، ولبُعد الناس عن هذه المرتبة الإنسانية

---

(١) أي الاستعداد الإنساني فيه قابلية للحسن والسيئ، فإذا كملته آداب الشريعة صار حسناً خالصاً.

(٢) المراد بالمدنية هنا: ما جاء إلينا حديثاً من عادات الأمم الفاسدة، وهو ما يقال له (الموضة) وليس المراد بالمدنية المعنى اللغوي كما سيأتي لاحقاً.

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٤٦٥) برقم: (١٣١٩)، وأخرجه (مسلم ٤/ ٢٠٤٧) برقم: (٢٦٥٨).

صار يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً. لذلك فإن الحق عَزَّ وَجَلَّ ما عنده أعلى من الإنسانية، أعلى من كل شيء، لا تعتقدوا أن أحداً يفهم الإسلام من غير الإنسانية أبداً، والّذي ما عنده إنسانية ما عنده استعداد لئن يصير مسلماً[(١)] وإن صلّى وإن صام!

الملائكة أشرف من الإنسان، والإنسان أكمل من الملائكة، كمال الإنسان وضع الأشياء في محلّها بالأمر الإلٰهي لا بعقلياته. صاحب الإنسانية الكاملة لا يتطلب المعجزات؛ لأنّه ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]. الكمالات كلّها موجودة في الإنسان، فالمراد منه أن يدلّ الناس على كمالات الله.

العاقل لا يعمل مخالفة لا صغيرة ولا كبيرة، والّذي ما عنده إيمان ما عنده إنسانية، ما عنده رأس مال بتاتاً، ما عنده قوّة، فالإنسان الّذي لا يستسلم لله هذا بعيد عن إنسانيته عن حقيقته عن معنويته، الإسلام قانون إلٰهي للإنسانية، والإنسان سعيد ما دام ضمن هذا القانون، وشقيّ ما دام خارجاً عنه، الإسلام نور إلٰهي جامع للكمالات كلّها، الإسلام مرتبة حافظة تحفظك وتحفظ منك.

الإنسانية يلزمنا حفظها، يحفظها الإسلام، جاء الإسلام قانوناً للإنسانية، الإنسانية لا يوجد أعلى منها، أعلى من الملائكة، الأصل في الإنسان الإنسانية وليس الإسلام ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ [التين: ٤]. الّذي ما عنده إنسانية ما عنده استعداد أن يقبل الإسلام، عامل الناس كما

---

(١) عني بذلك الإسلام الحقيقي لا الإسلام الصوري كإسلام المنافقين قال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾ [الحجرات: ١٤].

تحبّ أن يعاملوك به، إذا كنت لا تريد أن يتكلّم الناس عليك كلاماً دنيئاً لا تتكلّم أنت عليهم كلاماً دنيئاً، الإنسان لا يمكن أن يأخذ الدين من أصله وبحقيقته إلّا وإنسانيته كاملة، الإنسان فيه الخلافة ومستعد أن يكون خليفة الله في الأرض، وكل المعارف موجودة عند هذا الإنسان، وهو يأمر وينهى، هذا هو الإنسان الّذي يستمد من ربّه ﴿فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣].

الإنسان عندما لا تبقى عنده حجب يقدّر مرتبة الخلافة التي أعطاه الله إياها، الإنسان عظيم.. جامع.. الملَكية في الإنسان، والجنّية والشيطانية في الإنسان، والحيوانية والنّباتية والجمادية فيه كذلك! والإنسان الحيواني في الإنسان، أيُّها تغلب عليه يكون الحكم لها! الصفة التي تغلب عليه تظهر، أعلاهم إنساني، هذا يدلّك على الله، الخلافة غير موجودة إلّا عند الإنسان، لا الملَك ولا غير الملَك، بل يتتلمذ الملَك عند هذا الإنسان، يستفيد علوماً لا يعرفها من قبل! ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]. ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١]. الّذي يوصلنا إلى الله هو الّذي وصل إلى الله ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]. ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الحديد: ٩].

هكذا يذكّر ﷺ الإنسان بإنسانيته، ويعرّفه بالإسلام قانون الإنسانية المبني على جلب المنافع للناس ودفع المفاسد عنهم، يحمي ويحفظ ضرورياتهم الخمس: الدين، والعرض، والنفس، والمال، والعقل، ولا تكاد تجد شيئاً في الإنسانية إلّا داخلاً في دائرته، ولا في الإسلام شيئاً خارجاً عنها فمنه ظهرت الإنسانية ومنه توزّعت وعلى ضوء أمره ونهيه تُحكَم.

٤ - بناء الشخصية

تنبيه:

قد يبني شخص مدينة كاملة، أو يحصل على عدد من الشهادات ويؤلّف عشرات الكتب، أو يحظى ببراءة اختراع في كثير من المبتكرات، أو يحلّق في مراكب الفضاء فيصل إلى عجائب الاكتشافات، ومع هذا فهو غافل عن إعداد شخصيته متغافل عن الكمالات.

الكثير من العاملين في الإصلاح يهتمّ بصلاح الأمّة أكثر من اهتمامه بإصلاح نفسه، متجاهلاً كونه لبنة في صرحها، ومن عجز عن إصلاح نفسه فهو عن إصلاح غيره أعجز، ومن هنا حصل الضياع، فتفرق شمل الأمّة بتفرق مصلحيها، وتسلط عليها من لا يرحمها؛ لذلك نجزم بأن بناء الشخصية وإعدادها هو الأهم، فإذا حظي إنسان بمرشد صادق ومستشار أمين يأخذ بيده إلى شاطئ النجاة، ويضع له إشارات المرور على جادّة الصواب حصلت الثمرة المطلوبة، وحيث إنّ غالبية المسلمين اليوم صورة بلا حقيقة، وإن الفرق شاسع والبَوْنَ واسع بين المسلم والإسلام كما هو بين حقيقة الأسد وصورته فلا بدّ لنا أن نبحث عن إنسانيتنا وفطرتنا وإسلامنا وشخصيتنا، وأن نعطي أهل الاختصاص دورهم، قال رسول الله ﷺ: «**استعينوا على كل صنعة بصالح أهلها**»[1]. ونعرض أنفسنا على حكيم يرشدنا إلى الدواء، يضع لنا خطّة العمل لبناء الشخصية، كما يضع

---

(١) كشف الخفاء (١/ ١٣٤).

القائد خطّةً لجنده في سُوح الجهاد، إذ الشخصية تتلقّح وتتغذى من اجتماعها بالشخصية المؤثّرة، بالمجالسة والمذاكرة والنظر والقول والفعل والحال والخُلُق والحركات والسكَنات، وهذه الأمور لا تجتمع إلّا في ورثة الأنبياء، والعالِم الذي لم يعمل بعلمه لا يصلح لهذه المهمّة؛ لأنّه لم ينصح نفسه فكيف ينصح غيره، قال الله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [يسٓ: ٢١]. هؤلاء المهتدون الذين لا يكون لهم غرض شخصي في دعوة الخلق إلى الله تعالى، يضعون الإنسان على سكّة الاتباع، ويوثقون رباطه بمحرّك العبدية لله تعالى، فينقلب عندهم في لحظات من شقي إلى سعيد، ومن عدوّ إلى صديق، ومن بعيد إلى قريب، وهكذا كان شأن سيّدنا النّبهان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مع أصحابه.

فهو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لم يؤلِّف كتاباً! وحين سئل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لماذا لم تؤلف كتاباً؟ أجاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (أنا تأليفي إخواني) يعني تلاميذه ومريديه، وهذه من آثار الوراثة المحمّدية، حيث إن رسول الله ﷺ لم يؤلف كتاباً، بل ربّى شخصيات وأوجد أمّة.

وربّما يحتاج بعض الناس إلى توضيح أكثر عن الشخصية، فيتبادر لهم سؤال: ماذا تعنون بالشخصية؟ وما مواصفاتها؟ فنقول: لا يُعنى بها طول الإنسان وعرضه ووزنه، ولا أصله وفرعه ولونه، وإنما يعنى بها الإنسان الّذي يأتمر بما أمره الله وينتهي عمّا نهاه، فلا يكون لفظاً مهملاً أو حجراً في فلاة، بل الرجل الّذي يأخذ دوره بما يرضي الله تعالى في ميادين الحياة، ويرقى بالتقوى والمحبة والاتّباع والعلوم والفهوم والفتوحات، يحمل معاني الصحوة واليقظة والضمير الحيّ والتغيير للأحسن في النفس

والبيت والمجتمع، ويغتنم فرص الليل والنهار بمواقف تقرّبه إلى الله تعالى، ولا يتأثر بالبيئة والظرف والتيّار[١].

قال سيّدنا النّبهان ﷺ : (نريد أن نعطيكم حقيقة الشخصية، الشخصية أمر ونهي، صاحب الشخصية الّذي لا يعصي الله أبداً)[٢].

الشخصية تأتي من العقل[٣]، فهي لا تموت ولا تُعزَلُ، تهابها الإنسُ والجنُّ وتعظّمها الملائكة!

الشخصية لا تُعدَمُ، وهي باقية في الدنيا والبرزخ والآخرة.

صاحب الشخصية لا يتأثر بالبيئة وإنما يؤثّر بالبيئة.

الشخصية الفذّة لا تعبد إلّا لله؛ لأنّه عظيم يستحق العبودية.

صاحب الشخصية هو جليس الحضرة الإلٰهية.

الإسلام لا يحمله إلّا صاحب الشخصية، بعض المسلمين يصوم ويصلي ويغش ويخون، فيلعن الناس كلَّ من يصوم ويصلّي بسببه، فيكون عليه الوزر، والعكس بالعكس!

الإيمان بمقدار الشخصية، المرتبة بمقدار الشخصية.

الشخصية تتغذى من الرسول عليه الصلاة والسلام.

صاحب الشخصية النفسانية يمشي مع العصبية، وصاحب الشخصية الروحانية يمشي مع الحق.

---

(١) من كلام المؤلف.

(٢) هنا يراد الشخصية الكاملة.

(٣) العقل هنا ليس بمعنى الذكاء، بل بمعنى الحكمة.

النزاهة تأتي من الشخصية، ولا تأتي الشخصية من النزاهة.

يجب أن تكون الشخصية الحاملة للعلم أكبر من المرتبة ومن العلم؛ لأن العلم كالسيف، ومن لم يحمِ سيفه لا يحميه السيف.

الشخصية تأبى المدنية التي لا تعيب عيباً ولا تحرّم حراماً.

لا يطلب السلوك إلّا صاحب الشخصية.

الإنسان يأخذ بمقدار صدقه أي بمقدار شخصيته.

الإنسان نتيجته أخلاقه لا أعماله، أعماله إذا كانت مقبولة عند الله تُهضَم إلى الأخلاق، وصاحب الشخصية لا يسيء الأخلاق، حياة الإنسان بحسن المعاملة.

الصدق يخرج من الشخصية، صاحب الشخصية البارزة لا يكذب ولا يسرق ولا يغتاب ولا يكون ديّوثاً، ولا اعتبار للمدنية عنده.

المربي الكبير يربّي الشخصيات ويربّي المراتب، وهو ليس له مرتبة أبداً(١)، حتى الغوث لا يحكم عليه! عبد المرتبة وعبد المعرفة.. لا لا! مثل: تعس عبد الدينار، تعس عبد المرتبة، أو المعرفة، تعس عبد الزوجة.. الشخصية عبدٌ: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١]. لمّا رأى الآيات البينات الكبرى قال: ﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧]. قلبه مع القديم جلّ جلاله أما الحادث فلا يعبأ له شيئاً، صاحب المرتبة محمول، وصاحب الشخصية حامل، هو الكل في الكل، هو المكلف، هو المسؤول، فسيّدنا عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لمّا صار أمير المؤمنين جعل المسؤولية عليه،

---

(١) يعني: هو في رُقيّ دائم.

وكل شيء في البلاد مطلوب منه، إذا فُقدت دابّة من الدواب في الفلاة فهو مسؤول عنها! هذا صحيح، أوّل ما صار أميراً بقي مدّة لا ينام ليلاً ولا نهاراً، في النهار يدبّر شؤون الخلافة، وفي الليل يتحرّى ماشياً يبحث: أين توجد أرملة أو عاجز.. رأى مرّة قافلةً محمّلةً ولمّا أنزلوا الحمل ناموا، بقي يحرس إلى أذان الفجر حتى أيقظهم قال لهم: قوموا إلى دوابّكم؛ لأنّه يرى نفسه هو المسؤول، وإذا لم يرَ المسؤولية فليس بصاحب شخصية، صاحب المرتبة ما عنده مسؤولية، أما صاحب الشخصية فعنده مسوؤليةُ عبدِ الله، الله أكبر من الكبير، لا تدخل بالصلاة إلّا بالأكبر، الله أكبر، هذا صاحب الشخصية، مسؤول عن كل قضيّة! «**اللهمّ اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون**»[(١)]. لا يدعون على أحد البتّة، ما وُجِد عارف ولا رسول يدعو على أحد البتّة ولا سيّدنا نوح، سيّدنا نوح عرَفَ أنهم يبقون كفّاراً فدعا عليهم رحمة بهم لئلا تزداد ذنوبهم.. لا يمكن لعارف بالله أن يدعو على أحد مهما عمل به (اللهمّ اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون).

الشخصية لا تصير إلّا بأكل الحلال، الّذي يأكل الحلال: بدون تكلُّف منه يحفظ اللهُ سمعه وبصره ولسانه وفرجه وبطنه ورجله ويده.. لماذا لا تأكلون الحلال؟ لماذا لا تأكلون قليلاً؟ عوّدوها على القليل الحلال، بعد التقوى توجد صداقة، قال الله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]. ليست التقوى الأولى ولا التقوى الثانية، وإنما التقوى الثالثة أهل الذات الإلٰهية، لا يمكن إلّا التقوى الثالثة، في

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٨٢) برقم: (٣٢٩٠).

الأولى والثانية النفس غير مهذّبة غير مؤدّبة، وكلّ منْ نفسهُ غير مهذّبة بغضبة من الغضبات لا يبقى عنده شيء ينقلع قلعاً).

٥ - تقوى الله تعالى

قال ﷺ: (التقوى تعني الوقاية، وهي ثلاثة مراتب: الأولى: تقوى الشرك. الثانية: تقوى الذنوب. الثالثة: تقوى السِّوى، أي ما سوى الله تعالى.

يجب أن نعلم كيف نتقي الله سبحانه وتعالى، الوقاية أن لا نخالف الله، وإذا عملنا بما أمرنا الله تؤدّي بنا إلى الله، وأما إذا قعدنا مع الكذّابين فالطباع سرّاقة، أين العقل الّذي هو ميزان يدرك الّذي يضرّه والّذي ينفعه؟ وجب علينا أن نشهد أنّ هذه الرفقة تُنقِصنا عن حقيقتنا وتجعلنا نقع في المخالفة، المخالفة للشريعة لو تركناها لوجدنا الأمر على ما هو عليه، لوجدنا الحياة أجمل من الموت بما لا يقاس، ناس كثيرون يطلبون الموت، أعوذ بالله من ذلك! أنا أستغرب جداً؛ يظنّون أنهم إذا ماتوا سيستريحون، والله لا توجد راحة! تموتون على ما عشتم عليه، وتُحشَرون على ما متُّم عليه، أين المفرّ؟! المسرور هنا مسرور هناك، هنا وفي القبر وفي البرزخ وفي الجنّة.. أينما كان؛ لأن الحق معنا أينما كنّا، وينظر إلينا ونحن موافقون له جلّ جلاله؛ لذلك أهل الله يقولون: كن مع الله ترَ الله معك[1]. إذا كنّا مع الله أمرنا فائتمرنا ونهانا فانتهينا نرى الأشياء بالله، كان

(١) صدرُ مطلعِ قصيدةٍ لعبد الغني النابلسي، تمامه * واترك الكل وحاذر طمعك * أبياتها =

الله معنا دائماً، في كلِّ شيء، لكونك لم تبقَ عندك إرادة، لا توجد إرادتان، الإنسان قبل أن يَكمُلَ فإن نفسهُ ناقصةٌ، يظنّ حاله له إرادة وله وجود وله هيمنة.. لا! الحق سبحانه وتعالى إذا كان يحب عبداً في السير يخالفهُ، يعاكسه، لا يعطيه مراده! يقول بعضهم: الحمد لله يعطينا مثل ما نريد.. هذا مكر! الحمد لله أنا لا يعطيني مثل ما أريد، هذه أكبر نعمة، لا توجد إرادتان ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الإنسان: ٣٠] وما تشاؤون مشيئتكم حتى يشاء أن تشاؤوا فتشاؤوا، ما بقي شيء لنا البتّة!. ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

صاحب التقوى الثانية تقوى الذنوب له علامة لا يجالس الأولين أبداً، لا يجالسهم ولا يروح إليهم، وإذا جاء الأولون يصيرون تابعين له، يترك أصحابه الأولين، فإذا كان منهم أحد صادقاً يأتي هو إليه؛ يتتلمذ ويستسلم له، الصداقة باقية.

إذا عملتم ذنباً صغيراً أو كبيراً فهذا ظلمة وحجاب بينكم وبين أرحم الراحمين، وجب علينا أن نتوب ونستغفر، فإذا تبتم من قلبكم جاءكم النور ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] نور المحبة، النور يكشف، يكشف حاله يرى القذرَ المعنوي بنفسه مثل ما يراه أهل الله ﴿وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَٰهُمۡۚ﴾ [الأعراف: ٤٦] كل واحد يرون داخله، قال ﷺ: «**من أسرّ سريرةً ألبسه الله رداءها إن خيراً فخير وإن شرّاً فشرّ**»(١).

ثمّ التقوى الثالثة هذه لخصوص الخصوص، هذه تقوى السوى ﴿فَٱعۡلَمۡ

= ثلاثة عشر بيتاً، انظر مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي لأحمد قبش/الباب العاشر: باب الراء.

(١) المعجم الكبير للطبراني (٢/ ١٧١) برقم: (١٧٠٢).

أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمّد: ١٩]. السوى مثل الظل، الظل تابع لا حركة له البتّة، إلى أن يصير موحّداً عالماً بالله حقيقياً، وهذه أربابها قليلون في العالم، ما وُجد اثنان في العالم، دائماً واحد، حتى في زمن سيّدنا محمّد ﷺ كان الرسول ﷺ فقط، ولا سيّدنا الصدّيق، بعدما انتقل الرسول انتقلت إلى سيّدنا أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه).

٦ - السير والسلوك إلى الله تعالى

قال رضي الله عنه: السير، هو خرق الحجب وتمزيقها بين العبد وربّه، لا السير من مكان إلى مكان.

الحجاب حجابان: حجاب نوراني، وحجاب ظلماني.

فالنوراني: حب الجنّة والثواب والدرجات والحور والقصور.

والظلماني: حب الزوجة والأولاد والمال والزعامة وما شابه ذلك، فصاحب الهمّة العالية لا يوجّه همّته إلى ثواب أو حور أو درجات، بل إلى الله تعالى، لا يرضى به بديلاً.

من نِعَم الله تعالى علينا، أن جعل الحُجُب كلّها عرضية وليست أصلية، قال ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه**»(١).

الّذي ألقى السير إلى الله بقلب السائر إليه سبحانه، هو سبحانه وتعالى، ولولا الله ما سار إلى الله.

(١) أخرجه البخاري (١/ ٤٦٥) برقم: (١٣١٩)، ومسلم (٤/ ٢٠٤٧) برقم: (٢٦٥٨).

السلوك أعلى من الطريق، ولا يطلب السلوك إلّا أهل الشخصية، آية السالكين هي آية المنافقين، قال الله تعالى عن المنافقين: ﴿صُمٌّ بُكۡمٌ عُمۡيٌ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١] أي: صمٌّ: عن الحق، بكمٌ: عن الحق، عميٌ: عن الحق فهم لا يعقلون الحق، والسالكون بالعكس: صمّ: عن غير الحق، بكم: عن غير الحق، عميٌ: عن غير الحق، فهم لا يعقلون غير الحق.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [الصف: ١٠] سيّدنا محمّد ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، لا يوجد نبي بعد سيّدنا محمّد ﷺ لكن يوجد وُرّاث محمّديّون في كل عصر، يمثّلون سيّدنا محمّداً عليه الصلاة والسلام، يجدّدون لهذه الأمّة دينها، إذن تؤمنون بالوارث المحمّدي الكامل الّذي يمثّل الإسلام، الّذي يأخذ عن رسول الله ﷺ خذوا عنّي، والله إنّي لكم من الناصحين كما نصحتُ نفسي، أنا صادق وكل كلامي صادق وذوق محقّق ومدقّق ولا بدّ أن يقع، ما عندي قيل وقال وحكي..

جرت عادة الحق تعالى مع عبده، أنه كلّما اشتهى الإنسان أو أحبَّ فلا بدّ أن يغريه فيه بقدر مشتهاه له وبقدر ميل قلبه له، والسالك لا يخرج من عالم الملك إلى عالم الملكوت وفي قلبه مثقال ذرّة من حلاوة أو ميْل إلى عالم الملك، وعالم الملكوت لا يخرج منه إلى عالم الجبروت وفي قلبه حلاوة من عالم الملكوت، وهكذا، لا يتنقل السالك من مرتبة إلى أعلى وفي قلبه ميْل إلى الأولى.

سلّم السلوك: تزكية، رضا، بركة، تعريف.

السالك في بدايته: يزهد بالمال ينهزم[(١)] من الدنيا وأهلها، وعلامته أن

(١) بمعنى ينسحب أو يهرب من الدنيا وأهلها.

يستوحش من الناس، لا يحب أن يتكلّم أو يسمع أو ينظر، فإذا حفظ الثلاثة نطق بالحكمة وأخلص لله، من علامة الإفلاس الاستئناس بالناس[١]. يقول أهل الله:

وقاطعْ لمن واصلتَ أيام غفلةٍ.. قاطعهم بتاتاً، أهل الغفلة ما عندهم غير الشيء الدنيء.. **فما واصل الأحباب من لا يقاطعُ**.

أنا إذا كان لي رفقاء سوء وبعدها توصلت إلى أهل الله لا أقدر أن أجلس مع غير الولي أبداً، وقاطعْ لمن واصلت أيام غفلة قاطع بتاتاً، نعمة كبرى إذا قاطعهم أياً كان أهله، أمّه، أبوه، أخته، رفاقه.. فما واصل الأحباب من لا يقاطع، يقاطع سيئي الأخلاق. الّذي يريد الله هو يقاطع لا هم يقاطعونك، لا لا.. أنت عالٍ أنت نوراني، عندك نور تميّز تفهمُ وتزِنُ الأمور، أما الآخر فلا يفهم ولا يدرك (لا نور ولا عقل) المفروض أنت تقاطع، أنت مرادك الله.

المريد الصادق، ابن ذات وقلب، والتلميذ ابن علم وعقل.

الطريق لمن صدق لا لمن سبق.

الّذي يسلك إلى الله لا يمكن أن يسلك وعادة من العادات غالبة عليه أبداً، حتى يغلب العادات ويحكمُ عليها من أولها إلى آخرها، أنت لا تقدر على تغيير عادة من عاداتك فكيف تخرق لك العوائد؟

نحن سيرنا كلّه بتوفيق الله، هو الّذي وفّقنا ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [هود: ٨٨].

---

(١) من أقوال أبي علي الشبلي ﷺ. ينظر: الرسالة القشيرية: ٥٠.

والسالك لا يتحزب ولا يتعصب، بل يحب الحق أينما وجد ويبغض الباطل أينما وجد.

ابن السير دائماً بالمحاسبة، يزِن الكلمة ويتكلّم بالنافع والأنفع، ولا يكذب ولا يخون ولا يغش ولا ينم ولا يغتاب ولا يأكل حراماً.

كل شيء ذاقه رسول الله ﷺ يذوقه السالك، إلّا النبوّة ورسالة التشريع!

لا وقوف أبداً ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ [الشرح: ٧، ٨].

السالك لا ينظر إلى الناس مهما قالوا عنه ما دام ملتزماً بأحكام الشريعة.

لا تظنّوا الوصول إلى الله بالجوع.

الغيبة والنميمة والكذب والبهتان ونظر الرجال إلى النساء والنساء إلى الرجال، كلّها تقسّي القلب.

السير إلى الله ليس مربوطاً بكثرة الأعمال، بل بصدقكم بالأعمال.

المريد قلبه طاهر، ونفسه مزكّاة.

المريد لا يقول لشيخه لِمَ، كسيّدنا إسماعيل عليه السلام، عندما قال له أبوه: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات: ١٠٢]، فقال إسماعيل لأبيه: كفّني لا تنظر إليّ.

الله شاهدي، الله ناظري، الله معي، هذه الكلمات روح السير.

السالك كالحبّة قبل زرعها لا بدّ أن تُدفَن فترة من الزمن[١] فإذا دُفِنت

---

(١) أي بالعزلة عن الغافلين.

﴿أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ﴾ [البقرة: ٢٦١]، أمّا التي لا تُدفَن تحت الأرض فيأخذها الهواء، أي لا بدّ لمن يطبق كلامي أن ينعزل، العزلة كالحمْية تماماً، إذا ذهبت إلى الطبيب يعطيك حميةً.

أول السلوك جلال، ثمّ جمال، ثمّ كمال، الكمال يضع الجلال في محلّه والجمال في محلّه، الجلال مربّي، والجمال فيه مكر.

المريد الصادق يعرف ما في قلب شيخه وماذا سيتكلّم، المريد الصادق يأتيني الفتح عندما أنظر إليه.

نريد منكم شيئين: الوجهة إلى الله تعالى، وسلامة الاعتقاد.

المريد إذا جاء لشيخه لا يطرق الباب، هذا هو المريد الصادق.

والله يا أولادي أنا أدلّكم على ما يسعدكم في الدنيا والآخرة، على سروركم وسعادتكم وهنائكم.

المريد الصادق أين ما مشى لا يرى غير شيخه أمامه.

ميزان السالك:

الأول: في حب الدنيا والليرات، الدنيا أخذت الكثير من الأكابر.

الثاني: في حب النساء، أو حب الرجال بالنسبة للنساء.

الثالث: في حب النفس، آخر ما يخرج من الصدِّيقين حب الرئاسة وحب النفس.

الإنسان يأخذ بمقدار صدقه، أي بمقدار شخصيته.

الصادق يعتني بنفسه، نفسك مقدَّمة، انصح نفسك، أعطني الصدق وخذ ما شئت.

صدق اللسان، صدق الجَنان، صدق العينين، صدق الأذنين، صدق كل ذرّة من ذرّات الإنسان.

صدق خمس دقائق أسرع من مجاهدة أربعين سنة، الوجود قائم على الصدق، والصادق، اسم ذاتي له خاصيّة المحاسبة.

الصدق: هو اسم الله الأعظم، أعطني الصدق وخذ ما شئت.

الصادق له خصوصية المحاسبة، يحاسب نفسه من: محاسبة اللسان والسمع والبصر ثمّ اليد والرجل حتى يصل إلى محاسبة المخيلة، بعدها لا تبقى عنده خواطر سيئة أبداً.

التوكل مرتبة من مراتب السير، فلا يطلب من أحد أبداً.

السالك صمٌّ بكم عمي عمّا سوى المحبوب، فحينئذٍ يقال للسالك: مجنون مسلوب مجذوب، نعمْ سُلِب من عاداتهم، جُنّ عن أحوالهم، مجذوب في محبوبه لا يرى سواه.

لا يتعرف إلى المعارف الإلٰهية إلّا من تبدلت سائر أحواله، ومن أراد أن يفهم أحوال الرجال الكبار فلْيجالسهمْ ولْيجانسهمْ ويتأدبْ معهم.

المريد يستفيد من شيخه بمقدار وجهته وعقيدته في شيخه، لا طلبهِ باللسان.

ناس كثيرون يأتون ويكتفون بهذه الصحبة، لا يعملون أبداً! يضحكون مع الّذين يضحكون، يمزحون مع الّذين يمزحون، يروحون يجيئون. . لا! هؤلاء إلى الآن ما صاروا من أهل السلسلة، ما انعدّوا ولا انكتبوا البتّة!! نرجو الله أن يكتبهم!

إذا كان اثنان: أحدهما يقلّد بالبداية، والآخر: يقلّد في النهاية، الّذي يقلّد في النهاية على خطر بالمائة مائة، لا تسعة وتسعين، في المائة مائة! لم يستحِ؟ لم يخجل؟ لم يعرف نور شيخه!! لو عرف نور شيخه ما قلّد شيخه في النهاية، لا يقدر ولا يستطيع البتّة.

أستغرب كثيراً من طالب لله ويصير عنده ذنب!

الإنسان لـمّا يتوجه أول أمره إلى الله وإلى أهل الله، يكون حاله ثقيلاً مكروباً! ويذهب هذا تدريجياً.

ثـمّ تأتيه لطافة وعلم وفهم وذوق.. كأنَّ قلبه وكلّ ذرّة من ذرّاته تضحك.

الحمْية هي الركن الركين في السير والسلوك.

الصادق في الطلب يزهد في الناس ويزهد في الدنيا قبل كل شيء، فيقعد بعيداً عن الناس، الحمْية لا تقعد ولا تختلط مع الناس، الحمْية هي الركن الركين في السير والسلوك، سيّدنا محمّد ﷺ أول كل شيء راح إلى غار حراء، ترك الناس والعالَم، سيّدتنا خديجة تخبز له كعكات ويأخذها معه إلى غار حراء، يقعد يومين..ثلاثة.. خمسة.. عشرة.. اثني عشر يوماً.. هذه مع كل من قال أنا صادق، هذه صارت معنا كلّنا، لا بدّ من البعد عن الناس؛ لأن الناس واقعون في الغيبة والنميمة والكذب والخيانة والدياثة، لا بدّ أن نحافظ على سمعنا وبصرنا ولساننا وقلبنا وأيدينا وأرجلنا لتكون كلّها نظيفة، حتى نصير نوراً، الصادق لا يعمل قضايا مخالفة، ولا يمكن أن يسلك وعادة من العادات حاكمة عليه البتّة، حتى يغلب كلّ العادات ويحكم على العادات كلّها من أولها إلى آخرها، اللهمّ إن هذا من أهل السلوك، وطالما أن عادة من العادات تحكم عليه لا يمكن

أن يرفع رجلاً عن رجل البتّة! ولا تشتغلوا بما لا يعنيكم، كل شيء لا يعنيكم إلّا الحق ﷻ ، والوجهة إلى شيء أيّ شيءٍ حجابٌ عن الله، والأصل في الطريق أن تصحب المرجع معك أينما كنت، والطريق كلّه أدب، والأدب لا يأتي إلّا من صدق الطلب، والأدب يجب أن يكون وصفكم وصْفَ ذاتكم حتى مع غير الأديب عاملوا بالأدب الصغير والكبير، الإنسان لا بدّ أن يصل إلى مرتبة يصير فيها كلّه أدباً، يعامل الكل بالأدب، تبيَّن أنّ هذا قد تأهّل في السير إلى الله، أما غير الأديب فلا يصلح للسير أبداً ولو صلّى وصام الليل والنهار كلّه لا يفيده شيئاً، إلّا إذا تخلّق بالأدب، والله سبحانه وتعالى يعطي أحبابه وأولياءه لا على قدر العمل وإنما على مقدار الأدب، والصادق مشغول بربّه، هذه خصوصية للصادقين والصادقات ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ..﴾ [فصلت: ٣٠] الاستقامة، بعدها يمتلئ من الأنوار، صار قلبه محلَّ الطهارة يَقبلُ النور، فإذا أراد واحد أن ينظر في الأسرار الموجودة في الوجود فلا يكون عنده ميْل ولا وجهة لشيء البتّة، حتى يكون صافياً ليدرك أسرار الوجود، الوجود كلّه أسرار، يدركه أهل الصفاء وأهل النور، أما المتوجّه إلى أكله أو شربه أو لبسه.. فهذا قلبه قاسٍ لايدرك شيئاً، والقلب لا يسع اثنين.

الطريق طريقان لا ثالث لهما[١]، افهموا أنتم يا أهل الطريق ويا أهل السير، إمّا شاذلي وإما غزالي، فالشاذلية طريقة المحبّة وهذه لأهل العناية،

(١) هذا من حيث المنهج والمضمون، فكل طريقة تسلك بصاحبها نهج المحبة فهي شاذلية المنهج وإن كان لها اسم آخر خاص بها، وكل طريقة تسلك بصاحبها نهج المجاهدة والرياضات النفسية فهي غزالية وإن كان لها اسم آخر خاص بها.

وأما الغزالية فهي المجاهدة والرياضة والمكاشفة والأعمال الشاقّة بأنواعها، الشاذلي ما عليه خطر لأنّه لا يعرف إلّا المحبّة قلبه مأخوذ، فإذا كلّمتْهُ نباتة أو حيوان أو جماد لا ينظر ولا يلتفت أبداً، نهاية طريق أهل المجاهدة بداية طريق أهل المحبة قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩]. المجاهدة توصل إلى الطريق، والذي يصل إليه صاحب المجاهدة بالأعمال الشاقّة والسنين الطوال يناله صاحب المحبة في لحظة. يكون لدى المرشد اثنان أحدهما يشتغل بالمجاهدات وآخر مشغول قلبه بالمحبة، فإنَّ الثاني يسبق الأول بأعمال القلب من المحبّة والتعلق بآلاف السنين فصاحب المحبة طيّار وصاحب المجاهدة سيّار. الغزالية: المجاهدة والرياضة والمكاشفة، صاحب المكاشفة نوراني تكلّمه الجمادات والحيوانات والنّباتات وكل شيء حتى ثوبه يخبره كل شيء ويتكلّم معه، فإذا وقع معكم فلا تخافوا! أنتم عملتم عملاً خيراً، إخلاصاً للحق فيبيّنُ لكم حتى يزيدكم ويقوّي الضعيف، أما القوي فليس بحاجة إلى كرامة، الكرامة: هي الاستقامة، الاستقامة: عين الكرامة، سألَنا شخصٌ: أي الطريقين أسلم وأقوى وأحكم؟ قلنا: الشاذلي أقرب بالفعل وأحكم، ما عليه خطر، في الغزالية عليه خطر، إذا فُتِح عليه يُخاف عليه، إيّاكم من الطريقة الغزالية أهل المجاهدة والرياضة، إلّا الّذي له مرجع فلا يخاف لو انطبقت عليه السماء والأرض بالابتلاءات لا يخاف ولا يبالي فلها تصريف، المصيبة كل المصيبة إذا سلك الطريقة الغزالية لوحده وجاءه الفتح ربّما يُجَنُّ عقله أو ينقطع أو يصيبه شيء، وهذا أكيد، إيّاكم أن يعمل أحد المجاهدات بدون مرجع، وأن يكون مرجعاً قوياً عفيفاً نزيهاً صادقاً تهابه

الشياطين بكل أنواعها، وإذا لم تكن الشياطين تهابه يأخذونه هو ومرجعه! أما من عقلكم فلا، ناس كثيرون يأكلون بالميزان(١)، أكلهم ونومهم وشربهم وكلامهم ولبسهم.. لا مانع: شرط أساسي بإذن المرجع، وأعلى منه بأمر المرجع، وحتى الإذن ربّما يكون فيه شيء من المكر الإلٰهي(٢)، أما الأمر فلا مكر فيه أبداً، إذا أمره لا يخاف، والمرجع هو وارث رسول الله ﷺ نتبعه في كل الأمور وفي كل الشؤون، لا نشتهي إلّا ما يشتهيه، نصير عينَه هناك نتخلق ونتهيأ للرسول ﷺ لأن الرسول الأعظم ﷺ لا أحد يعرفه، يظنونه شخصاً عادياً، لا! ليس شخصاً عادياً، هو خليفة الله في الأرض، لكن علينا بالسبب الأول قال الله تعالى: ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩]. الرسول ﷺ باب الله، وباب الرسول هو المرجع العارف بالله وليس المدّعي؛ لأن المدّعين في العالم كثيرون وإنما نعني العارف بالله الصادق التابع الممحوّ في محبوبه بتاتاً ولا وجود له البتّة.

وأنا لا أقول إن الطريق غزالية وشاذلية، بل أقول بحسب المشرب، فربّما يكون المريد غزالياً ومشربه شاذلي، أو شاذلياً ومشربه غزالي، وهنا فائدة المرشد العارف الّذي يعرف مشارب المريدين، يأمر واحداً بالصوم، وثانياً بالذِّكر، وآخر بالخدمة والمجاهدة، وآخر بالتفكر، وبالخلوة.. بحسب مشرب المريد واستعداده، جاء إلى رسول الله ﷺ عشرة أشخاص

---

(١) يأكلون بالميزان: يضعون لأنفسهم قياسات وتقنينات ليسيروا بأنفسهم في المجاهدة من دون مرجع.

(٢) لأن المستأذن ربّما يكون غرضه من الاستئذان أن يوافقه المرجع على ما يهواه فيصوغ السؤال ويقدم له المقدّمات التي تستدعي الموافقة من المرجع، وبذلك يكون قد مكر بمرجعه فيعامله حينئذ بالمكر فيأذن له. هذا مضمون شرحه لهذه الكلمة قدس سره.

بسؤال عن أفضل الأعمال[١]، فأعطى كل واحد جواباً غير الثاني، ليكمل النقص الّذي عنده، هذا هو الحكيم.

(١) الأجوبة العشرة هي:
١. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الأعمال عند الله إيمان لا شك فيه، وغزو لا غلول فيه، وحج مبرور**»، صحيح ابن حبان (١٠/ ٤٥٧) برقم: (٤٥٩٧).
٢. عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال: «**إيمان بالله، وجهاد في سبيل الله**». سنن النسائي (٦/ ١٩) برقم: (٣١٢٩).
٣. عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الأعمال الصلاة لوقتها وبر الوالدين**». أخرجه مسلم (١/ ٩٠) برقم: (٨٥).
٤. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الأعمال أن تدخل على أخيك المؤمن سروراً، أو تقضي عنه ديناً، أو تطعمه خبزاً**». شعب الإيمان للبيهقي، (٦/ ١٢٣) برقم: (٧٦٧٨).
٥. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس**». المعجم الأوسط (٦/ ١٥٦).
٦. عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الأعمال الكسب من الحلال**». كشف الخفاء (١/ ٥٧).
٧. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الأعمال العلم بالله، إن العلم ينفعك معه قليل العمل وكثيره، وإن الجهل لا ينفعك معه قليل العمل ولا كثيره**». ينظر: كنز العمال (١٠/ ٢٥٣) برقم: (٢٨٦٣١).
٨. عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الأعمال الحب في الله، والبغض في الله**». سنن أبي داود، (٤/ ١٩٨) برقم: (٤٥٩٩).
٩. عن أبي العلاء بن الشخير قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الأعمال حسن الخلق وأن لا تغضب إن استطعت**». كنز العمال (٢/ ٨٦٣) برقم: (٨٧٥).
١٠. عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الأعمال عند الله صلاة الصبح يوم الجمعة في جماعة**». شعب الإيمان للبيهقي، (٣/ ١١٥) برقم: (٣٠٤٥).

٧ - العلم والعمل

قال رضي الله عنه :

الناس قسمان إجمالاً: إما جاهل أو عالم، بصير أو أعمى، قال ﷺ: «**طلب العلم فرض على كل مسلم ومسلمة**»[(١)] هذا من جملة الفروض؛ لأن الإنسان بحاجة إلى أن يستدل على القبلة يستدل على الله وعلى كل شيء ينفعه، فيجب أن يزيل جهله بالعلم، وإذا كان أعمى البصر فقط فهو معذور، يسأل الناس يدلّونه ويعرّفونه، أو كان أعمى البصيرة حاشا الله أن يعمي بصيرته الله لا يخلق أعمى البصيرة أبداً، إنما وجهته للدنيا.. وجهته للشيء الدنيء.. هذا هو العمى والحجاب الأعظم، وهو وجهته إلى غير الله إلى غير ما ينفعه في الدنيا والآخرة، بل منهم لا يبالي سبهلل[(٢)] مع الناس «كبرّوا يرحمكم الله» لا علم لا ذوق لا فهم ولا تمييز..

الغاية من طلب العلم:

العلم ليس من أجل المادّة، يأكل بدينه، بعيد عن الله، ما عنده قبول، الله لا يقبله، قلبه فاسد ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ١٠٨] فاسق أي فاسد، إذا فسد الإنسان فسدت نفسه فلا يدرك ولا يفهم، يلزم العالم أن يتعلم العلم لأن الله أمره بذلك، حتى يُخرج نفسه من الجهل ويُخرج غيره ويعبد ربّه على بيان، أموره كلّها على بيان وعلى تحقيق، قال الإمام

(١) معجم الأوسط، (١/٨) برقم: (٩).
(٢) سبهلل: أي ليس معه من عمل الآخرة شيء. الفائق في غريب الحديث (٢/١٥٠).

الشافعي ﵀: «من لا يحب العلم فلا خير فيه، ولا يكون بينك وبينه معرفة ولا صداقة» هذه حقيقة.

فالجاهل الأحمق لا يمكن يوماً من الأيام ولا يجوز أن نقف معه أو نصاحبه؛ لأنّه يحب الجهل لا نصاحب أحداً ولا نماشيه إذا كان لا يحب العلم. نحن لا نقصد العالِم أبا المادّيات، نقصد العالم المحبوب إلى الله، لو لم يحبه لم يعطه العلم.

وقال ﵀: «العلم مروءة من لا مروءة له» العلم كلّه مروءات من أوله إلى آخره، عالمِ وجاره جائع ولا يعطيه؟ عالِم يرى أحداً محتاجاً ولا يسدّ حاجته حسب طاقته؟ إلّا إذا كان العالم الآخر صاحب مادّة يجمع الليرات، فهذا لا يعنينا.

وقال ﵀: «إن لم يكن العالمون - وفي رواية: الفقهاءُ - أولياءَ فليس لله وليّ». ليس من حيث الدراسة، يوجد أقطاب وأولياء يعرفون العلوم كلّها، وصلوا إليها بواسطة التقوى ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [البقرة ٢٨٢]. حاسبوا أنفسكم في الصغيرة والكبيرة، هذه المحاسبة تعطيكم علماً من عند الله وليس من عندكم ولا من الدراسة، قد يكون أمّياً لا يقرأ ولا يكتب ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢-٣] علم التقوى خالص ناضج، وهناك علم ثالث: العلم اللّدنّي، وصاحب علم التقوى الثانية ربّما يصل إلى العلم اللّدنّي أو لا يصل إليه، صاحب العلم اللّدنّي عبدٌ عنده رحمة وسعة، أهل الله قلوبهم كلّها رحمة، الرحيم هو الحكيم، والحكيم بالنسبة لصفة الحضرة الإلٰهية، أما بالنسبة لنا عاقل العقل الكامل، العقل الأول وليس العقل الثاني الّذي

صنع الصاروخ والقمر الاصطناعي هذا باقٍ على كفره وفسقه وكذبه، أما العقل الأول فالّذي قال عنه الفلاسفة يوم القيامة: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ [الملك: ١٠، ١١]، العقل الثاني عقل المادّة والاختراع وغيره، اعرف يا مخترع من وفقك للاختراع، أنت كنت جاهلاً، والله وفقك، أهل الله عندهم نور، كل نعمة تجيئهم ينسبونها لله ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]. هو يعرف أنه لم تكن عنده هذه النعمة التي تخلق بها، كان جاهلاً صار عالماً عنده نور عنده بصيرة وفهم وذوق وميزان.. يزِن الصغيرة والكبيرة والّذي له والّذي عليه، الّذي عليه يؤدّيه بالتمام والكمال، والّذي له يعفو عن جزئه أو كلّه، أمَرَه النور الموجود عنده، هو أعطاه الميزان، لا يطعن في أحد ولو الناس طعنوا فيه لا يقابل بالمثل، الجاهل يقول طالما تكلّموا عليّ أتكلّم عليهم! لا لا.. «**الغيبة أشد من الزنى**»(١). الغيبة ذكرك أخاك بما يكره، حتى المدح إذا الإنسان يتأذى منه كذلك اسمه غيبة! إذا مدحته بشيء موجود فيه؛ لأنّه لا يرضى، هذا غيبة لأنّه سَتُور لا يُظهِرُ حاله، وقال الإمام الشافعي أيضاً: «ما أحد أورع لخالقه من الفقهاء». الفقه معناه الفهم، الحق يقول: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]. الفقيه الحقيقي نوره معه، هؤلاء غافلون عن النور، لهم قلوب لا يدركون بها، قلوبهم مثل قلب الخروف، يفيدنا السرّ الموجود فيه، السرّ من يدركه؟ يدركه أهل الفقه أهل الفهم، لهم قلوب يفقهون بها، ويضعون كلّ شيء في

(١) المعجم الأوسط للطبراني (٦/٣٤٨) برقم: (٦٥٩).

محلّه، هؤلاء أهل الفقه وأهل الفهم، ولو أنهم يريدون بالفقه علم الفروع الفقهية!.

العلم الصحيح هو الّذي يوصل للمعلوم، لا العلم الّذي يوصل للمادّة، المادّة تحتاج إلى من يحملها ويحميها، مثل السيف، الجبان يأخذون منه سيفه ويقتلونه به! السيف لا يفعل واليد لا تفعل، الّذي يفعل هو القلب، وعلى ما في القلوب المعوَّلُ. هذا هو الحق، الإيمان بالقلب، والمعرفة والمحبة والشوق كلّه بالقلب، هذا هو القلب، الحق يقول: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]. يا مسلمون الله بعثنا حتى نَدلَّ عليه، أعطانا الكمالات وقال: دُلّوا عليّ بكمالاتي حتى أكملكم، العلم الّذي أقرؤه أو أدرسه ليس علم الوظيفة والمادّة، لا.. العلم أقوى من السيف، العلم لا بدّ أن نحمله ونحميه، نزيّن العلم ونزيّن العمل ونزيّن كلّ شيء، والعالم هو الإنسان خليفة الله في الأرض، الإنسان يطلب العلم حتى يصل للمعلوم جلّ جلاله، نقول لأهل الذكر: يا ذاكرين الله لابدّ أن يوصلكم الذكر للمذكور جلّ جلاله، والعبادةُ يا متعبدون لابدّ أن توصلكم للمعبود جلّ جلاله، وهذا هو المراد وما وراء ذلك كلّه ثانوي.

العلم من أجل المادّة؟ أعوذ بالله!، سيّدنا الصدّيق رضي الله عنه حينما صار خليفة، حمل صباحاً ثيابه ونزل الى سوق الماشية يشتري ويبيع.. سيّدنا عمر رضي الله عنه قال له: إلى أين يا أبا بكر؟ قال له: العيال بحاجة إلى طعام! قال له: يفرض لك أبو عبيدة رضي الله عنه «أمين هذه الأمة»، ففرض له ألفين وخمسمائة درهمٍ في السنة.. نقول: يا عالم إذا تأخذ مادّة لا مانع لكن زوجتك لا

تدعْها تتوجه للمدنية، المدنية تلزمها أموال كثيرة أي تتطلب أموالاً كثيرة بدلات وقبولات.. وأنت معاشك معروف!

يطلب العلم، لا يضع بجنبه الرزق، الرزق شيء والعلم شيء، الرزق نأخذه من اسمه الرزاق، والعلم نأخذه من اسمه العالم العليم العلاّم، الرزق مرهون باسمه الرزاق، الرزق مقسوم ومضمون، لا بدّ وإلّا أن يصل الرزق؛ لأن الضامن هو الله لا آحاد الناس.

العالم عنده ميزان، لا يقعد ولا يمشي إلّا مع الأعلى منه، أو أقل الدرجات مثله، أو يجالس الأدنى منه ليعرّفهم، ليؤدبهم، ليهذبهم، هذا صحيح، وإلّا فلا يجوز.

العالم أمره عظيم! أخذناه من العالمِ جلّ جلاله، العالِمُ ظِلُّ العالمِ جلَّ جلاله، نحن نشهد، العالِم كلّه عبارة عن خط موجود بالعرش صغيرٍ اسمه الكسرة، انكسر وقال: «**أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي**[(١)]»، كل الوجود منكسرون ومحفوظون تحت ظل العالمِ جلّ جلاله، هذه يعرفها أهل المرتبة الثانية - بالتقوى ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾. [البقرة: ٢٨٢].

العلماء لهم زيٌّ خاص ولبس خاص للناس؛ حتى تعرفهم الناس، ويسألوهم في أمور دينهم ودنياهم.

العالمِ لا بدّ أن يعرف كل شيء: الدنيا والبرزخ والآخرة وبعد وقبل..! لا بدّ أن يعرفه كلّه العارف بالله، وما على السائل إلّا أن يكون صادقاً وأديباً، هذا شرط أساسي! من صدقه وأدبه يخرج نور وعلوم من

---

(١) كشف الخفاء (١/ ٢٠٣) برقم: (٦١٤).

الحضرة الإلٰهية، تأتيه أجوبة طويلة عريضة على سؤال واحد، يسألوننا وغير هاضمين للسؤال فكيف يُعطى الجواب؟ نحن نعطي الجواب على حسب السائل لا على حسب السؤال، قد يكون قد رأى السؤال في كتاب أو مبعوثاً معه.. المسؤول لا بدّ أن تكون عنده حكمة؛ حتى يعرف السائل ويزن، هل هناك نسبة بين السائل والسؤال، والحق يقول: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠]. كثير من السائلين خفيفون يحمّلونهم السؤال ولا يعرفون ما وراءه، ليس معقولاً أن يُعطى الجواب وهو لا يفهم السؤال، قد يسأل أحد عن المعارف الإلٰهية وهو خمّار أو لاعب قمار! لا توجد نسبة، كيف يسأل هذا السؤال؟ فمن حكمة المسؤول أن يعرف أنه مبعوث، من هنا كان الرسول ﷺ حكيماً ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ [يس: ١-٢]. ما دام القرآن حكيماً إذنْ الباعث حكيم والمبعوث حكيم «أرسلْ حكيماً ولا توصِهِ»، هو يتصرف ويعرف ويفهم حسب الجالسين، هذا من فقه الإنسان ويأتي من ثمرة التقوى.

يقول الشيخ أبو مسلم الخولاني رحمه الله [(١)]: «مثَل العلماء كالنجوم في السماء، إذا بدت للناس اهتدوا، وإذا خفيت عنهم تحيَّروا». العلماء ظاهرون، لكن خفوا على من؟ خفوا على الوقحين الكذّابين، لا يخفون على الصادقين أبداً، قلنا: السائل إما أن يكون عالماً أو جاهلاً، وإن كان كذلك فمنهم علماء لكن عميان البصيرة وقحون؛ يسألون سؤال تعجيز لا سؤال تحقيق، كيف يُعطى الجواب؟ لا.. العلماء هم شعائر الله وحرماته في الأرض، ظاهرون، علامات، دالّون لكل سائل، فالعلماء ورثة

(١) ترجمته رضي الله عنه في باب كراماته رضي الله عنه في: (إطلالات النهاية).

الأنبياء، هنا علامة دالّة حقيقية، لا بدّ أن يعرف المسؤولُ الطرقَ كلّها وليس طريقاً واحداً، قبل كل شيء لا نسأل إلّا العالِمَ المتخلق بعلمه، أما إذا كان العالم غير متخلق بعلمه فكيف نسأله؟ هذا ما عنده نور، لو كان عنده نور لاستعمله لنفسه..

وعالم بعلمه لم يعملنْ

معذَّبٌ من قبل عبّاد الوثن!

عنده علم لكنه لا يعمل به، والإنسان يتعلم العلم ليتخلق به ويعلّمه لغيره ليعمل بمقتضاه، العلم نور يعطيه كيف يعمل، فالعلماء حقيقةً كالنجوم، النجوم كالعلماء لماذا بالعكس؟ النجوم تدل إجمالاً لا تفصيلاً ولا تحقيقاً تدل على القبلة، شرقاً أو غرباً.. على الجهة، أما العالِم فيدلّك على مرادك. الّذي يستدل بالنجم يدلّ على الجهة فقط، بعدها يسأل سؤالاً آخر، لكن العالِم يدلّك، يوصلك إلى مرادك، ويعرّفك كيف تسير، وأي طريق تسير عليه، قد يكون أبعد لكن ما فيه قُطّاع طريق ولا وحوش ولا حيّات.. دلّه على الطريق المستقيم الأحكم حتى يصل بالسِلْم والسلامة، إذن العلم ليس مراداً لنفسه، بل مراداً لما وراءه وهو العمل، والعمل يطلب الإخلاص، ثمّ التبري من حوله وقوّته إلى حول الله وقوّة الله، كثيرون نراهم عندهم علم لكنهم بعيدون عن الله، ويعطي دروساً ويباهي به ولا يعمل.. سيّدنا الخضر أوصى سيّدنا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لمّا جاءه تلميذاً قال: يا موسى تعلّم العلم لتعمل به، لا لتتحدث به[1]. يتحدثون

(١) المعجم الأوسط للطبراني: بلفظ مقارب: (٧/ ٧٨) برقم: (٦٩٠٨).

بالعلم ولا يعملون به، العلم هو الأساس، وعمل بدون علم لا يصح، كما أن العمارة بدون أساس لا تصح؛ أدنى زوبعة ترميها! والأساس حسب العمارة.. كلّما كانت العمارة أعلى فالأساس أقوى وأمتن، وإذا عملنا أساساً وما بنينا العمارة فوقه فماذا استفدنا من الأساس، كثيرون يتعبدون بدون علم فعبادتهم مردودة! العلم هو الأساس والعمل هو البناية، الرسول ﷺ يقول: «**من ازداد علماً ولم يزدد هدىً لم يزدد من الله إلّا بُعداً**»[(١)]! يتعلم العلم، أين العمل به؟

قال ﷺ: «**إنَّ أشدَّ الناس عذاباً يوم القيامة عالمٌ لا ينفعه الله بعلمه**»[(٢)]. وقال ﷺ: «**مررت ليلة أسري بي بأقوام تُقْرَضُ شفاهُهمْ بمقاريضَ من نار! فقلت: من أنتم؟ فقالوا: كنّا نأمر بالخير ولا نأتيه، وننهى عن الشر ونأتيه**»[(٣)]. من هنا لم ينفعه علمه، قال ﷺ: «**مثَل الّذي يعلّم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السرّاج يضيء للناس ويحرق نفسه**»[(٤)]. صار شمعةً تضيء على الرائحين والقادمين، والشمعة انطفأت وهو لم يستفد شيئاً وإنما استفاد الكبر والعجب! العلم نور، والنور يضيء على بُعد، لمّا يأتي الإنسان إلى هذا النور يكون صاحب النور منتفعاً بنوره حتى ينفع غيره، أما إذا كان موقداً للنور حتى تأتي الناس إليه ويباهي به فهذا ليس المراد وليس عالماً، قال سيّدنا عليّ كرم الله وجهه: «يا حملة

(١) فيض القدير: (٦/ ٥٢) بلفظ: «**من ازداد علماً ولم يزدد في الدنيا زهداً لم يزدد من الله إلا بعداً**».
(٢) المعجم الصغير (١/ ٣٠٥) برقم: (٥٠٧).
(٣) أصل الحديث: في صحيح ابن حبان (١/ ٢٤٩) برقم: (٥٣) بلفظ مقارب.
(٤) المعجم الكبير للطبراني (٢/ ١٦٥) برقم: (١٦٨١).

القرآن اعملوا به، فإنّما العالم من عمل بما علم ووافق علمه عمله، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم يخالف علمُهم عملَهم، وتخالف سريرتُهم علانيتَهم، يجلسون حِلقاً حِلقاً يباهي بعضهم بعضاً، حتى إن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه! أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله»[(١)] مثل المنافقين.

وفي صحيحي البخاري ومسلم: عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من يرد الله به خيراً يفقّهه في الدين**»[(٢)]. يفهّمه، وليس الدينُ الفروعَ، الفروع جزء من الدين، الأصل من الفقه هو الفهم، يوجد أعلى من الإسلام وهو الإيمان، ويوجد أعلى من الإيمان وهو الإحسان، هذا الّذي كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، «**الإحسان أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك**»[(٣)] لماذا لا نراه؟! لأننا محجوبون بالمرأة وبالمادّة وبالعبادة وبالولد.. مع كونها تقرّبنا إلى الله لا تبعدنا عنه.

وعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ذُكر لرسول الله ﷺ رجلان، أحدهما عابد والآخر عالم، فقال: «**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم**»[(٤)] من حيث المرتبة أعلى مرتبةً، وليس المقصود العالِمَ أبا المادّة، إذا كان فقيراً يأخذ المادّة على مقداره، لكن لا يطلب العلم من أجل المادّة، إيّاكم! هذا لا يصل إلى شيء، أحذّركم منه، إيّاكم أن تمشوا معه؛ لأنّه محجوب،

(١) كنز العمال (١٠/ ٤٨٧) برقم: (٢٩٤١٩).
(٢) أخرجه البخاري (١/ ٣٩) برقم: (٧١)، وأخرجه مسلم (٢/ ٧١٨) برقم: (١٠٣٧).
(٣) أخرجه البخاري (١/ ٢٧) برقم: (٥٠)، وأخرجه مسلم (١/ ٣٠) برقم: (٨).
(٤) سنن الترمذي: (٥/ ٥٠) برقم: (٢٦٨٥).

العالم هو يخرجنا من الظلمات إلى النور كما قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٩].. سئل ابن المبارك: مَن الناس؟ فقال: العلماء، فقيل: من الملوك؟ فقال: الزهاد، فقيل: من السفلة؟ قال: الّذي يأكل بدينه[(١)]. يدخل فيها العالم الّذي يأكل بدينه. الناس الحقيقيون هم العلماء، والملوك على أبواب العلماء، نعم الأمراء على أبواب العلماء، وبئس العلماء على أبواب الأمراء. العالم الحقيقي الّذي علمه يفيده لا تراه على باب من أبواب الأمراء، ولا يتنازل لوظيفة من الوظائف، لو قال له الملك أو الحاكم: ما حاجتك؟ يقول له: الله يرزقك التقوى وأن تعدل بين الناس، ولا يقول له: أريد الوظيفة الفلانية.. هو فوق الوظيفة وأعلى منها؛ لأنّه يعلم أن الّذي خلقه هو يرزقه، لا يوجد ثانٍ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]. يطعم الفاسق والكافر والفاجر والصالح.. سواء دعاه أو لم يدعُه يطعمه! لأنّه رب ونحن عبيد، هو متكفل بحاجة العبيد، لو قلنا: يا رب نحن لسنا بحاجتك.. لا يلتفت إلينا ويعطينا أكثر مما نريد، ولكن يوم الفصل يسألنا عن هذا الكلام! قيل: من السفلة؟ قال: الّذي يأكل بدينه. يقدّم دينه وعندي شهادة وأعطيت درس كذا.. وإذا كان حاله هكذا فهو من السفلة، قال أبو حامد الغزالي رحمه الله: الخاصيّة التي يتميز الإنسان بها على سائر البهائم هي العلم، والإنسان إنسان بما هو شريف لأجله. ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمٰن: ١-٤]. ما علّم الملائكة ولا الجن، ما علّمه إلّا للإنسان الّذي يقدّر

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي (٥/ ٣٥٧).

العلم ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمٰن: ٣-٤] حتى يطبِّقه على نفسه وعلى غيره، لا أن يجعله لجلب المادّة، والإنسان إنسان بما هو شريف لأجله، وليس ذلك لقوته، فإن الجمل أقوى منه، ولا لعظمه فإن الفيل أعظم منه، ولا لشجاعته فإن الأسد أشجع منه، بل لم يتميز إلّا بالعلم.

وهكذا الإنسان على الدوام يترقى إلى الله، لا تظنّوا هذه كانت في زمان رسول الله ﷺ فقط! لأن المعطي هو الله، المهم الطالب يجب أن يكون صادقاً، لسانه وقلبه واحد، لا يقف إلّا عند الله، الأشياء كلّها خُلقت لنا، والإنسان خُلق له جلّ جلاله، قال الله تعالى في الحديث القدسي: «ابن آدم خلقت كل شيء لك فلا تتعب، وخلقتك لأجلي فلا تلعب، فبحقي عليك؛ لا تشتغل بما خلقتُه لك عما خلقتك له»[(١)]. هذا الإنسان، أنت اطلب ما تريد إن ربك ﴿فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦]. إذا طلبت يعطيك لكن عليك أن تصدق في الطلب، العطشان يبحث عن الماء، الماء وُجد من أجل روحه من أجل ذاته، وهكذا الإنساني.. الأشياء خُلقت لنا ونحن خُلقنا له سبحانه، افهموا.. لا يبقى الإنسان بخيلاً ولا جباناً ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ﴾ [الحديد: ٧]. المال والعلم والمعرفة.. يخدم بما أعطاه الله، هذه يعرفها أهل الفهم، والخادم الأول هو سيّدنا محمّد ﷺ، والخادم الحقيقي هو سيّد الناس الّذي يخدم الناس لا الناس تخدمه، وأعلى ما وجد ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٤٧] لـمّا يصل العارف إلى (عبد الواسع) يسع الوجود من أوله إلى آخره، هو مع سيّده

(١) ذكره الإمام المناوي في فيض القدير (٢/ ٣٠٥).

الواسع جلّ جلاله، هو يريدكم أن تخدموا عبيده وأنتم اشهدوا حالكم خدّاماً عند الله ولا تشهدوا الناس إلّا عبيداً لله.

والعالم ينبغي أن يطلب العلم ويقصد به وجه الله، أما إذا طلب العلم للشهادة أو للمال فهذا علمه عليه ولا ينجو به، وأن لا يقصد بعلمه توصّلاً إلى غرض من أغراض الدنيا، قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ العمل ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ [الشورى: ٢٠]. العلم هو الإيمان، والعمل تابعه، يُلهَمه السعداء ويُحرَمه الأشقياء، منهيون عن الشقاوة ومأمورون بالسعادة، منهيون عن الأسباب التي توصلنا إلى الشقاوة، ومأمورون بالأسباب التي توصلنا إلى السعادة، الناس تظنّ أن هذا الزمان غير الزمان الأول، الصحابة والتابعون والأولياء باقون على ما هم عليه! لكن ما عندك استعداد؛ لأنّك آخذ بأسباب الشقاوة محجوب عنهم، وهم موجودون ما نقص منهم ولا شخص البتّة، لكنهم لا يقدرون أن يظهروا لزيد وعمرو.. يراهم الطيبون الأولياء الصالحون كلّهم، ولا نقص منهم واحد!

الآن إذا عمل أحد عملاً خارقاً للعادة يرد عليه الطبيعيون، يا ليتهم يكونون طبيعيين! أعطني الطبيعي وخذ الولاية، الطبيعي يعني لا بدّ من وجود فاعل نسأله: هذا الفاعل الّذي تعتقد بوجوده أنت هل هو فاعل مطلق عاقل حكيم؟ أم فاعل فوضوي غير مُنظّم؟ إذا قال: فوضى خذوه إلى مستشفى المجانين لأنّه فوضوي! وإذا قال: لا.. فاعل حكيم يضع الأشياء في محلها.. نحن نقول: هذا هو الله، وأنتم سميّتموه: طبيعة، نحن أقرب ما يكون إلينا الطبيعيون؛ لأنّهم يثبتون وجود فاعل بالوجود لكن هذا الفاعل

فوضوي ما عنده نور ولا لطافة ولا فهم ولا إدراك قالوا: طبيعة! الله سبحانه وتعالى جعل الشمس تطلع طلوعاً خاصاً بالشتاء غير الصيف، والقمر خاصاً، والليل خاصاً، والنهار كذلك.. ليل الصيف غير ليل الشتاء، نهار الصيف غير نهار الشتاء، والسماء والأرض.. كل شيء على حاله منظّم، حتى إنّ علماء الفلك يشعرون بواسطة حسابات خاصة أنه سيقع كسوف وخسوف.. إذن شيء منظّم مقدَّر كما تشهدون، شيء محكم، هذا الّذي فعله حكيم، فعّال حكيم بحكمة بالغة، نحن قبل أن تتزكّى أنفسنا إذا أغضبنا أحدٌ يا لطيف! نحكي الصحيح وغير الصحيح وكل شيء.. الله سبحانه وتعالى غير ذلك، الله حكيم حتى إنه علّمنا في قتل الحيوان الصغير يجب أن نحسن القِتلة حتى لا يتعذب، لأنّه متجلٍّ باسم الرحمٰن على العرش، إذن هو يؤدبنا، الأولياء ليس بالمكاشفة وإنما بالأدب والرحمة، فالعلم يؤدبك، والحق قبل أن يبعث رسول الله ﷺ بالعلم بعثه بالأدب، سيّدنا عيسى عليه السلام عندما جاءه الخنزير قال له: اذهب بسلام! قالوا له: يا روح الله هذا خنزير، قال: لا أحب أن أعوّد لساني إلّا على الأدب(١).

مَن العالِم؟

اسألوا العالم المتخلق المتحقق بالدين بل هو عين الدين، هذا عندما تسألونه ويجيبكم تتخلقون بما يقول لكم فوراً وتأخذون كذلك نفسيته ومعنوياته، يتخلقون بالعلم ويأخذون نفَس المعلِّم، هكذا كان الصحابة مع

(١) موطأ الإمام مالك: (٢/ ٩٨٥) برقم: (١٧٨٠).

رسول الله ﷺ كانوا يأخذون العلم منه وبالوقت نفسه يعطيهم الأخلاق والآداب، قال الرسول ﷺ: «**إنما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق**»(١). النفْسُ هي الحاكمة على الإنسان وليس العلم، فإذا واحد نفسه طيبة طاهرة من هنا القرآن شفاء، لكن بشرط أن لا تتلوّث القراءة، أما إذا تلوّثت راح الشفاء، نفَس طيب طاهر بإذن الله يطيب، الإنسان لـمّا يقول: بسم الله الرحمٰن الرحيم، يجب أن لا يكون في قلبه غير الرحمٰن الرحيم، فإذا قال: بسم الله ينزل الدواء على الداء بإذن الله يطيب، فالإنسان لـمّا يأتِيه السائلُ أو المريضُ لا يخطر بباله المال، يفكر كيف يعالجه أو يجيبه عن سؤاله، الرحمة والحنوّ غالبة عليه، الطبيب أو العالم أو الفقيه شرط أساسي أن تكون عنده فراسة؛ حتى يفرّق بين السؤال والسائل، والرؤيا كذلك يجب أن نفسّرها بحيث يسدّ الجواب، وحين يسألوننا عن الرؤيا فيلزم أن صاحب الرؤيا هو الّذي يسأل حتى نعطيه التفسير؛ لأن رؤية الرائي تعطينا قياساً، اسألوا الشخص الّذي قلبكم مطمئن بدينه وليس بعلمه فقط، لا تسألوا أيّاً كان من رفقائكم أو غير رفقائكم! ناس كثيرون يعلمون ولا يعملون، الطالب إذا صبر على المعلم ينال العلم ولكن لا ينال الأخلاق، يجب أن يصبر على مرارة أخلاق الأستاذ، لينال العلم بسهولة، وإذا عندك محبة له تدخل كل أخلاقه النفسانية عليك رغماً عن نفسك، أهل الله يقولون: انظر عمّن تأخذ دينك، انظر عمّن تأخذ علمك.

الإنسان يجب أن يستقيم على الشريعة، بعد مدّة قليلة يعتادها، عندئذٍ ينفجر منه النور، بهذا النور يدرك الأوامر الإلٰهية والنواهي، قبلها لا يوجد

---

(١) مجمع الزوائد (٤/ ١٣٩).

أقرب للحيوان منه، فإذا استقام على الشريعة وجاء إلى أهل الله تصير عنده معارف إلٰهية وأسرار ربانية يقدّرها ويميّزها يشهد أن الحق أنعم عليه ويشكر الله على ما أعطاه، كما قال رسول الله ﷺ: «**من وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلّا نفسه**»(١). الإنسان إذا أخذ عن الله وعن رسول الله ﷺ وعن أهل الله أخذ العلوم والأنوار واللطافة، وفهِم أن الله وفّقه فلا يجرؤ الشيطان أن يقرب إليه وحتى شياطين الإنس.

إذا أردتم أن تفهموا القرآن، القرآن عربي ونحن عرب، كيف لا نفهم القرآن؟ أنرجع للتفسير؟ قد يكون المفسر ضائعاً! أو غير فهمان! يلزم أن نفهم القرآن فهماً خاصاً حقيقياً، هذا لا يقدر عليه إلّا المفسر الّذي قلبه صحيح غير مريض وسمعه صحيح غير مريض، يفهم القرآن بدون تعقُّل، التعقُّل من عندنا، والّذي يأتي فوراً فمن الحضرة الإلٰهية، الحق أنزل القرآن وأنزل فهم القرآن، لكن جرت عادة الله أن فهم القرآن لا يكون إلّا للصادقين.

كيف يتم أخذ العلم؟

هل يكفي السمع والبصر أم لا؟ لا بدّ من تحرير وتوطين، مثل: الأرض لمّا يحرثونها يطيبونها، يرفعون الوسخ كلّه ويبذرونها، والبذار يلزمه دواء.. ومن آدابه أن يطهّر قلبه من الأدناس ليصلح لقبول العلم، إذا كان عنده حقد أو شيء من هذا لا يقدر أن يأخذ، النفس طالما هي حيّة لا يقدر الإنسان أن يأخذ العلم على ما هو عليه، النفس الخبيثة تقلب العلم

(١) جزء من حديث قدسي رواه الإمام مسلم (٤/ ١٩٩٤) برقم: (٢٥٧٧).

ويصير الحكم لها، وقد صحّ عن رسول الله ﷺ: «**إن في الجسد مضغةً، إذا صلحت صلح الجسد كلّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلّه، ألاَ وهي القلب**»[(١)]. القلب هو محل التلقي الإلٰهي، محل التلقي من الدروس والمذاكرات، فلا بدّ أن يكون القلب طاهراً زكيّاً، أما النفس الخبيثة فصاحبها لا يقدر أن يأخذ إلّا على حسب مراداته وغاياته، العاقل لا يشتغل بغيره، الرسول ﷺ حينما يخرج للمسجد يقول لأصحابه: «**لا يبلّغني أحد من أصحابي عن أحد شيئاً، دعوا قلبي مع الله**»[(٢)]. وأنتم كذلك كل شيء لا يطهّر قلبكم لا تحكوا فيه ولا تجلسوا فيه مطلقاً، من هنا أهل الله جعلوا عزلةً وخلوةً من أجل التطهير وإزالة العارض الّذي جاء إلى النفس، هذا مضرّ وعلى الخصوص إذا بقى أول الأمر ما طهر وما نظف سيزداد سوءاً! العاقل كل يوم بيوم يحاسب نفسه.. بمدّة قليلة يأتيه النور الأصلي يقول له: لا تقعد مع فلان وفلان لأن فيهم وسخاً مزمناً وأقذاراً مزمنة تدخل عليكم بدون شعور منكم لأن الطباع سرّاقة، أما العالم المتحقق فقبل أن يتكلّم يطلع منه نور يؤثر في الطالب المتوجه، يدخل للصدر يزيل الوسخ والدرن عندئذٍ يأتي العلم فيتصدّر عنده!. هذا يفهم، العلم وحده لا يكفي، قبل العلم لا بدّ أن يطلع شيء اسمه نور، ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]. إذا ما كان عنده نور يسبق علمه يدخل في القلب ويطهّر وينظّف ويهيّئ المحلَّ حتى يقبل المحلُّ العلم الّذي جاءه، فهو بعيد، ازداد

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري (١/٢٨) برقم: (٥٢).

(٢) أخرجه الترمذي ٥/ ٧١٠ برقم: (٣٨٩٦) بلفظ: «**لا يُبَلِّغْني أحَدٌ منْ أصْحابِي عَنْ أحَدٍ شَيْئاً، فإني أُحِبُّ أنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ وأنا سَلِيمُ الصَّدْرِ**».

بُعداً عن الله سبحانه وتعالى، قال عليه الصلاة والسلام: «**من ازداد علماً ولم يزدد هدىً فقد ازداد بُعداً عن الله**»[(١)]. ما فهم شيئاً في الوجود البتّة، الإنسان يجب أن يتخلَّق، لأجل ذلك العارف بالله لا يصير عارفاً إلّا أن تتزكّى نفسه؛ لأن العارف لا يتكلّم إلّا بالميراث المحمّدي؛ لأنّه وارث المصطفى ﷺ، كما أن الحق اصطفى المصطفى كذلك الحق يصطفي لورّاثه صافياً من كل الأكدار البتّة، هذا يتكلّم عن الله لا عن نفسه حتى يقدِّم ويؤخِّر.. حتى إذا تكلّم لا يعرف أن يذم أو يمدح أبداً، الذم والمدح ممنوعان عنده، يتكلّم كلاماً فيه النصح يأخذه السعيد ويردّه الشقي، المخلوق وظيفته أن يأخذ بالسبب وهو إزالة العارض: المرض والغرض، غرضُنا مرضُنا يحجبنا عن الفهم الإلٰهي، والمراد أن نفهم القانون الإلٰهي وهو القرآن، من أين يفهم الإنسان وفي القلب ظلمات؟ هذا لا يدرك؛ عقله معقول، أما العقل الأساسي صاحب الفيوضات فلن تصلوا إليه حتى تزكّوا أنفسكم، بعدها تصلون إلى المراد، تشهدون أعمال الله كلّها حكمة ظاهرة، هكذا العلم، نعرف حالنا لا نعرف شيئاً ولا نفهم شيئاً بعيدين عن العلم جداً، ثمّ الحق منَّ علينا بالعلم ورزقنا اتباع الرسول ﷺ وأعطانا جنس الكمالات، جاء بنا إلى هنا إلى الكلتاوية وعمّرنا الله وجعلنا إنساناً كاملاً، ثمّ عمّر الكلتاوية وعمّر المدرسة، بعدها عمّر الطلاّب، بعدما كانت محل المحششة، وإذا بها صارت مأوى الأمراء، مأوى العلماء، ومأوى الأولياء، مأوى الأكابر، الصغار والكبار، بل صارت مأوى السعداء، ولكن في الكلتاوية صفة، عندها كير مثل كير المدينة المنورة تماماً، تنفي

(١) كشف الخفاء (٢/ ٣٠٤).

الكذّاب الخائن الغشاش ولو بقي أربعين سنة، تخرجه تنفيه لأنّه شقي، تخرجه من بين السعداء وتُبقي السعداء، بعدها الحق أعطانا العلم وأعطانا كل شيء وعرّفنا بكل شيء، وأوجد في قلوبنا الشكر الدائم ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] وهكذا.. الله اسمه الظاهر والباطن ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣]. أوّل لا أولية قبل، وآخر لا آخرية بعد، وظاهر لا ظاهرية بعد، وباطن لا باطنية بعد، ما جاء يوم ما فيه الله، ولا جاء يوم ليس خلاقاً، افهموا الله افهموا! والمخلوقات كلّها حادثة مخلوقة ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨]، كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان[1]. ما معه أحد، خلق الّذي معه بالصورة كلّهم، لا يوجد أحد كلّهم ظل، ارفع الشاخص ما يبقى ظل، الله قديم لا يوجد غيره بالوجود، ما أجمل المؤمن بهذا، أمورنا كلّها بيده إذا رجعنا إليه يقضي الطلب، لا أحد يقدر أن يقول له: نعم أو لا! «**اتقوا الله وأجملوا بالطلب**»[2].

العالِم العامل:

العالم العامل بعلمه المخلص لله تعالى المتبرّي من حوله وقوّته إلى حول الله وقوّة الله، هؤلاء القائمون في الوجود، عمَد السمٰوات والأرضين، عمَد الدنيا. قيل لسعيد بن جبير «ما علامة هلاك الناس؟ قال: هلاك علمائهم». أي العلماء العاملين الصادقين، موت العلماء بالله، فالعالِم الحقيقي وهو الله سبحانه وتعالى، أمرنا بشيء يفيدنا ظاهراً وباطناً

(١) ينظر: كشف الخفاء (٢/ ١٧١).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين: (٤/ ٣٦١) برقم: (٧٩٢٤).

حسّاً ومعنىً دنيا وأخرى. . أمَّا أن نعمل من عند أنفسنا فهذا ليس بمقبول؛ لأننا جهّال، والحق عالم عليم علّام، يأمر بما ينفع العبد؛ لأننا نحن والأشياء كلّها عبيد له جلّ جلاله.

ما يجب على كل مسلم بعد بلوغه:

يجب على كل مسلم بعد بلوغه أن يعلم كلمتي الشهادة ويفهم معناهما: أشهد أن لا إله إلّا الله، وأشهد أن محمّداً رسول الله، لا يوجد عامل ولا عالم ولا آمر ولا ناهٍ غير الله، أشهده شهوداً ذوقياً، أن الله هو الفعّال المطلق، هو الّذي يأمر وينهى من غير ريب وشكٍّ ولو على سبيل التقليد، وهكذا كان يفعل الرسول ﷺ مع من يُسلم من أجلاف العرب، يعلّمه كلمتي الشهادة السطحية فقط، وبعد ذلك يعلّمه التقوى، ثمّ يشتغل بتعلّم ما يتجدد عليه من أوامر الله تعالى، مثلاً: الصلاة والزكاة والحج وكيفية الوضوء والاغتسال والركوع والسجود وصلاة صحيحة أو غير صحيحة مقبولة أو غير مقبولة، ولا بدّ أن يميز فلا يقعد في مجالس الحرام والبهتان والكذب والغيبة والنميمة؛ لأن هذا يُنقص الإيمان ويصغّر العقل ويكثّف الروح إلى أن يصير حيواناً بل أضل من الحيوان! إذن لا يجوز للإنسان أن يجلس مع أهل الظلمة، إلّا إذا كان مأموراً من جهة المرجع فهو محفوظ لا يقدر عليه أحد؛ لأن نور المرجع يحفظه.

إذا أردتم أن تَصِلُوا إلى الصفاء خذوا العلم عن أهله، ما عرف الذات الإلٰهية إلّا أهل الله أهل الذوق. الله لا يُعرَف إلّا بالذوق، الحق ما رضي أن يكون كريماً، ما رضي أن يكون إلّا أكرم الأكرمين، والحق لا يغار إلّا

من الكريم، وليس الكرم يرقِّيك وإنّما فضل الله هو الّذي يرقِّيك، هذه نقطة حسّاسة في الوجود، وليس العبادة توصلك للمعبود وإنما النقطة القائمة بالعبادة وهو ذُلُّك إلى المعبود، ذُلُّك للمعبود يوصلك للمعبود؛ لأنّه لا يوجد اثنان، الذلُّ ظلٌّ، العبد ظلُّ المعبود، العبد ظلُّ الرب، لا وجود له البتّة، ظنَّ حاتم أنّه بكرمه أو عنتر بشجاعته أو امرؤ القيس.. لا لا! بل بالسرّ، قال عليه الصلاة والسلام: «**ما فضلكم أبو بكر بكثير صوم وصلاة، بل بسرٍّ وقر في صدره**»(١).

أهل الله لـمّا الحق يعطيهم لا يشهدون أنَّهم أهل لذلك، لا.. بل عبارة عن فضل إلٰهي كلّه فضل الله ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]. سيّدنا أبو بكر وهو في الجاهلية ما عمل مخالفة وما عنده استعداد أن يعمل مخالفة أبداً، هذا صاحب الشخصية، هذا الذاتي لا وجود له مع رسول الله ﷺ صار ذليلاً وظلاً لرسول الله ﷺ. سيّدنا الصدّيق كلّه كمال، صاحب يقين، أول درجته اليقين، اليقين هو تحقيق الإيمان، اطمأنّ.. الاطمئنان ذوقيّ، الإيمان يزيد وينقص إلّا إذا وصل لليقين فلا ينقص أبداً يزيد ولا ينقص، وإذا وصل للشهود لا يزيد ولا ينقص، يفهم الأمر على ما هو عليه، هذا اسمه كشف، يعني فهماً لا مكاشفة، المكاشف نوراني والمكاشفة قد تكون للصالح أو غير الصالح عن طريق المجاهدة والرياضة، لكن الكشف لا يكون إلّا للمرادين.. جلساء الحق، هم أهل حق اليقين،

---

(١) قال الإمام العجلوني: وهو عند الحكيم الترمذي وأبي يعلى عن عائشة، وأحمد بن منيع عن أبي بكر كلاهما مرفوعاً، وقال في النوادر: إنه من قول بكر بن عبدالله المزني. ينظر: كشف الخفاء (٢/ ٢٤٨). وينظر: نوادر الأصول في أحاديث الرسول (١/ ١٤٩).

كان سيّدنا عليّ ﵁ يقول: لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً. أهل عين اليقين قسمان: قسم منهم تطرأ عليه الآفة، والقسم الآخر لا تطرأ عليه آفة.

إذا تجلّى حبيبي بأيِّ عينٍ أراهُ

بعينِهِ لا بعيني؛ فما يراهُ سواهُ

هؤلاء أهل عين اليقين الّذين منه يتوصلون إلى حق اليقين، هؤلاء هم الناس، هؤلاء لا يشهدون أنهم العاملون، العامل هو الله سبحانه وتعالى، يشهدون هذا فضل الله ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

العالمون أهل الخشية:

الإنسان لمّا يعرف الحضرة الإلٰهية تصير عنده خشية من الحضرة الإلٰهية؛ من شدّة العلم والمعرفة بالله سبحانه وتعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣] العالمون، أهل الخشية وليس أهل المادّيات، هؤلاء لا يفهمون إلّا أن ينتهي الشهر ويأخذوا المادّة، الآيات القرآنية التي تأتي حتى لا تشكّوا في القرآن ولا تشكّوا في رب القرآن.. بل نشكّ في العالِم الّذي دخل بصنعة العلم من أجل المادّة، هذا لا يشعر ولا يفهم ذلك.. أما ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣] ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨] فهم أهل الخشية هم أهل المعرفة الإلٰهية، عرفوا الله بالنور الّذي كان بينه وبينهم، يوجد نور بين العالِم أهل الخشية وبين الله سبحانه وتعالى، به يدرك الأمور ويدرك الأسرار ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ﴾ [الأعراف: ٤٦] كل واحد حينما يدخل يُعرَف.. أعلى من ذلك

إذا ذكر أحدٌ الآن هنا أحداً بالهند يعرفونه! بمجرد أن تذكروا اسمه تأتي رائحته! يعرفه أهل القلوب أهل الخشية هؤلاء هم العلماء هم العارفون بالله، يعرفونه بالخشية.

العالم من العرش فما دون كلّه كجسم واحد كجسم الإنسان، اسمه الإنسان الكبير أو العالَم الكبير، كبير في جسمه وصغير بروحه، قائده وروحه هو الإنسان الصغير.. الصغير في جسمه والكبير في روحه، فالإنسان خُلق خليفة للحضرة الإلٰهية، من هنا كان «**العلماء ورثة الأنبياء**»(١) العلماء أهل الخشية لا العلماء أهل المادّة، هؤلاء محترفون صُنَّاع.. إذا نقصوا من أجورهم يخربون الدنيا! ما عندهم علم.. لا أعني هؤلاء وإنما أعني العلماء أهل الخشية ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَٰهُمْ﴾ [الأعراف: ٤٦] يعرفون كل واحد، إذا أراد أن يخبّئ أو يكذب.. إلّا أن الله أعطاهم قوّة يمشون على حسب الظاهر ولو أنهم يعرفون الباطن خلاف ذلك! سيّدنا آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ لـمّا نهاه الحق عن الأكل من الشجرة والشيطان وسوس بشتّى الوسائل إلى أن وصل إلى حواء.. إلى أن أكل من الشجرة.. سيّدنا آدم خالف الأمر لأن الحق نهاه عن الأكل من الشجرة، لمّا أكل ظهرت العورة ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٢]. الحق قال له: يا آدم لِـمَ خالفتني؟ أوّل ما قال: يا رب عصيت! لم يقل: إن الشيطان قال لي وقاسَم وو.. هذه ما حكاها؛ لأنّه مشى حسب الظاهر؛ لأن الحق نهاه عن الأكل من الشجرة وهو أكل منها فاسْمهُ عاصٍ، هذا الشجاع القوي، ما احتجّ بالباطن، والحقيقة لا تكون حجّة أبداً، هذا دلّ على قوّة الأنبياء وقوّة العارفين بالله،

---

(١) أخرجه البخاري: (١/ ٣٧).

دائماً يسيرون على الصورة الظاهرية فقط، الحق يتولى السّرائر، الحكم على الظاهر والله يتولى السّرائر.

العلم هو الرابطة بيننا وبين الحضرة الإلٰهية، هذا هو السرّ الحقيقي، والحق قال: ﴿هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]. وقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]. وقال: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]. ليس المراد من الأمثال المثل، وإنما سرّ المثل، نريد أن نصعد إلى السطح إذن حاجتنا إلى درج فالدرج وسيلة للوصول إلى السطح وليس مراداً لذاته، وهكذا نحن، مرادنا الله، لذلك الحق يقول: ﴿وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩]. وليس من عقلكم ولا من فكركم ولا من مخيلتكم ولا من عندكم ولا من إيحاء الشيطان.. لا لا! هذه لا يعرفها إلّا العالمون بالله، إلّا العارف بالله صاحب الخشية، صاحب النور الإلٰهي، الخشية أعلى من الخشوع بما لا يقاس، الخشوع يحصل من العبادة هذه روح الصلاة، أما الخشية فهي سرّ العلم وهي السرّ الموجود في العلم الحقيقي، هذا ما يناله كل عالم، ما يناله إلّا العالم بالله، أما عالم المادّة فنسمّيه صانعاً لا عالماً إذا نقّصوا راتبه يغضب فهذا لا يدرك ولا يفهم ذلك، العلم بيننا وبين الله فيه سرور وراحة لا يفهمها لا أهل المحبة ولا (كنتليون محبة، وهو عدد عملاق يعادل مليار مليار) ما يفهمها إلّا أهل المعرفة الإلٰهية، السير يخرج من الخشية من هذا السرّ الخاص الّذي بينه وبين الحضرة الإلٰهية؛ لذلك لا يخافون ولا يبخلون ولا يضعفون ولا ولا.. ليسوا بحاجة للآخر، بحاجة فقط إلى الرب جلّ جلاله، أما هؤلاء أهل المحبة فلا يفهمون القضية، العلماء بالله هم أهل

الخشية يعرفون الأمور على ما هي عليه، وإذا وقع شيء مخالفٌ مرادهم أن يرجعوا إلى الله، ولا يطلبون من الله إزالته، بل يجملون في الطلب؛ لأن الله أعلم وأحكم بذلك، فوّضنا أمرنا إلى العالم بالتفصيلات والجزئيات، قال: «**أجملوا بالطلب**»[(١)]. نطلب من الله: اللهمّ إنّا نسألك العفو والعافية، يعطينا العفو والعافية يفهّمنا ويرضّينا ويبارك لنا.. لله درُّك يا رسول الله! ما أعلمك بالأمور! ما أجملك وأحسنك! إذا طلبتم من الله أجملوا بالطلب واتركوا التفصيلات عليه؛ لأنّه عالم عليم علّام حكيم بل أحكم الحاكمين، ولا تطلبوا كل قضية بذاتها؛ قد تضركم، يعطيكم أجمل وأكمل وأعلى، إذا طلبتم كل قضية بذاتها واللهِ تندمون!.

كل عمل تعملونه يقابله شيء «**إنما الأعمال بالنيّات، وإنما لكل امرئ ما نوى**»[(٢)].

قال ﷺ: «**العلماء ورثة الأنبياء**»[(٣)]. وقال ﷺ: «**أفضل الناس، المؤمن العالم الّذي إن احتيج إليه نفع، وإن استُغني عنه نفع نفسه**»[(٤)]. هؤلاء العلماء أهل الخشية وليس العلم الآخر الّذي يعطي الكبر والعجب، هذا يوجد منه كثير، ظنّ حاله أعلى من غيره، وقال عليه الصلاة والسلام: «**أقرب الناس من درجة النبوّة أهل العلم وأهل الجهاد وأهل العمل، أما**

(١) المستدرك على الصحيحين: (٤/ ٣٦١) برقم: (٧٩٢٤).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٣) برقم: (١)، وأخرجه مسلم (٣/ ١٥١٥) برقم: (١٩٠٧).
(٣) أخرجه البخاري: (١/ ٣٧).
(٤) شعب الإيمان للبيهقي (٢/ ٢٦٨) برقم: (١٧٢٠).

أهل العلم: فلأنّهم قد دلّوا الناس على ما جاءت به الرسل، وأهل الجهاد والعمل: فقد دلّوا بأسيافهم إلى ما جاءت به الرسل»[(١)].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**العالم أمين الله في الأرض**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**تشفع يوم القيامة الأنبياء، ثمّ العلماء (أهل الخشية) ثمّ الشهداء بحقّ**»[(٣)]، العلماء يطلبون العلم لله ليضعوا الأعمال في محلها ولينصحوا الآخرين، نصيحة العلم وحدها لا تكفي، النصيحة التي تكفي نصيحة الحال، مثل الرسول ﷺ لـمّا جاءه الصحابة، منهم الشجاع ومنهم الكريم ومنهم.. لكن لـمّا يجتمعون مع رسول الله يشهدون شجاعتهم وكرمهم.. لا شيء بالنسبة لشجاعة رسول الله ﷺ وكرمه وكان سيّدنا عليّ يقول: إذا حمي وطيس الحرب أشجعنا أقربنا إلى رسول الله ﷺ كنّا نتترّس برسول الله. فهذا الّذي جاءه الكرم الحقيقي والقوّة الحقيقية من العالِم وهو الله سبحانه وتعالى، هذا اسمه العلم النافع، الآن يطلبون العلم للدنيا! أهل الدنيا لا يعرفون الخشية ولا الخشوع.

الإنسان أول أمره يتقي الله والحق يعطيه علماً على مقدار تقواه، والعلم اللدني يعطيه للذاتيين ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ﴾ [آل عمران: ١٨]. إذن العالم المراد هو العالم الشهودي، العالم الّذي عمل بعلمه، سيّدنا الشافعي رضي الله عنه يقول: ما جادلني عالم قط إلّا غلبته، وما جادلني جاهل قط إلّا غلبني! يريد أن يظهر الحق مع جليسه لا

(١) كشف الخفاء (٢/ ٨٣).
(٢) فيض القدير: (٤/ ٣٧٠).
(٣) ينظر: شعب الايمان (٢/ ٢٦٥) برقم: (١٧٠٧).

معه حتى يزداد علماً فوق علمه، هذه جاءته من نفسه المزكّاة، كان مزكّى النفس من صغره، بعد أن أنهى دراسته وأراد أن يرجع إلى بلاده، كان شيخه سيّدنا مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سيّدنا مالك صار آخر عمره غنياً جداً، قال لسيّدنا الشافعي: يا محمّد واللهِ لن تذهب حتى أقسم لك نصف مالي! قال له: يا سيّدي يا سيّدي.. «كأنّه جاءته حيَّة!»، قال له: لا أرضى عنك! قال: أمرك.. قسم له سيّدنا مالك نصف ماله من الذهب والفضة والأنعام والبغال والحمير والعبيد.. وحمِّل أحمالاً وقبل أن تصل مكة دخل على أمّه وقال لها: يا أمي «أبوه كان ميّتاً»، شيخي مالك قسم لي نصف ماله، قالت له: محمّد، واللهِ لا يدخل معك درهم ويوجد في مكة فقير وجوعان!.. فوزّعها وانتهت! هذا سيّدنا الشافعي، كان إذا يجادل العالم يقول: يا ربّ أظهر الحق بجانبه؛ لأنّه يريد أن يزداد علماً، إذا وضعتم أولادكم بالعلم علّموهم هذا العلم، أمَّا العلم الثاني فيزيد خبث النفس خبثاً! الحق يقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٩، ١٠]. المال لا نعتز به، المال هو يعتز بنا إذا وضعناه في مكانه، الإنسان يزيد وينقص على الدوام ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]. الإنسان بعد أن تتزكّى نفسه في الزيادة دائماً، والّذي لم تتزكَّ نفسه لا يدخل في هذه الآية أبداً، قبل التزكية تطهير بالابتلاءات، قسم يخافون من الابتلاءات، ما رأيت الخير إلّا في الابتلاءات، ما عرّفني وجعلني عبداً إلّا الابتلاءات، وهذه الأشياء كلّها من عنده ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]. لا تنسبوها لكم، لا تقعدوا مع الناقصين؛ واللهِ تنقصون، لا تجلسوا مع أحد إلّا إذا كان أكثر منكم خُلُقاً وليس علماً وحتى في المدرسة، العلم وحده لا يكفي! يلزمنا إمَّا مرجع أو

أخ في الله صادق أعلى منّا، العلم غير مراد لنفسه، كثير من الناس موجودون يزداد أحدهم علماً ويطالع دروساً ليباهي به الناس!

قال سيّدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (ذلَلت طالباً فعززتُ مطلوباً). لمّا كان طالباً ذليلاً لأستاذه يسأله عن كل قضية صغيرة وكبيرة لا يهمّه أنه ابن عباس، وهكذا طالب العلم لا بدّ أن يسأل ولا يستحيي، الّذي يستحيي من طلب العلم لا يصير من أهل العلم، من هنا سيّدتنا عائشة كانت تقول: «نِعْم النساء نساء الأنصار؛ لم يكن يمنعهنّ الحياء عن السؤال حتى يتفقهن في الدين»[(١)]، لا حياة إلّا في العلم، لا حياة إلّا في الدين. وبعدها يسأل السؤال يسأل الأستاذ لا ينتظر.. إلى أن يصير عالماً، أما الّذي يستحيي فيظل جاهلاً!.

القوّة الحقيقية للعمل هي العلم، لا يتكلّم ولا يعمل شيئاً إلّا أن يكون عن علم، العلم نور، ونور الله لا يُهدى لعاصٍ، لا يمكن أن يستعمل النور إلّا السعيد المقرَّب عند الله سبحانه وتعالى، مثل البصر للوجه، الحق وضع البصر في الوجه حتى ينظر أمامه ليرى طريقه ليسير سيراً سليماً، كذلك العلم الباطني الّذي هو علم الروح علم المعاني ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ [يوسف: ١٠٨]. لأجل ذلك المتلطف الروحاني يدرك الأمور كلّها قبل وبعد وفوق وتحت ويمين وشمال.. لا تفرق عنده لأنّه عالم معنوي، أما العلم الظاهري فهذا معروف: الصلاة أركانها وسننها.. العلم عبادة، والفهم عبارة عن عبادة خالصة، عنده لطافة ورقّة

(١) أخرجه البخاري: (١/ ٦٠)، بلفظ: (نعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين)، وأخرجه مسلم (١/ ٢٦١) برقم: (٣٣٢).

ويدرك النعم التي ينعم الله بها عليه ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]. هذه النعم من عند الله ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] «ذَلَلْتُ طالباً فَعززتُ مطلوباً» تذلَّلَ في الصغر للأستاذ فصار مطلوباً، عزيزاً في الكبر، عالماً ومرجعاً.

العالِم تحته كَسْرة، أنا عند المنْكَسِرَة قلوبهم من أجلي[(١)] العالِم هو صاحب الانكسار على الدوام؛ لأجل ذلك يرى الله على الدوام، لكن إذا يرى حاله هو على شيء وعنده علم ويلزم الناس أن تمشي وراءه وتخدمه، وإذا اشترى من عند البائع يجب أن يراعيه.. (طم طم) على هذا العالم!!! العالِم لا يكون هكذا، ولا يفاصل، ثمّ يتحايل على البيّاع حتى يعطيه زيادة! يبرهن أنه وارث محمّدي، المال لا قيمة له، هو يجعل للمال قيمة، الخيّال هو يجعل للفرس قيمة، بيده السيف هو يجعل للسيف قيمة لأنّه يحفظه؛ حمله وحماه، الوارث المحمّدي يحمل ويحمي، إذا ما يحاسب نفسه كيف يصعد على المنبر، قبل كل شيء يحاسب نفسه، ويقرأ الفاتحة للرسول ﷺ ويتوب التوبة النصوح ثمّ يصعد على هذا الدرج الّذي كان يصعد عليه الرسول ﷺ. الرسول ﷺ كان أول أمره يخطب على جذع من النخل، بعدما كثر المسلمون عملوا له منبراً، الجذع صار يحنّ ويصيح ويبكي..! حتى نزل رسول الله من المنبر وحضن الجذع وحكى معه، لا تظنّوا أنتم تنطقون فقط وقالوا لجلودهم: لِمَ شهدتم علينا؟ قالوا: ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [فصلت: ٢١]. الجذع لـمّا كان مستسلماً إلى الله قدّر وميّز أن رسول الله تركه وراح إلى غيره، هذه ليست للجذع؛ الجذع

---

(١) كشف الخفاء (١/ ٢٠٣) برقم: ٦١٤.

غير مكلّف، هذه لنا.. تجيئون إلى الدرس ما استفدتم من الدرس إلّا اللحية والعمامة لا أكثر من ذلك! باقٍ تحبّ المادّة وتحبّ النفسانيات والزعامات وتحبّ أن يقدّسوك ويمدحوك.. ما شمّ رائحة العلم أبداً، لا يكون العالم هكذا، العالم يتعلم العلم حتى يخدم، من خدَم خُدِم، هذا هو الأصل، أعطاك الحق نوراً ولطافةً وذوقاً لتعرف كيف تخدم الناس حتى تجذبهم إلى ربّهم، فتّشوا دائماً حالكم يا صائمون يا مصلّون يا متدينون فتشوا حالكم أين أنتم؟ إلى أين متوجهون؟ إلى أين رائحون غادون؟ افهموا حالكم أنتم بين يدي العالم جلّ جلاله، وأعطانا هذه الصفة صفة العالِم، «**العلماء ورثة الأنبياء**»[(١)] الأنبياء ما ورّثوا درهماً ولا ديناراً البتّة، ورّثوا العلم والكمالات الإلٰهية «**نحن معاشر الأنبياء لا نورّث درهماً ولا ديناراً، ما تركناه صدقة**»[(٢)]. سيّدتنا فاطمة رضي الله عنها ما وصل إليها هذا الحديث، وعندما أصبح سيّدنا أبو بكر الصدّيق خليفةً طلبت منه الإرث من أبيها، انزعجت سيّدتنا فاطمة من سيّدنا الصدّيق كثيراً! بعث إليها سيّدنا الصدّيق وهو خليفة أمير المؤمنين فقال لها: يا فاطمة لماذا تغضبين مني؟ أنت بضعة من حبيبي، وكلامكِ محترم معظّم، إلّا أني يا ابنتي تربية والدك، تربية الرسول ﷺ. وجمع سيّدنا أبو بكر الصحابة قال: بالله عليكم تكلّموا معي هل سمعتم الرسول ﷺ يقول: «**نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة**» كلّهم قالوا: اللهمّ نعم.. لمّا وافقوا على ذلك، قال لها: لا أقدر أن أخالف أباك، أنت جزء من أبيك.

---

(١) أخرجه البخاري: (١/ ٣٧).
(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٣٧٨) برقم: (١٧٥٧).

راحت سيّدتنا فاطمة وما عادت لمواجهته[(١)]. الناس حكوا كثيراً أن سيّدنا علي ما بايع أبا بكر مع ثلاثة أو أربعة معه! لمّا عرفوا الأمر بايعوه بعد ذلك بثلاثة أيام، وهكذا.. العلم نور بحاجة إلى من يحفظه، لا أن تقعد عند العالم وبعدها تروح إلى الكذّابين مدّاحي أنفسهم.

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله وملائكته وأهل السمٰوات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت لَيصلُّون على معلم الناس الخير**»[(٢)]. معلم الناس الخير وهو ما عنده خير؟ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: ٢]. لا تظنّوا أنّ علمكم يعطي الفائدة، حقيقتكم هي التي تعطي الفائدة، حالكم يسري في الإنسان قبل أن تخرج الكلمة من الفم، تطلع الحال إلى قلبه إذا كان هناك أوساخ يغسلها إلى أن يتصدر الكلام في صدره فيفهمه على ما هو عليه، الّذي ساعده هو حال المتكلّم حال الشيخ حال العالِم، وإلّا فالعلم وحده لا يكفي، لو كان يكفي لكفى إبليس، إبليس لا يوجد أعلى منه من جهة

---

(١) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان اليوم الذي توفي فيه رسول الله ﷺ بويع لأبي بكر في ذلك اليوم، فلما كان من الغد جاءت فاطمة إلى أبي بكر معها علي فقالت: ميراثي من رسول الله ﷺ أبي، قال: أمن الرثة أو من العقد؟ قالت: فدك وخيبر وصدقاته بالمدينة أرثها كما ترثك بناتك إذا مت، فقال أبو بكر: أبوك والله خير مني وأنت خير من بناتي، وقد قال رسول الله ﷺ: «**لا نورث ما تركناه صدقة**» يعني هذه الأموال القائمة، فتعلمين أن أباك أعطاكها فوالله لئن قلت: نعم لأقبلن قولك، ولأصدقنك، قالت: جاءتني أم أيمن فأخبرتني أنه أعطاني فدك، قال عمر: فسمعته يقول: هي لك فإذا قلت قد سمعته فهي لك، فأنا أصدقك فأقبل قولك، قالت: قد أخبرتك بما عندي. رواه ابن سعد في طبقاته (٢/ ٣١٥).

(٢) سنن الترمذي (٥/ ٥٠) برقم: (٢٦٨٥).

العلماء أبداً، ولكن ما زاده إلّا طوشنة (أي خفة وطيشاً وضلالاً). وأنا ألاقي كثيراً من تلاميذ إبليس! يرى أن الناس يجب أن تنزهه وتراعيه.. لا تفاصلوا، صاحب البيع يحب العالم ويحب أهل العلم يروح يقول إن العالم الفلاني ما فاصلني وأعطاني زيادة، سألني واحد: أيفاصل المسلم حتى يعرق الجبينان؟ قلت له: نعم للبخيل، الرسول قالها؟! أنا لا أعملها، الرسول من بابٍ أولى لا يعملها، أعوذ بالله! حتى يعرق الجبينان؟ أهكذا المال له قيمة حتى يزيد فرنكاً أو ورقة أو ورقتين؟ لا.. هذا ليس بصحيح، سيّدنا محمّد ﷺ كان حكيماً، كان يتكلّم حسب الجليس، الجليس محب للدنيا ضعيف فقير الظاهر والباطن، اللهمّ صحيح! أما غني القلب ولو كان فقيراً في المادّة لكنه غني في القلب هذا لا يفاصل حتى يعرق الجبينان، الرسول قال هذا القول لكن ما فعله، حاشاه! لا تفهموا رسول الله ﷺ هكذا، إيّاكم! الرسول ﷺ أعلى وأكرم من على وجه الأرض، كان يعطي الوادي والواديين من الغنم، وكان يعطي عطاء الّذي لا يخشى الفقر، هذه المفاصلة ما يفعلها الكمّل ولا تابعو الكمّل أو الّذين يمشون معهم، هؤلاء أقل شيء الدنيا يعطونها ويحسبون ما جاءهم شيء! نحن ما وُجدنا حتى نتكالب على الدنيا، نقول لبعض التجار: عندما يجيء الناس يشترون من عندكم إذا جاءكم فقير لا تربحوا عليه، أو أرملة تعمل بالدولاب شهراً أو شهرين حتى تجمع شيئاً بسيطاً، إذا كنت شجاعاً لا تأخذ قيمة ما تشتريه الأرملة، وإذا جاءكم غني اربحوا عليه كما تريدون، لكن الّذي يربح كثيراً زيادة على الحد يروح بسرعة هذا لا بدّ منه! وإذا يربح ربحاً معقولاً محدوداً ومعروفاً عند الناس يبارك الله له فيه، ثمّ يعطيه الحق الرضا ما عدا

البركة، نحن وجدنا أعلى شيء الرضا، ثمّ من الرضا تكون البركة، وهذه ملازمة للإنسان عندما يكون تقياً.

أيعلّم الناس الخير وهو لا يعمل به؟ هذا ما وُجد بالوجود أبداً؛ فاقدُ الشيء لا يعطيه، كيف أعلّم الناس وأنا غير متعلم؟ وُجد في بعض الأحاديث: يوم القيامة عالِم: الّذين علَّمهمْ يدخلون الجنة وهو يأخذونه إلى النار، يقول للملَك: لِمَ؟ أليس هؤلاء علّمتُهم وعملوا بعلمي؟.. نعم علّمتَهم وعملوا وأنت ما عملت بعلمك قلتَ وما فعلتَ ادخل النار! إذا أراد أحد أن يعلّم الناس عليه أن يعمل بما يعلّم، الإنسان نفسه مُقدَّمة، «**ابدأ بنفسك ثمّ بمن تعول**»[1]، أنا ما رأيت أحداً في الوجود أبداً ولا شخصاً واحداً مستثنىً علّم غيره ونسي نفسه وصار منه ثمرة أبداً، لا يستفيد منه إلّا الصادق، الصادق ينظر إلى القال لا إلى القائل، فرّقوا بين القال والقائل، سألني أحدهم مرّة عن بيتين لأبي العلاء المعرّي في التوحيد، قلت له: جميلان! وصرت أبيّن له معناهما.. قال: هذه لأبي العلاء المعرّي، قلت له: ما أجهلك! أنت تسألني عن القال ولم تسألني عن القائل، الآن اسألني عن القائل.. فصرت أبين له عن أبي العلاء المعرّي ما هي مرتبته في الوجود..

الإنسان لا يمكن أن يأخذ الدين من أصله وبحقيقته إلّا أن تكون إنسانيته كاملة، إذا علّم الإنس والجنَّ وما عمل بالعلم هو في النار، لا يدخل الجنة إلّا المتخلق.

عن صفوان بن عسّال عن النبيّ ﷺ قال: «**إن الملائكة لتضع أجنحتها**

---

(١) نوادر الأصول في أحاديث الرسول: للحكيم الترمذي (١/ ٢٤٦).

لطالب العلم رضىً بما يصنع»[(١)]. حتى مجيئكم إلى الكلتاوية أنتم طلاب علم، لو تنتبهون لحالكم تشهدون أنفسكم محمولين خفيفين، الملائكة حاملة لكم بدون شعور منكم والله حافظكم من أشياء وأشياء.. وإذا العمر انتهى وصار حادث بالطريق يريد الله أن يميتكم شهداء.

علامة العلم النافع:

من علامة العلم النافع، قبل كل شيء أن يكون صادقَ اللهجة، ولا يتعلق قلبه بشيءٍ، لا مال ولا ولد ولا والدَيْنِ ولا أحد.. يعطيهم حقهم وقلبه غير معلق بهم، بل معلَّق بمرجعه، لا دنيا ولا غير الدنيا في قلبه.. يقول بعض أهل الله: لو أن العرش ألف ألف مرّة في زاوية من زوايا قلب العارف لما أحسّ به.!! ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧] لأن البسط والسّرور الحقيقي بالمعرفة الإلٰهية، لا أحد يعرف سيّدنا محمّداً ﷺ إلّا العارف بالله، أنت تريد أن تمدحه، فتذمّه!

(**أنا وأتقياء أمتي برآء من التكلف**)[(٢)]. التصوف يحتاج من يحمله، هذا وصفه.. لا يوجد غير سيّدنا محمّد ﷺ يستطيع أن يحمل الإسلام، يجب أن تحمله بحالك وليس بالقول، القول قد يكون فيه كذب، والعمل قد يكون فيه رياء، الحال لا كذب ولا رياء. عِلْمُ سيّدنا أبي حنيفة وسيّدنا الشافعي وسيّدنا مالك وسيّدنا أحمد ﷺ كلّه ثمرة علم التقوى، وليس هذا العلم وحده، حاشاهم.. سيّدنا الشافعي يقول: منذ ست عشرة سنة ما

---

(١) سنن الترمذي (٥/٤٨) برقم: (٢٦٨٢).
(٢) كشف الخفاء: (١/٢٣٧). بلفظ: «**أنا والأتقياء من أمتي بريئون من التكلف**».

شبعتُ! وكان يقسم الليل ثلاثة أقسام: ثلثاً للنوم، وثلثاً للعبادة، وثلثاً للمطالعة، كان أحد الأوتاد الأربعة، وسيّدنا أحمد ابن حنبل كان صدّيقاً، وسيّدنا أبو حنيفة كان عارفاً بالله، وسيّدنا مالك كان إماماً، كلّهم حملوا مراتب، مجرد العلم وحده لا يكفي، نحن يجب أن نسير على سيرهم.

العالم عبارة عن مَلَك:

أنا كنت أعتقد أنّ العالم عبارة عن ملَك يمشي على وجه الأرض، سيّدنا محمّد ﷺ لا تقدر أن تعرفه، تعرفه باللسان فقط، العارف بالله لا تقدر أن تعرفه حتى تعرف الرسول ﷺ، الكمّل عرفوا، عرّفهم الله، لا تقدر أن تجالس الصادقين إلّا إذا كنت مؤمناً وتقياً، إذا ما كان عندك إيمان وتقوى لا تقدر ولا تشمّ رائحتهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] مع الصادقين وليس الصدّيقين، حتى يكون عندك إيمان، والتقوى الثالثة حتى تعرف وترى الصدّيقين.. تراهم نفحة من نفحات الحضرة الإلٰهية فقط! وكلّهم مخلوقون، أعلى واحد عبد، أعلاهم سيّدنا محمّد ﷺ إذا ما عندك إيمان من أين تأتي التقوى؟..

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ﴾ [الرعد: ٤١]. قال عطاء وجماعة، نقصانها: موت العلماء. إما موتهم بالفعل أو موتهم بالقوّة، عالِم لكن حبّاب دنيا، هذا لا نقدر أن نأخذ عنه حكماً؛ لأنّه ما اجتمع حب الدنيا وحب الله في القلب أبداً. نقصانها موت العلماء وذهاب الفقهاء. العلم كلمة تعم الدينية وغير الدينية، والفقيه علمه بالشريعة، وقال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بموت العلماء**»، الله لا يعطي شيئاً ويأخذه، أما أن يعرض هو

عنه فهذا بحث آخر، «**حتى إذا لم يبقَ عالم اتخذ الناس رؤوساء جهّالاً فَسُئِلوا فأفتوا بغير علم، فضلّوا وأضلّوا**»(١). وقال ابن مسعود ﷺ: موت العلماء ثلمة في الإسلام لا يسدّها شيء ما اختلف الليل والنهار. وقال: عليكم بالعلم قبل أن يُقبَض، وقبضه ذهاب أهله. وقال عمر ﷺ: موت ألف عابد قائم الليل وصائم النهار أهون من موت عالِم بصير بحلال الله وحرامه. لأن الأمور مبنية على العلم، العلم هو الفرض الأول، بل هو فرض الفرض! ثمّ العلم يزن العمل، والعمل لا يكون إلّا على حسب العلم لا زيادة ولا نقصاً، إذا كان فيه زيادة أو نقص هذا يرجع للنفس هذا اسمه نقص، فالعلم يأمر العالم أن يعمل بما أعطاه علمه لا زيادةً ولا نقصاً، والعارف بربّه: هو الّذي يعطي الأشياء على مراد الله لا على مراده هو، وهكذا الحق أمرنا لا نعمل شيئاً من عقلنا لأننا ضعفاء مخلوقون، العلم من عند الله هو ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الرعد: ٩]. قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]. لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة، وإن من أطلق لسانه في العلماء بالتنقيص بلاه الله تعالى قبل موته بموت القلب. العاقل لا يشتغل بالعلماء ولا بغير العلماء، يشتغل بنفسه فقط، إن كان صادقاً يفتش عن عيوبه ووَسَخَاتِهِ، العالم إذا ما يعمل ما لكم دخل فيه، أنتم اعملوا هذا ولا تتكلّموا بعالم معيَّن خاصة، العاقل يشتغل بنفسه لا يشتغل بغيره، يحاسب نفسه ويتوب إلى ربّه حتى يقبضه ربّه طاهراً مطهّراً، بعد محاسبة الأقوال والأفعال ينتقل لمحاسبة الخواطر هؤلاء أهل مرتبة

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٥٠) برقم: (١٠٠)، وأخرجه مسلم (٤/ ٢٠٥٨) برقم: (٢٦٧٣).

الإحسان، لا تعتقدوا قبل أن تتزكّى أنفسكم أن يأتي منكم خير، فغضبة من الغضبات لا يقف أمامكم الله ولا رسول الله ولا أهل الله! لأن الشيطان قائدكم.. إذا كنّا أهل بصيرة أهل نور لا يجرؤ أن يدخل علينا، وعلى صراط النار عندما يعبر المؤمن يتبختر في مشيه تقول له النار: «**جُزْ يا مؤمن فإن نورك يطفئ لهبي**»[(١)]! ما دام النور يطفئ النار إذن يحرق الشيطان، النور الحقيقي، مثل ما تقول النار: جُز يا مؤمن فإن نورك يطفئ لهبي،كذلك نوركم يطفئ لهب الشيطان، النور يحرق كيد الشيطان، أحسن من أن نحكي على العلماء وغير العلماء نحاسب أنفسنا، أعطانا عقلاً حتى نستعمله، لا يوجد شيء يُعطّل العقل مثل الغضب والحب الطبيعي، ورأس مالنا هو العقل، أما الحب الإلٰهي فكلّه نور، العقل هو الأصل، والنفس ضد العقل! إذن ماذا نعمل؟ نزكّي النفس، إذا ما تزكّت لا تحكم على العقل، فإذا تزكّت صار العقل يأخذ عن الله ويفعل ما أمره الله وينتهي عمّا نهاه الله، إذن الّذي يزكّي نفسه من الشر اسمه عند الله مفلح في كل شيء، عند الله وعند عبد الله وعند نفسه.. لأنّه يشهد الآمر حكيماً جلّ جلاله، وعالماً وعليماً وعلّاماً وفعّالاً مطلقاً، لا يجرؤ أحد أن يقول له نعم أو لا! لا نبي ولا رسول ولا ملَك ولا إنس ولا جن.. كلّهم عبيده، كلّهم تحت إمرته، إذن: حياتنا متوقفة على تزكية النفس.

العقل والعلم؛ من هو القائد؟

من الناس من يقول: العقل أكبر من العلم، وبالعكس.

ومنهم من يقول: العقل أفضل من العلم، وبالعكس.

---

(١) المعجم الكبير للطبراني (٢٢/٢٥٨) برقم: (١٨٥٢٠).

والّذي أقول به: مهما كَبُرَ عقل العالِم وكان عاقلاً فلا بدّ أن يكون عقله تابعاً للعلم منقاداً طائعاً له.

وأما صغار العقول من العلماء أرباب العقول القاصرة، فيشتغلون بالتأويلات، بناءً على صغر عقولهم يؤوّلون، ويجعلون العلم طائعاً منقاداً لعقولهم القاصرة.

والحال أن العلم منسوب للحضرة الإلٰهية، جاء من عند الله، والعقل منسوب للإنسان كبر أو صغر فكيف يكون العلم منقاداً للعقل؟

وأضرّ شيء على العقل هو الهوى، فإنه يفسده؛ لأن الهوى وزير النفس وهما يتعاونان على إضلال العقل إن لم يكن هناك مرجع.

عبارات منتخبة في العلم والعلماء:

العلم هو الإمام، والعمل هو المقتدي، العلم ليس مراداً لنفسه بل لغيره.

المراد من العلم العمل. العلم يتطلب عملاً، والعمل يطلب الإخلاص، والإخلاص يطلب التبري من حولنا وقوتنا إلى حول الله وقوته، علم، عمل، إخلاص، والتبرّي من الحول والقوّة إلى حول الله وقوته.

طلبنا العلم حتى نزيل الجهل ونعرّف الناس، من تعلّم يجب أن يعمل بعلمه.

الخشية أعلى من الخشوع بما لا يقاس، الخشوع من العبادة، الخشية مرتبة العلماء، وهي السرّ الموجود في العلم الحقيقي، عالم المعاش لا يفهم ذلك ولا يدرك.

العلم ما أعطانا أن نرى حالنا أحسن من غيرنا، أعطانا كيف نخدم العلم حتى يوصلنا إلى الله، ويعرّفنا على الله، ونعرف كيف نخدم.

طالب العلم إذا توجّه إلى العارف انقطع عن علوم الظاهر؛ لأنّه رأى اللب، فكيف يعود إلى القشر، ولذلك فالعارفون لا يعطون وجهتهم لطالب العلم حتى ينتهي، فإذا انتهى ثمّ انتمى إليهم يغزون به العالم، أمّا لو رأى النور في حين العلم، انقطع!

العلم يعطي لصاحبه الأدب، يعطيه الخدمة، أعطانا الله العلم لنخدم الصغير والكبير، والفسقة والفجرة حتى نردَّهم إلى دينهم إلى محبوبهم، لا لنرى حالنا أحسن من غيرنا ونكون فراعنة!

العلم بالله يخرجك من جهل نفسك الجاهلة، العلم بالله هو (الألف والدال والباء) وهو علم الشهود.

العالِم يحيط بكل العالَم ما سوى الله.

الناس قسمان: إما جاهل أو عالِم، بصير أو أعمى.

العلم الحقيقي ما كان نتيجة التقوى، أي بذاته.

العلوم ثلاثة:

العلم اللساني: علم الأحكام، علم الدراسة، علم الكتاب، يستوي فيه المسلم والكافر، المسلم والنصراني.

العلم القلبي: علم التقوى، خاص بالمؤمنين بمقدار التقوى ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

العلم الذّاتي: العلم اللدنّي، بشرطين: الرحمة والعبدية، قال تعالى:

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥].

العلم اللدنّي: للشخصيات كالرسل وأتباعهم، خاص بالّذين لا يريدون إلّا وجهه، للتابع المحمّدي، التابع تأتيه علوم لا تحصرها الكتب ولا تحصيها الألسن.

العالِم التقي: نوره في السماء أقوى من نور الشمس والقمر في الأرض.

العالِم والمتعبد إذا لم يكن لهما مرجع فالشيطان مرجعهما!

العلم كالسيف، إن حمل أحد السيف يجب أن يحميه، حتى يَحميَهُ السيف، أي يعمل بالعلم المذكور، إذ يجب أن تكون الشخصية الحاملة للعلم أكبر من المرتبة ومن العلم.

أهل التقوى لا يأخذون علمهم من الأوراق، لا يأخذونه إلّا من العمل، من الاتباع المحمّدي، ويقولون: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٤] ليس لنا فيه خطّة قلم!

سلاح العالَم اليوم العلم، ونحن نزيد عليهم بالإسلام، وهو ثمرة العلم ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

العلم من غير العمل لا فائدة فيه، العالِم الّذي لا يعمل مثل الحيوان تماماً.

العالِم الظاهر يهمه اتباع ظاهر الشريعة، أما السالك فيتبع قلب سيّدنا محمّد ﷺ.

العلم والعبادة إذا أعطتكم عُجباً في أنفسكم فهذا طَرْدٌ، وإذا أعطتكم غروراً فهذا طَرْدٌ، وإذا أعطتكم الكِبر فهذا طَرْدٌ؛ لأنّها من صفات إبليس، وإذا أعطتكم ذلاً وانكساراً وخدمة افهموا أن الحق يريد أن يرقِّيكم، قال تعالى في الحديث القدسي: «**أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي**»(١).

مراتب العلم ثلاثة:

علم اليقين: رأينا دخانا من بُعدٍ، فعلمنا أن هناك ناراً.

عين اليقين: وصلنا إلى محل الدخان، فوجدنا لهبة نار.

حق اليقين: وضعنا أيدينا في اللهبة وذقنا حرارتها، وهذا هو الذوق، من ذاق عرف، ومن عرف لزم.

العلوم لا تتناهى، الحق سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

العلم يتطلب شكراً ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

العلم النافع يهذّب حقيقةً، العلم هو الرابطة بيننا وبين الحضرة الإلٰهية.

العلم نور، والنور يكشف ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]. ونورُ الله لا يُهدَى لعاصٍ.

العلم وحده لا يكفي، ولو كان يكفي لكفى إبليس.

إذا أُعطِي إنسان العلم فظنَّ نفسه أنّه أحسن من غيره؛ فالكلب خير منه.

---

(١) كشف الخفاء (١/٢٠٣) برقم: (٦١٤).

العلم بالله علم الشهود لا العلم بما أمر الله.

سلاح العالَم اليوم هو العلم، العلم أقوى من السيف، العلم مثل ثمرات الجنة، كلّما قطعت عنقوداً كان مكانه آخر.

وجدت الفطرة عند العوام من الناس سليمة أكثر من غيرهم؛ لأن العامّي يعتقد حاله أنه ليس على شيء ويقول: من أنا بالنسبة للسادة العلماء؟ لو أحمل نعال العالِم على رأسي لن أصل إلى منزلته! ولكن الفطرة تغيرت عند كثير من أهل العلم! ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

قال رسول الله ﷺ: «**من ازدادَ علماً ولم يزددْ هدىً، لم يزددْ من الله إلّا بُعداً**»(١)؛ لأن العلم يعلّمنا، يعرّفنا يهذّبنا، يقرّبنا إلى الله تعالى.

العالِم: تحته كسرة، ودائماً هو مكسور للحضرة الإلٰهية.

طالب العلم والعالِم: يعلّمان عوامّ الأمّة، والعارف: يعلّم خواص الأمّة.

لحوم العلماء مسمومة مهما كان العالِم صغيراً أو كبيراً، صالحاً أو طالحاً.

كل عالِم مصباح زمانه، يستضيء به أهل عصره حتى الملائكة.

شرط العالِم والطبيب أن يكونا صادقيْن وعندهما فراسة.

العالِم الّذي لم يتصوف ولم يتخلق بالأخلاق المحمّدية غير مرتاح.

---

(١) كشف الخفاء (٢/ ٣٠٤).

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]؛ لأنّهم ازدادوا به معرفة فلا يغيب عنهم لحظة، إذا مشوا يهابهم من يراهم من بعيد، وإذا خالطهم أحبهم لأنّهم ﴿أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

العلم وحده لا يكفي، لكن يعلِّمنا أنه لا بدّ من مرجع أو أخ في الله، أخ صادق ليدلّنا، هذه رأيناها نحن في السير حينما صاحَبنا أعلى منا نأخذ عنه تماماً.

العلم وحده حجّة لك أو عليك، فإذا عملت بمقتضاه يكون حجّة لك، وإذا لم تعمل بمقتضى العلم يكون حجّة عليك، ونحن لا بدّ أن تكون كل ذرّة من ذرّاتنا حجّة لنا! سمعنا وبصرنا ولساننا ويدنا ورجلنا.. وكل شيء حجّة، كيف يكون حجّة لنا؟ إذا الحق سبحانه وتعالى أمرنا وعملنا بما أمَرَنا.

العلوم الذوقية التي تأتي للإنسان غير العلم العقلي الفكري الصناعي، هذه لا تعطي سعادة.

الحق سبحانه وتعالى لا يقبل عمل عامل ما لم يكن مبنياً على علم.

ناس كثيرون يستحيون أن يسألوا، هذا غلط منهم، يجب أن يسأل الإنسان عن أمور دينه، لا حياء في العلم، ولا حياء في الدين.

الخشية تأتي من العلم، والخشوع يأتي من العبادة، والعلم أعلى من العمل؛ لأنّه سبب العمل، وهو ميزان العمل.

أنا لا أحب أكثر المشايخ في العلم؛ لأني وجدتهم يحبّون الدرهم والدينار، والّذي يحبها كلب من الكلاب، لا تغتروا بلحاكم، كل شعرة وكل خيط في العمامة له أدب من الآداب.

الله أعطانا العلم حتى نخدم الكبير والصغير، ونعتز بخدمة الله لا لنرى حالنا، قال النبيّ ﷺ: «**سيّد القوم خادمهم**»[(١)]. سيّد القوم خدم سيادته، يخدم الكافر حتى يؤمن، يخدم الفاسق حتى يصلّي، يخدم العالم حتى يصبح عارفاً بالله. العلم إذا أُعطي للعبد فلا بد أن يضعه في محله ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

النور الّذي أعطانا إياه أمرنا أن نستعمله ونضعه في محله.

العلم نتعلّمه لنعملَ به، فالعلم كروي وليس بمستطيل.

العلم وحده لا يكفي، من ازداد علماً ولم يزدد هدىً لم يزدد من الله إلّا بُعداً[(٢)].

الإنسان لمّا يطلب العلم يَطلبه لله!

«**العلماء كالنجوم بأيِّهم اقتديتم اهتديتم**»[(٣)].

كلما يكون عندك علم أكثر ونور أكثر ولطافة أكثر؛ تدرك الله أكثر.

العلماء هم الّذين يطلبون العلم لله.

العلم الّذي تعلمتموه علّموه لغيركم إما بالقول أو بالفعل أو بالحال.

التقي لا يأخذ علمه من الأوراق، بل يأخذ علمه من الاتباع المحمّدي، من التقوى ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

---

(١) فيض القدير (٤/ ١٢٢).

(٢) فيض القدير: (٦/ ٥٢) بلفظ: «**من ازداد علماً ولم يزدد في الدنيا زهداً لم يزدد من الله إلا بعداً**».

(٣) أخرجه ابن حجر في «تخريج أحاديث المختصر» (١/ ١٤٦)، من طريق سلام بن سليمان ثنا الحارث بن غصين عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر.

علم التقوى خاص بالمؤمنين، خاص بالّذين لا يريدون إلّا وجه الله.

نور التقوى ينشأ عن علم التقوى.

العلم الحقيقي ما كان نتيجة للتقوى الخاصة.

العلم مربوط بالعقل وهو صغير، العلم لا يأتي إلى (فَلْتَان) أي غير متمسك بالشريعة.

صاحب العلم اللدني هو المرجع في الوجود.

حَظُّ العالم من الرسول: سيرتُه، شريعتهُ. وحَظُّ العارفين: المحبة، واتباع قلب الرسول ﷺ، وهؤلاء نوادر الوجود.

اطلبوا العلم لأجل الله، وإيّاكم أن تطلبوه لتتخذوه ذريعة لتصلوا به إلى حاجاتك الشخصية.

٨ - تزكية النفس

قال رسول الله ﷺ: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، قالوا: وما الجهاد الأكبر يا رسول الله؟ قال: جهاد النفس[(١)].

قال رضي الله عنه: النفس هي الرابطة بيننا وبين الله ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٧ - ١٠]. بيّن لها الفجور فجوراً ونهاها عنه، وبيّن لها التقوى تقوى وأمرها بها، النفس عدوّ داخلي، والشيطان عدوّ خارجي، والعدو الخارجي لا

(١) جامع العلوم والحكم ١/١٩٦.

يقدر أن يدخل إلاّ بواسطة العدو الداخلي، فإذا تزكّت النفس ما بقي للشيطان سبيل، إذا أتى الشيطان إلى شخص منسوب لأهل الله ورآه يقظاً يفكر بالمرجع ينهزم ويهرب! كان الرسول ﷺ يشهد لسيّدنا عمر «إذا سلك عمر فجّاً سلك الشيطان فجّاً آخر»[١]. وقال عليه الصلاة والسلام: «الحق ما ترك لعمر من صديق»[٢].

النفس هي الأصل:

الّذي يقبل النور هي النفس التي تزكّت، فالنفس هي الأصل أصل العقل، أصل الروح، أصل القلب، أصل السرّ؛ لذلك ما كلّف الله غيرها، كلّفها وثقّل عليها وقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. النفس هي حقيقة الإنسان، لمّا يزكّيها الإنسان ويطهرها فهي الوسيلة والواسطة بينه وبين الحق سبحانه وتعالى بالعلوم اللدنية والعرفانية ويطلعه على الأسرار الموجودة كلّها؛ لأجل ذلك، الحق كلّفها لئلا تدّعي أنا.. أنا.. عملتُ وعملتُ والّذي يقول: عملتُ وضربتُ بالشيش ورأيتُ مناماتٍ وذكرتُ وبكيتُ.. افهموا ما عنده خبر ولا عرف شيئاً البتّة!! نفهمه أنه مدّعٍ غير فاهم شيئاً، أصعب شيء عندنا الدعوى، يقول أهل الله: «كل مدّعٍ مفضوح»، أبداً لا شك ولا ريب، شواهد الامتحان تفضحه، لا تتعبوا! مهما عملتم، مهما صلَّيتم، مهما صمتم والنفس حيّة تحسب أنّ لها وجوداً، غضبة من الغضبات كل هذا يذهب هباءً! تريد أن تنسب كل ذلك

(١) ينظر: صحيح مسلم ٤/ ١٨٦٣ برقم (٢٣٩٦).
(٢) كشف الخفاء ١/ ٤٣٤.

لها، والدعوى لا تأتي إلاّ من الجهل، الله خلقنا وخلق عملنا، هذه يعرفها الّذي ذاق.. الّذي طهّر نفسه وزكّاها عرف الأمور من أين؟ والقوّة لمن؟ ﴿أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا﴾ [البقرة: ١٦٥]. الأنبياء وأهل الله دائماً يشهدون الحضرة الإلهية، وقضية سيّدنا يوسف وزليخا، الخلاّطون يخلطون! يقولون: قال الكريم ابن الكريم ابن الكريم: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣] كذب! الكريم لا يقول هذا الكلام، هذا كلام زليخا، سيّدنا يوسف نفسه مطمئنة راضية مرضية كاملة، العارف بالله نفسه مطمئنة راضية مرضية كاملة، فكيف الرسول الّذي وُلِد بخصوصيته؟! هذا ليس بصحيح، سيّدنا يوسف لا يتكلّم بهذا الكلام البتّة، النفس أمّارة بالخير، أمّارة بالسوء عندما تكون جاهلة تنسب الأعمال لها اللهمّ صحيح، أمّارة بالسوء وأيّ أمّارة بالسوء، لكن عندما تكمل لا تأمر إلاّ بالخير، قل لها: اعملي سوءاً وخذي الدنيا! ما عندها استعداد.

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٩-١٠]. هذا كلام الله وليس كلام عبد الله، كلام محقَّق صحيح، قاعدة مطّردة، قال بعض أهل الله: «ما أفلح من أفلح إلاّ بصحبة من أفلح، وما خاب من خاب إلاّ بصحبة من خاب»، السير منكم أنتم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝١١٩﴾ [التوبة: ١١٩]. بالصدق الّذي معه يرى الصادقين وينجذب انجذاباً كلياً، أين الصادقون والصادقات؟ أين الأولياء والوليات؟ أين هم؟ موجودون والحمد لله رب العالمين، هؤلاء هم أهل الشكر، كل ما يرون شيئاً من الكمالات ينسبونه للواسطة.. للوسيلة عليه الصلاة والسلام دائماً ﴿وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾ [النساء: ١١٣]. قال أحد

التلاميذ لشيخه: أنا وصلت وعرفت الله حق المعرفة؛ فأعطني السرّ يا أستاذ! قال له: لا بدّ أن تتعلق الآن برسول الله ﷺ. قال: أنا لا حاجة لي برسول الله ﷺ وصلت إلى الله بنفسي! قال: أأرفع عنك الآن نور رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، فباللحظة نفسها التي رفع نور رسول الله سجد للصنم!!..

والله لـــولا الله مـــا اهـــتـــديـــنـــا
ولا تـــصـــدقـــنـــا ولا صـــلـــيـــنـــا

هذه الحقيقة لا بدّ أن نشهدها شهوداً ذوقياً، نحن نعرف حالنا أين كنا وأين صرنا، كلّه فضل الله علينا، إذا نسبنا شيئاً إلينا انقطعنا، نحن بالنسبة لله تعالى ليس لنا من الأمر شيء البتّة، ذرّة من الذرّات إذا نسبتموها للأصل تصير ملايين مملينة! النعمة نسبتموها للمنعم لا إلى أنفسكم، لولا أن الله يحبنا لما أعطانا، لما جاء بنا للدرس، لرحنا إلى السينما، إلى الملاهي.. لصرنا بين أيدي الشرطة، بين أيدي الساقطين..

الرسول ﷺ يقول: «ابدأ بنفسك ثم بمن تعول»[(١)].. ثمّ للتراخي، بعد سنة، سنتين، عشرين سنة، أربعين سنة.. الإنسان أولاً يأمر نفسه ويحاسبها حتى تنضج تظهر معه النفس الجوهرة الحقيقية التي أرادها الله وأظهرها بهذا الوجود، هناك ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]. النفس بعدما يروّضها ويجاهدها ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩] لبس عمامة، أطلق اللحية، وصار شيخاً وصار أستاذاً! يا

---

(١) أخرجه المناوي في فيض القدير: ١/ ٦٦.

أستاذ، لا تزال تحبّ الدنيا، وسيكارة لا تقدر أن تتركها، وعادة من عاداتك لا تقدر أن تتركها، السيكارة لا يوجد أحد في الدنيا قال فيها شيء حسن، وشيخ لا يصلّي كيف هذا؟ ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]. اليقين المراد منه في هذه الآية الموت قال: أتاني اليقين وخلص! مع أن الرسول قام حتى تورمت قدماه الشريفتان، قالت سيّدتنا عائشة: يا رسول الله، أليس الله قد غفر ذنبك ما تقدم وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً»؟[1].

الذوق متوقف على تطهير النفس:

النفس لمّا تتزكّى تشهد الأمور بالله لا بنفسها، نفسه راحت ما بقي لها وجود، عرفت حالها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥] . ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]. إذن الشكر متوقف على الفهم والذوق، والذوق متوقف على تطهير النفس، فلا بدّ أن نزكّيها حتى نذوق، من ذاق عرف, تعرف المنعم من النعمة، تفهم النعمة رسولاً من عند المنعم جلّ جلاله، وتدرك معاني النعم، وتدرك النعم وصفاً للمنعم جلّ جلاله، ثمّ تترقى من النعمة إلى المنعم؛ لأن المنعم وصف لله سبحانه وتعالى ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]. رحمته سيّدنا محمّد، رسول الله ﷺ أكبر نعمة ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. فإذا تزكّت عرفت الأمور كلّها ما نقصها شيء، إذا قال أحد بالنقص يعني أنّ معرفته ناقصة، سيّدنا محمّد ﷺ هو

(١) أخرجه البخاري ١/ ٣٨٠ برقم (١٠٧٨)، وأخرجه مسلم ٤/ ٢١٧١ برقم (٢٨١٨).

الناصح حقيقةً، ونُصحه لا عن علم، وإنما عن علم الذوق والشهود وعن هضم الأمور والمعرفة، وعليه ورّاثه كذلك أمورهم وعلومهم علم ذوقي وشهودي حقيقي، هضموها فصارت قوّة أصبحت الأمور كلّها على بيان، فالحق يقول: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢]. ما عندهم ظلمة، هضموا الأمور كلّها وعرفوا أن الأمور كلّها بيد الله، فالإنسان الّذي لا يستسلم لله بعيد عن إنسانيته وعن معنويته، وإلاّ فالأمر ظاهر، الله جلّ جلاله قديم لا أوّل له ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ﴾ [الحديد: ٣]. لا بدّ من قوّة نرجع إليها، يلزم العقل الموافقة على ذلك، لكن ليس العقل المريض المبتلى بالشهوات، صاحب النفس المريضة لا يدرك نفسه، لمّا يعمل مخالفة لا يدرك أنها مخالفة؛ لأن القلب قسا والعين جمُدت! لا يمكن إلاّ بوجود واحد نرجع إليه، من الّذي يسيّر الليل والنهار والصيف والشتاء والخريف والربيع والمطر والحر والقر..؟ واحد، وكلّها بنظام واحد، إذا ترك أحد الصراط المستقيم ومشى حسب هواه يرى الآلام، الآلام منه لا من الطريق، بسبب مخالفته لربّ الطريق، يوجد طريقان: طريق مستقيم ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. والطريق الآخر قال: لا تمشوا عليه؛ اختباراً لكم، هل أنتم كذابون أم لا؟.

قال ﷺ: «ابدأ بنفسك» قبل أن تبدأ بالعالَم «ثمّ بمن تعول»(١) في السيرِ المشتغلُ بغيره لا ينجح! أما المشتغل بنفسه وبدأ بنفسه ليلاً ونهاراً هو الكل في الكل، هذا رأيناه بأعيننا وذقناه، كل الخير وجدناه في ذاتنا ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ﴾ [الحديد: ١٣].

---

(١) أخرجه المناوي في فيض القدير: ١/٦٦.

الشيخ في قومه كالنبيّ في أمّته، الحق إذا منّ على عبد بشيخ يعلّمه ويهذّبه هذا لا شك من الراضين المرضيين المقربين، عنده ميزان حق، الإنسان قبل التزكية لا يدرك شيئاً، نعم يدرك نفسانيته وعصبيته يريد أن تُعظِّمهُ الناس، أنا أوصيكم في أنفسكم أدّبوها هذّبوها، وإذا لم تقدروا عليها فابحثوا لها عن طبيب نفوس ﴿وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ﴾ [الطلاق: ٦] عارفٍ بالله، أو برفيقكم أو صديقكم التقي النقي وليس الكذّاب المهذار الّذي يحفظ بلسانه لكن عمله خلاف لسانه، هذا ابتعدوا عنه بأسرع ما يكون وبدون التفات، اقعدوا مع النزيهين الأمينين مع الّذين الحق عَزَّوَجَلَّ دائماً متجلٍّ عليهم يشهدون ويعلمون.. إذا طلب الإنسان وهو صادق يوفقه الله إلى ذلك، من يعرف أهل الله؟ الّذي صاحبهم، من يعرف الرسول ﷺ؟ أكثر واحد عرفه على وجه الأرض هو سيّدنا الصدّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سيّدنا الصدّيق عظمة، في كل كلام الرسول ﷺ يقول له: صدقتَ صدقتَ، لذلك سمّي بالصدّيق، ذرّاته مملوءة، يشهد الرسول ﷺ: «أوّل ما خلق الله نور نبيك يا جابر»[1] لماذا يقول للرسول صدقتَ؟ لأن الرسول ﷺ أوسع وأكبر وأعلم منه، من قدّر الرسول ﷺ؟ أبو بكر الصدّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والنفس إذا كانت حيّة غير مزكّاة تكون بعيدة؛ لأن الطبع حاكم على الإنسان، أما إذا تزكّت يصير الإنسان حاكماً على طباعه وعلى بشريته، فهي خليفة الله في الأرض، لا القلب، لا الروح، لا العقل.

نفسٌ لا تأخذ عن نفسٍ إلاّ أن تصير تحت القبضة، لا يوجد فوق القبضة، إذا تريد أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر تأتيه من تحت. دعْه

(١) كشف الخفاء ١/ ٣١١ برقم (٨٢٧).

يأخذ شيئاً منك، دعْه يشعر أنّك أدنى منه ولو شرب الخمر ولو يفعل كل السفالات، تأتي من تحت القبضة يأخذ عنك بكل سهولة.

النفس مطيّة الإنسان:

لا شيء بذاته يؤثّر، التأثير يأتي من ضعفكم وجهلكم، الشكوك والخواطر السيئة تأتي من الوسخ الموجود في النفس، إذا لم يكن هناك وسخ فلن يأتي الشيطان؛ مأوى الشيطان هو محل الوسخ الحسي والمعنوي، أما الّذي ما عنده إلاّ النور ما عنده شك ولا إشكال، لا يخطر له خاطر لا ينفع، كل فرد من أفراد الوجود لا بدّ أن يفهم أن النفس مطيّة الإنسان، إن كان السفر قريباً أو بعيداً لا بدّ أن تكون مطيّتُه طوعَه تمشي معه المطيّة، المركوب لا بدّ أن يكون مطيعاً لصاحبه جاهلاً أو عالماً، كم وكم من حجبه عن الله علمُه أو عبادتُه أو زهدُه! لأنّه رآه لنفسه، ما عرف أن ذلك فضل الله عليه.

الناس لا يهتمون بتزكية النفس وهي الحجاب الغليظ بيننا وبين الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ﴾ [التوبة: ١٢٣] وهي النفس قبل كل شيء، ولمّا تتزكّى فالتجلي الإلهي ظاهر فيك جداً، وإذا لم تتزكَّ فهي أم الدعاوي: أنا.. أنا، لا تؤمنوا بها أبداً النفس المدّعية أنا.. أنا دائماً، لا يُحاسَب(١) إلاّ المدّعي، غير المدّعي لا يُحاسَب، ولا يبيع إلاّ المدّعي، الّذي ما ملك لا يبيع ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾ [التوبة: ١١١] ادّعوا بأنّ لهم نفساً فاشتراها

(١) أي يوم القيامة.

منهم، أما أهل الله فلا يعتقدون بأن لهم نفساً، هم وأنفسهم ملك لله سبحانه وتعالى، وكذلك حساب النفس المدّعية لها وجود تريد الثواب وعليها العقاب، الحق لمّا وضع الثواب وضع العقاب أمامه.

النفس مخلوقة لله لا بدّ من معرفتها، وهذا أمر ضروري وهي مطيّة الإنسان ومكلّفة من قبل الحضرة الإلهية، بعد أن تتزكّى وتعرف إذا ظهر منها خير تنسبه لله لا تنسبه لنفسها، العمى الحقيقي أن الإنسان ينسب الأشياء لنفسه ولا ينسبها لربّه، فالّذي ينسب الأشياء لنفسه ما منه خير أبداً، والّذي ينسبها لله يرجع ويرى نفسه إذا عمل موافقةً يشكر الله، وإذا عمل مخالفة يتوب وينذل وينكسر إلى الله.. هذا هو العدل، والقوّة له لماذا تستعملون هذه القوّة التي ليست لكم في غير ما أمر الله؟ ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾ [مريم: ٩٣]. ضروري أن تفهموا النفس هي محل الخطأ وهي محل النور، تفهمون بمقداركم، نحن قائمون بين الأمر والنهي، إذا وقعت منكم مخالفة لا تقولوا مقدَّر، الله لا يقدّر الزنى والسقّاطة أبداً، هذا من أنفسكم الدنيئة ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا﴾ [الأنعام: ١٥٣] تركوه، ابقوا على الصراط تصلوا إلى المحل المراد، نحن بحاجة إلى عينين صحيحتين..

وعين الرضا عن كل عيبٍ كليلةٌ

كما أنّ عين السخط تبدي المساويا

خلِّ نفسك وتعال، هذه تحتاج إلى تداوي، أصل كل معصية وغفلة وشهوة هو الرضا عن النفس، أصل كل الغفلات هو الرضا عنها، إذا كان الإنسان راضياً عن نفسه لا يبحث عن عيوبها يتركها وشأنها مدللة عليه! كل

من رضي عن نفسه استحسن أحوالها وغطّى مساويها وعين الرضا عن كل عيب كليلةٌ، وأصل كل طاعة ويقظة وعفّة عدم الرضا منك عنها؛ لأنّ من اتهم نفسه وأساء الظن بها ونظر إليها بعين السخط بحث عن عيوبها واستخرج مساويها لقول الشاعر ولكنّ عين السخط تبدي المساويا، وهذا أصل السلوك والسير في الوجود، إذا الإنسان خلّى نفسه[1] وصل إلى الحضرة الإلهية، انكشف له، الّذي يقول: النفس لها حاجة، محجوب بنفسه، اصحوا لا تقولوا ذلك ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥] طالما هي ذائقة الموت فما عندها من القوّة ولا ذرّة، أما أهل الله فماتوا الموت الإرادي، الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا.. موتوا قبل أن تموتوا[2]، فماتوا الموت الإرادي لا الموت الطبيعي، الموت الطبيعي هذا كما تموت الحيوانات، لكن الموت الإرادي ما يقول: أنا.. أنا أخذت وعملت، يقول: ذلك فضل الله، فإذنْ المُشيء هو الله سبحانه وتعالى.

الموتات الأربع:

لقاء الرب لا يكون في الدنيا إلاّ للعارف بالله، لغير العارف لا يكون إلاّ بعد الموت الطبيعي، أما العارف بالله فمات هنا الموت الإرادي، وهذا هو المعتبر عند أهل الله، يموت أربع موتات: الموت الأبيض، الموت الأخضر، الموت الأحمر، الموت الأسود، يموت الموتات الأربع في

(١) أي ترك اتباع هوى نفسه، واتبع أوامر الله تعالى.

(٢) قال العجلوني: لفظه: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»، هو من قول سيّدنا علي بن أبي طالب ﷺ. كشف الخفاء: ٢/ ٤١٤.

السلوك. الله يبتليه ابتلاءات على حسبه، لا بدّ من هذا، لا يمكن للإنسان أن يعرف الله إلاّ بعد أن يموت الموتات الأربع، الصحابة والسالكون إلى الله ماتوا الموتات الأربع، **فالموت الأبيض** وهو الجوع: يبقون مدّة يشتهون الملح ولا يأكلونه، والخبز.. هذا السالك الصادق، وعليه أصحاب رسول الله ﷺ كان سيرهم اضطرارياً؛ ما موجود عندهم، جوع واقعي، ما عنده شيء، أما السالك فعنده، ويترك ولا يأكل، يبقى اليوم واليومين والثلاثة أو أكثر على حسبه، ثمّ **الموت الأخضر**: وهذا أسهل الكل، عبارة عن لبس المرقعات، مشقوق مخيط.. لكن نظيف، الإسلام ظاهره النظافة وباطنه اللطافة، الباطن هو يمد الظاهر على الدوام، **والموت الأحمر**: هو مخالفة النفس، ما رأيت أحداً إلاّ ماشياً مع نفسه إلاّ النادر يمشي مع الحق، الحق أحق أن يُتَّبع، مخالفة النفس، أوّل الأمر صعب جداً، لا بدّ أن تخالف كل عاداتك التي كنت عليها من أولها إلى آخرها، على الخصوص إذا كنت تريد أن تسلك إلى الله، لا يمكن أن تسلك وفي نفسك شيء منسوب إليك، بعدها يجيء شيء أعلى وأدهى وأمرّ! وهو تحمّل الأذى هذا هو **الموت الأسود**، وهكذا الرسول ﷺ يتحمل الأذى وكان يحسن لمن أساء إليه، هذا الّذي بعثه الله إلينا، الشخصية البارزة في الوجود، بل الشخصيات كلّها ظهرت عنه ولو كان تأخر عنهم بالجسم لكن «أوّل ما خلق الله نور نبيك يا جابر»(١).

وتحمّل الأذى من المحب أشد من تحمّله من العدوّ، الإنسان إذا ما سار على هذا الطريق لا يمكن أن يعرف نفسه؛ لأن أول طريق المعرفة

(١) كشف الخفاء ١/ ٣١١ برقم (٨٢٧).

الإلهية هو معرفة النفس، قال ﷺ: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه»[(١)]. من عرف نفسه: يا غني أنت الغني وأنا الفقير فمن للفقير سواك، يا قوي أنت القوي وأنا الضعيف فمن للضعيف سواك، يا قادر أنت القادر وأنا العاجز فمن للعاجز سواك، يا عزيز أنت العزيز وأنا الذليل فمن للذليل سواك، يا عالم أنت العالم وأنا الجاهل فمن للجاهل سواك، يا حي أنت الحي وأنا الميّت فمن للميت سواك.. إذا الإنسان ما ذاق من نفسه ضعفَه وذلَّه وعجزَه وفقرَه وجهلَه وموته.. لا لا.. أنا أنا.. أنا عملتُ وفعلت.. نحن جهل خالص، فقر خالص، ذل خالص، عجز خالص، وضعف خالص.. هذه ممكن أفهمها أنا، وأما أنتم فاعتقاداً لا ذوقاً، الذوق يفهمه أهل الله الّذين ماتوا الموتات الأربع، الموت الأسود: هذا لا يقدر أن يصبر عليه كل واحد، لا يصبر عليه إلاّ الصادق، فهذا الطريق لا بدّ من سلوكه، والموت الأسود هو الحجاب الأعظم بيننا وبين الله، والمحرِّك والمسكِّن هو الله، والمبتلي في الوجود هو الله ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧] ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢] يضع في قلب الصادق - غير الصادق لا يفهمها - أنا المبتلي، ولكن ابتلائي محبة لك، الصادق لمّا يرى الابتلاءات لا يوجد طريق ثانٍ أبداً ويشهد أن المبتلي هو الله ويعتقد أنه حكيم يضع الأشياء في محلها وعالم وعليم وعلاّم ورحيم ورحمن وتجلّى على العرش باسم الرحمن، هنا يطمئن الاطمئنان التام، لمّا تتكمل الابتلاءات يرى ضربَ الحبيبِ زبيباً؛ لأنّها لا تأتي من غير الله، أمّا الألم الّذي يحصل عنده فهذا ليس من الله هذا من وسخ النفس التي

---

(١) ينظر: فيض القدير: ٥/ ٥٠.

صار لها زمان تحبّ الليرات والزعامات والنفسانيات، كان كذاباً غشاشاً يغتاب.. مخالفات (مشكّلة ملوّنة) هذه ممكنة في الأرض يريد الحق أن يسحبها لك واحدة فواحدة بحكمة بالغة، بواسطة الابتلاءات تطهر، والتطهير يرقّي، والرقي يعرّف، للراقي وليس للممتلئ وسخاً، التطهير حسب الذنوب واختلاف الأشخاص، كلّها سهلة من أولها إلى آخرها بالنسبة لحب الدنيا، الدنيا لا يحبها إلاّ الّذي أدنى منها ولو كان عمامته كبيرة ولحيته كبيرة ما لنا وما له؟ الدنيا عبارة عن دار ابتلاء، الرسول ﷺ ما ذمّ الدنيا، ذمّ حب الدنيا قال: حب الدنيا رأس كل خطيئة(١)؛ لأن الإنسان ليس له إلاّ قلب واحد إذا أحب الدنيا فلا يقدر أن يحب الله ولا الأولياء، قال ﷺ: «نعمت الدنيا مطيّة المؤمن يعمل هكذا وهكذا»(٢). وعلى ما في القلوب المعوّل، القلب لا يطهر إلاّ بعد الموتات الأربع، فإذا كان له مرجع نهنئه، لو انطبقت الدنيا بما فيها كلّها عليه لا يبالي؛ كلمة واحدة مع المرجع ما بقي شيء إن صدق، الّذي يجيء إلى أهل الله أوّل كل شيء لا مانع أن يختبرهم حتى يطمئنّ، فإذا اطمأن قلبه يسلّم لهم، الإسلام هو التسليم، يجب عليه أن يسلّم التسليم الكامل بمعنى الكلمة، كالميّت بين يدي المغسّل يقلّبه كيف يشاء، ينقاد إلى الله.

إبليس ونفسُهُ:

النفس أمّ الغضب، والحق ﷻ لمّا يريد أن يرقّيها يأمرها بما يخالف

(١) شعب الإيمان للبيهقي ٧/ ٣٣٨ برقم (١٠٥٠١).
(٢) الفردوس بمأثور الخطاب: ٥/ ١٠.

هواها، مثل إبليس صار له تسعة آلاف سنة وهو في العبادة والعلوم لكن نفسه ما طهرت، هذه وضعها الحق خصوصاً في القرآن حتى نقرأها ونأخذ منها العبرة، أمره بالسجود لسيّدنا آدم، أبى واستكبر؛ ظن حاله أعلى، سأله الحق ﴿يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ۝٧٥ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ﴾! [ص: ٧٥-٧٦]. مع كون الخيرية من عند الله، العبد ما له دخل فيها أبداً، التفاضل لا دخل فيه لأي مخلوق حتى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، هذه خصوصية ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ﴾ [البقرة: ٢٥٣] هذه من عند الله.. استدل على أنه أفضل من آدم بكونه خُلِقَ من نار، النار خفّةُ عقلٍ، إخواننا الجن خُلقوا قبلنا بتسعة آلاف سنة، مثلنا تماماً، أي شيء فينا هو فيهم تماماً، إلا أننا فينا نسبة الطين أكثر، نحن فينا من الماء بمقدار ما يجبل الطين، ومن الهواء بمقدار ما يجفف الطين، ومن النار بمقدار ما تصلصله (تشويه). أما الجن ففيهم النار والهواء أكثر، مرج (اختلط) الهواء والنار فاحترق الهواء، إلاّ أنهم ما فيهم نبي، أعمارهم أكثر من أعمارنا، لا يموت أحدهم حتى يرى ألف واحد من أولاده! خَلْقُهم غير خَلْقِنا، نحن أبونا آدم خلق الله منه أمّنا حواء، ومن أبينا آدم وحوّاء جاء الأولاد، وإخواننا الجن مأمورون مثلنا تماماً أمراً ونهياً، الجن غير الملائكة، منهم مؤمنون وفاسقون وفاجرون، لهم أولاد وذرّية إنه ﴿كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ...﴾ [الكهف: ٥٠] إذن له ذرّية وله أولاد.. أديبون ومن جهة طوشة، الّذي يُضحك فيهم، إذا أحبوا أحداً يرمونه في الأرض، الخفّة ما هي محمودة في كل الأشياء، اسمها خفّة، الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، سيّدنا إدريس﴿وَرَفَعۡنَٰهُ

مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧] رفعه في السماء الرابعة محل الشمس، أما سيّدنا محمّد ﷺ فرفعه مكانة عُليا، يوجد مكان ويوجد مكانة، المكانة روح المكان، المكانة هي نور المكان..

وما حب الديار شغفن قلبي
ولكن حب من سكن الديارا

إذا أحب إنسان أحداً أحب الدار وكلّ شيء في الدارِ والحيّ، فإذا خرج منها لا يحب الدار لأن حبيبه خرج منها، انتقل مع حبيبه مع الشخص، هذه اسمها مكانة، المكانة هي المراد، فإبليس خلط بين المكان والمكانة، ظنّ أن مكان النار أعلى من التراب، لا.. هذه مع المخلوق صحيحة أما مع الخالق فلا.. لما نسجد نقول بالسجود: سبحان ربي الأعلى، أي علوّ مكانة لا علوّ مكان، الأصل هو السرّ الإلهي الممد، المكانة هي ممدّة للمكان، المكان يتشرف بالمكانة، المكانة لا تتشرف بالمكان، ولو كان المكان هو الّذي يقدّس لتقدّست اليهود في بيت المقدس، اليهود مغضوب عليهم معروفون، الإنسان هو يقدّس الوجود أجمع إذا عرف الله؛ لأنّه لما عرف الله ما بقي هو، عرف حاله ليس له وجود، الوجود لله سبحانه وتعالى، فالعارف بالله يقدِّس المكان، المكان لا يقدِّس.

النفس أصل وجودها خليفة الله في الأرض:

من أراد أن يكون من أهل الله راضياً عن الله ومرضياً لله فعليه أن يؤدب نفسه التأديب الشرعي، لا التأديب العصري، لا لا.. لا بدّ أن يؤدِّبها

التأديب الشرعي وإذا به يرى بالله، نفسه زالت لا وجود لها، النفس أصل وجودها خليفة الله في الأرض، لـمّا خلقها الله وضع فيها الشيء وضدّه، سيّدنا آدم لـمّا أكل من الشجرة.. وأكله من الشجرة لا عن قصد أن يخالف الله، لا.. حاشاه، هذه لا يعرفها لأنّه معصوم، وهو أوّل مخلوق لا يعتقد أن أحداً يكذب، مثل الآن صاحب الفطرة إذا واحد حكى له حكاية صدّق فوراً، وكذلك سيّدنا آدم وحلف لهما يميناً ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١] إذا أكلتما تبقيانِ خالديْنِ في الجنة، فصدّق سيّدنا آدم لكن يدور بفكره أن الله نهاه، وهذا كيف يقول ذلك؟! لـمّا جاءت سيّدتنا حوّاء وصارت تقنعه.. بالنتيجة قنع لكن قلبه خائف لأن الحق نهاه عن الأكل من الشجرة، لا يعرف أحداً يكذب ويحلف يميناً، لـمّا أكل وبدت سوءاتهما.. عرف، آخذه الله وبيّن له لكونه يعلم أنه أوّل واحد هذا ذنبه، إذا رجع فلا مانع، المرادون نحن من أجل أن نتعلم إذا وقع منا شيء حتى نعمل كما عمل سيّدنا آدم، أنا عصيت.. اعترف وما أوّل، ثمّ رجع إلى الله بالبكاء والانكسار وإظهار ضعفه بين يدي القوي جلّ جلاله، وإظهار جهله بين يدي العالم.. وانكسر وتذلل أمام الحضرة الإلهية، قَبِل الله توبته وزاده فوق قبول التوبة أن جعله خليفة الله في الأرض.. المخالف في الظلمة، وصاحب الظلمة لا يدرك؛ لأنّه ضعيف قصير المدى، أما صاحب النور فيدرك ويفكر، النور لا يُدرَك بالظلمة لا يُدرَك إلاّ بالنور، النور يدرك نفسه ويدرك غيره، كلّ فرد لـمّا يصل إلى مرتبة النور ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] والوجود ظلّه، إذا راح الشاخص زال الظل ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٦-٧] من النبيّين

والصدّيقين والشهداء والصالحين، كلّهم نور ليسوا أهل عقل أو فكر كلّهم أهل نور إلهي، سيّدنا آدم لـمّا اعترف وأقرّ قَبِل الله توبته وجعله خليفته في الأرض، من أين جاءته الخلافة؟ لأنّه اعترف وأقرّ أنا عصيت؛ لأنّه هو المنهي كان يلزمه أن لا يأكل، سيّدنا آدم عرَف وعرَّف لأنّه صاحب نور ومولود على العصمة.

أبونا آدم جاءه تسعة وثلاثون زوجاً وفرداً، ما كان أحد، الحق أمر سيّدنا آدم أن كل واحد يأخذ غير أخته التي معه في بطن واحدة، صبي وبنت، صبي وبنت..إلى تسعة وثلاثين زوجاً والبطن أربعون فرداً وهو شيت وحده، قابيل وهابيل، قابيل أخته جميلة، وهابيل أخته غير جميلة، لا يجوز أن يأخذ أحدٌ أختَه التي معه في بطن واحدة، والأمر، قابيل لا بدّ أن يأخذ أخت هابيل، وهابيل لا بدّ أن يأخذ أخت قابيل، فلم يرضَ قابيل فقتل هابيلَ.

الشر يأتي من النفس، والخير من الله سبحانه وتعالى، الشر من النفس أي من العرضيات التي جاءت على النفس، يلزم الإنسان أن ينصف ويفهم أن النفس مطيّته، وهذه المطيّة أعطاها الحق لجاماً، والّذي نفسه تغلبه يعني ينسب الأشياء لها.

تطهيرُ النفسِ ومعرفتُها ضروريّان وصعبان! هذا ما وجد في الوجود ولا لفرد من الأفراد إلاّ إذا الحق عزّوجلّ أخذه وجذبه عنايةً، نحن بحاجة إلى شخص تعلّم ويعلّم، سَعِدَ وأسعد، نريد هذا، سيّدنا أبو يزيد البسطامي مع كونه من السالكين لكن الحق أراد أن يعمل هذه المرتبة حتى يعلّمنا نحن، كان لا يزال مُستهلَكاً مع الحضرة الإلهية، مرتبة الهلاك مع الحضرة

الإلهية، ما عنده استعداد أن يعرف أحداً وهذه مرّت علينا وبقيت عندنا سنين، الحق أمره قال له: اخرج لعبادي علّمهم، مشى أوّل خطوة.. وفي الثانية وقع على الأرض! قال: ردّوا إليّ عبدي لا غنى له عني لم ينفطم بعد حتى ينفطم، أبو يزيد وما أدراك ما أبو يزيد، من أكابر الأكابر الأكابر ﷺ رُدَّ.. إلى أن كمُل بعدها خرج.. الخروج للناس أمر غير سهل، الخروج لتعليم الناس غير سهل، غير معقول واحد قبل أن تنفطم نفسه وتبلغ نفسه وتصير عنده القوّة والمنعة يقدر أن يسحب أحداً، أهل الله لا ينزلون وإنما يتنزلون مثل سيّدنا جبريل لمّا كان يأتي عند رسول الله ﷺ بصورة دحية الكلبي لكنَّ الخافقيْنِ مملوءان من جبريل عليه السلام، تَنزّل ما نزلَ، هذا التنزل يجب أن يكون لواحد قويٍّ، القوي ما ينزل باقٍ مُعبَّأً دماغُهُ بالكمالات، الّذي يتنزل[1] لا يخاف أنا ضامنه لا يخاف، القوي يتنزل، القوي لماذا لا ينسحب؟ لأنّه يشهد بعينيه لا يوجد كمال إلاّ الشريعة؛ لأنّها أمرت بكل كمال ونهت عن كل نقص، هكذا الشريعة، القرآن فيه التوراة والإنجيل والزبور وفيه الصحف، وفيه الكون العلوي والسفلي، فمن يدركه؟ يدركه القوي وليس الضعيف، الضعيف لا يشهد إلاّ الّذي أمامه، القوي يقرأ العبارة يفهم منها مفاهيم بمقدار استعداده بمقدار لطافته، مثل السبّاح الّذي يسبح في البرْكة إذا راح إلى البحر يغرق، أما السبّاح الماهر فلا يهمّه، يسبح في كل مكان بالنهر أو بالبحر.. وهكذا نحن بالقرآن مثل السبّاح، نفهم الآية القرآنية؛ عندنا قوّة قال ﷺ: «إن لكل

---

(١) أي يتواضع.

آية من القرآن ظاهراً وباطناً وحداً ومطلعاً»[(١)] كل آية من القرآن، يأتي العالِم الظاهر يقول: هذه من أين جئتم بها؟! هو غير فاهم، لا يوجد خبر غير الصورة فقط! يوجد عبارة ويوجد إشارة، كان بعض أهل الله يقول:

يا صاحبَ الإشارة حقِّقْ لنا العبارة
واكشفْ لنا الستارة حتى نرى جماله
حبي انجلى جمالُه وقد حان وصالُه
وأراني كماله في مرآتي مثاله

فالظاهر: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]. والباطن: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النور: ٣٧]. والحد: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ﴾ [الأعراف: ٤٦] يعرفون كل واحد ماذا بداخله. والمطلع: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ [الحج: ٢٧] وليس على كل ضامر لا ينتظر حتى يركب، هؤلاء أربعة.. والظاهر له ظواهر لا يعلمها إلاّ الله، والباطن له بواطن؛ لأنّه كلام الله لا كلام عبد الله، كلام الخالق البارئ البديع العالم العليم العلاّم الفعّال المطلق. هذا القرآن، على قدر ما عندك من الصفاء والنزاهة واللطف تفهم القرآن وتخرج مفاهيم القرآن، تنزل في البحر المحيط تخرج الكنوز والجواهر، غير السبّاح يغرق! نحن قبل كل شيء نحتاج صفاءً ونحرص على صفائنا، وهذه النفس الخبيثة ضد الصفاء: أنا وأنا وكل مسألة أنا..! هذا لا يصح، نحن كلنا جهل، لا عالم إلاّ الله هو يعلّمنا، إذا علّمنا لا أحد يقف أمامنا وإذا لم يعلّمنا لا

---

(١) ينظر: تخريج أحاديث الإحياء للحافظ العراقي ١/ ٦٢.

نعرف شيئاً، الصادق نزيه ليس له غرض، الغرض من المرض مريض النفس ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩] من المرض، كل الأسماء علّمها الله لسيّدنا آدم لأنّه صحيح ما عنده مرض أبداً، نفسه طاهرة مزكّاة ليس له نفس ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ نظروا دققوا ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣١، ٣٢] إيّاكم أن تناطحوا بقرون عجين، خذوا هذه النفس إلى طبيب أرواح واستعملوا الدواء ولو كان مرّاً ولو كانت عملية؛ حتى يزيل العفونات العارضة التي عرضت عليه، وعندما تصدق وتصل للتقوى وتتحقق لا يبقى عندها فجور، تشهد انفجار النور وتشهد حقيقة الأمر وتفهم، فلا تمشي إلاّ على الصراط المستقيم ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥٣] تتبعون السنن، في كل ركعة من ركعات الصلاة لا بدّ أن نقرأ الفاتحة، والفاتحة جامعة الوجود بأكمله، الإنسان يقرأ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] لا نعبد إلاّ إيّاك ولا نستعين إلاّ بك؛ لأنّه لا يوجد غيرك نستعين به، غيرك سائب ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦-٧] ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]. لا بدّ أن نصير عين الصراط، بعدها يقول: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] مثل ما يقول المفسرون إنهم اليهود، نفسره تفسيراً عاماً، الّذي يعرف ويحرِّف هؤلاء المغضوب عليهم، هؤلاء اليهود ما آمنوا به ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة: ١٠٩] لماذا يكون محمّد عربياً ولا يكون إسرائيلياً؟! لأنّهم يعرفونه كما يعرفون أنفسهم، أنا ما رأيت بحياتي أبشع

من العصبية، لا أطيقها بشكل من الأشكال، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

بعد التزكية الإنسان يصير كلّه نوراً، يشهد الوجود كلّه نوراً، ويشهد الحق هنا أو هناك، ويشهد الباطل هنا أو هناك، أصبح يميّز، الباطل لا وجود له، نعرف ذلك عندما يأتينا النور يكشف لنا الموجودات، النور لا يروح من الإنسان ولا حتى من الفاسق، نور الفطرة الأصلي الموجود فيه، أما ظلمة الكفر وظلمة الفسق فتعمّ الإنسان فلا يدرك الأمر على ما هو عليه ويبقى كالسائب، هذا إذا رجع للأصل، إلى نفسه، وفهم أن الرضا عن النفس أصل كل مخالفة وغفلة وسقاطة، لا.. لن يرضى بل يلاحظ ويفتّش عن عيوب نفسه في بيته وفي مجلسه وفي أكله.. ويدرك الخواطر، إذا عمل أحد أعمال الفسقة كلّها وهو غير راضٍ عن نفسه فهو أقرب من الشخص الّذي هو راضٍ عن نفسه وصلاته كثيرة وصيام وحج وصدقات.. قال ﷺ: «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك»[1]. الإنسان يعرف أن الشيطان عدو لكن النفس لا يعرفها، يفهم أن نفسه وذاته واحد، لا.. ليس واحداً، النفس هي محل الخلافة، فإذا رضي عن نفسه معناها يريد أن يكون لها وجود مع الله، هذا أكبر ذنب! فالعاقل لا يرضى عن نفسه أبداً، إذا وقع منها مخالفة يرجع ويتوب فهذا أحسن دواء له، ويصاحب أهل الله صحبة الّذين أفلحوا «ما أفلح من أفلح إلاّ بصحبة من افلح» يأخذ عن حالهم، الحال تؤثّر في الإنسان لأن الحال لا تصير كذباً ولا رياءً، حاله

---

(١) أخرجه البيهقي في الزهد الكبير برقم (٣٤٣) ١/ ١٥٧.

ظاهرة، من أراد أن يتخلص من الرياء فليصحب من تخلص، النفس عيوبها كثيرة لا تعد ولا تحصى، أول عيب كبير تجعل لنفسها وجوداً والحق يقول: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]. وخاطب نفوسنا وقال: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥] كسر ظهرها! المطلوب من الإنسان أن يكثر من ذكر الموت، قال رسول الله ﷺ: «أكثروا من ذكر هاذم اللذات»[(١)] يهدم اللذات هدمة واحدةً أبداً! فإذا صبر يبعث الله له أحسن مما يريد بما لا يقاس لا شك ولا ريب.

النفس هي قائد للإنسان إلى الخير وإلى الشر، وأنتم تنهزمون من الّذي يهذّب النفس وهي الابتلاءات، جاء صحابة رسول الله ﷺ إليه غضبانين، قال: ما بكم؟ قالوا: يقولون عنك مُذَمَّم قال: أنا محمّد غير مذمم لماذا تغضبون؟![(٢)] أهل الله لـمّا تتكلّم الناس عليهم مثل الرسل تماماً، لكنهم بيان لمرتبة الرسل، العارفون بالله يبيّنون للناس كيف كان الناس يعاملون الرسول ﷺ وكيف كان يعاملهم.

الشيخ لا يقدر أن يسلّك مريده وعنده: نعم أو لا أو قيل أو قال.. هذه مسألة يلزمها عزلة وذلّ، يُسلَّطُ عليه الصغير والكبير حتى يصير أذلّ من

(١) سنن الترمذي ٤/ ٣٥٧. برقم (٢٤٦٠).

(٢) أورد البخاري في صحيحه: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شَتْم قريش ولَعْنَهم؟ يشتمون مذمماً ويلعنون مذمماً، وأنا محمّد!» اهـ. وكان كفار قريش لشدة كراهتهم له ﷺ لا يسمونه باسمه الدالّ على المدح، فيعدلون إلى ضده فيقولون: مُذَمَّم، وهو ليس اسمه ولا معروفاً به، فكان الذي يقع منهم مصروفاً إلى غيره بالبداهة، فيحصل ضدّ قصدهم، ويرد الله تعالى كيدهم في نحرهم، ليموتوا في غيظهم!! أخرجه البخاري ٣/ ١٢٨٢ برقم (٣٢٨٨).

كل ذليل، لا يقدر أن يرى حاله أحسن من مخلوق على وجه الأرض البتّة، يوجد أفراد ما عندهم استعداد أن تنذل أنفسهم، ما عندهم استعداد للسير والسلوك، ما وجد في الوجود واحد يدخل الحضرة الإلهية وعنده نفس ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. الصادق يرى الابتلاءات عنايةً إلهيةً، الحق اعتنى به، إذا دخل أحد على الحضرة الإلهية ونفسه لها وجود يغضب من الله!! لا أحد يقول لي وجود مع الله، إذا ما بقي له وجود مع الله يعطيه العلوم فينسبها لله ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٤].

النفس لا تأخذ عن النفس، من هنا الحق ما بعث رسولاً إلاّ معصوماً، وبعد العصمة أدّبه. الله يريد أن يجعلك من جلسائه، فيلزم أن يهذّبك ويؤدّبك بعد ذلك لا تشتهي النفس إلاّ الكمال، أما إذا العرضيات التي عرضت عليه لا تزال باقية فلا فائدة، لا بدّ من إخراج العرضيات، الحق سلّمها لك فطرة كاملة تامة، تجلّى الحق بنفسه على كل ذرّات الوجود شهوداً غيبياً قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ﴾ [الأعراف: ١٧٢] بدون تأخير! لكن جاءت العرضيات على نفسك فأصبحت مريضة، تشتهي الّذي يوافقها وجودك ذنب لا يقاس به ذنب, نهاكم أن تقعدوا مع الكذّابين، لماذا تقعدون؟ نهاكم أن تصاحبوا أهل الموضة وأهل المدنية، ما رأت عيني أسقط منها بكل مخلوقات الله، الّذي يحب ويقلّد المدنية والله لن يحشر إلاّ مع الكفّار، لا تقعدوا مع الكذّابين ولو كانوا أقرباءكم، لا تقعدوا إلاّ مع الصادقين النزيهين الّذين يحاسبون أنفسهم على الصغيرة والكبيرة الّذين يأكلون الحلال، لا يغتابون ولا ينمّون ولا يفسدون.. مشغولون مع الحضرة الإلهية، أدركوا بما أعطاهم الحق من قوّة ونور، أظهِروا صفاتِكم

الحسنة حتى مع المسيء إليكم، أحسنوا لمن أساء إليكم، كان الرسول ﷺ يحسن لمن أساء إليه، ما كان يتنازل للإساءة أو يعمل قضايا دنيئة، لا يمكن؛ لأنّه ما عنده قلب أو جسم أو روح أو نفس تعمل إساءة، كلّه كمال، من هنا سيّدنا يوسف لـمّا اتهمه الخائنون همَّ أن يبطش بها وهمّت أن تبطش به، الهمّ بالضرب، قالت له: أنا سيّدتك وأنت غلامي وأجيري آمرك وما تسمع لي؟ قال: إنه لا يفلح الظالمون، كيف تطالبيني أن أجلس معك وحدنا؟ أنا لا أقدر، أنا رسول ابن رسول ابن رسول، ليس بخلاً عليكِ لا والله، أنت سيّدتي لا شك ولا ريب، وأنا رقيقك وأنا خادمك وتحترمينني وتعظمينني، لكنك تطالبينني بشيء ليس لي، هذا لرب العالمين، هذا لا أقدر عليه.. سيّدنا يوسف في الشهود لا يقدر أن يخالف الله، العارف في الشهود فكيف الرسول المعصوم؟ هذا لا يمكن أبداً، أنا عبد وكمالاتي كلّها من سيّدنا محمّد ﷺ، إذا واحد سبّني لا أسبه، إذا آذاني لا أؤذيه أبداً، مهما آذاني لا أؤذيه، أدعو له أن يردّه الله إليه ويتولاه، إيّاكم أن تدعوا على أولادكم، ساعدوهم على أنفسهم، مهما عملوا لا تساعدوا شيطانه ونفسه الأمّارة بالسوء، ادعوا لهم لعلّهم يصيرون سعداء ليعاملوكم معاملة السعداء، الحق يقول لسيّدنا محمّد: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وأهل الله ليسوا فظّين، ولو أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر بالقوّة، قد يكون من أجل الشخص، نحن ننظر دائماً إلى النتائج؛ لأنّه سلَّم نفسه لله الحكيم العليم، أي شيء وقع في الوجود المهم أن لا يكون مخالفاً للشريعة، إيّاكم أن تخالفوا الشريعة، موافقة الشريعة هي الخير، فنحن من أين نعرف الإنسان انفطم؟ من رؤية

عينيه لأنّه لا يحب أن يرى بعينيه شيئاً مخالفاً، ولا يحب أن يسمع بأذنيه شيئاً مخالفاً، ولا يحب أن يجلس في مكان فيه مخالفات، ولا يتكلّم بشيء مخالف.. نفهمهُ انفطمَ، ما بلغ لكنه انفطم، عرف وصار يقدِّر ويفهم ولا يجلس إلاّ في محل يزداد فيه، هذا يهتم بتزكية النفس، لا يهتم بكثرة العبادة، هذا صاحب خير، عرف نفسه كما هي، وعليه أن ينقِّيها من عيوبها، الإنسان أقوى من كل شيء، وأكبر من الجن، بل الوجود كلّه خُلِقَ للإنسان، والإنسان خُلِقَ لله سبحانه وتعالى، الشيطان ليس له سلطة عليه ولا النفس، والشيطان لا يقدر أن يدخل على الإنسان إلاّ بموافقة النفس، عندما يكون غافلاً ويضحك، وعنده مخالفات ومدنية، ويجلس أين ما كان.. وكل هذه لا يراها مخالفات! لأنّه مريض النفس أما إذا كانت نفسه مطمئنة راضية مرضية كاملة فلا يقدر أن يدخل عليه الشيطان أبداً لأنّه يقظ.

حُسن الخُلُق يأتي من النفس وسوء الخُلُق يأتي من النفس وليس من العمل، الآمر العامل الحقيقي هو النفس؛ لأنّها المكلّفة والمأمورة، العذاب على النفس لا على الروح ولا على الجسم، منكر ونكير يسألان النفس، منكر ونكير للعامل منكراتٍ، ومبشر وبشير للعامل خيراتٍ، تعال انظر سيّدنا عزرائيل لـمّا يجيء على الميّت، إن كان الميّت مجرماً يا ساتر! رؤية سيّدنا عزرائيل وحدها من وراء العقل! أمّا إذا جاء إلى واحد محبوب يأتيه بصورة محب والميّت محبوب، والميت يرى نفسه محباً وسيّدنا عزرائيل محبوباً؛ يصير التآلف، تحابّا بعضهما مع بعض، الشرطي ليس له سلطة إلاّ على المجرم والجاني، منكر ونكير لا يجرؤ أن يأتيا إليكم، التقي النقي يأتيه مبشر وبشير بصورته وبكل أدب، مثل المرآة صورته تماماً، هذا للمحب التقي النقي، أما الّذي أعماله منكرة فيأتيه منكر ونكير.

النفس هي المكلّفة، بيّن لها صراطين: الصراط المستقيم أمرها أن تسلكه، ونهاها عن الصراط المعوجّ، صراط) المغضوب عليهم) أهل النفوس، الذي يعرف ويحرف، ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] السائبين أهل العقول الصغيرة، الصراط المستقيم من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقاً.

اعملوا بعلم تهذيب النفس:

العامل بهذا العلم لا بدّ أن يبتليه الله تعالى، فإذا ابتلاه وصبَّره يأتيه التسليم، بعده يأتيه الرضا، إذا رضي يشهد الابتلاءات كلّها من الحضرة الإلهية، يوجد ناس ما عندهم استعداد للصبر هؤلاء ما عندهم كيان عند الله سبحانه وتعالى، هذا إنسان عاديّ لا يصلح أن يكون داعيةً إلى الله أو دالاً عليه.

مراتب النفس:

النفس لها سبع مراتب، المرتبة الأولى ما كانت في زماننا، أما الآن فموجودة في زمن الكذّابين المحجوبين، تسمى: **النفس الأمّارة** بالسوء، كانت في أوروبا وبلاد الكفر فقط، أما الآن فالكفر كثير، ثمّ تليها **النفس اللوامة**: تلوم صاحبها في الخير والشر، إذا عمل شراً لِمَ عملتَ شراً؟ وإذا عمل خيراً تقول له: لِمَ لَمْ تعمل أحسن؟ هذه النفس تشتغل في الإنسان أكثر من غيرها، هذا الصادق.. بعدها إلى **النفس الملهمة**: وهي أصعب النفوس السبعة، وكل الشِّعر الّذي قاله أهل الله في هذه المرتبة، بعد الملهمة أهل الله لا يقولون شعراً، محلها محل الإلهامات، هذه تظنّ كل

إلهام يأتيها إلهياً إذا ما كان عندها مرجع، الخواطر والإلهامات أربعة لا تصير خمسة ولا تنقص واحدة، إما خاطر نفساني: وهو المباحات، وإما خاطر شيطاني: وهو الحرام والمكروه وخلاف الأولى، وإما خاطر ملكي: خاطر جميل أو حسن، وإما خاطر رحماني: هو العلم بالله، لا يدعك جاهلاً إذا كان عندك مرجع. النفس الثالثة: لا يقدر أحد أن يسلك وحده أبداً إلاّ أن يكون له مرجع، ثمّ نترقى إلى **النفس المطمئنة**: أوّل الكمالات وهي أربعة: **المطمئنة والراضية والمرضية والكاملة**. أوّل مرتبة الكمال هي النفس المطمئنة، تطمئن بالله لا يأتيها شك بوجود الله، تطمئن بأوامر الله، تطمئن بنواهي الله، تطمئن بكل شيء. ثمّ تترقى إلى النفس الراضية: رضيت من الله أعمالَه كلّها من أوّلها إلى آخرها، هذه الراضية، ترضى عن ربّها وترضى عن الرسول ﷺ وترضى عن المرجع، صار عندها نور وصار عندها تمييز، أمورها كلّها راضية، عرفت. ثمّ تترقى إلى النفس المرضية: مرضية عند الله، ثمّ تترقى إلى النفس الكاملة: وهي تجمع النفوس السبع وتضعها كلّها في محلها، مثلما أمرها المرجع تفعل، أين أمرها تضع، وهنا العقل والتفكير لا يشتغل أبداً، عقلنا وتفكيرنا لا شيء؛ الله هو الآمر الحكيم العليم العلاّم العالم يضع الأشياء في محلها ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨].

النفوس سبعة: الأمّارة بالسوء، اللوامة، الملهمة، المطمئنة، الراضية، المرضية، الكاملة، لا يمكن للإنسان أن يسير بنفسه أبداً إلاّ بالمرجع، وخصوصاً النفس الثالثة التي تزل فيها الأقدام.. النفس والروح والقلب والعقل: هذه كلّها واحد وليست أربعة، سمّيناها حسب متعلّقاتها.

قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن

﴿زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٧-١٠]، ﴿وَنَفْسٍ﴾ قسم يميناً، وعظّمها ونكّرها، ﴿وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ سواها محلاً للخلافة، الخليفة في الأرض هي النفس، لا القلب ولا العقل ولا الروح﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

﴿فَأَلْهَمَهَا﴾ أي بيّن لها.

﴿فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ قابلة للفجور وقابلة للتقوى، قابلة للشيء وضدّه، بيَّن لها الفجور فجوراً: فنهاها عنه وبيَّن لها التقوى تقوى: فأمرها بها، الفجور: للضعيف، والتقوى: للقوي.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ من الفجور.

﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ بالفجور.

فالفجور نُزيله؛ لأن الله تعالى لـمّا خلقنا لم يخلق الفجور معنا، قال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»(١).

النفس لها وصفان، والشيطان له وصفان، ما صفات النفس؟ الفجور والتقوى.

والشيطان وسواس وخناس، يوسوس للغافل، ويخنس لليقظ، فما أجمل هذا! لا بدّ أن نكون دائماً يقظين. الشيطان عدو. والنفس أعدى العدو «أعدى أعدائك نفسُك التي بين جنبيك»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري ١/ ٤٥٦ برقم (١٣٩٣)، وأخرجه مسلم ٤/ ٢٠٤٧ برقم (٢٦٥٨).
(٢) أخرجه البيهقي في الزهد الكبير ١/ ١٥٧ برقم (٣٤٣).

صفات النفس التقوى والفجور، أمرنا بالتقوى ونهانا عن الفجور.

أنا أحب صاحب النفس أي صاحب العزَّة والكرامة والعفّة. أنا أحب صاحب النفس، يضع الأشياء في محلاتها.

عبارات منتخبة في النفس:

الذوق متوقف على تزكية النفس من ذاق عرف، ومن عرف فهم، ومن فهم لزم.

علم النفس غير حقيقة النفس، علم النفس من أجمل العلوم، يغضب لله لا يغضب لنفسه ولا ينتقم لها.

الشيطان إذا لم يجد في قلبك زاوية وسخة لن يدخل إلى قلبك، أكثر ما يدخل الشيطان من النفس الأمّارة، أمّا المحب الصادق فإنّه مسدد من كل جوانبه، ولا سبيل لدخول الشيطان عليه، الّذي يهلك الإنسان هو النفس الأمّارة، أما الشيطان فهو ضعيف ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

النفس تطلب المباحات، فإذا أعطيتها دخل الشيطان فأوقعك في الحرام؛ لذلك فإن الصادق يمنعها من المباحات لكي لا يجد الشيطان إلى قلبه طريقه، الامتحانات ليست بالمحرمات بل بالمباحات.

اتّباع الشهوات المباحات يقسي القلب، كأن تشتهي الأكلة أو اللبسة وهكذا..

النفس تريد صفات الربوبية تقول: أنا أنا عظّموني قدّسوني، ولا أحد يدّعي الربوبية غير النفس، قال تعالى على لسان فرعون: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]. لا يوجد

حجاب عن الله تعالى إلاّ النفس، ارفع النفس فكلّهم أحبابك وأصحابك وإخوانك، فإذا طهرت النفس صارت نَفَساً. كلّما كبرت النفس صغر العقل.

النفس هي خليفة الله في الأرض.

الجسم جندي تحت الأمر! ينفّذ ما يأمر به الحاكم، النفس هي الحاكمة على الإنسان، حينما تأمر النفس اليد لتسرق تقول لها اليد: ما خُلِقتُ لهذا، ما خُلِقتُ للسرقة! أنا خُلِقتُ لآخذ القرآن أو أعطي الفقير والمسكين، تقول لها النفس: أما أمرك الحق أن تسمعي؟ تقول: نعم، فاليد حقيقةً مطيعة لأمر الله الّذي أمرها أن تسمع للنفس؛ لأجل ذلك المعاقَبة تكون على حسب الظاهر على اليد، اليد تُقطع، لكن أهل الذوق يشهدون الألم كلّه على النفس، وهذا هو الحق؛ لأن النفس هي الآمرّة، فإذن المسؤول هو النفس ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. لكن النفس معنى، مظهرها اليد والأذن والرجل وما شابه ذلك، هذه مظاهر. النفس: معنى لا يمكن أن تنقطع يدها، لا تتجزأ النفس، النفس نور، والنور لا يتجزأ.

عليكم عدم الاهتمام بالمكاشفة، بل بتزكية النفس.

المكر يسري بابن آدم كسريان المحبة، يسري به وهو لا يشعر! فإذا وقع الإنسان في ذنب ولم يشعر به ولم يعاقب عليه فذاك هو المكر! الّذي يريد الله لا يكون عنده ذنب أبداً.

أمّا المراد للحضرة الإلهية فإنّه محاسَب على الصغيرة والكبيرة، لن يتركوه وشأنه، بل الصادق محاسب ومبتلى والمبتلى دائماً ماشٍ على الصراط، لا يستطيع أن ينزل عن الصراط لأنّه مبتلى.

نفسك إذا لم تتزكَّ فبغضبة واحدة تذهب بكل شيء!

وضع الحقائق في محلاتها (بدها)[١] شجاعة، وأنا أحب صاحب النفس يضع الأشياء في محلاتها.

عندما تتطهرّ أنفسكم تشهدون معاني القرآن، بل تتنزل عليكم الملائكة!

العصيان لا يكون إلاّ عندما تكون النفس غير مطهَّرة، عليكم بتزكية النفس. المؤمن دائماً بالمراقبة.

آخر ما يخرج من قلوب الصدّيقين محبة النفس والرئاسة.

النفس تدّعي قبل أن تتزكّى، أمّا بعد التزكية فتقول: هذا فضل الله يؤتيه من يشاء.

الجاحد والكافر حجابهما عظيم، هو النفس.

لو تكلّمت طول حياتي عن النفس ما أعطيتها حقها.

الأعمال شرطها أن تكون مركوزة على طهارة النفس من الأوصاف المذمومة، فإذا صدر العمل من شخص نفسُهُ غير مطهرّة لا يكفي؛ لأنّه في خطر، يهدم عمله بغضبة واحدة.

إذا رأيت نفسك أحسن من غيرك فالكلب خير منك.

المعجب بنفسه عقله ضعيف، والمتكبر عقله صغير.

الخير كل الخير، والبسط كل البسط، والسرّور كل السرّور، والراحة كل الراحة بتزكية النفس.

---

(١) من اللهجة الحلبية الدارجة، ومعناها: (بحاجة إلى).

أهل النفوس الخبيثة أنفاسهم تتخلق منها شياطين.

الوجود كلّه معلق بالنفس؛ لذلك كلَّفها الحق بالتكاليف الشرعية.

من حاسب نفسه على الصغيرة والكبيرة يدخل الجنة بغير حساب.

الّذي يحاسِب نفسه في الدنيا لا يُحاسَب في الآخرة، والّذي لا يحاسِب نفسه في الدنيا يحاسَب في الآخرة.

أحسن شيء يزيد الإيمان محاسبةُ النفس، لا تأكل حراماً، احفظ سمعك وبصرك ولسانك. أكل الحلال، ثمّ المحاسبة، المراقبة تأتي من أكل الحلال.

أحسن شيء يزيد الإيمان محاسبة النفس، لا تأكل حراماً، ولا تغتب الناس، ولا تنمّ.

قال سيّدنا عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا»[(١)].

حاسبوا أولاً السمع، ثمّ اللسان، ثمّ البصر.

المزكَّى هو الّذي يطالب نفسه ويحاسبها ويأمرها ويمنعها.

الإنسان أول أمره يبدأ بنفسه بالصغيرة والكبيرة.

﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] المغضوب عليهم: أهل النفوس، الضالّين: أهل العقول الصغيرة.

فالإنسان يبدأ بنفسه أولاً قال ﷺ: «ابدأ بنفسك، ثمّ بمن تعول»[(٢)].

(١) من مأثورات سيّدنا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، سنن الترمذي ٤/ ٦٣٨ برقم (٢٤٥٩).
(٢) أخرجه البيهقي في الزهد الكبير وله شاهد من حديث أنس ٢/ ١٥٧ برقم (٣٤٣).

تكنْ راعياً على جوارحك على سمعك على بصرك على لسانك، ثمّ على أهلك، ثمّ على جارك، ثمّ على أهل بلدك، ثمّ القطر، ثمّ العالم أجمع، قال ﷺ: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول على رعيته»(١).

يراد منك أيها المكلَّف ذوق ومحاسبة وتقوى وحراسة، على سمعك وعلى بصرك ولسانك وبطنك وفرجك ورجلك ويدك.

قال ﷺ: أعدى أعدائك نفسُك التي بين جنبيك(٢).

إذا رغب أحدكم أن يفهم أكثر من الكلام الّذي أتكلّم فيه فليحاسب نفسه.

السلف الصالح يحاسبون أقوالهم وأفعالهم وخواطرهم.

ما رأيت شيئاً أنفع من محاسبة النفس، فإذا لم يحاسب نفسه لم يأت منه خير أبداً ولو ظهرت على لسانه حكم لأنّه بغضبة واحدة يضيع جميع أعماله، صاحب المحاسبة إذا جاءه إنسان وبينّ عيوبه وتكلّم عليه يفرح بذلك كثيراً ويكون ممتناً منه، لأنّه يعتقد أن الّذي جاءه رسول من الحضرة الإلهية.

الأسرار الإلهية لا يدركها إلاّ الطاهر الّذي تزكّت نفسه، مثل البحر المحيط لا ينزل فيه إلاّ السبّاح الماهر ليخرج منه الجواهر.

أولادي إذا أردتم خير الدنيا والآخرة فعليكم بتطهير النفس.

لابدّ وأن تحكم على نفسك قبل أن تحكم على غيرك، الإنسان ينبغي أن يكون حاكماً على نفسه.

---

(١) أخرجه البخاري ١/ ٣٠٤ برقم (٨٥٣).

(٢) أخرجه البيهقي في الزهد الكبير: عن ابن عباس ٢/ ١٥٢.

وجدتُ الوجود كلّه قائماً على النفس، لذلك ما كلّف الله سبحانه إلاّ النفس، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

صاحب النفس إذا أغضبته يكسر يدك، ومحب الدنيا إذا أغضبته يعضُّ يدك.

النفس هي محل الفهم، وهي محل الاتّباع، وهي محل الأخذ.

طالما النفس حيّة، الحيّة لابدّ أن تُقتَل.

أقوى علاج لتطهير النفس هو المحاسبة.

النفس إذا تزكّت فالشيطان لا دخل له البتّة.

النفس إذا لم تتطهرّ ولم تتزك لا تأخذ عن الله.

النفس إذا زكيتها تفهم كل شيء.

النفس مثل الدمّلة التي لم تعالج، من أين أمسكتها تؤلمك، يا أخي اطبخها واعمل لها عملية واسترح منها.

لا يدرك المريد شيئاً حتى تتطهرّ نفسه، والّذي لم تتطهرّ نفسه لا يدرك شيئاً.

الّذي يصاحب أهل الله ليس عنده نفس.

الابتلاء ضد النفس، والنفس طالما موجودة فلا يأتي من صاحبها خير.

النفس لا يمكن أن تطمئن إلاّ بعد تزكيتها، فإنها إذا عملت بقدر السماوات والأرض وتغضب غضبة واحدة فستخسر كل شيء.

أنا أدلكم؛ أحسن شيء تزكية النفس.

الصادق همّهُ واهتمامه تطهير نفسه.

إذا رأيتم رجلاً قتل مائةً وهو غير راضٍ عن نفسه فهو قريب من التوبة والرجوع إلى الله!!

وإذا رأيتم آخر يقوم الليل، ويصوم النهار، ويحج كل سنة، لكنه راضٍ عن نفسه فهو على خطر من أعماله!

نفس الولي المطهّرة لا تفعل ولا تأمر إلاّ بأمر الله.

الحجاب الغليظ هو النفس.

إيّاكم ثمّ إيّاكم أن تروا أنفسكم أحسن من غيركم.

النفس هي محل الخطأ وهي محل النور، أمرها بالخير ونهاها عن الشر.

تأتي النفس باسم الدين، وهو أشرّ[١].

يا شيخ.. لا تسامح نفسك ولا ذرّة، وحاسبها على الصغيرة والكبيرة.

أصل البلاء في الوجود هو الغفلة، وسبب الغفلة هو الرضا عن النفس.

النفس لا تأخذ عن النفس، يعرفها أجهل الجهال لا يمكن أن تستقيم النفس قبل الطهارة أبداً.

إيّاك والغفلة، أعلى شيء عند الإنسان الكامل عدم الغفلة، إذا كنت غافلاً عن نفسك فعن غيرك من باب أولى.

---

(١) أي تحتال على صاحبها فتطلب شهواتها باسم طاعة الأوامر الدينية، كأن تطلب منه نصح الناس لتنال احترامهم لا لتعرفهم إلى الله.

ما وُجد أحد في الوجود عرف ربّه إلاّ بمعرفة نفسه، قال ﷺ: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه»(١).

لا تعتقدوا أن الشيطان يدخل من غير إذن النفس الأمّارة، أما النفس المزكّاة فلا يدخل عليها، بل لا يجرؤ أن يمشي على الطريق الّذي تمشي عليه، قال عليه الصلاة والسلام: «إذا سلك عمر فجاً سلك الشيطان فجّاً غيره»(٢).

خذوا عن قلبكم لا عن نفسكم، نحن قابلون للتغيير والتبديل؛ لذلك فنحن مأمورون بالمجاهدة والرياضة.

من رأى نفسه خيراً من غيره فهو تلميذ إبليس.

البسط كل البسط والسرّور كل السرّور والراحة كل الراحة بتزكية النفس ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٩-١٠].

النفس لمّا تكمل لا تأمر إلاّ بالخير.

المُرَبى غالٍ، احكم على سمعك وبصرك ولسانك ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] والّذي يسبّك اضحك معه، أحسن إليه، هو صار مسيئاً، أنت كن محسناً، لا تكن مسيئاً مثله.

أعلى مراتب السلوك محاسبة النفس.

الرابطة بينك وبيننا؛ وبينك وبين الله هي نفسك، نفسك (بدها)(٣) تزكية.

---

(١) أورده المناوي في فيض القدير: ٥/ ٥٠.
(٢) كتاب السنة لابن أبي عاصم ٢/ ٥٨٢ برقم (١٢٥٤).
(٣) (بدها) كلمة من اللهجة الحلبية الدارجة، معناها: (لا بد لها من).

النفس عدو داخلي، والشيطان عدو خارجي، فالعدو الخارجي لا يقدر أن يدخل إلاّ بواسطة العدو الداخلي، إذا كانت النفس مزكّاة لا يقدر أن يدخل الشيطان.

النفس اللّوامة دائماً تشتغل مع صاحبها في الخير والشر، لمّا تعمل مخالفة تلومك لماذا عملت هكذا؟ لمّا تعمل خيراً تلومك لماذا ما عملت أحسن؟ دائماً ملازمة للمؤمن على الدوام، هذا هو الرقي بذاته.

النفس هي المحاسِبة والمحاسَبة.

أبو ستّ نفّوس إذا لم يعطه الله مراده يغضب!!

النفس الأمّارة، أمّارة بالسوء، فإذا كمل صارت أمّارة بالخير، صارت أمّارة بالحسن.

الّذي نفسه تزكّت يعرف نفسه ويعرف ربّه ويعرف المخلوقات أجمع!

إن الله يدلّنا على السعادة، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩].

الشيخ لا يعرف أحداً إلاّ المُزكّى النفس.

الّذي يمدح نفسه قسمان: الأول: يمدح نفسه ليعرّف الجاهل كالأنبياء، والثاني: يمدح نفسه حتى يكون له منزلة عند الناس، وهذا أصعب شيء عندي.

الإنسان قابل للشيء وضدّه. العين قابلة أن تنظر في السماء وتعتبر، وقابلة أن تنظر إلى الحرام.

الله يكلّف النفس، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] عندما يأمرها تأتمر، تصير هي خليفة الله في الأرض.

والصوم والصلاة والحج والأعمال الصالحة كلّها مخلوقة، لنا فقط النيّة، وإذا لم تتطهّر النفس لا توجد نية صالحة، لا يوجد عمل أو أي شيء إلاّ له ثمرّة، وتكون ثمرته خيراً أو شراً.

الإنسان ما يأخذ معه إلاّ ثمرات عمله، لا عمله ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] القضية غير مرتبطة بكثرة الأعمال، القضية مرتبطة بتحقيق الأعمال، أمرنا نأتمر ونهانا ننتهي.

النيّة خلاصة تزكية النفس. «نية المرء خير من عمله»[(١)].

قال عليه الصلاة والسلام: «اللهمّ اهدني لأحسن الأخلاق فإنه لا يهدي لأحسنها إلاّ أنت»[(٢)]. وكان ﷺ يقول: «اللهمّ كما حسّنتَ خَلقي فحسّن خُلُقي..»[(٣)]. الكمالات كلّها أخِذت من رسول الله ﷺ «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر..»[(٤)]. الأخلاق بكاملها منه ثمّ تفرّقت على الناس، وقال الله جلّ جلاله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ [القلم: ٤].

المكارم موجودة في الأمم السابقة، أما تمامها فغير موجود إلاّ في رسول الله من حيث كونه خاتم النبيّين ﷺ. الجمع الّذي جمعه سيّدنا محمّد ﷺ ما وُجد مع نبي قبله قط أبداً، وفي رواية:

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي ٥/ ٣٤٣. برقم (٦٨٦٠) بلفظ «نية المؤمن أبلغ من عمله».
(٢) جزء من حديث أخرجه الإمام مسلم ١/ ٥٣٥ برقم (٧٧١) وتمامه: «اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت».
(٣) صحيح ابن حبان ٣/ ٢٣٩ برقم (٩٥٩).
(٤) كشف الخفاء ١/ ٣١١ برقم (٨٢٧).

«إنما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق»(١). وهذه في بعض الأفراد، دائماً متّبعون الرسول الأعظم ﷺ في الأقوال والأفعال والأحوال والأخلاق.

هم القادة هم الورثة بعده ﷺ قالت سيّدتنا عائشة رضي الله عنها: «كان خُلُقُه القرآن»(٢).

كما أن معاني القرآن لا تتناهى كذلك أوصافه الجميلة الدّالة على خُلقهِ العظيم لا تتناهى، لأن ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمٰن: ٢٩]، وهو كل ما يظهر من الحضرة الإلهية يظهر على سيّدنا محمّد عبده، وفي كل حالة من أحواله ﷺ يتجدد له من مكارم الأخلاق ومحاسن السير وما يفيض الله به عليه من علوم ومعارف ما لا يعلمه إلاّ الله؛ لأن التجليات الإلهية لا تنقطع، هناك أشار الحق ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: ١٥]. ما استطاع أن يقوم بها إلاّ من يريده أن يكون خليفة له سبحانه وتعالى، من يقدر عليها؟ يقدر عليها الّذي دائماً يتخلق بِخُلقٍ جديد ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمٰن: ٢٩] كل نفس من أنفاسه غير الآخر.. هذه لا يعلمها إلاّ الأفراد، إشارة من الآية القرآنية، فإذن التعرض بحصر جزئيات أخلاقه الجميلة تعرُّضٌ لما ليس من مقدور الإنسان، الرسول ﷺ مخلوق عبد وسيّد العبيد، كان مجبولاً على الأخلاق الكريمة في أصل خلقته الزكية النقية، لم يحصل له ذلك بمجاهدة ورياضة نفس، بل «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر»(٣).

---

(١) المستدرك على الصحيحين ١٠/ ١٩١ برقم (٢٠٥٧١).
(٢) مسند الإمام أحمد ابن حنبل ٦/ ١٦٣ برقم (٢٥٣٤١).
(٣) كشف الخفاء ١/ ٣١١ برقم (٨٢٧).

٩ - المحبة والاتباع

قال رضي الله عنه:

اعلم أن الحب لله تعالى ولرسوله وللمؤمنين هو الغاية القصوى والذروة العليا من المقامات والدرجات، فما بعد إدراك المحبة مقام إلّا وهو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها، ولا قبل المحبة مقام إلّا هو مقدّمة من مقدماتها، وقد ورد في الكتاب والسنّة وإجماع الأمة أن الحب لله ولرسوله فرض وكيف يفرض ما لا وجود له؟

ويدلّ على إثبات الحب لله تعالى قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٧]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤].

وقد جعل رسول الله ﷺ الحب شرطاً في الإيمان، حين سأله الصحابي فقال: يا رسول الله ما الإيمان؟

قال عليه الصلاة والسلام: «**أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما**»(١). وقال أيضاً: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما**»(٢)، وقال أيضاً: «**لا يؤمن العبد حتى أكون أحبَّ إليه من**

(١) أخرجه البخاري (١/ ١٤) برقم: (١٦).
(٢) مسند أحمد (٣/ ٢٠٧) برقم: (١٣١٧٤).

أهله ونفسه وماله والناس أجمعين»(١). وقال أيضاً: «**أحبوا الله لما يغذوكم به من النعم، وأحبّوني لحب الله إياي**»(٢).

وجاء في دعائه ﷺ: «**اللهمّ ارزقني حبك، واجعل حبك أحبَّ إليّ من الماء البارد**»(٣).

وقال أيضاً: «**المرء مع من أحب**»(٤).

جاء قساوسة إلى الرسول ﷺ قالوا له: أأنت تحبّ الله فقط؟ كلنا نحبه! فأنزل الله سبحانه وتعالى الآية: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] فانهزموا وهربوا!

والّذي يدّعي المحبة الآن عليه أن يتّبع الرسول ﷺ. وأول علامة للاتباع: أن يقدّم حبه للرسول ﷺ على حب أمّه وأبيه وزوجته وماله والناس أجمعين، هذا هو التابع الحقيقي، ويغلب عليه الحياء والأدب دائماً، ثمّ العلامة العظمى: أن تأتيه نتيجة الاتباع العلوم والفهوم ولو كان أميّاً، وليس من شروطها أن يكون عالماً أو يقرأ ويكتب، سيّدنا محمّد ﷺ كان أميّاً، دعنا من العلم الظاهري وإنما العلم الثاني: علم التقوى ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وهذا المحب دائماً بالتقوى أي دائماً بالمحاسبة، التقوى هي المحاسبة، يأتمر بما أمره الله وينتهي عمّا نهاه الله، دائماً بالرقي الدائم لكنه مُبْتلى، الابتلاءات هي التي تطهّر الإنسان، وزيادة

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٦٧) برقم: (٤٤).
(٢) المستدرك على الصحيحين: (٣/ ١٦٢).
(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٢٢) برقم: (٣٤٩٠) بلفظ مقارب.
(٤) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٣٤) برقم: (٢٦٤٠).

الإيمان لا تأتي بالأعمال فقط لا تكون إلّا بالابتلاءات، الابتلاء للترقية وللتعريف بالنفس، يُشهِدكُم أنّكم عبيد عاجزون فقراء ضعفاء، حتى يرقيكم إذا صبرتم أو رضيتم، لا يوجد حاكم في الوجود غير الله ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤]. والدنيا دار ابتلاء من أولها إلى آخرها، إذا أحب الله عبداً طهره بالابتلاءات، وهذه سيّدتنا عائشة ابتلاها بالإفك.

علامات المحبة:

والصادق لا أحد عنده في الوجود إلّا المتبوع ﷺ، لا بدّ من الامتحانات لأن المدّعين كثيرون، وكل مدّعٍ مفضوح، والابتلاء روح الدين، لا يُعطى إلّا لأحباب الله، ولا يوجد أكبر من نعمة الابتلاء، العلم لا يطهِّر، والعمل لا يطهِّر؛ لأنّهما لا يصيبان النفس، الّذي يصيب النفس هو الابتلاءات، يتكلّمون عليه بالغيبة وبالإفك وبالبهتان.. التابع الصادق أمامه رسول الله ﷺ؛ ابتلي بالابتلاءات العظيمة وكُسِرَتْ رباعيته ﷺ وصار به ما صار ﷺ وإذا قال أحد إنه محب ومتبع للرسول ﷺ، لكن ما جاءه شيء من الفهم والذوق هذا لا نظنّه تابعاً، لا تؤاخذنا كذاب قطعاً! غير الصادق عنده تخيّلات وعقليات، ليس له ارتباط معنا أبداً؛ لأنّه يعمل لنفسه حسب هواه والّذي يريده هو، خصوصاً إذا كان عقله صغيراً، أما التابع الصادق فيحاسب نفسه بالقول والفعل دائماً، ولا يكذب ولا يعمل مخالفة، وإنما يعمل بما عمل متبوعه وهو سيّدنا محمّد ﷺ، وإذا ادّعى الإنسان أنه يحب رسول الله ﷺ فشرط أساسي أن يتّبعه.

وكلمة الاتباع ليست لفظة باللسان، لا بدّ أن يسري من المتبوع إلى

التابع سرّ الشيخ، يسري إليك كلّه عن طريق المحبة والاتباع، يصير في قلبك بدون شعور منك، والسير في الطريق بالنفَس، الّذي سرى من الشيخ إلى المريد، هو الّذي ينفعه يلطّف ويؤدّب ويقرّب، والمربي الحقيقي هو المحبوب، مربي المحب في حركاته وسكناته، وأعلى ما يربيه بإعراضه! يحرق كل شيء حتى يرجع إلى التركيب الأصلي، نحن رأينا سيّدنا الصديق والصحابة منهم سيّدنا ثوبان، كانوا يتّبعون الرسول ﷺ وصار عندهم شيء من رسول الله ﷺ وهذا الّذي نريده، لا بدّ أن نمشي كأصحاب رسول الله ﷺ هكذا نسير، ترك الصحابة أهلهم وأولادهم وأموالهم واتبعوا الرسول ﷺ على الجوع وعلى ضرب السيف يبقون اليوم واليومين والثلاثة بدون طعام! تركوا الأهل والأكل واللبس، كان أحدهم لا يفكر ولا ينظر إلّا بتنفيذ أوامر رسول الله ﷺ فنجحوا! ونحن إذا لم نمشِ هذا الممشى فلا فائدة! أصحاب رسول الله ما عندهم نفاق يحبّون ويحترمون بعضهم بعضاً، وإذا بعدوا عن رسول الله ﷺ يقول أحدهم للآخر: «تعالوا نؤمن ساعة»[(١)]. كأنهم يظنّون حالهم إذا بعدوا عنه ﷺ كأنّهم كفروا! وهذا حق.. وحينما توفي رسول الله يقول صغار الصحابة رضي الله عنهم: قبل أن ننفض أيدينا من التراب فقدنا قلوبنا. وصدقوا والله؛ لأن الشمس كانت طالعة والوحي ينزل عليهم وفقدوا رسول الله ﷺ من هنا سيّدنا عمر سحب السيف وقال: الّذي يقول محمّد مات أقطع رأسه.!

والاتباع أنواع: اتباع الرسول ﷺ في الأركان والفروض والسنن وما شابه ذلك، وعلى الخصوص إذا كانت سنةٌ ميّتة أحياها، هذا دليل أنه

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ١٧٠) برقم: (٣٠٤٢٦).

محب لرسول الله ﷺ. أساس الأساس أن نسير السير الّذي سار عليه سيّدنا محمّد ﷺ، والقانون أمامنا هو القرآن ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨]. النصر لسيّدنا محمّد ﷺ كان من عند الله لمّا أمره الله ائتمر ونهاه الله فانتهى، وكذلك الصحابة ﵃ أمرهم رسول الله ﷺ فائتمروا وما سألوا.. لا بدّ أن ننظر إلى سيّدنا محمّد ﷺ أنه رسول الله، والحق يقول عنه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣، ٤]، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر: ٧]. فلا يوجد أتمّ وأكمل من رسول الله ﷺ في الشجاعة هو الأول، بل الشجاعة عنه تؤخذ، والكرم والنزاهة وهكذا.. وكان يقول: «**أنا وأتقياء أمتي برآء من التكلف**»(١).

الرسول ﷺ إذا عرفنا أن الّذي اصطفاه هو الله، والّذي اجتباه هو الله، والّذي اختاره هو الله يسهل الأمر علينا جداً، الرسول ﷺ ما مات الموت الّذي نعرفه، وإنّما انتقل انتقالاً، أهل الله الكمّل موتهم عبارة عن انتقال من عالم ضيِّق إلى عالم واسع لطيف نور ورحمة، وسيّدنا محمّد ﷺ هو سيّدهم لا شكّ ولا ريب.

نحن بحاجة إلى مرجع نأخذ عن حاله لا عن قاله، وسيّدنا محمّد ﷺ يمدنا على الدوام، والمدد دائماً لا ينقطع لا صيفاً ولا شتاءً، لا ليلاً ولا نهاراً، ولا ساعة من الساعات، أهل اللطافة يدركون ذلك، والوارث يرث كل ما عند رسول الله ﷺ صغيرة وكبيرة إلّا رسالة التشريع لا حظ له فيها

(١) كشف الخفاء: (١/ ٢٣٧) بلفظ مقارب.

﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣]. كل شيء حركاته وسكناته وكلامه ومراداته. .كلّها عند الوارث لا يذهب منها كثير أو قليل، نعني بالوارث الكامل مراد الحضرة الإلٰهية، الوارث المحمّدي الّذي عنده كل شيء، لكنه عبد لا تظنّوه إلٰهاً! لا والله ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] ما مع الله أحد، انفرد وحده بالوجود؛ لذلك فالعبادة لا تليق لاثنين لا تليق إلّا لواحد، قل للوارث: اكذب وخذ الدنيا! لا يقدر، قل له: اعمل خيانة! لا يقدر، اعمل أقل من القليل ما عنده استعداد؛ لأن نفسه كملت، لا يمكن أن يتكلّم إلّا بالميراث المحمّدي، ولا شيء عنده سدى أو عبثاً، والوارث المحمّدي هو الشيخ الحق، هو الشجاع، هو الكريم، هو النزيه. . هو يزين الإيمان، والعلم عنه يخرج، والإيمان عنه يخرج، والإحسان عنه يخرج، عن الشخصية الكاملة التي فيها الإمارة وفيها السيادة، لمّا نأتي إليه يغذّي شخصيتنا.

وتابع المرجع الصادق لا أحد يقدر أن يحكم عليه لا في السماء ولا في الأرض، كلّهم يهابون الحضرة الإلٰهية منه، ولا يوجد شيء اسمه صعب في الوجود!

الرسول ﷺ أموره كلّها على بيان، ليس شخصاً عادياً «**أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر**»(١) وكان ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وهذه الجمعية التي وجدت في الرسول ﷺ ما وجدت في غيره أبداً، والحق من هنا لما يقسم يميناً ﴿فَوَرَبِّكَ﴾ ربِّ محمّد ﴿لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٣﴾

(١) كشف الخفاء (١/ ٣١١) برقم: (٨٢٧).

[الحجر: ٩٢-٩٣]. سيّدنا محمّد ﷺ تؤخذ عنه كل المراتب، والحق عزّ وجلّ يقول: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] والله ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمٰن: ٢٩] لا وقوف يعني كل نفَس، هذه يعرفها أهل الله، أهل الصفاء، الّذين يأكلون الحلال ولا يأكلون حراماً، لا يغتابون ولا ينمّون، مخيلتهم طاهرة نزيهة، دائماً بالرقي، والإنسان يشهد الحضرة الإلٰهية بنور البصيرة بنور القلب، هذا لا تقدر أن تمسكه، هذا معنىً من معاني الله، يدرك الغيب، يدرك الحضرة الإلٰهية، يدرك الرسول ﷺ، يرى الجن في المجلس، ويرى الملائكة، أهل نور البصيرة يدخلون بالعبدية ولهم علامتان قويتان: السعة والرحمة ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]. هذا للتابع المحمّدي كائناً من يكون بعيداً أو قريباً، وصاحب الاتباع الحقيقي من حين ما خُلق شخصيته كبيرة تحبّ الرسول ﷺ وتحبّ الشخصيات الكاملة في الوجود، وتحبّ كل شيء اسمه كامل وتقدّره شخصيته الكاملة، هذا مظهر وهذا ذاتي وهذا هو الرئيس والمرجع، لا يكون مرجعاً حقيقياً إلّا أن يكون عبدياً ذاتياً صاحب هيمنة في الوجود يحفظ المجلس، الرسول ﷺ حينما يجلس فمن سيّدنا الصديق فما دون كأن على رؤوسهم الطير خوفاً وحرمةً وتعظيماً وأدباً لما يشهدون من الرسول ﷺ. عرفوه بذاتهم رضي الله عنهم، هؤلاء ليسوا بحاجة إلى مجاهدات، لهم علامات: حينما يذكرون الله لا ينقطع عنهم المذكور بتاتاً، يشهدون المذكور قبل الذكر، هؤلاء عبديون ذاتيون هم مرجع الناس هم الأقوياء هم الّذين يعرفون الرسول ﷺ وكل ذاتي مجانس لرسول الله ﷺ، والحق عزّ وجلّ رسم لسيّدنا محمّد خريطة قال له اظهر فيها للمخلوقات. . وكان وحده مؤمناً ما معه ثانٍ،

بعدها صار سيّدنا أبو بكر وسيّدنا علي وصاروا عشرة.. خمسة عشر.. عشرين.. أربعين.. بقوا مدّة طويلة، إلى أن فتحوا البلاد ودوّخوا العباد وسادوا الناس بحق، وكل هذا والرسول ﷺ لا يتكلف، ينزل إلى الحرب بأمر الله، ولا يبالي ينتصر أو لا ينتصر، عليه أن يأخذ بالسبب ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٢٦] النصر لا يكون من عند البشر، نعم علينا ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمّد: ٧] أمرنا فلا بدّ أن نأتمر ونهانا لا بدّ أن ننتهي، يعني نوافق الحضرة الإلٰهية، ونحن كلنا عبيد صغيراً وكبيراً ﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [لقمان: ١١] فسعداء وأشقياء ليس من عند الله، أمرنا ونهانا بأمر واحد ونهي واحد، أمر سيّدنا محمّداً ﷺ وأمر إبليس، سيّدنا محمّد ﷺ ائتمر وإبليس لم يأتمر أبى ولم يرضَ! ونحن كذلك نسير على قدم سيّدنا محمّد ﷺ، لمّا أمره الله ائتمر وكذلك نحن نأتمر، لا تظنّوا النصر بكثرة العَدد والعُدد هذا غلط، إذا قلنا النصر بالعَدد والعُدد فهذه غزوة حنين، المؤمنون فيها اثنا عشر ألفاً والكفّار أربعة آلاف وكانت الغلبة للكفار؛ لأن المؤمنين أعجبتهم الكثرة، قاسوا على غزوة بدر كانوا فيها ثلاثمائة وثلاثة عشر شخصاً، والكفّار ألف شخص مدججين بالسلاح ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]. الصحابة صدقوا مع رسول الله ﷺ، والدليل في ذلك تركوا أهلهم وأموالهم وراحتهم وكل شيء غالٍ، ولحقوا رسول الله ﷺ على الجوع وضرب السيف.

الإنسان أولى وأحق أن يشتاق إلى رسول الله من حنين الجذع إليه، يشتاق إلى رسول الله ﷺ وعلامته: هو الإقبال إليه، إذا أقبل الإنسان إلى الله أو إلى رسول الله أو إلى أهل الله هذا الإقبال يعرّفكم بالله «**إن لربكم في**

أيام الدهر نفحات فتعرَّضوا لها»(١) التعرُّض عند أهله، عند أوليائه، عند أصحابه، كلنا نتوصل برسول الله ﷺ إلى الله، وبمشايخنا إلى رسول الله ﷺ، وهذا هو المراد.

السير مربوط بالصدق:

الطريق لمن صدق لا لمن سبق.. الدين والسير ليس له دخل بالقديم والأخير، إذا كان من أول يوم يحاسب نفسه على الصغيرة والكبيرة هذا لا يقف أمامه شيء لا زمان ولا مكان! أهل السير دائماً بالمحاسبة، والّذي لا يحاسب نفسه ويخالط ويمزح ويتكلّم.. باقٍ بأرضه! رجع مثل ما جاء، أمّا إن كان ينتسب للسير ويكذب، ولمّا يكون في البيت أو في الطريق غير ما يكون بين يدي المرجع.. ويرى لنفسه وجوداً؛ لا نقول عنه مقطوع لكن ما شمّ رائحة! العلامة الحقيقية التي ظهرت للرسل والعارفين لا يأمنون لأنفسهم ولا لحظة، نحن نقول كلّه بتوفيق الله، نشهد فضل الله علينا.

الصادق أول ما يحاسب سمعه وبصره ولسانه ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء: ٣٦]. إذا وصل إلى هنا يحاسب رجليه ويديه ماذا عمل بهما، بعدها يحاسب مخيلته ثمّ خواطره، ثمّ يحاسب كل شيء، الّذي يجيء به يرجع به لا يزيد ذرّة ولا ينقص ذرّة، والّذي جاء للفائدة ينفتح له طريق بين القلبين(٢)، تنكشف له الحقيقة، وعلامته يحب الاتباع؛ لأن القرآن ظاهر حكيم ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾ [الأنعام:

(١) المعجم الأوسط (٣/١٨) برقم: (٢٨٥٦).
(٢) أي قلب الشيخ وقلب المريد.

٣٨]. كل شيء يخطر لك في الدنيا والآخرة موجود في القرآن! لكن هذا الإنسان أهل نور، والمحاسبة قائمة، المحاسبة الصحيحة على السمع والبصر واللسان وعلى كل شيء، إلى أن يصير كلّه ميزاناً، عندها يدرك ذوقاً ويزداد اتباعه للمرجع أو للرسول ﷺ حسب ما يكون هذا الإنسان إذ يصير اتفاق الصفات، لا يعرف الفضل من الناس إلّا ذووه، صار عنده فضل صار صادقاً نزيهاً أميناً عفيفاً صارت صفات الرسول ﷺ إليه، انفتحت الطرق بمقدار هذا الإنسان التابع، الطرق مثل الساقية أو الأنبوب تماماً، تسقي بمقدار انفتاح الأنبوب أي بمقدار احترامك وتعظيمك وصدقك وتصديقك برسول الله ﷺ أو المرجع، والرسول ﷺ له ثلاثمائة وستون صفة تأتيك الصفات صفة بعد صفة، وقد تكون كلّها في آن واحد! أو عشر صفات أو عشرون صفة أو أكثر أو أقل ترجع لقوّة الشخص التابع، أما الأكابر فتنفتح ثلاثمائة وستون صفة كلّها في آن واحد وإذا به يتخلق بأخلاق رسول الله ﷺ بكل الصفات الكاملة، قل له تعال اكذب أو اعمل محرمات؛ لا طاقة له.

الصدق يعطي الكمالات من المرجع ويأخذ الإنسان على قدر صدقه، والإنسان يستفيد من رغبته... والآن ما صار شيء! توبوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] توبوا من الآن مهما كان عمركم ومهما كنتم عاملين ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ﴾ [التوبة: ١١٨]. لا تنظروا إلى المدنية الجرباء، العاقل لا ينظر إلّا إلى الأعلى منه هذا هو الصادق، والحق هو المعطي، وليس بكثرة العمل وإنما بالصدق، ورأس مالنا هو الصفاء، الصفاء والغضب لا يجتمعان، الإنسان الصادق الصافي يفهم الدين ذوقاً من ذاته

يفهم الوجود كلّه ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍۚ﴾ [الأنعام: ٣٨] ذوقاً ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ [الزمر: ٢٢] على فهم وذوق وعلى حقيقة، إذا سألتموه يجيبكم من ذاته لا من الكتب لا من القيل والقال، الإيمان لا يؤخذ من الكتب، والمحبة لا تؤخذ من الكتب، والاتباع لا يؤخذ من الكتب إنما يؤخذ من الصدق، من صدق الطلب، إذا كان عندك صدق طلب فبمدّة قليلة لا تشعر إلّا وصارت عندك معرفة، الزمان والمكان لا يحكمان على الصدق، الصدق هو الحاكم على العموم، لله خواص في الأزمنة والأمكنة والأشخاص، الشخصية هي الحاكمة على الزمان والمكان، بعدها يشهد الزمان والمكان ليس لهما وجود حقيقي له حكم فقط، الشمس ها هي تطلع على الفاجر والصادق، والقمر كذلك.. والليل هذا هو، والنهار هذا هو، والجهال ها هم، والصادقون على ما هم عليه، إذنْ يرجع هو إلى نفسه، ماذا أمره المرجع ليس عنده كلمة (لا) إذا صار عنده شك فلا اتصال عنده يعني أنه مقطوع، كل إنسان يُقبل على نفسه، صاحب الشك ما عنده اتصال أبداً، الشيطان معبىءٌ رأسَه إلى قدمه! الشيطان لا يدخل على الإنسان إلّا من ضعفه وأضعف ما يكون الإنسان إذا كان عنده شك.

في الزمان الّذي انقضى من العمر كنتم في طريق الشيطان؛ فَسدّوه، لا تقعدوا في محل فيه مخالفة للشريعة والإنسانية، محل الكذّابين، وأهل الغيبة والنميمة. لا تقعدوا في مثل هذه المحلات لا يجوز، العاقل لا يقعد ولا يجلس في محل من هذه المحلات كائناً فيه من يكون كبيراً أو صغيراً، الكبير يوصلنا إلى الله، الكبير إذا نظرنا إليه يجذب قلوبنا هذا هو الكبير.

التابع المحمّدي يقتدي بسيّدنا محمّد ﷺ لا يلتفت إلى المدنية، المدنية ما فيها شيء اسمه شيء حسن، كلّها سيئة، وعندهم قاعدتان (ركنان): لا حرام، ولا عيب! المنكر معروف، والمعروف منكر.

والّذي يتوب ويحب أن يتبع الرسول ﷺ ما عنده استعداد للرسول ﷺ إلّا عن طريق شخص آخر وارث الرسول ﷺ حتى نتبعه نتعلق به تعلُّق المقطورة بالقطار، النور الّذي عند الوارث هو نور المعرفة الإلٰهية، أعطاهم يخدمون البشر، يخدمون الكافر حتى يردوه للإسلام، ويخدمون الفاسق حتى يردوه إلى الصلاح، ويخدمون العالم حتى يجعلوه عارفاً بالله، ويخدمون الكبير والصغير، ولكن من باب خاص ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ﴾ [البقرة: ١٨٩]. العالم إذا ما كان عنده مرجع مرجعه الشيطان، والعابد إذا ما كان عنده مرجع مرجعه الشيطان يتصرف فيه كما يريد! والّذي عنده مرجع لا يعمل أي عمل يخالف محبوبه، أيدّعي أحد المحبة ويعمل مخالفة؟ هذا لا يكون أبداً، يشتهي أن يحب ليس أكثر من ذلك، شهواني أبو الميل أبو الهوى! لكن لا نعطيه لقب (المحب) هذا اللقب لا نعطيه لأي كان، الحب لا يُعطَى لكل واحد، لا يُعطَى إلّا للمحبوب لله تعالى، المحب حقيقةً هو ظل المحبوب، هذا هو الحب الحقيقي، إذنْ الاتباع مُطهّر النفس، مطهّرٌ للقلب يصير التابع لا يحب إلّا متبوعه، التابع حقاً لا يحب أن يتكلّم مع أحد، إذا صار يتكلّم مع زيد وعمرو فليس هو على شيء، التابع ينعزل عن الناس ويأتي إلى أهل الله وهو من ذاته لا يخالط ولا يتكلّم؛ يُعبَّأ من النور، الّذي يخالط ويتكلّم هذا يفرّط بالنور، نتكلّم عن الاتباع الحقيقي وليس عن الاتباع الصوري، هذا ليس له نتيجة ولا

ثمرة، النتيجة تأتي من المتبوع وليس منكم أنتم، ومتى تأتي من المتبوع؟ إذا اتبعتموه بكلامه وأحواله وسكناته وبحركاته وبأفعاله، حتى إذا رآكم أجنبي غريب يراكم كصورة المرجع تماماً!

العبادات تعطي ثواباً لا تعطي ذوقاً، أهل الذوق يأخذون عن المتبوع، يعتقدون أنه كامل فيتبعونه في كل شيء.

سيّدنا محمّد ﷺ حي في قبره، هذه يعرفها أهل القلب الحيّ الّذي قال عنه الحق: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]. والّذي يقول عن الرسول أنه مات[١] مثل بعض الجماعات هؤلاء أموات القلب لا قلب عندهم ولا يفهمون القلب ولا ذاقوا القلب ولا يفهمون غير النفس، القلب مهجور عندهم لا يعرفونه ولا يدركونه! سيّدنا محمّد ﷺ حيّ، وليس سيّدنا محمّد ﷺ فقط! بل كل أحباب الله الكمّل أحياء في قبورهم، رأيناهم يأتوننا ويزوروننا، وعلى الخصوص يحضرونه عندما تطلع روحه.

الشيخ فخر الدين الرازي هذا سلطان العلماء ما رأيت عالماً مثلَه حقيقياً يفسر القرآن تحقيقاً كان في زمن الشيخ الأكبر، فدخل عليه تلميذه يوماً فوجده يبكي! قال له: ما يبكي الشيخ؟ قال: أنا على مسألة منذ خمس وعشرين سنة والآن تبين لي بطلانها! فراح التلميذ للشيخ الأكبر وأخبره

---

(١) لا يعني نفي الموت المذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر ٣٠] ولا يعني حياة الأكل والشرب، بل الحياة التي قال عنها رسول الله ﷺ: (**الأنبياء أحياء في قبورهم يصلّون**). مجمع الزوائد (٨/ ٢١١)، وقوله ﷺ: (**مررت على موسى قائماً في قبره يصلّي**) أخرجه مسلم (٤/ ١٨٤٥) رقم (٢٣٧٥)، وقوله ﷺ: (**ما من أحد يسلم علي إلا ردّ الله علي روحي حتى أردّ عليه السلام**) سنن أبي داود (١/ ٦٢٢) رقم (٢٠٤١).

بقصة الشيخ الرازي. فقال له: اذهب قل له: لعل الثانية مثل الأولى، لا بدّ لك من شيخ عارف بالله يعرّفك بنفسك وربِّك! فرجع التلميذ إليه وقال له قولة الشيخ الأكبر، فحَفِظَها سيّدنا الرازي في باله.. وبعد سنتين جاء بلادَ الشام مرشدٌ كامل هو الشيخ نجم الدين الكردي فركب إليه الشيخ الرازي ومعه ألفا خيالٍ! جاء ودخل عند الشيخ فقال له: مولاي أنا فخر الدين الرازي إذا يمكن أن تأذن لي بالاسم؟ (يعني تعطيني طريقاً). فقال له: جنابك فخر الدين الرازي تريد أن تدخل في الطريق؟ قال: نعم، قال: لا يا شيخي! أنت سلطان العلماء، عالم تُدرِّس وتؤلّف، وهذا الطريق جُعِل للسمكري والفحّام! قال له: مولاي لا تخجلني! قال: إنّ الطريق صعبة وإنّك لا تقدر، قال: مولاي لا تخجلني أقدر! فنادى الشيخ على (الجاويش)[١] قال له: خذه للغرفة، والشيخ نجم الدين لا يسلّكه حتى يسلبه علومه كلّها ليسلّكه كما يريد، هذه لا أحد يفهمها غير أهل الله، والشيخ فخر الدين الرازي صار يصيح من داخل الغرفة: لا أقدر، أريد علمي، أريد علمي! لا أقدر لا أقدر، فجاء إلى الشيخ نجم الدين..قال له: أما قلنا لك إنّك لا تقدر؟ قال: يا سيّدي لا أقدر! قال له الشيخ نجم الدين: أنظارنا عليك يا فخر الدين إن شاء الله! ثمّ رجع فخر الدين الرازي إلى بلاده.

وبعد مدّة إذا بالشيخ نجم الدين في المجلس كأنّه يضرب شيئاً برجله! فرآه تلميذه المقدَّم المقرَّب.. حتى إذا راح الناس قال له: يا مولاي، اليوم رأيت منك شيئاً غريباً! كأنّك تضرب شيئاً؟ من شأنك السكون والتؤدة، قال

---

(١) الجاويش: هو الخادم، وليست عربية بل هي كردية أو فارسية.

الشيخ: أنت رأيتني؟ قال: نعم، قال الشيخ: هذا ولدنا فخر الدين الرازي احتضر وجاءه إبليس! كلّما جاءه بدليل نقضه له إبليس، فخلّصناه منه، وقلعناه عنه! هذه شهادة لفخر الدين الرازي من المرشد الكامل نجم الدين الكردي.. هذا أعتقدهُ وأؤمن به لا شك، ليس ذلك فقط، وحتى عند الموت وفي القبر، إلّا إذا كان متكفلاً به من أحد الأحياء فالحكم للأحياء، افهموها تماماً مهما كان عالياً في زمانه مثل نجم الدين الكردي أو الرفاعي أو الجيلاني رضي الله عنهم إذا وجد من الأحياء من هذا المستوى لا يقدرون أن يقربوا، يجيئون لكن يسلمونه للحي، فإذا كان نظرهم على واحد غير سالك هكذا فكيف لابن السير والسلوك؟ أولياء الله حبهم رأس المال، حبهم عناية من الله، الولي ذخيرتنا، حبهم سعادة، نحب الله ونحب كل من يحب الله، ونحب الرسول، ونحب كل من يحب الرسول ﷺ وكان سيّدنا الرسول يقول: «**اللهمّ أسألك حبك، وحب من يحبك، وحب عمل يقربني إلى حبك**»(١). إذا كان الرسول يقول ذلك فنحن مأمورون باتباع الرسول ﷺ. الرسول عندك غيب، والله عندك غيب، من هنا يدخل الشيطان لأن الله والرسول عندك غيب كيف تعرف الله والرسول؟ أما المرجع فتراه بعينيك وتسمع كلامه بأذنيك، إذا كان عندك مرجع لن يدخل عليك الشيطان إلّا إذا كانت عقيدتك بالمرجع ضعيفة.

الولي قلبه غير مولع بالدنيا أو بالآخرة، وإنما برب الدنيا والآخرة والوجود كلّه، كما قال:

---

(١) سنن الترمذي (٥/ ٥٢٢) برقم: (٣٤٩٠).

وما حب الديار شغفن قلبي

ولكن حبُّ من سكن الديارا

المريد لا يجوز له أن يسلّم نفسه لشيخ إلّا أن يمتحنه من الوجوه جميعها، هل هو حبّاب دنيا؟ هل عنده مخالفات ولو خلاف الأولى؟ هل يشرب سيكارة؟ هل عادة من العادات حاكمة عليه..؟ إذا وجد شيئاً من هذا فهو غير صالح للإرشاد.

والتابع الحقيقي ينطق لسانه بعلوم عرفانية لا تكتب بالكتب ولا بالألسن، والميزان عنده دائماً أن يقدّم حب الرسول ﷺ على كل شيء، وهذا سيّدنا عبد الله بن زيد رضي الله عنه قال: يا رسول الله إني أحبك أكثر من نفسي، هذه علامة دالّة، الّذي يقول: أكثر من مالي ومن أبي أو أكثر من والدتي وولدي.. هذا ما دخل مرتبة الحب! فالإنسان لا يوجد شيء أغلى عنده من نفسه، وهذا سيّدنا عبد الله بن زيد من المحبين الصادقين حقيقةً؛ عنده المحبوب مقدَّم على نفسه الغالية، كان في بستانه يوماً وجاء ابنه إليه قال له: يا أبي توفي رسول الله ﷺ، فرفع يديه وقال: أعمِ بصري يا رب حتى لا أرى غير محبوبي! وكفّ من ساعته، هذا من الأنصار، هؤلاء المحبّون الّذين ظهرت عنهم العلوم اللدنية، وهم لا يتكلفون في الاتباع المحمّدي أبداً، إذا وضعتَ مكبرة لتشهد مخيلة المحب لا ترى أباه ولا أمه ولا زوجته ولا أولاده ولا أمواله ولا الناس أجمعين.. والمقياس الحقيقي للحب: هو النفس وليس الأهل ولا يخطرون بباله وليسوا غالين عليه، الغالية عليه نفسه، يلزمه أن يقول: أحب محبوبي أكثر من نفسي، هذا هو الحب الصحيح الّذي يحرق كل مفاسد المحب، المبتدئ يتكلف أول

أمره، وبعدها لا يبقى عنده تكلف أبداً؛ لأن حبه للرسول ﷺ أو لمرجعه أخذ عقله ولبّه بل ما ترك له شيئاً.

ثمّ له علامة أخرى هذه لا يعرفها إلّا أهل السلوك يغار على محبوبه حتى من نفسه، هذا أمر عظيم! لا يريد أي أحد يحبه ما دام هو محباً، بعدها لمّا يتقدم في السير يرى أنه لا يحق لأحد أن يحبه حتى ولا نفسه! لأنّه لما يشهد محبوبه هو الكل في الكل، من هو حتى يكون محباً لمحبوبه؟ هذه المحبة الصادقة، فالقضية كلّها مربوطة بالاتباع، كل الوجود مبني على الاتباع أمرنا نأتمر ولا نسأل، كان مرّة سيّدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مع قافلة قادمة من المدينة، فترك القافلة لجنب وهو على بغلته، ثمّ رجع إليها!، قالوا له: ما هذا يا عبد الله؟ قال: لا أعلم! هكذا رأيت رسول الله ﷺ يعمل تماماً، لا نعلل لا توجد علل، هذا هو التابع الحقيقي، الحق ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] لا تشغلوا عقولكم[1] ولا علومكم المعفنة، أمركم الله فأتمروا ولا تقفوا، ثلاثة آلاف يبعثهم الرسول ﷺ يقاتلون ثلاثمائة ألف في معركة مؤتة، هذا من وراء العقل! وهرب الكفّار وانتصر المسلمون، هذا من صدقهم مع الرسول ﷺ والآن الّذي تريدونه على لسانكم، لا شيء يعجز القدرة الإلٰهية ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]. لا شيء اسمه صعب، الصعب بالنسبة للمخلوق اللهمّ صحيح، أمّا الخالق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة ٢٠] لكن لا تطلبوا المستحيل؛ تريد أن تصير نبياً أو رسولاً! سيقولون عنك مجنوناً!.

---

(١) يعني: لا تجعلوا عقلكم حاكماً على الشرع، يقبل ما يوافقه ويرفض غيره.

تريد أن تصير عارفاً؟ الطريق مفتوح، سِرْ على سير العارفين بالله، تريد أن تصير صدّيقاً؟ الطريق مفتوح، كل ما تريده الطريق مفتوح، كل من سار على الدرب وصل، لا بدّ.. ومَن ألقى في قلبه هذا السير؟ هو الله، لو لم يرده الله لما ألقى في قلبه هذا السير، هذه افهموها أولادي، الناصر هو الله، المولى هو الله، لا يوجد غيره، والقوّة من عنده، لكن ينقصنا الصدق فقط.

أول كل شيء النزاهة والشجاعة والكرم. .أما إذا عمل لحيةً وعمامةً ومعاملاته غير صحيحة، فلا.. هذه ضربة على الإسلام، الإسلام نزيه، الإسلام عزيز، الإسلام ما نزل من أوجهٍ من زمن سيّدنا محمّد ﷺ إلى ما لا نهاية، له رجال يحملونه، الإسلام غير المسلم، الإسلام حاملوه ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾ [الأحزاب: ٢٣] لكن أنت يا مسلم حاسب نفسك في الصغيرة والكبيرة، الّذي عليك تؤدّيه، وإذا لم يكن معك؟. أي عندك تعترف ولا تنكر، اللحية لا تزين الإنسان، هو يزينها، الأرض لا تقدّس، أنت تقدّسها، لو كانت الأرض تقدّس لتقدّس اليهود في بيت المقدس! لا.. الأرض لا تقدّس أحداً، الإنسان هو خليفة الله في الأرض، هو الّذي يقدّس كل شيء، بل خُلق له كل شيء! قال الله تعالى في الحديث القدسي: «**ابن آدم: خلقتُ كل شيء لك فلا تتعب، وخلقتك لأجلي فلا تلعب، فبحقي عليك لا تشتغل بما خلقته لك عمّا خلقتك له**»(١). هذه لا نحفظها حفظاً، بل نفهمها ونسير عليها، لا نحفظها بلساننا فقط، الكرم لا يُحفَظُ حفظاً، الشجاعة لا تُحفَظُ حفظاً.. بل عمل وتطبيق، دين الإسلام

---

(١) فيض القدير: (٢/ ٣٠٥).

جاء من عند الله، من عند المهيمن، القهار، الجبار، الرحمٰن، العالم العليم العلّام، وأمرنا كلّنا صغيراً وكبيراً لأننا كلنا عبيده، كل الوجود عبيد للحضرة الإلٰهية، والله ما معه أحد أبداً، إذا أراد شيئاً فلا أحد معه حتى يتكلّم؛ إذا لم يُنطقه لا ينطق، يسحب السرّ من عندنا نقع على الأرض أمواتاً! ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾. والإسلام أمر معنوي، لا بدّ من رجل يظهر أمام الناس بالإسلام، بكمالات الإسلام، بحقائق الإسلام، بفهم الإسلام، بعزِّ الإسلام، اللهمّ صحيح، الرسول ﷺ كان شجاعاً هذا شجاع، كان كريماً هذا كريم، كان نزيهاً، هذا نزيه، هذا دلَّنا لمّا دخل الإسلام حقيقةً خرج مملوءاً بكمالات الإسلام، دلّنا على الإسلام بكمالات الإسلام، لا تظنّوا الإسلام لحيةً وعمامةً! أنا لا أذم اللحية والعمامة لا والله! وإلّا لما وضعت لحية وعمامة، بل أقول ذلك لأنّهم لا يقومون بحقوقها، وتأتينا الأخبار: فلان كذا وفلان كذا.. هذا أمر واقع، اللهمّ ليس كلّهم، هذا غير صحيح، يوجد مشايخ يملؤون العين، مشايخ رجولة، أما الآخرون عمل عمامة ولحية مسطرةً! ويكذب ويغش ويخون.. يا أولادي الله يرضى عليكم لا تظنّوا الإسلام هكذا، هذا المسلم الكذّاب الخائن، سمّوه المسلم الكذّاب الخائن، لا تسمّوه الإسلام، الإسلام بجهة والمسلم بجهة، الإسلام كلّه عزّ، كلّه هيمنة، كلّه كمالات، كلّه إنسانية.. هذا الّذي وجدناه، ما وجدنا شيئاً في الإسلام ولا ذرّة إلا وهو عالٍ وكامل، لكن هذا المنتمي للإسلام الّذي يناقض الإسلام هو دنيء، يريد أن يصير شيخاً ولا يزال شحاذاً! يريد أن يصير شيخاً وهو حبّاب دنيا، وله نفس وحبّاب نفسه، ويغضب ويقول لمن لا يرضيه من أتباعه: قُم مطرود!

هذا ما وجد في الوجود، الرسول ما طرد أحداً، وحاشا أن يطرد اللهُ أحداً، الشيخ لا يصير شحاذاً، الشيخ يعطي لا يصير شحاذاً، الشيخ كامل، الشيخ دخل في الإسلام، الشيخ دخل في العلم، العلم من صفات الذات الإلٰهية عالم عليم علاّم ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] الشيخ يعدّل المعْوَجّ، هذا الّذي نعرفه عن الشيخ، لا نعرف الشيخ ساقطاً دنيئاً، لا والله، عملها كصنعة لا أكثر من ذلك! نحن نُعزّ العلم ونُعزّ اللحى ونُعزّ العمائم ونُعزّ كل شيء.. هذا من الإسلام أمرنا به الإسلام وبينّاه وحقّقناه قولاً وفعلاً وحالاً.. وهكذا، الدماغ لا يجمع إسلاماً وضعفاً، هذه حقيقة، الإسلام قوي بدليل أنه فتح البلاد ودوّخ العباد وساد الناس بحق، سيّدنا محمّد ﷺ وحده قال له الحق: ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ٨٤] فقط المؤمنين لا الكذّابين ولا أهل اللسان، ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الّذين يعتقدون بقتلهم أنهم ينالون الشهادة العظمى، هؤلاء هم الرجال، وهم غير كثر، دائماً لا يكونون كثراً ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبإ: ١٣] ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [صٓ: ٢٤]. والسيرة النّبوية هي قواعد الإسلام، وكل ما نحن عليه الآن هو من مخالفاتنا للشريعة، غطّوا نساءكم وخذوا النصر! خمس دقائق، ما تتأخرون، ولا دقيقة، بنفَس واحد فقط! ارجعوا إلى الله بالفعل لا بالقول، نريد أن نرجع إلى الله وأنتم على ما أنتم عليه؟ هذا لا يمكن ولا صار، سيّدنا محمّد ﷺ في غزوة أُحُد حين خالفه الصحابة كان ثمرّة المخالفة أن قُتِل عمُّه حمزة وقُتِل مصعب وكثيرٌ من الصحابة ﷺ، والرسول ﷺ بذاته كُسرت رباعيته وشُجّ وجهه الشريف، هو بذاته! فكيف نقول لله: أراضٍ مقدّسة، مهبط

وحي؟! الأراضي المقدّسة إذا زنيتم فيها وكشفتم نساءكم ما فيها شيء يا ديّوثون؟! كيف ترضى يا خائن زوجتك تمشي جنبك كاسية عارية قدّام زيد وعبيد وبكر.. ولمّا يجيء صاحبه يُسلِّم عليها قبله! أهذا هو دين الإسلام؟ هذا ليس دين الإسلام، لا والله هذا ليس دين الإسلام، كلمة حسبي الله ونعم الوكيل ضعها بجيبك! تحتاج إلى عمل إلى تطبيق.. غطّي وارجعي إلى الشريعة وإلّا فالطلاق موجود، أما أن تتخاصم مع أحد وتروح تطلق زوجتك؟ أعوذ بالله! زوجتك تطبخ لك قائمة بشؤون البيت: كيف تطلقها؟ أعوذ بالله! هذا لا يكون، ما وُضع الطلاق لهذا؟ أمّا إذا لم ترجع للشريعة فالطلاق موجود، هنا يبين كونه صادقاً أو غير صادق، من الآن والنصر خذوه من الله سبحانه وتعالى؛ إذا رجعتم يرجع، وإذا ما رجعتم لا يرجع، نساؤكم سافرات متبرجات..ماذا تنتظرون؟ والله أتبرّأ من ابني! أنا ما وجدتُ قرابة لأحد في العالم ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣] لا أبي، لا أخي، لا القرابة!.. هناك رجل له قيمة.. تروح أمّهُ إلى السينما، قلت له: يا أستاذ ما هذا؟ قال: أمي، قلت له: من بيَّن لك مرتبة أمّك؟ قال: الله، قلت له: كيف تخالف الله؟ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق[١] حتى فهم..

لا نرضى! كل شيء إلّا قلّة الشرف، تروح تصافح الرجال وتجالس الرجال، وتمشي مع الرجال..كل شيء نتساهل فيه إلّا هذه القضية لا نتساهل فيها، كل شيء إلّا قلّة الشرف، هو الديّوث يمشّيها بيده، الديّوث لا يشمّ رائحة الجنّة في روايتين: خمسمائة عام، وألف عام. لا يدخل

---

(١) المعجم الأوسط: (٤/ ١٨١) برقم: (٣٩١٧).

الجنّة أحد إلّا أن يكون طيباً ﴿طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]. رُح عند الله وجهك أبيض ليس أسود، سوّدتم وجوه المسلمين يا خائن يا كذاب، أوصيكم إذا كان هناك واحد - كائناً من كان - ديّوثاً لا تسلّموا عليه ولا تقعدوا معه! إيّاكم؛ لئلا تسري العدوى إليكم، الديّوثون النار أولى بهم، هذه من الرحمة الإلٰهية، الناس تظنّ دين الإسلام هذا شكله، كيف ينصركم الحق على ما أنتم عليه؟ كيف؟! إذا زوجتك يا خائن لا تقدر أن تلبسها لباساً شرعياً؟ كيف هذا؟ ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] أين تطيرون؟ أين؟ المسجلة موجودة تسجلّ عليّ وعليكم ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [قٓ: ١٦ - ١٨]. سيّدنا رقيب يكتب الحسنات، وسيّدنا عتيد يكتب السيئات، منّ الله علينا بسيّدنا محمّد ﷺ ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٩] لكن جاء وما اتبعتموه، لماذا لم تتبعوه؟ يا أخي باب التوبة مفتوح، ما نقول لك لا تخطئ: «**كل ابن آدم خطّاء، وخير الخطائين التوّابون**»[(١)] الرجّاعون ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]. أعطانا السمع والبصر حتى نستعملهما في طاعة الله لا بمعصية الله، هل رأيتم عاصياً في الدنيا مبسوطاً؟ أنا أتحدّى كل أفراد الوجود، الكفّار على الإطلاق أبداً لا تستثنوا أحداً، حتى الصالح الّذي يقع منه ذنب ولا يتوب أتحداه أن يجد البسط والسرور، لما يتوب تجيئه النعمة الإلٰهية وهي المحبة الإلٰهية التي

---

(١) سنن الترمذي ٤/ ٦٥٩ برقم: (٢٤٩٩).

هي ضمن التوبة، فتعطيه البسط والسرور، تعطيه راحةً، ونهنئه إذا مات على هذه الحالة، مهما كان عاملاً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. والرسول ﷺ ما جاء عصبيةً، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات: ١٣] المخالف غير مبسوط، اسمه مخالف، انزلوا إلى الشريعة، انزلوا إلى الرحمة الإلٰهية، الحمد لله رب العالمين الحق لمّا تجلّى على العرش عرش العمل والمعاملة تجلّى باسم الرحمٰن، ما تجلّى باسم القهار ولا باسم المنتقم..

تساعدنا الصحبة، نصاحب أهل الله أهل التقوى وأهل المحاسبة، إذا صحبناهم فالطباع سرّاقة تسرق الخير وتسرق الشر، فلا بدّ أن نجلس مع أهل الخير ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] أعطانا الله المحاسبة، أعطانا العقل، والعقل هو سبب سعادتنا، نحسب حين نريد أن نقول هذه الكلمة هل تضر أو تنفع؟ إذا تضر لا نحكيها، وهكذا في أقوالنا وأفعالنا لا نقول إلّا التي تنفع، أو الأنفع؟..حتى نترقى ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٤]. هناك يتطهر ثمّ يعرف الأمور على ما هي عليه، هناك زيّن الوجود، دلّ على الله في حركاته وأفعاله وأقواله وأحواله، دلّ على أن الإسلام دين عز وكرامة وعلم وفهم، دين تحقيق، دين حق.. من عرّفنا بهذا؟ هذا الشخص الّذي تخلّق بالإسلام، عنده لحية كل شعرة تسبِّح تسبيحاً خاصاً، كل شعرة لها احترام وتعظيم خاص من الحضرة الإلٰهية!..لا بدّ أن تكون كل ذرّات الإنسان هكذا، أين نحن؟ ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [النحل: ١٨]. ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾ [الإسراء: ٤٤]. من هم الّذين لا يفقهون تسبيحهم؟

الجهال، لماذا نبقى جهّالاً؟ العارف يفقه، علينا أن نصير عارفين عالمين بالله سبحانه وتعالى عالمين بالأمور المأمورين بها، إذن وجب علينا أن نتمرن على الشريعة، وإذا وجدنا يوماً من الأيام قلبنا غير راضٍ بشيء منها فهذا دلَّ على أنَّ فينا ضعفاً، قلبنا ضعيف ﴿لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ [الحج: ٥٣] وأكبر علامة للمحبة وجدتها في أشد آية في القرآن، وهذه ليست فقط من علامة المحبة بل من علامة الإيمان قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء: ٦٥] هذه أمرها غريب جداً! يوجد ناس يقولون إذا الشريعة بجانبهم يقبلون بالشريعة، وإذا الشريعة ليست بجانبهم لا يقبلون بالشريعة! هذا كُفْرٌ قطعاً فهو كافر، وإذا مات على هذه الحالة لا يدفن في مقابر المسلمين! قدّم شهوة نفسه على اتباع الرسول ﷺ ونحن غذاء حقيقتنا هو اتباع الرسول ﷺ؛ لأن الرسول ﷺ لم يأت بشيء من عنده بل من عند أرحم الراحمين جلّ جلاله، أو رضي بالشريعة لكن قال: لو غير ذلك كان أحسن، كذلك هذا ما نقول عنه إلّا إيمانه ضعيف، لا نقول أكثر من ذلك، أما الآية فصريحة ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ﴾ [النساء: ٦٥] هنا يحكي عن المؤمن لا عن المسلم، المؤمن لا يصح له أن يقبل إلّا بحكم الله، ويحكّم رسول الله ﷺ على نفسه، ويستمر في اتباع الرسول ﷺ أو مرجعه حتى يصير ظلّه ويعرف كل خواطر المرجع، وأدنى محب يعرف ماذا أريد منه! هذا هو التابع، وإذا لم تعرف ما أريد منك فما دخلت مرتبة المحبة، أمر المرجع هو المراد عنده، وإذا خالف ذلك ولو بواحد بالمائة

فليعلم أنه كذاب فَلْيتهِمْ نفسه بأنه كذاب، هذا هو المعيار الحقيقي، اذكر هذه الآية القرآنية لمن يدّعي أنه محب، هي ميزان صحيح في كل شيء وحتى في أمور الدنيا، إذا أراد الإنسان أن يتعلم مهنةً ما عليه أن يتّبع معلمه يفعل كما يعلّمه، تنشأ بينهما محبة. . فهذا يتعلم المهنة، كل الّذي يخطر في بال المرجع يعلمه، يعرفه بدون أن يسأله، التابع هو الّذي يستفيد عقله يكبر، روحه تتلطف، إيمانه يزيد، يصير معه لطف.

نرى في السير واحداً يصل بمدّة قليلة، وآخر يبقى سنين طويلة وهو باقٍ في أرضه، لا رأى ولا ذاق ولا ذرّة، بل أعطته العكس صار يرى نفسه أحسن من غيره! انتكس، رجع إلى الوراء، هذا كذاب. . لماذا بمدّة قصيرة وصل وفهم وعرف وتلطف؟ لأنّه تابع حقيقي للمرجع، والآخر الّذي بقي بأرضه لأنّه تابع لنفسه «**ألاَ إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كلّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلّه، ألاَ وهي القلب**»(١). القلب هو السلطان فإذا صار فيه شيء نقص الإيمان، الإيمان محله القلب، يوجد ناس يقولون القضية بالقلب وليست بالصورة! أي قلب هذا؟ القلب الّذي نشويه؟ قلب الخروف؟ والثور له قلب، والجمل له قلب ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩] غفلوا عن النور الإلٰهي، الحق أعطانا نورين: نور الظاهر، ونور الباطن. والحق اعتبر الثاني نور الباطن نور الغيب قال: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] أي عين البصيرة، هذه التي تدرك الله، هذه التي تفهم الله، هذه

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٨) برقم: (٥٢)، وأخرجه مسلم (٣/ ١٢١٩) برقم: (١٥٩٩).

ترى ليلة القدر، ترى ليلة المولد، ترى الأولياء، ترى الأبدال، ترى الرسول ﷺ وترى الملائكة.. وليست عين البصر، عين البصر يتشارك بها معك الثور والحيوانات كلّها، أما عين البصيرة فعند الإنسان فقط! حتى الجنّي لا يقدر أن يشاركك في كمالها، عنده منها شيء؛ لأنّك صالح لئن تكون خليفة الله في الأرض، وهم غير صالحين لها.

أولادي الأصل القلب؛ لأن القلب فيه الإيمان والمحبة والمعرفة الإلٰهية، لماذا كان في القلب لا بالنفس ولا بالروح؟ لأن القلب ما سلّمه الله لنا أبداً، هذه من النعمة الكبرى «**قلوب الخلائق بين أصبعين من أصابع الرحمٰن يقلِّبها كيف يشاء**»[1]. إذا وجدت في قلبك حرجاً مما قضى رسول الله ﷺ أو الشريعة فافهم أنك مريض! اعمل معاينة عند الطبيب، ليجري لك عملية، كما أن هناك طبيبَ أجسام، فإنه يوجد طبيبُ أرواح، لكل داء دواء في الوجود، قال سيّدنا محمّد ﷺ: «**لكل داء دواء، إلّا اللئيم أعياني**»[2]. الموصّل إليه الصدق.

الصادق في الاتباع المحمّدي لا يقع منه ذنب أبداً، والأدنى منه يقع منه ذنب لكنه يتوب، والأدنى منه يقع منه ذنب ولا يتوب لكن يعرفه ذنباً، فلا يأتيه صفاء حتى يتوب، ولا رابع لهم! اصدق والله تطيب، لا يمكن إلّا ذاك.. من وضع في قلبك الصدق؟ هو الله، والصدق هو اسم الله الأعظم، به نتوصل، النصر حليف الصدق، إن كان صادقاً لا بدّ أن ينصره

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٤٥) برقم: (٢٦٤٥).
(٢) ورد في صحيح مسلم (٤/ ١٧٩٢) برقم: (٢٠٢٤) بلفظ: «**لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله** ﷻ».

الله ولو أُبتُلي، الابتلاء من الكمالات، جرت عادة الله أن لا يبتلي إلّا الصادقين، وغير الصادق لماذا يبتليه؟

التلميذ لا يستفيد من شيخه حتى يستسلم استسلام الأرض لصاحبها، وضع الحقائق في محلها يحتاج إلى قوّة، إعطاء الحق يحتاج إلى قوّة، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحتاج إلى قوّة، نحن ما لنا قوّة ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٦٥]. نشعر بها شعوراً ذوقياً حقيقياً، وهكذا. الرسول ﷺ جاء إماماً لنا ﷺ، يجب أن نتّبعه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ خصَّ المؤمنين ﴿صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]. والرسول ﷺ أمامَنا وإمامُنا وشيخنُا وروحنُا وهو الكل في الكل، والله إن صدقتم ليمشينّ معكم في الطريق، اصدقوا معه فقط؛ لأنّه لطيف، هو لطف اللطف؛ لأنّه عبد اللطيف جلّ جلاله، وكان الرسول ﷺ يحب المؤمنين، حتى الكافرين حريص عليهم! ﴿حَرِيصٌ﴾ على الكفّار ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: ١٢٨]، الإيمان في كل الكمالات، والوجود قائم على الإيمان، إيمان في كل الكمالات، وليس بعض الكمالات دون بعض مثل ما قال:

توضأ بماء الغيب إن كنت ذا سرٍّ
وقدّم إماماً كنت أنت إمامه
فهذي صلاة العارفين بربّهم
وإلّا تيمم بالصعيد وبالصخرِ
وصلِّ صلاة الفجر في أول العصرِ
فإن كنتَ منهم فانضح البرَّ بالبحرِ

توضأ بماء الغيب: هذا ماء العلم الإلٰهي، ماء الذات، ماء العلم اللّدني أعلى من علم التقوى.

إن كنت ذا سرّ: من أهل العناية.

وإلّا: يعني إن لم تكن من أهل العناية، فمن أهل المجاهدة والرياضة.

تيمم بالصعيد وبالصخر: التيمم: ناس يقولون بالتراب الناعم، وناس يقولون بالصخر.. هذه أمور اجتهادية، التابع إما أن يكون من أهل العناية كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ أهل القلب: هم أهل العناية ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [قٓ: ٣٧] ما عنده ذلك الاستعداد القوي والعناية الكلية، لكن عنده اتباع عنده مجاهدة ورياضة. .ناس كثيرون يتبعون المجاهدة والرياضة هذه أشياء خطيرة جداً! لا بدّ من المرجع، هذه رأيناها، صاحب المجاهدة تكلّمه النّباتات والحيوانات والجمادات، يكلّمه كل شيء! فإذا كان عقله خفيفاً يجن أو يتكلّم بها، مثل هذا رئيس الطريقة النقشبندية في لبنان والشام، كردي جاء يسلّم عليّ في منطقة (سِيرْ) قرب طرابلس لبنان، عمره ثمانون.. خمسة وثمانون سنة، رجل ظاهر عليه القدر والاحترام، قال: يا ولدي أريد أن أحكي لك مسألة، قلت له: تفضل، قال: يوماً من الأيام أنا ماشٍ وإذا نبتةٌ تناديني (يا ذا الفقار!) قلت لها: نعم، قالت: اقطفني أنا فيّ السرّ الفلاني للداء الفلاني.. يا ولدي قطفتها، بمجرد ما أعطيها للمريض يطيب ذلك الداء (هو ذكر اسم الداء).. قال: يا ولدي تكلّمت، ومذ تكلّمت لم أرَ تلك النّبتة أبداً! ويبكي ويبكي.. هو يبكي وأنا أضحك، أردت أن أتكلّم فما تكلّمت؛ لأنّه رجل محترم، أردت أن أقول له: يا شيخ، الله سبحانه وتعالى أطلعك على سرّ نبتة فما تحملته فكيف

يطلعك على شيء أكثر؟ ولكن ما قلت له، قال: يا ولدي، قلت: نعم، قال: الآن ولدي مريض بهذا المرض ولا أرى النّبتة..

الإنسان لا بدّ أن يكون تابعاً للرسول الأعظم ﷺ لأنّه أقوى منّا، يأخذ الأمر عن الله على ما هو عليه، ولا بدّ أن نكون صافين ليس لنا وجود من ذاتنا، وجودنا كلّه بإيجاد الله سبحانه وتعالى، لا نكذب ولا نخون، التابع لا يعمل مخالفة البتّة ولا يخطر له المخالفة أبداً، كأن نفسه نفسُ مرجعه، هذا الّذي يأتي منه الخير، الرسول ﷺ أُرسِل رحمة للعالمين، قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ مالك يوم الحساب ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٢ - ٧] من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وحسُن أولئك رفيقاً، الصراط المستقيم هو الصراط الإلٰهي ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ اليهود؛ لأنّهم يعرفون الرسول ﷺ كما يعرفون أبناءهم، لكن ما آمنوا به ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة: ١٠٩] إيّاكم والحسد، هذه تصير في الأحزاب كل واحد يخدم حزبه! كل الأحزاب كذّابون على الإطلاق، لا يوجد حزب صادق، لا يوجد غير الله وحزب الله هم الأولياء ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢] ﴿هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦] الأحزاب كلّهم كذّابون أصحاب غايات أصحاب أغراض، صاحب الغرض نفسه مريضة، الّذي نفسه طيبة لا يدخل أساساً في حزب من الأحزاب أبداً البتّة الّذي نفسه طيبة يمسك الكتاب يمسك السنّة يتّبع الرسول ﷺ. اتباع الرسول ﷺ رحمة بنا نحن، الله بعث لنا شخصية بارزة كاملة من الوجوه جميعها، ونحن نتّبعها لنتغذى، الرسول ﷺ غذاء نتغذى

به، الّذي نفسه مريضة لا يتغذى به، هذا يحتاج إلى طبيب يزيل منه هذا المرض، الّذي يتغذى به هو صاحب النفس الطيبة الطاهرة، الرسول ﷺ وُلِد على الكمال، وُلِد يحب الحق ويبغض الباطل، أين ما كان يحب الحق، ويبغض الباطل، والحق عَزَّوَجَلَّ أمرنا أن نتّبع هذا السيّد العظيم؛ لأنّه وارث الحضرة الإلٰهية من كل الوجوه، نحن مدّعون في محبتنا لله، لو كنّا صحيحاً نحب الله فلا بدّ أن نتّبع الرسول ﷺ؛ لأن الرسول ﷺ يحب الله، وإذا اتبعناه فالله يُحبّنا، أمّا إذا صُمنا كثيراً وصلّينا كثيراً وكبّرنا اللحية والعمامة لكن نكذب ونخون ومدنية ودياثة.. فغير لائق أن تنتسب إلى الإسلام يا خائن عيب عليك أن تقول أنا مسلم، الإسلام نزيه ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾ [آل عمران: ٨٥] يوجد مَن يكذب ويغتاب وينم ويأكل حراماً ويدخل مداخل لا يرضاها الله، لا.. هذا لا نقبله أبداً، هذا لا يدلّ على الإسلام، لا يدلّ على الإسلام إلّا المتخلقون بالإسلام الّذين دخلوا الإسلام وظهروا بكمالات الإسلام، يدلّون على الإسلام بكمالات الإسلام، وغير هذا خلْط! كيف يكون المسلم جباناً؟ المسلم ضعيفاً؟ المسلم بخيلاً؟ المسلم كذّاباً ديّوثاً ويأكل حراماً..؟ هذا لا يكون، المسلم الصادق لمّا نشاهده يدلّنا بحاله على كمالات الإسلام، لا مانع أن يقع منه مخالفة، لأنه ضعيفٌ فيرجع ويعترف؛ لأجل ذلك أهل الله يقولون: نور المؤمن الفاسق أقوى من نور الشمس بما لا يقاس.! نور المؤمن الّذي لا يناطَح بقرون عجين! سيّدنا آدم لمّا أكل من الشجرة اعتبر أنّه عصى، ما قال: إن الشيطان قاسمهما إني لكما من الناصحين، لا لا لا..ما كابر أمام الله، قال: أنا عصيت! تاب ورجع إلى الله فالحق سبحانه وتعالى قَبِل

توبته لأنّه صادق في قوله وفعله وحاله وإيمانه، صادق ما راوغ، الأنبياء أقوياء إذا وقع منهم شيء قال: عصيت.. رجع ليجبر هذا العصيان ردّه لنفسه لضعفه ورجع إلى الله، للقوي، وطلب من القوي أن يتوب عليه وأن يجبر كسره، هذا هو الإنسان..

يا أخي لا مانع، مراءٍ بالعمل منافق بالعقيدة كذّاب..أقل الدرجات ترجع وتعترف، إذا اعترف الإنسان بالخطيئة تبين أنّ عنده نوراً وميزاناً حتى فهم أن هذا نقص منه أو من غيره يجبره يرجع بالبكاء والذل لله ﷻ ، فالحق يقبل منه «**كلُّ ابن آدم خطّاء، وخير الخطّائين التوّابون**»(١). هذا ليس للأكابر، الأكابر لا يشتهون المخالفة أبداً! الصادق إذا وقع منه شيء يعرف نفسه أخطأ، يتوب ويرجع إلى الله وليس بالمكابرة، ناس كثيرون يجيئون إلى الدرس فقط حتى يقال، أين تطبيق الدرس؟ نحن نأتي للدرس حتى نتخلق بما يقوله الأستاذ، بما يقوله رسول الله ﷺ، بما يقوله الله سبحانه وتعالى، ونعلم يقيناً إذا اتبعناه نصير من الأكابر، لا شك في أنَّ الفهم يأتينا، هذا من اتباعنا للرسول ﷺ اللهمّ صحيح هذا الّذي ورثه لأهل البيت ما أعطاهم شيئاً من عنده ﷺ أبداً إلّا فهماً في كتاب الله وفي كلام رسول الله ﷺ. الفهم لا يأتي لأيٍّ مَن كان، يأتي للشخص الّذي نفسه مزكّاة وقلبه طاهر، هذا يفهم ويطّلع على كل شيء في الوجود يقرؤه كلّه قرآناً تكوينياً لا شك ولا ريب، هذا عنده لطافة وفهم ويشهد ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] حتى تشكوا أمركم إليه وتشكوا ضعفكم إليه، لا بدّ أن نعترف نحن صغار هذا أصلنا، نقرّ ونعترف نحن بحاجة إلى الله وبحاجة إلى رسل الله وبحاجة إلى ورّاث

---

(١) سنن الترمذي (٤/ ٦٥٩) برقم: (٢٤٩٩).

الرسل، إذا قرأنا القرآن والحديث لا نفهم إلّا على مقدارنا، هناك أناس سُئِلوا فأخطأوا الإجابة! قالوا: طالما الكتاب والسنّة بين أيدينا، لسنا بحاجة إلى المرجع، كذبوا ورب الكعبة! هذا من ضعفهم، لا تفهمون إلّا مقدار فهمكم للقرآن والحديث، حتى الكلام الّذي تحكونه لا تفهمون منه إلّا على مقدار فهمكم.. لا يكتفي بهذا بل ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] عندما نجلس بين أيديهم يرقّوننا ينوّروننا يلطّفوننا نعود أقوياء صادقين كرماء إنسانيين، هؤلاء الفتية الصادقون الطالبون لله، يستمدون بمقدار شخصيتهم، الإنسان كلّما كان صدقه أكثر يستمد أكثر، ما فيها شك ولا ريب، يأخذ بمقدار صدقه، والصادق مائة بالمائة دائماً بازدياد يرشح النور منه إلى غيره دائماً هكذا شأنهُ؛ لأنّه يشهد الحضرة الإلٰهية لا فعّال في الوجود لا رسل ولا ملائكة.. إلّا الله، والله قال لحبيبه ﷺ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]. هذه يقولها الله عن الّذين أنتم تلاحقونهم، أما المتوجهون لكم فقال فيهم: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ...﴾. اجلس بين يدي أهل الله أسبوعاً فقط لا يمكن أن يأتيك وهم، إذا جلست جلوساً صادقاً تعطي الصحبة حقها، كثيرون يجلسون بين أيدينا أولياء، يعودون إلى بلادهم ومحلاتهم ويخالطون.. يصيرون شياطين! هؤلاء لا نعتبرهم ولا نعرفهم ولا يهمّوننا، الصادق وهو في بيته وإن لم يأتِ للمرجع بمجرد ما يتوجه إليه يتطهّر؛ لأن الأصل فيه وهو الصدق، نحبهم ونخدمهم ونعتز بخدمتهم؛ لأنّهم صادقون.

الصدق يخرج من الشخصية، صاحب الشخصية البارزة لا يكذب ولا يسرق ولا يغتاب ولا هو ديّوث ولا عنده اعتبار للمدنية.. هذه عرضيات عرضت على الأصل «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه**»[(١)]. لا يوجد أسهل من إزالتها لأنّها لا أصل لها، يجلس الكافر بين يدي الصادق وإذا به أسلم، يجلس الكذّاب بين يدي الصادق وإذا به قد صدق.. وهكذا، اجعلوا أموركم مبنية على الحقيقة والصدق لا على اللسان، يعمل لحية ولفّة ويأكل أموال الناس ويكذب.. أو من ورائكم يسبّون اللحى والعمائم! عمائم الكذّابين ولحاهم، أما الصادقون فلِحاهم وعمائمهم محفوظة لا يسبّها أحد.

الصاحب الصادق:

إذا منّ الله على عبد فأول شيء يرزقه صاحباً صادقاً، والأكمل يرزقه مرجعاً. صاحباً صادقاً وليس صالحاً! الصادق ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيۡهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] العهد الّذي أخذه الله عليه ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ما نفّذه إلّا الصادق، والصادق مُبتَلى والّذي يثبّتكم على الابتلاء هو الصحبة لا يوجد غيرها، وقطبها سيّدنا الصدّيق رضي الله عنه، هل من صاحب غيره في القرآن؟ ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ﴾ [التوبة: ٤٠] صادق بدون شيخ ما وُجِد أبداً، جِد صدقاً تجد مرشداً. يعني هو موجود ينكشف لك عنه، صدقك يكشف لك، الأصل المريد وليس الشيخ، الشيخ موجود. إذا لم يوجد مريد صادق فلا نفع! المدّعون يبغضون الصادقين، والسير: هو قمع النفس

(١) أخرجه البخاري (١/٤٥٦) برقم: (١٢٩٣).

بالابتلاءات، أنا لا يفهم عني إلّا المبُتَلى، الّذي لم يُبْتلَ لا يفهم عني شيئاً، فالإنسان لمّا يصاحب واحداً لا بدّ أن يكون أعلى منه خُلقاً لا خَلْقاً ولا جمالاً ولا مالاً.. خُلُقاً، وقّافاً مع الحق، هذا صحبته تنفعنا جداً، يعطيك النتيجة يفكّ لك العُقَد، ما رأيت أحداً يفك العقد غير أهل الله، أهل الله لهم نور يلقح، نظرهم يلقح، صورة وجههم تُلقِّح، حالهم يُلقح.. لمن عنده قابلية التلقيح، عنده وجهة وطلب، تراه بمدّة قصيرة جداً قد فهم.. يُحكى مرّة أن امرأة في أوروبا وأبوها الملك كافر وهي كافرة والبلاد كلّها كفّار، العارفون بالله يسيحون، يسيرون بروحهم بجسمهم الله أعلم..كأنّه مرّ عارف بالله فرآها ورأته، رجعت إلى البيت لا تعرف ما أصابها شكت لأبيها، صارت ترى هذا البلد لا ينفعها؛ بلد قذر، بلد كفر.. قبل ساعة كانت كافرة، قالت لأبيها: أنا مريضة، صار أبوها يأتيها بالأطباء فما قدر أحد أن يطيّبها.. فعجز أبوها (هذا اسمه داء الحب الإيماني) قال للأطباء: كلُّ طبيب يعالجها وما يطيِّبها أقطع رأسه! فلم يعد يجرؤ أحد أن يجيء..كان هناك رجل قاعد في بلده في سوريّة أو غير سوريّة وإلّا يأتيه النداء: قم واذهب إلى البلد الفلاني!..فقام وراح، ما الحكاية؟ لا يعرف! فلمّا وصل دخل البلد ولكن أين يذهب؟ ما الحكاية؟ أين يدخل؟ وإلّا ولد صغير: عمّي عمّي! إلى أين إلى أين؟ لا تدخل من هنا عمّي لا تدخل! لماذا يا بني؟ ما عندك خبر؟ بنت الملك مريضة، والطبيب الّذي يعالجها ولا يطيّبها يقطع أبوها رأسه!.. فَهِم القضية، قال له: نعم بني أنا حكيم! ذهب إلى أبيها الملك فقال له: أنا جئت أداوي ابنتك، قال له: سأقطع رأسك إن لم تستطع شفاءها! فقد جاءنا غيرك كُثرٌ،

قال له: أولاً اسمح لي أن أدخل عندها قبل كل شيء، قال له: رُح، هي نائمة بالفراش. ولمّا شعرت بدخوله.. دخل النور ورمت حالها من الفراش إليه قالت: أين أنت؟ أين تركتموني في الظلمة وأنتم ببلاد النور بلاد اللطافة بلاد بلاد..؟ وصارت تبكي! ماذا تريدين؟ قالت له: خذني معك! أين آخذك معي؟ أبوك الملك والحرس.. قالت: من جاء بك؟ الّذي جاء بك يأخذني! قال لها: صدقتِ، امشِ قدّامي، أخذها وسحبها ما رآها أحد ولا تكلّم أحد! وصلت لبلادنا وأظهرت إسلامها وصارت ما صارت.! أدركت عندما جاءها النور والإيمان.

حبك لأهل الله عين حبك للأولياء، عين حبك للنبوة، عين حبك للربوبية. القلب لا يسع اثنين ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٤] لنا قلب واحد، وفي القلب حب واحد وهو حب الله، حبنا لرسول الله عين حبنا لله، حبنا لأهل الله عين حبنا لله، حبنا للأولياء عين حبنا لله ﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤] إذا نفيت الولاية نفيت النبوّة نفيت الربوبية!

لا تتشاءموا:

تفاءلوا والله يوقع الأمر كما تتفاءلون! الرسول ﷺ كان يتفاءل ويقع كما يتفاءل، وما تشاءم قط، عند الله ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠]. سيّدنا عمر كان أكبر مشرك، أكبر عدوّ، جاء يقتل الرسول ﷺ ثمّ نتيجته كانت الإسلام، وثاني خليفة في الإسلام! وأنتم لماذا مع الله لا تكونون كذلك؟ ولماذا هذا التشاؤم منكم؟ الله اسمه أرحم الراحمين، ولمّا تجلّى على

العرش - عرش العمل والمعاملة - تجلّى والحمد لله باسم الرحمٰن، ما تجلّى باسم المنتقم ولا القهّار، وإلّا لما ترك أحداً على وجه الأرض البتّة! بقدر ما تقدرون تفاءلوا مع الله، مهما كنتم عاملين، ما ترى إلّا جاءك النور صحّاك رجّعك توّبك عرّفك نزلت الدموع.. وإلّا رفعك الحق للحضرة، والله بلحظة يقلب القلب الأسود إلى الأبيض! أمَا سمعتموها؟..كان هذا رجل حلبي أو غير حلبي أُخِذَ أسيراً إلى بلاد الكفّار، لكن هذا الحاج تقي نقي أمين.. بقي يترقى حتى وصل إلى بيت الملك، الملك رآه فأعجبه، قال له: أنت تكون رقيباً على عائلتي! والبلد كلّه كفار سودان، الملك أسود وابنه أسود.. إلّا هذا الحاج الّذي أُخِذَ أسيراً، يوماً من الأيام كان يتوضأ ويصلي، جاء ابن الملك وهو رايح إلى المدرسة فقال له: حاج ماذا تعمل؟ قال: أتوضأ وأصلي، قال له: علّمني الإسلام! قال له: عليك أن تغتسل، قال له: خذني إلى النهر، قال: لا بدّ أن تأخذ إذناً من والدك، قال له: آخذ إذناً من والدي. فأخذ إذناً ونزل إلى النهر، فعلّمه كيفية الوضوء والاغتسال ليصلي ركعتين سنّة التوبة.. وإذا بأربعة ماشين على الماء! (الولد يصلّي ركعتين سنّة التوبة).. السلام عليكم، قالوا: يا حاج هذا الأسود سنأخذه! قال: أين تأخذونه؟ قالوا: مات أحد الأقطاب وقد طفنا الأرض فما وجدنا أطهر من قلب هذا الولد الأسود!!..قال: لا أسلّمه! قالوا: وكيف لا تسلّمه؟ لعلك تخاف من أبيه؟ قال: نعم، قالوا له: تريد أن تروح إلى بلدك؟ قال: نعم، دفعوه.. فجاء إلى بلده!..مخمّراً. عبدٌ أسودُ كافرٌ يصير قطباً بلحظات؟! والحاج يبكي مدّة بعد عَوْدتِهِ، ثمّ صار يبيع جوزاً ويصيح (يا أسود قلبك أبيض). قالوا:

لماذا تبكي؟ قال لهم: أليس الجوز ظهره أسود وقلبه أبيض؟ قالوا: نعم، ولكن لِمَ تبكي؟ فحكى لهم الحكاية. .افهموا فضل الله، كان كافراً، قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمٰن يقلّبها كيف يشاء(١)، قلَبَ قلْبه وقلَبَ نفسه فهام وصار قطباً بلحظات ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠].

الرسول ﷺ بعثه الله رحمة للعالمين فلا تضيعوها، كل فرد منكم لا بدّ أن يكون عنده كتاب السيرة المحمّدية، سمّعوها لأولادكم لأهلكم حتى يعرفوا الرسول ﷺ والصحابة، الرسول معصوم وبعدما عصمه علّمه وأدّبه وهذّبه، قال عليه الصلاة والسلام: «**أدّبني ربي فأحسن تأديبي**»(٢). الأولياء العارفون بالله يأخذون دائماً من أدب الله الّذي أدّب به رسوله ﷺ لأنّه قائدنا وعارفنا. الآن تنصح واحداً باتباع الرسول ﷺ وتبين له.. يقول: إي والله.. ثاني يوم نزل وراح، ما كان كذاباً في كلامه لكنه انخرط مع الجماعات وانحجب عن محبوبه، رؤية المحبوب غير سهلة، يقول: أحب رسول الله ﷺ ولا يصلي ولا يصوم كيف هذا؟ أحب رسول الله ﷺ وهو ديّوث ويكذب ويخون ويغش..؟

لا مانع ما صليت ولا صمت كذبت وديّوث.. فقط اعرفها خطأً وتُب واعرف حالك مخالفاً وتُب فلا مانع، يقول: الدين في القلب! أي قلب؟ قلب الخروف أم القلب النوراني الّذي فيه الأمر والنهي الّذي اعتبره الحق سبحانه وتعالى، وبه ميّز الإنسان على غيره، بقلبه لأن قلب الإنسان جامع كل شيء.

---

(١) سنن البيهقي (٤/ ٤٤٣) برقم: (٧٨٦١).

(٢) ورد عن ابن مسعود بلفظ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله أدبني فأحسن تأديبي، ثمّ أمرني بمكارم الأخلاق فقال: خذ العفو وامر بالعرف**.. الآية. ينظر: كشف الخفاء (١/ ٧٢).

أتحسبُ أنك جرم صغيرٌ
وفيك انطوى العالم الأكبر[(١)]

يعني العالم الصغير والعالم الكبير موجود في هذا الإنسان قولاً وفعلاً وحالاً.

ما رأيت فلكاً كبيراً إلّا فلك الإنسان، حتى الموجودات العلوية والسفلية مندمجة في فلك الإنسان، وكلّهم يمدهم فلك الإنسان، وفلك الإنسان يستمد من الرحمٰن ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. عندما يتلطف الإنسان وتأتيه المعرفة يشعر أن قلبه ساجد لله ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] هذا الإنسان.

«**إن لله تسعةً وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة**[(٢)] ليس المقصود أحصاها: حفظها، بل تخلّق بها ثمّ تحقق بها، يشهد نفسه عبداً لله، كل واحد ينظر إلى يديه الاثنتين؛ في الشمال واحد وثمانون، وفي اليمين ثمانية عشر، واحد قال: لماذا بالشمال أكثر؟ قلنا له: لأن الشيطان والقلب على الشمال. وكل اسم غير الاسم الآخر والمسمى واحد، اسم الكريم غير القهّار، والقهّار غير الودود، والودود غير الرحمٰن.. وعندما يأتيهِ الظالم يتوجه إليه باسم القهّار أو المنتقم، وعندما يأتيهِ المظلوم يتوجه إليه باسم

(١) ينسب هذا البيت لسيدنا عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه، وقبله:
«دَوَاؤكَ فيكَ وما تَشْعُرُ وداؤكَ منكَ وما تبصرُ..»
انظر مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي لأحمد قبش/ الباب الرابع والعشرون، باب الميم.

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٩٨١) برقم: (٢٥٨٥).

الودود أو الرحيم أو الرؤوف.. أسماء الله هكذا لا يجوز أن تنصبّ كلّها على شخص واحد، هذا من الغلط، الأسماء موزعة يوزعها خليفة الله في الأرض، ويعلم كل اسم كيف يضعه في محله، ولا يجوز أن يضع اسماً في محل اسم آخر، حالة تقتضي الجلال لا الجمال ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ على الكفّار، جاء باسم الحريص اسم جلال ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] المؤمنون بمجرّد ما تجيء لهم بالذكر يأخذون عنك، لكن الآخرين لا بدّ من سيف تبعاً للحال التي هم عليها، وعلى كل حال كان الرسول حريصاً على الكفّار، وأغرب من ذلك الإنسان بذاته يتوجه إليه في كل نفَس اسم من الأسماء غير الآخر! (لـمّا يكون تقياً غير لـمّا يكون عاصياً، ولـمّا يكون معرضاً غير لـمّا يكون متوجهاً) وهكذا.. تسعة وتسعون اسماً من تخلّق وتحقق بها دخل جنَّة الذات الإلٰهية ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمٰن: ٤٦]: جنّة الذات وجنّة الصفات.

الّذي يخاف لا يعمل مخالفة أو غلطة، وإذا وقع منهم يُبدِّل سيئاتهم حسنات، سيّدنا عمر جاء يقتل الرسول ﷺ ووأد ابنته وعبد الصنم وشرب الخمرة وكان الغليظ ويدعى عُميراً.. فلمّا سمع القرآن قال: هذا لا يُقاتَل، هذا جاء بالحق! فآمن برسول الله ﷺ.. لِمَ نرضى الدنية يا إخوان؟ هل يوجد واحد مخالف على وجه الأرض مبسوطاً؟ دلّوني على واحد من كل مخلوقات الله، اسمه مخالف خالف ربّه وهو مبسوط، لِمَ هذه المخالفة؟ لِمَ لا نرجع إلى الله؟ الحمد لله جاءنا البعد عن الله عارضاً، النجس غير المتنجس، المتنجس بمجرد ما نضع عليه الماء يطهر تماماً، وهذه العرضيات التي عرضت علينا تُزال، لا تقدر أنت تزيلها؟ رُح إلى الصادقين، هذه مرتبة

الصادقين يزيلون عنك كل الحمل، يعلّمونك يعرّفونك بوسواسك؛ لأنّهم على بصيرة، يزيلونه بقوّة الله، يعرفون كيف يأتون إلى البيت، يأتون من الباب: امتثال الأوامر واجتناب النواهي، لا يوجد غير الشريعة، كلُّ من دخل منها نجى ونجح وأنجى غيره، أما من عقلك وعلمياتك فلا لا.. إلّا مثل ما قال الله تعالى: ﴿وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ﴾ [البقرة: ١٨٩] صفّوا إناءكم، كونوا نظيفين على الفطرة، قلب الإنسان هو المرآة إذا تنظف لا يبقى فيه عارض أعطاك العقل الّذي هو سبب سعادتك، إذا تشرب خمرة تتلف عقلك؟ لماذا تلبسين قصيراً؟ لماذا تقصين شعرك؟ لماذا تكشفين عن العنق؟ ولماذا أكمامك قصار؟ لماذا تكشفين شعر رأسك وعنقك ووجهك؟ لماذا..؟ تقول كل الناس هكذا! إذا وضع الله كل الناس في جهنم أترضين أن تكوني معهم في جهنم؟ لا لا ترضى.

من جملة الكمالات الجلباب والغطاء، لا أحد يرى شعرك ووجهك ولا شيئاً البتّة، والمرأة تشرب سيكارة؟ الرجل لا يجوز! فكيف المرأة؟ لا تقلّدوا المدنية، كلّ من يقلّد المدنية دنيء لا شكّ في أنه دنيء! الإنسان بمقدار ما يقلّد المدنية ينقص إيمانه، أنتم تقلّدون الأوربيين، والمرأة مقدّمة على الرجل هذا ليس اسمه إنساناً هذا اسمه حيوان! النار أولى به، وهكذا تابع المرأة، والحق عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤] لا تصاهروا ديّوثاً وسخاً. لا تزوِّجوا بناتكم لهؤلاء ولا تربوهنَّ على المدَنِيَة، لا تأخذوهنَّ للقبولات(١) ولا إلى مكان فيه مخالفات، لا تأخذوا

---

(١) من اللهجة الدارجة: يراد بها الحفلات المخالفة للشريعة.

لأبنائكم زوجات مَدَنِيات، الشرف فوق الكل، الّذي ما عنده شرف ما له وجود البتّة! أين راح الشرف والغيرة؟ أين راح الكرم والشجاعة؟ أين راحت الإنسانية؟ أين العمائم تيجان العرب؟ أين راحت اللحية؟ أين الرحمة بالمسلمين؟.. قال: التيّار جارف! قلنا له: صحيح التيار يجرف الخفيف والوسخ، ما جرف التيار يوماً جبلاً من الجبال أبداً، لو أشهد في المدنية ذرّة حسنة لأخذتها، فـ«**الحكمة ضالّة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها**»[(١)]. لكن الحكمة من يراها؟ يراها الحكيم، الحكمة ضالّة المؤمن وليس ضالّة الكافر ولا الفاجر ولا الفاسق، المدنية ليست ضد الإسلام فحسب وإنما ضد الإنسانية أيضاً، كل مدني لا توجد عنده إنسانية، ديننا دين إنسانية ليس لحيةً وعمامةً فقط!

الرسول ﷺ قال: «**خالفوا اليهود**»[(٢)]، «**خالفوا المجوس**»[(٣)]. خالفوا المدنية، كل شيء يفعله أهل المدنية نحن نخالفهم، نحن الله راضٍ عنّا، لكن أهل المدنية لا يرضى الله عنهم، ولا واحد عاقل منهم في الوجود، ويقعون في كل مخالفة بسهولة وبدون حساب، المدنية عارضت الشريعة، عارضت الكامل الصادق المصدوق، عارضت الحكمة الإلٰهية، لا يوجد أوسخ منها في الوجود ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود: ١١٣]. الماشي بالمدنية ظالم، الركون هو الميل القلبي القليل، بمقدار ما تركنون تدخل النار المعنوية إلى قلوبكم فتحرق هذا القلب الحي ويصير قلباً

(١) سنن الترمذي (٥/ ٥١) برقم: (٢٦٨٧).
(٢) صحيح ابن حبان (٥/ ٥٦١) برقم: (٢١٨٦).
(٣) أخرجه مسلم (١/ ٢٢٢) برقم: (٢٦٠).

ميّتاً، يجيء الشيطان يحتله يفعل الّذي يريده، إياكم أن تقلّدوا المدنيين، إياكم أن تقلّدوا العصريين، إياكم أن تقلّدوا الجاهلين، إياكم أن تبتعدوا عن أهل الله، ارجعوا إلى الله ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء: ٨]. لا تأخذوا الإسلام إلّا عن المسلم المتخلق بالإسلام، الّذي هو عين الإسلام، الإسلام ليس له لسان، المسلم أبو اللسان، الإسلام معنى، الإنسان حامل المعنى، الله لا ترونه بعيونكم، لكن ترون المتخلقين بأخلاق الله، لا تتهموا ربكم، لا تتهموا الحكّام، أعمالكم عُمّالكم، ارجعوا إلى الله وأنا الكفيل، لِمَ هذا البعد؟ لا بدّ من أهل الله هؤلاء ناصحون، السير إلى الله لا يمكن أن يكون إلّا بواسطة المرجع الكامل المأذون له من الحضرة الإلٰهية وليس من شيخه، دعه يذهب هو وشيخه، قد يكون كذّاباً هو وشيخه! المرجع لمّا سار وصدق عرف، لا بدّ أن نسلّم له من أجل أن يعرِّفنا بالله، هذا الإنسان، هو الإنساني الّذي يدلّك على الله، هو يدلّك على الملائكة، ويدلّك على رسول الله ﷺ، ويدلّك على الإيمان بكمالاته، وإن رسول الله ﷺ هو أعظم إنسان، هو مرشد العبيد إلى الله يردهم إليه، الإنسان هو مراد الله في أرضه، الموجود مع الإنسان غير موجود مع غيره، الموجود مع غيره كلّه موجود مع الإنسان، لمّا تسأله يُجيبْكَ مما عنده في باطنه من ذاتيته ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ﴾ [الحديد: ١٣] يتكلّم فيها ذوقاً، الإنسان عظيم لا يصير حبّاب دنيا، الإنسان حينما يتكلّم حاله يكلِّمنا، حاله يخبرنا، نتّبعه، هكذا كان رسول الله ﷺ. سيّدنا محمّد ﷺ لا تقدر أن تعرفه، تعرفه باللسان فقط، يلزمها صحبة وإعطاء الصحبة حقها، الإنسان عند المرجع منزَّه من الوجوه جميعها، كل إنساني يعمل بدون غرض، وأقل

الإنسانية عامل الناس كما تحبّ أن يعاملوك به، الّذي يجالس أهل الله صار بصيراً صار عنده بصيرة ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] أهل الله عندهم تمييز بين الحق والباطل ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمٰن: ٢٠] لا تقعدوا مع الناس العاديين، أنتم على حق وهم على غير الحق، هم ليسوا على باطل فقط! لا يفهمون الباطل من الحق، لا تمييز عندهم.

الشيخ الحق:

الشيخ يعطي لا يأخذ، إذا أخذ تُقطَعُ يدهُ أبداً وليس شيخاً ولا عنده إنسانية ولا يفهم الإنسانية ولا يعرف ربّه، الشيخ الحق لا يمكن أن يعرفه أحد حقيقةً إلّا المُزكى النفس. لا يوجد من يحمل الآيات العظمى إلّا الإنسان؛ لأنّه هو خليفة الله في الأرض، الإنسان الكامل وليس الإنسان صاحب الشهوة المريضة نفسه.

الشيخ الحق يستفيد من التلميذ الأديب الحيي أكثر مما يستفيد التلميذ من الشيخ. الأدب هو الباب الحقيقي للحضرة الإلٰهية، أهل الله كلّهم عندهم حياء، لا أحد يدخل في مرتبة أهل الله قبل أن يعطوه الحياء والأدب، يمدونه من قبل ومن بعد، الحياء لا بدّ منه، وإذا رأينا أحداً ما عنده حياء يتواقح فإن لم يتب فهو في قعر جهنم! الوقح أقرب ما يكون للمنافقين! الوقح ما عنده نور ما عنده معنى، الوقح إذا جاءه واحد يبين له يقول: كل الناس هكذا! نحن خُلقنا في الوجود لعبادته، ولا يمكن أن نعبده حق عبادته حتى نتطهر، والذي يطهرّنا هو امتثال الشريعة، إذا زال

العارض يشهد ويذوق حقائق الإسلام، أمّا إذا بقي الإنسان على فسقه (غيبة ونميمة، ورقص ورواح ومجيء وموضات...) ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]. أما إذا تاب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. ليس الشجاع الّذي لا يقع منه ذنب بل الشجاع الّذي يقع منه ذنب ويتوب، مهما أذنب فليتب ويرجع إلى الله، وليس توبة الكذّابين واستغفارهم، يبسبس بلسانه والله يعلم قلبه أين مشغول! لا يسمع الله منه أبداً، الإنسان لمّا يتوب يقعد في الجامع يعمل لحية وعمامة على السنّة وهو لا يعرفها سنّة وحتى العامّي يعمل ذلك على مقداره، وصار لا يروح إلى السينما ولا إلى المقامر أو المراقص.. يسأل عن الدروس أين، وفي أي جامع.. هذا أمر واقع، والآن خانوا أنفسهم وخانوا شريعتهم ولا يتقيدون بالشريعة، أهؤلاء اسمهم محبّون لرسول الله ﷺ؟ كذبوا ورب الكعبة! نحن نعلم أن الذي يحب يتّبع، لا يوجد مسلم على وجه الأرض يقول: أنا لا أحب رسول الله ﷺ لا أحب الله، لكن من علامات المحبة الصحيحة الباقية التي تعطي الإرث الحقيقي هو الاتباع، نحن نشهد الإنسان لما يتبع شيخه لا بدّ أن يأخذ من شيخه بمقدار صدقه مع شيخه، وصدقه مع شيخه هو تزكية نفسه، لا بدّ من تطهير النفس.

إذا لم تتطهر نفسه لن يفهم شيئاً ولا يدرك القرآن، نحن الآن بحاجة إلى مفسرين للقرآن.. لماذا؟ لأن أصل القرآن هو خُلُق الإنسان الكامل

«وكان خُلُقُه القرآن»[(١)]. كل إنسان كامل خُلُقُه القرآن يعلمه ويعرفه أكثر من المفسر، المفسر لا يفسر القرآن وإنما يفسر الألفاظ العربية، قال ﷺ: «**أهل القرآن أهل الله وخاصّته**»[(٢)]. لا يفهم القرآن ولا يذوق طعم القرآن إلّا من كان متخلقاً بالقرآن وهم أهل الله ﷺ. وجرت عادة الله أنّه لـمّا تحبّون أهل الله وتتبعون المرجع حقيقةً يحبكم أكثر، أنت تنام الليل وهو لا ينام الليل يدعو لك وينكسر من أجلك عند الله دون أن تطلب منه الدعاء، هؤلاء هم أهل الله، وهم أعلى من ذلك بكثير، والّذي يطلب هو ضميرهم، ضميرهم صحيح، نفسهم طيبة، يجلسون بين يدي الحضرة الإلٰهية يبكون أمام الحضرة الإلٰهية، يقولون: يا رب نحن عبيدك وأنت ربّنا، فمن يكون لنا إن لم تكن لنا وهكذا.. هؤلاء أنفاسهم طيبة طاهرة مع الحضرة الإلٰهية، رأيت مرّة سكرانَ وأنا ماشٍ والدنيا ليل فجاءني وقال: شيخي، هات يدك أقبّلها! وقل لله يتوب عليّ (أنا ساكت، ماذا أحكي) يقول: صار لي كذا وعمري كذا ولا أقدر أن أترك شرب الخمر، قل له (حاج[(٣)]).. أنا يا شيخي لا يسمع مني؛ أنا نفَسي كذا، وأنت نفَسك كذا.. هذه روح الطاعة. **رُبَّ معصية أورثت ذلاً وانكساراً خيرٌ من طاعة أورثت عزاً واستكباراً**. نحن ما رأينا الخير إلّا بتهذيب النفس، لا يوجد عندنا إلّا هذه النفس، مهما صليتم.. مهما صمتم.. مهما جئتم إلى الدروس.. مهما عملتم.. طالما النفس حيّة فالحيّة لا بدّ أن تُقتَل، فعليكم بتهذيب النفس

---

(١) أخرجه الإمام أحمد، (٦/ ٩١) برقم: (٢٤٦٤٥).
(٢) المستدرك على الصحيحين (١/ ٧٤٣) برقم: (٢٠٤٦).
(٣) يعني يكفي.

وتزكيتها، أنتم بأنفسكم تشهدون، مهما عمل الإنسان من خير، من صلاح، من عبادة، من إعطاء، ومن بكاء.. لمّا تغضبون.. راح كل هذا وسلّمتم زمامكم إلى الشيطان الّذي هو عدوّ، وهل العاقل يسلّم زمامه لعدوّه؟ لا.. العاقل لا يأخذ من العدوّ شيئاً البتّة، ويستعد للعدوّ كما استعد العدوّ له، هذه يعرفها الّذي طاب وشفي من المرض وتزكّت نفسه، سيّدنا صهيب رضي الله عنه جاء وأسلم عند رسول الله واشتغل وصار غنيّاً في مكّة.. ولمّا هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة أراد أن يلحقه، قالوا له: أنت جئتنا فقيراً.. إلى أين تأخذ هذا المال وتروح؟ قال: إذا أعطيتكم المال أتتركونني؟ قالوا: نعم، قال: خذوا المال واتركوني.

قال بعض أهل الله - وأنا أقول كما قال -: (والله ما أفلح من أفلح إلّا بصحبة من أفلح). ناس كثيرون يجلسون معنا لا شمّوا الرائحة ولا عرفوا؛ ما صاحبوا من أفلح، ما صاحب من أفلح إلّا الصادق صاحب الشخصية ينجذب انجذاباً، المتوجه إلينا لا يمكن أن يترك سنّة من السنن، والّذي يريد محبتي فليقلّد ابتدائي(١)، أما محبة بدون اتباع فهذه تضر ولا تنفع! ما رأينا أحداً أحب بدون اتباع، وصار منه خير، ولا يُستثنَى منها أحد على وجه الأرض أبداً، ولا يمكن أن يُستثنَى أحد في الوجود؛ لأن النفس هي محل الفهم وهي محل الاتباع وهي محل الأخذ، تأخذ العلوم والأسرار والحقائق والصفات من الوارث، الوارث جامع ومظهر لكل الكمالات من أولها إلى آخرها، لكن من يأخذ عنه؟ حفّاظهُ.. لا الكذّاب

(١) أي بداية سيره وسلوكه، كما ورد في القسم الأول من الكتاب.

ولا المنشغل، الوارث لا يأمر بأمر نفساني أبداً؛ لأنَّ الله طهَّره، أنا لا آمر أحداً بشيء ليس بطاقته تحمّله، معنى هذا أني آمره بمخالفتي! هذا لا يحصل أبداً.

ما أفلح مريد قال لشيخه: لِمَ، وما أفلح تلميذ لم يقل لشيخه: لِمَ! فرّقوا بين التلميذ وبين المريد، المريد: سكنت نفسه، واطمأن قلبه، واطمأن إيمانه كما قال الحق سبحانه وتعالى لسيّدنا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]. في السير لا يمكن ولا يدوم قطعاً إلّا بعد الاطمئنان به، إذا لم تطمئنوا بالمرجع يبقى عندكم شك وإشكال، والإنسان طالما يفكر بالآخر ليس محباً أبداً! والمحب لا وجود له مع المحبوب، والّذي يقول الحب لا بدّ أن يكون متبادلاً، هذا ما ذاق طعم الحب، الحب كلّه نزاهة، المحب حتى الطبيعي لا يمكن أن يرى لنفسه وجوداً مع المحبوب، لا وجود إلّا للمحبوب فقط! هذا الّذي ذاق الحب الصحيح النزيه، والحب ثلاثة أنواع: الحب الطبيعي هذا لا يجوز، والحب الروحاني، والحب الإلٰهي. والحب الإلٰهي لا علاقة له بالطبيعة ولا تهضمه الطبيعة، وأنا لا أعتقد واحداً يحب حباً طبيعياً ويخالف محبوبه أبداً.. مجنون ليلى آخر عمره وعمرها جاءت إليه ليلى وقالت له: ملأت الدنيا بقولك: ليلى ليلى، ها قد أتيتك.. قال لها: اذهبي عني لقد شغلني حبك عنك! هذا حب طبيعي لكنه نزيه.

الصحبةَ الصحبةَ:

والصحبة لها حقوق، ومن يعطي الصحبة حقَّها؟ صاحب النور هو الذي يعطي الشيء حقَّه، عبدُ الله بنُ أبيِّ ابنُ سلول اسمه صاحب، ما نفعته

صحبته لرسول الله ﷺ، لكن سيّدنا الصدّيق صاحب رسول الله وأعطى الصحبة حقّها؛ لأنَّ همَّته عالية وفهمه عالٍ، وعلمه واسع، ومعرفته كاملة وتامة، فعرف الرسول ﷺ. من يعرف رسول الله ﷺ؟ يعرفونه علماً، أمّا ذوقاً فقليل. تطهير النفس يجعل الإنسان واسعاً حتى يفنى، عندئذٍ تدركونه ﷺ. الذي لا يعلم إذا قلت له: من هو أفضل فرد في الأمة المحمّدية؟ فيقول: سيّدنا الصدِّيق، أمّا صاحب العلم فيقول: سيّدنا عيسى، سيّدنا عيسى تابع محمّدي وصحابي، لمّا ينزل يحكم بشرع سيّدنا محمّد ﷺ. شرع عيسى صغير بالنسبة لشرع سيّدنا محمّد ﷺ. سيّدنا عيسى أكبر من غيره من حيث التبعية طلب من الله والحقُّ أعطاه التبعية لسيّدنا محمّد ﷺ. التبعية تريد قوّة كلّها، خضت بحراً محمّدياً وقفت الأنبياء بساحله!. سيّدنا عيسى حيّ، اجتماع الرسول ﷺ في بيت المقدّس بالرسل والأنبياء كان بأجسامهم لأنّ أجسامهم لا تبلى، لكن حكمهم أموات، سيّدنا عيسى ما مات، وسيّدنا موسى مات ولكنّه حيّ في قبره الشريف عَلَيْهِ السَّلَامُ، لكنَّ سيّدنا عيسى ما مات لا يزال حيّاً، هذا هو الفرق، سيّدنا موسى لا يقدر أن ينزل ليحكم بشريعة سيّدنا محمّد ﷺ لا ينزل إلّا سيّدنا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

إذا جئت تريد السعادة فشرط أساسي أن تستسلم لأهل الله تحصل عليها، ومهما تكن مستسلماً إذا رحت إلى غير أهل الله لا تحصل عليها، شرط أساسي وجود العارف بالله، كان أحد خلفاء مصر في زمن الشيخ الأكبر قد بعث إليه.. وقال له: بلغني عنك أن عندك الكيمياء، قال له: أي كيمياء؟ قال: الكيمياء التي تقلب النحاس إلى ذهب والقصدير إلى فضة!

قال له: لا.. هذه ما عندي، أنا عندي (كيمياء السعادة) يأتي الشخص شقياً فيخرج سعيداً! قال: أنا بحاجة إلى الذهب والفضة، قال: هذه لا أعمل فيها ولا أعرف فيها، قال له: أحبسك! قال: أنت خليفة، فحبسه فعلاً.. فخرج سيّدنا محيي الدين ابن عربي يوم الجمعة من السجن وراح إلى الجامع فصلّى ثمّ رجع إلى السجن! فظنّ الخليفة أن السجّان أخرجه، فعزل الخليفة السجّان، وفي الجمعة الثانية أيضاً خرج من السجن إلى الجامع! فعزل السجّان كذلك، فأرسل سيّدنا محيي الدين للخليفة قال له: لماذا تعزل هؤلاء المساكين الفقراء؟ فأرسلَ الخليفة إلى سيّدنا محيي الدين وقال له: أطلقوك من السجن، قال: لا.. سجنك لا يقيدني، أنا مطلق! قال الخليفة: لماذا تروح إلى الجامع وترجع إلى السجن؟ قال: طاعة أمرك، قال له: لماذا تخرج من السجن بدون إذن؟ قال: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق[١]. بعدها أخرجه من السجن!

لا بدّ أن تعرف من تصاحب، صحبة الشيخ لا تفيدك إلّا إذا عرفته شيخاً حقاً، إذن الفائدة منك وليس من الشيخ، الشيخ مثل الشمس. تتعرض للشمس تفتح الستارة حتى تدخل أشعة الشمس، وهكذا وجهتك للشيخ عليك إزالة الأستار والأغيار حتى يحل فيك نور الشيخ، ناس كثيرون يروحون إلى ذكر.. إلى دروس.. إلى ختم ما حملوا ولا ذرّة بل هي عادة. والآخر لا يروح إلى ذكر ولا إلى درس ولا إلى ختم لكنه مجانس، شخصية بارزة، قلب طاهر، نفس مزكّاة، السالك الصادق أول

(١) مسند الإمام أحمد (١/ ١٣١) برقم: (١٠٩٥).

دخوله في السلوك يراقب ويحاسب نفسه، يقول للشيخ: معي كذا.. ويأمره بكذا.. افعل كذا.. لا يوجد غير نعم نعم.. الحكاية ليست بالذكر، ولا بالفكر ولا بالعلم ولا بالعبادة فقط..وإنما بتحقيق العبادة، بتحقيق العلم، بتحقيق الطلب، بصدق الطلب، وليس الحكاية بلقلقات اللسان.

كان الشيخ علوان في (حماة) فجاءه شيخ مغربي كامل، وقف عند الشيخ علوان في غرفته وكان يقرأ القرآن كثيراً قال الشيخ الكامل: يا شيخ علوان، قال: نعم، قال: أتريد أن تعرف الرحمٰن؟ قال: نعم مولاي، قال: أتسمع لي كلاماً؟ قال: نعم كلامك على الرأس ثمّ العين، قال: أول ما آمرك أن تترك قراءة القرآن! قال: على الرأس ثمّ العين، بلغ أهل (حماة) أنه جاء شيخ مغربي زنديق نهى الشيخ علوان عن قراءة القرآن! بعدها.. استمر صار يأمره.. يأمره.. وفي يوم من الأيام قال له: يا شيخ علوان، قال: نعم، قال: انزل اقرأ الدرس لكن من الراس لا من الكرّاس! الشيخ الكامل متوجه إليه في الغرفة.. راح الشيخ علوان: سمّى باسم الرحمٰن ففتح الله عليه، قال له يا شيخ علوان: الآن اقرأ القرآن، واللهِ ما منعتك عن قراءة القرآن، وإنما منعتك عن لقلقة اللسان!.. بحاجة إلى صحبة، إلى تحقيق.. صدق.. الناس تنام وأنت يجب أن لا تنام ولا تأكل ولا تحكي إلّا بمقدار الضرورة، الصحبة إكسير، لا تفيدكم غير الصحبة، قال سيّدنا الخضر لسيّدنا موسى عليه السلام: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا﴾ [الكهف: ٧٠] فإن اتبعتني لا أنا أتّبعك! بصدق الطلب لا لغرض ما.

حببتُك لا لي، بل لأنّك أهله

وما لي في شيء سواك مطامعُ

الشيخ إذا أمر مريده أو نهاه عن شيء ليس شرطاً أن يفهمه، نهاه! أمره! السالك ما عنده ناس، الشيخ فوق الناس.

وليت الّذي بيني وبينك عامرٌ
وبيني وبين العالمين خرابُ

الشيخ أولى من السالك بنفسه، أنا ما كنت أعرف المجاملة بالسلوك، المريد حاله لا يعرف إلّا الشيخ ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ [الأحزاب: ٦] والله من بابِ أولى.. اعمل كذا لا تعمل كذا إذا تجيء الدنيا كلّها لا يخالف هذا (اعمل أو لا تعمل) المريد لا يؤول ولا يحط فهمه مع الشيخ أبداً، ولا يقيس حاله مع غيره أبداً. لا يوجد مريدان اثنان في الوجود مثل بعضهما أبداً، سيرنا كان بالشوق والاشتياق، التجئوا للقوي، نحن ضعفاء والله هو القوي، توجهوا إليه توجُّه عطشان، هكذا طلبكم لله تعالى، توجُّه عطشان يشرب لو كلّفه كل شيء! القضية تحتاج إلى صدق، كثير من الناس يشتهون أن يسيروا ويسلكوا ويعملوا وبينهم وبين السلوك أبعد مما بين الأرض والسماء! هذه شهوة! ناس كثيرون دخلوا ورجعوا بل انعكست، ناس راحوا ما بقوا ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١]. المعلّق بالمال والزوج والولد لا يحسن السير، هؤلاء كيف يتعلّقون بالله؟ يقولون: كلُّ الناس هكذا! عليكم عندما تسمعون هذا أن تسحبوا كلامكم بانتظام، لا تناقشوه، تبين ما عنده نور البتّة، سيّدنا الشافعي يقول: «ما جادلني عالم إلّا غلبته، وما جادلني جاهل إلّا غلبني». لا يفهم دليلاً ولا عقلاً ولا حجةً ولا برهاناً، ميزانه ميزان «الفجل»، ميزان «اللفت» نحن

ميزاننا بالغرامات بل أقل. وهناك جواهر لا توزن والميزان خارج إلّا أن يكون الميزان داخلَهُ، داخل «البلور»، و«البلور» مُغطّى!.

الحب آلة يلزمها تعلُّق ونزاهة، الّذي يحب الرسول ﷺ أو شيخه الكامل لا بدّ أن يطبّق، ولا يوجد خير إلّا بالاتباع، هذا سليم وأمين وباقٍ ويوصلك للمعرفة الإلٰهية، والمعرفة توصلك للمحبة الثانية الأصلية الذاتية، هذا لا بدّ منه، علينا أن نأخذ بالسبب ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩]. لا يوجد شيء أعلى من الصحبة، لكن تصاحب الأكابر الكاملين، الكامل يسيِّر مريده مثلما سار وسلك، والأكمل يسلّك ويسيِّر مريديه كل على حسب استعداده، ولا تصحب الناقصين، الناقص يُضيّعك، أما المرجع الكامل فنظره كثير كثير، لا يقف أمامه شيء، يتذلل كل شيء أمامه، بل كل شيء أمامه هالك، إذن لمن ننظر وبمن ننظر؟ يجب عليه أن ينظر:

إن الغرام هو الحياة فمُتْ به

صبّاً فحقك أن تموت وتعذرا[(١)]

الّذي يدّعي المحبة الإلٰهية يتّبع الرسول الأعظم ﷺ. الرسول من اختاره؟ ومن اجتباه؟

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠﴾ [الرعد: ٩-١٠].

هذا هو الله سبحانه وتعالى، هو الّذي بعث لنا رسول الله بكل الكمالات بل

---

(١) من ديوان ابن الفارض، من قصيدة مطلعها:

زدني بفرط الحب فيك تحيرا وارحم حشى بلظى هواك تسعرا!

الكمالات تخرج عنه؛ لأن «**أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر**»[(١)]. **نهنئ من رأى رسول الله** ﷺ، نهنئ من رأى كمالات رسول الله ﷺ، نهنئ من رأى الولي واعتقد بأنه ولي، كثيراً ما نشهد أناساً يجلسون مع الأولياء ولا يعرفون أنهم أولياء لا يستفيدون ولا ذرّة! رؤية الولي ولاية، الحق يمنّ علينا بالنور الإلٰهي، نرى هذا وليّاً من أولياء الله، لمّا نراه وليّاً نشهد الشيء الموجود فيه، ترجع إلى النور الّذي تنظر فيه، منهم من يرى فيه صفة واحدة، ومنهم صفتين، أو ثلاث أو أكثر.. لا على حسب المنظور، بل على حسب الناظر، المنظور واحد والناظر يختلف، كل الكمالات تخرج عنه ﷺ نراها بعينه لا بعيني ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ [الطور: ٤٨] يعني الرسول ﷺ هو النور، الصحابة ﷺ لمّا رأوه رأوه بهذه الرؤية، رأوه رسول الله ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ﴾ هكذا رأوه..

محمّد بشر وليس كالبشر

بل هو ياقوتة والناس كالحجر

الياقوتة أيضاً حجر، لكن الفرق كبير بين الياقوتة والحجر العادي.

نرجع ونقول: الاتباع شأن الأكابر والرجال، أما التقليد فلضعاف العقول.

تعس عبد الدينار:

قال ﷺ: «**تعس عبد الزوجة، تعس عبد الدينار، تعس عبد الخميصة،**

(١) كشف الخفاء (١/ ٣١١) برقم: (٨٢٧).

تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش»[١]. يحكى مرّة عن الشيخ الأكبر ﷺ أنه كان يوماً مع العلماء في مكان، فقال لهم: معبودكم كلكم تحت قدميّ! فما تجرؤوا أن يردوا عليه؛ لأنّه يغلبهم بالعلم.. يغلبهم بالنزاهة.. يغلبهم بالرجولة.. بكل شيء يغلبهم، فأقاموا عليه دعوى عند القاضي، عند الحاكم الشرعي أن الشيخ الأكبر يقول: معبودنا تحت قدميه! فبعث إليه القاضي.. قال له: أنت قلت..؟ قال: من قال؟ قال: فلان وفلان وفلان.. قال: ائتِ بهم، فجاء القاضي بهم، قال: أنتم سمعتم منّي؟ قالوا: نعم، قال: أنتم سمعتم منّي؟ قالوا: نعم، قال: هيّا أروني المكان الّذي كنّا واقفين عليه.. فذهبوا جميعاً إلى المكان ولمّا وصلوا قالوا له: أنت كنت واقفاً هنا ونحن هنا وقلتَ: معبودنا تحت قدميك! قال: احفروا حتى نرى! فحفروا فظهر كنز ذهب. من أين أخذها؟ هذه ليست من عنده، الشيخ أخذها من تعس عبد الدينار.. كلّهم ينظرون إلى بعضهم.. نحن لا نرضى ولا نتنازل أن يكون معبودنا الذهب أو المرأة، بل معبودنا هو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، ولا نتوجه لغيره، ولا يملأ دماغنا غيره سبحانه وتعالى البتّة، من هنا الحق يقول عن الأمّة: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ [آل عمران: ١١٠]. أين هؤلاء «خير أمة»؟ الّذي يلحق زوجته ويُلبِس ابنه قصيراً فوق الركبة ويُلبِس ابنته قصيراً، والديّوث الذي زوجته حاسرة الرأس تمشي بجنبه وتسلّم على أصدقائه قبله؟ هذا اسمه ديّوث بلسان الشريعة، هذا ليس دين الإسلام،

---

(١) أصل الحديث في صحيح البخاري (٣/ ١٠٥٧) برقم: (٢٧٣٠).

هذا دين الخائن، دين المدنية الحاضرة وليس المدنية المرادة الأصلية، بل المدنية الحاضرة ما عندها حرام ولا عيب ولا ضمير ولا إنسانية ولا شيء اسمه شيء البتّة! المسلم يتبع لا يقلّد، إذا رأينا مسلماً يقلّد المدنية فهو كذّاب أشِر!

لا تفهموا أن أحداً زاد حرفاً على سيّدنا محمّد ﷺ أو أنقص حرفاً، لا.. ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. لا أحد على وجه الأرض يزيد حرفاً أو ينقص حرفاً ولا تشكيلة[١] أبداً البتّة، وعليه نبني أمورنا كما قال سيّدنا الخضر لسيّدنا موسى عليه السلام: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٧٠]. من يقدر أن يقعد مع العارف بالله؟ لا يقدر إلّا الصادق، غيره لا يقدر، بل يهرب مع كون العارف بالله هو الوارث المحمّدي من كل الوجوه، يتنزل لكل شيء وحتى للكافر، ويخدم ويعتز بخدمته، أمّا غير العارف فلا يقدر عليها؛ لأنه يريد المشيخة، يريد الناس أن تخدمه وتعظّمَه..! أما العارف فلا.. العارف هو الّذي يخدم «**سيّد القوم خادمهم**»[٢]. من هو سيّد القوم؟ الّذي كملت نفسه وطهر قلبه هذا هو السيّد، تنزَّل لخدمة البشر وغير البشر مطلقاً ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وليس للمؤمنين فقط، هذه لصاحب النور المأذون له بالقول والفعل والحال، وما رأينا القول يرفع، القول للدلالة فقط، الّذي يرفع هو الحال، يعني المتخلق. لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلّك

---

(١) التشكيلة: أي حركة الضمة والفتحة والتنوين ونحوها.
(٢) فيض القدير: (٤/ ١٢٢).

على الله مقاله، بل اصحب من ينهضك حاله ويدلّك على الله مقاله. قالوا: يا رسول الله هل للوليّ علامة؟ قال: «**نعم**». قالوا: وما علامته؟ قال: «**إذا رُؤي ذُكر الله**»[(١)]، بمجرد ما تراه تذكر الله، لا شراء ولا بيع يبقى في قلبه، ولا تجارة ولا دنيا البتّة، تبيّن عنده قوّة تقلب قلباً، بمجرّد ما تراه تذكر الله، لكن قوّته على من تسطع؟ تسطع على الصادق، مهما كان مرتكباً؛ لأن إيمانه صحيح، نحن يهمنا الإيمان، الوجود بحاجة إلى العارف بالله حتى يسلّك الناس إلى الله، ميزة العارف بالله يُنكَر عليه ولا يُنكِر على أحد، وارث النبيّ غير معروف، ووارث الرسول معروف، فمجدد الألف غير مجدد المائة، كل قرن له مجدد، يقولون: علم شرعي، وعلم عصري، فالمجدد الألفي كلّها عنده علوم قرآنية، أمّا المجدد المئوي فلا يعرفها. كلّها علوم شرعية قرآنية ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] كلّها مربوطة بالكتاب، لا شيء خارج، لا علوم طبيعة ولا فيزياء ولا كيمياء. . كلّها في القرآن، هذه خصوصيته عن غيره، ولا يتّبع أحداً إلّا الرسول فقط. ولا أمامه قدم إلّا قدم الرسول ﷺ أبداً لا صغير ولا كبير لا قبل ولا بعد، وموفَّق ومسهَّل ومُعان في الأمور كلّها، وكلامه سهل معروف مقبول ومعقول، والعارف ما عنده شك ولا عنده إشكال، لا يشك في شيء ولا يشكل عليه شيء، كل شيء عنده ظاهر، لا شيء في الوجود أعلى من الصحبة، لكن اصحب العارف، اصحب الكامل ولا تصحب الناقص، لا تصاحبوا الضعيفين، صاحبوا الأقوياء أهل الفهم. . لا تصحبوا المجاذيب؛ المجذوب ضعيف، لو كان عنده قوّة لأفاد نفسه لأنّه ناقص، لو كان عنده كمال لكمّل نفسه، فكيف

(١) المعجم الكبير للطبراني (٢٤/ ١٦٧) برقم: (٤٢٣).

تصحبونه؟ فاقد الشيء لا يعطيه. لا تقل له: ادعُ لي، إيّاك ان تأكل معه، إيّاك أن تصحبه، وإذا أطعمك فلا تأكل، إيّاك إذا أعطاك شيئاً أن تأخذه، المجذوب إذا تصحبه عشرين سنة وتختلف معه على مسألة بسيطة يدعو عليك؛ لأن نفسه كبيرة سريع الغضب.

السالك أول شيء يزهد به هو المال، هذا أمر ضروري لا بدّ منه، اصدق والسبب ذاته يخدمك، الدنيا بذاتها تخدمك، «**يا دنيا، اخدمي من خدمني، وأتعبي من خدمك**»[(١)]. صاحب الأكابر الأقوياء حتى يعرّفوك بربِّك، كبر السن أو الشباب ليس له دخل، القضية مربوطة بالصدق، والصدق متبوع بالابتلاءات، الولي حسب قوّته؛ كلّما كان أقرب إلى الله يُبتَلى أكثر «**أشدّ الناس بلاءً الأنبياء ثمّ الأمثل فالأمثل**»[(٢)]. كلّما كان قريباً للنبي عليه الصلاة والسلام أكثر يكون ابتلاؤه أكثر، من أين نعرف الولي الكبير؟ نعرفه من ابتلاءاته وليس من فتحه وكشفه، وهكذا كلّما كانت ابتلاءاته أكثر كان فتحه أكبر وفهمه أكثر ورسوخه أكثر ولا يتزحزح.. نحن نريد فتحاً من غير ابتلاءات؟! هذا لا يكون؛ الفتح يصير بعد الابتلاءات لا قبل الابتلاءات، والمبتلي هو الله وإن الابتلاء محبة وليس بغضاً، التابع يشهد ويذوق كل ما عند الرسول ﷺ لكن لا يصل إلى النبوّة ورسالة التشريع، وأول ما ذاق سيّدنا محمّد ﷺ الابتلاءات، تهيّأ للابتلاءات. والحق لا يبتلي إلّا أحبابه، ثمّ إنّ المبتلي هو الله، توجّهوا إلى الله، لا يحفظكم إلّا اتباعكم للرسول ﷺ يعطيكم نوراً يخرج من قلب الرسول ﷺ

---

(١) مسند الشهاب: (٢/ ٣٢٥).

(٢) سنن الترمذي (٤/ ٦٠١) برقم: (٢٣٩٨).

وتستعملونه مثل الضوء، اعملوا وطبّقوا بنيّة الاتباع، فلو أن أحداً عمل بأعمال رسول الله كلّها من أولها إلى آخرها بدون نيّة الاتباع لا يستفيد ولا ذرّة البتّة! والرجل المحبوب إلى الله حقاً هو الّذي يتّبع الرسول ﷺ. الصحابة كانوا يتسابقون بالخيرات وبالرجولة والكرم ﷺ بذكرهم تنزل الرحمة (إذا كان واحد عنده دعاء يريده فليذكر الصحابة). كان يوماً سيّدنا الحسن يمشي ومعه عبيده فإذا برجل يَسبُّه! فغارت العبيد، فنهرهم.. فتقدم وقال للّذي شتمه: ما الّذي دفعك لذلك؟ قال: أنت شريف وعزيز قومك وأنت أمير وأنا وأولادي جائعون عريانون! قال له: حقك، نزع ثوبه وأعطاه إياه، وأمر له بألف درهم، هذا ابن النبوّة أين ما جلس والله هذا ابن الرسالة! اقتدوا بهؤلاء.. إذا يسبّك وتسبّه صرت مثله، وجب عليك أن تسأل عنه لعله محتاج أو مريض، إذا أردتُ أن أكون سيّداً وهذا فقير تركته وهذا مريض تركته وهذا محتاج تركته، أأكون سيّداً على الهواء؟ لا.. أنا لا بدّ أن أحفظ سيادتي، السيّد يخدم سيادته، الخدمة هي تبيّن السيادة، أساعد الفقير، أعالج المريض، أعين المحتاج..كلٌّ على حسبه، هذا هو السيّد، سيّدنا الحسن رضي الله عنه كان هو الغوث في الباطن، لمّا توفي والده مسك الخلافة الظاهرية ستة أشهر.. بعد ذلك تنازل عنها، وكان يخفي قضايا كثيرة عن سيّدنا الحسين رضي الله عنه. سيّدنا الحسين شجاع، لا يبالي من الصغير ولا من الكبير.

﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢﴾ [طه: ١، ٢] لكن لتسعد، متى؟ إذا عملت بما فيه، لا تتساهلوا أولادي مع بناتكم، ضعوا كل قوتكم على تهذيبهن وهن صغار، عوّدوهن الأدب، لا تتسامحوا في مخالطتهن مع

زيد وبكر.. وابن عمِّهن وابن خالهن.. إيّاكم أن تتسامحوا! أنتم مطالبون أمام الله، إنّكم مُكلّفون، هنَّ غيرُ مُكلَّفات، أنتم مُكلَّفون الأب والأم.. الشريعةَ الشريعةَ.. ﴿ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]. ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢]. كونوا نزيهين في بيتكم، لا تتساهلوا مع المرأة.. إذا قالت لكم: يا ابن عمي يا فلان خذني إلى السينما إلى بيت الجيران إلى أقربائي.. قولوا: أنا ابنتي لا تزال فطرية، لا أسمح لها تقعد مع زيد أو بكر وابن الجيران وابن العم وابن الخال.. لا تتساهلوا إيّاكم! وأنتم يا كبار أيضاً لا أسمح لكم أن تتساهلوا فتقعدوا مع النساء أبداً أبداً، لا تتركوا الدين لأجل أقربائكم، إن كنت موافقاً لله أنت مسرور دائماً، وإن كنت مخالفاً لله فأنت متكدّر دائماً، إذا تخالف نقطة صغيرة تصير مزعوجاً، فكيف بأكبر؟ المرأة وهي لابسةٌ الحجابَ لا بدّ أن يكون عندها حياء، لا كلام.. لا ضحك.. ولا تظهر بمظهر الخفيفة.. ولا تمشي وهي لا تبالي بتصرفاتها.. ولا تخرج عن الأدب والحياء والستر، وبالنسبة للحجاب لا أعيِّن، المهم لباس ساتر، البسوا أي شيء ساتر.

نحن كلنا إخوة «**الدين النصيحة**»[١] ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ والحق قال: ﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾ ما قال: أفسدوا، قال: ﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾ [الحجرات: ١٠]. نحن تنقصنا المجالسة مع بعضنا نتحابب مع بعضنا ونتزاور ونتواصل.. أنا أريد منكم لمّا تقعدون مع بعضكم أن تعملوا مثل ما عمل الصحابة رضي الله عنهم «**تعالوا نؤمن ساعة، جددوا إيمانكم**»[٢]. وأنتم جددوا

(١) أخرجه مسلم (١/ ٧٤) برقم: (٥٥).
(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ١٧٠) برقم: (٣٤٢٦).

إيمانكم.. تناصحوا.. لا تحكوا بالتجارة والصناعة والزراعة والبيع والشراء.. ليس وقتها الآن، الآن وقت سماع عظة وما شابه ذلك، وغداً يسألنا الحق كلنا عن الصغيرة والكبيرة، والله أقسم يميناً ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣] صدق الله العظيم.

المحبة على ثلاثة أضرب: الأول: حب للإحسان. والثاني: حب للصفات التي صدر منها الإحسان. والثالث: حب للذات. فالحب الأول: حب المؤمنين، وقد يكون هذا الإحسان في الدنيا والآخرة، فهؤلاء يحبّون الله تعالى لإحسانه، فمحبتهم متعلقة في الحقيقة على الإحسان. والحب الثاني: حب الخواص، وهو حب يتعلق بالصفات التي صدرت منها هذه الأفعال، وهذا فوق الحب الأول؛ لأنّه رقى عن النعمة إلى المنعم، وأنه أهل لأن يتذلل له ويحبه، وهؤلاء أحبوا الصفات. والثالث: حب خواص الخواص، وعليه المعوّل وهو حب يتعلق بالذات، لا يبعثه على هذا الحب شيء، بل هو حب أشرب قلبه فلا يلتفت صاحبه إلى عطائه ومنعه وضره ونفعه، بل حب له لكماله وذاته وقدسه وجلاله وعظمته وبراءته من النقائص والآفات، فصاحب هذا الحب رقى من الأفعال إلى الصفات، ومن الصفات إلى الذات، فحبه غير معلل بشيء، وعليه كانت رابعة العدوية تقول: «ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك، بل لأنّك أهل لذلك». وكما قال المحب الذاتي سيّدنا عبد الكريم الجيلي رضي الله عنه:

حببتك لا لي بل لأنّك أهله

وما لي في شيء سواك مطامع

وهذا الضرب الثالث من المحبة ممزوج بالفناء والابتلاء.

وللعوام شرب وللخواص شرب ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [البقرة: ٦٠].

فنهاية طريق العوام بداية العارفين، ونهاية العوام في المحبة بداية العارفين في المحبة، ومحبة الذات أول أودية الفناء والابتلاء، إذ إن صاحبها لا يرى بحبه لنفسه حظاً، فحظه محبوبه وهو الحظ الأعلى لأنّه غاب عن الثواب وغاب عن حظوظ نفسه وتعلق حبه بالذات، فصار به مغموراً، وما دون هذا الحب أغراض يُطلَبُ عليها أعواض، فمشارب المحبين شتى: شرب العوام ومحبتهم لحظّهم، وشرب الخواص ومحبتهم نظرهم إلى الصفات، وشرب العارفين الكمّل لا يقدر أحد على وصفه لأنّهم مع محبوبهم، قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧].

وكانت مقامات الصحابة وأحوالهم ﵃ أقوى من هذه المقامات كلّها، كانوا أقوى من غيرهم فهم ملكوا الأحوال وغيرهم ملكتهم الأحوال لضعفهم؛ لأنَّ قوّة الصحابة من قوّة النبيّ ﷺ.

واعلم أن الكشوف من نتائج المحبة، فإذا علم المحبوب صدق المحب في محبته رفع عنه الحجاب وأطلعه على أسراره وكشف له عن علوم غامضة وأسرار عالية.

المحبة الحقيقية لا تأتي إلّا بعد الاتّباع.

إذا اجتمع أرباب المحبة - الحب العذري - وتذاكروا في المحبوب هناك لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر!!

المحبة غير المعرفة، الأسرار الإلٰهية مصونة مستورة، العارف لا يظهر

الأسرار الإلٰهية إلّا إذا أُمِر بها أو كان في المجلس صاحب أمانة فإنَّه يؤديها له.

المحب قوي؛ لأنّه يغترف من قلب المحبوب.

إذا قرر المريد شيئاً من علوم شيخه التي أخذها عنه في المحبة والذوق استفاد الناس من المريد بالسرّ الّذي في المحبة بين المريد والشيخ، ترى الحب في الكلام يأخذ قلوب السامعين.

وربّما أحب إنسان شيئاً عاديّاً من زوجة أو ولد أو رتبة أو مال حتى فني، ثمّ أحب شيخاً أقل من حبه للأول، فعلامتها أن تلك الروح ضعيفة ومريضة تحتاج إلى مداواة وتطبيب، ومداواتها تسليمها للشيخ يعمل بها ما يشاء.

أهل التجريد:

أهل التجريد هم أهل التوحيد فحينما أفردتَه في ملكه أفردك بين عبيده.

أهل التجريد هم أهل المحبة والتفريد، جرّدوا من قلوبهم ما سواه.

أهل التجريد يريدون محبوبهم في كل شيء.

والتجريد هو أن تفرد المحبوب حتى يفردك، حتى تبصر به وتسمع به وتمشي به وتقعد به كما ورد في الصحيح: «.. **لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الّذي يسمع به، وبصره الّذي يبصر به...**»[1].

(١) أخرجه البخاري: (٥/٢٣٤٨) برقم: (٦١٣٧).

الحب لا يُعطَى لكل واحد، لا يُعطَى إلّا للمحبوب لله تعالى، وهذه مرتبة عظيمة.

المحب ظل المحبوب، هذا الحب الحقيقي.

ميزان المحبة:

إذا أردت أن تعرف محبتك عنده فانظر إلى محبته في قلبك، إذا أردت أن تعرف قدرك عنده فانظر قدره عندك، وميزان هذا، فانظر ماذا تفوّض محبوبك في مالك وأهلك، ذاك تحرير الميزان فتأمّل، ولا ييأس من لم يجد في نفسه مراتب التفويض ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وقد تكون في النَّفَس الثاني من أهل الاستسلام والمبايعة، والشيطان يريد أن يبعد الإنسان عن ربّه عن طريق اليأس والتخلص من هذه المراتب العالية.

النعمة الكبرى أن تعتقد بأن مرجعك يعرف حركاتك وسكناتك وكل ذرّة فيك، فهذه عناية من الله فيك، وإنّك من أهل العناية، حيث اعتقدت بأن مرجعك يعرف كل شيء فيك.

المحب إذا وضعت المكبرة وتطلعت في مخيلته لا ترى أباه ولا أمّه ولا ولده ولا أهله ولا ماله ولا الناس أجمعين.

المحب الصادق:

المحب الصادق يحوز المعاني والأسرار من المرشد، والمرشد مأمور بأداء الأمانات إلى أهلها، فيعطي الأسرار والمعاني اللطيفة إلى المحب الصادق، ولا ينالها من ليس له محبة لأنّه كثيف، ولا يُفهَمُ القضاء والقدر

إلّا من طريق المحبة، مثاله: لو أن إنساناً أحب آخر وصدق في حبه، ثمّ أمره المحبوب ألاّ يأتي إليه سَنَةً! يذهب المحب وهو أشد حباً للوصال، ذهب حباً لامتثال الأمر فانقطع عن محبوبه سنةً إذ صدر الأمر من المحبوب، ففي المحبة ينال السرور، فالقضاء والقدر يفهم مع المحبة.

ومحب الّذات لا يُمكَرُ به، وهم الّذين أحبوا الّذات الموصوفة بالكمالات لذاتها لا لنفع يأتي منها، وهذه المرتبة قلّ من يعرفها؛ لأن أكثر المحبين أحبوا الصفات، مثل الكريم والمحسن والغفور.

وهؤلاء هم أهل الحب الذاتي أهل الحب الروحاني لا أهل الحب الطبيعي، أهل الحب الطبيعي ليس معهم الكلام لأنّهم أحبوا أنفسهم بالحقيقة.

الفرق بين المحب الطبيعي والمحب الروحاني الإلٰهي هو الاتباع.

أهل الحب الروحاني استوى عندهم لدى المحبوب الوصال والفراق؛ لأنّهم أحبوا الأمر، بل هم لدى الفراق في وصال المراد. وهنا البلسم وهو امتثال أمر المحبوب.

أهل الحب الطبيعي إذا لم يصلوا إلى أغراضهم يرجع على حبهم بردّ الفعل.

وأهل الحب الروحاني لا يطلبون من المحبوب أن يقرّبهم أو يكرمهم، بل مطلوبهم مطلوبه، وسرورهم سروره، بل يريدون دوماً أن يكونوا معه لا أن يكون هو معهم، أي أن يكونوا مع مراده لا أن يكون مع مرادهم.

حبّاب الذات محلول للمحبوب هو وماله وما يملك جميعاً، وقطب

هذه المحبة سيّدنا أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه حين قال رسول الله ﷺ: «**ما تركتَ لعيالك يا أبا بكر؟**» قال: اللهَ ورسولَه.

المحب الصادق لا يرضى أن يحفظ كلام المحبوب فقط، بل يدخل بمحبته إلى القلب فيأخذ الكل، يفتحون له القلب مع الترحيب، يدخلونه ويضعونه كما يريدون لا كما يريد، يذهبونك ذرّة ذرّة، حتى لا يبقى معك من القديم ذرّة حتى تتبدل كلك، فتكون كأنّك هم بل ظلهم.

والمحب في بدايته كلّما فارق المحبوب نقص حبه؛ لذلك فإنه يحتاج إلى مواصلة الاجتماع حتى يتمكن الحب من قلبه.

المحب إذا رأى نفسه محباً فهو مطرود! بل يرى نفسه مضطراً مع محبوبه، الصحابة وصلوا في هذه المدّة اليسيرة مع الرسول ﷺ ما لا يصله غيرهم بآلاف السنين، وذلك بمحبتهم للرسول عليه الصلاة والسلام، كان كلامه ترياقاً لهم، وكانوا يتقاتلون على نخامته.

المحب متحرك والمحبوب ساكن، المحب مُعذَّب، والمحبوب مدلَّل، وما أصاب يعقوب بفراق يوسف إلّا بمحبته إياه، وما أصاب يوسف إلّا بعلمه أنه محبوب، وقد رقّاهما الله تعالى في تلك الابتلاءات التي مرّت بهما والعذاب الّذي أصابهما، ولذلك يجب أن لا يحب الإنسان إلّا مولاه وإلّا وقع في الابتلاءات.

إذا قال واحد أنا متبع الرسول ﷺ ولا شيء عنده من الفهم أو الذوق لا نظنّه تابعاً!! والتابع صادق لا يكذب أبداً، يحاسب نفسه بالقول وبالفعل وبالحال دائماً، هذا هو التابع المحمّدي ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

المحبة لا تؤخذ من الكتب، والاتباع لا يؤخذ من الكتب، يؤخذ من الصدق في الطلب، عندك صدق طلب «ها أنت وربك» بمدّة قليلة! الزمان والمكان لا يحكمان على الصدق، الصدق هو الحاكم على العموم، لله خواص في الأزمنة والأمكنة والأشخاص، الشخصية هي الحاكمة على الزمان والمكان.

الحب والعقل لا يجتمعان، البغض والعقل لا يجتمعان، إلّا الحب في الله، والبغض في الله.

السير إلى الله تعالى بالإقدام لا بالأقدَام، فمن الناس من يقطع بساعة ما لم يقطعه أهل الذكر والعبادة والزهد في خمسين عاماً! وذاك من سلّم نفسه وما يملك فباعها بكاملها لله بلحظة «**ما فضلكم أبو بكر بفضل صوم ولا صلاة، ولكن بسرٍّ وقر في قلبه**»[١]. فالموضوع يحتاج إلى صدق بأن لا تجد في القلب غير المحبوب من أموال وزوجة وعيال ومراتب ولا جنّة وثواب ودرجات.

المجاهدة تخرج منك العفونات والرعونات، فكلَّما خرجت واحدة جاءت غيرها وهكذا، لكن المحبة تخرجهم جملة واحدة.

من علامات المحبة الباقية التي تعطي الإرث الحقيقي هي الاتباع.

المحب الصحيح لا يشتهي إلّا أن يتبع حبيبه، والّذي يتابع الرسول ﷺ حقيقةً ما عنده استعداد أن يعمل مخالفة أبداً.

كلّما اتبعتم السنّة أكثر تحبّونني أكثر.

(١) كشف الخفاء (٢/٢٤٨).

لا تعتقدوا أن محباً صادقاً يخالف محبوبه، علامة المحبة إذا كانت سنّة ماضية أحياها، نحن نعلم أن الّذي يحب يتبع، نحن نشهد أنّ الإنسان لمّا يتبع مرجعه، شيخه، أستاذه لا بدّ أن يذوق ما ذاقه الشيخ وقد يرقى شيخه!

النسبة نسبتان: نسبه ذاتية ونسبة روحية «**الأرواح جنود مجندة..**»(١) والنسبة الذاتية أعلى من الروحية.

المحبة لا بدّ فيها من نسبة، افهموها، المحبة مربوطة بالنسبة، لأجل ذلك ربط الرسول ﷺ الوجود بالأرواح وبالنسب وبالمحبة، ما ربطه بالأعمال والأجسام، قال ﷺ: «**المرء مع من أحب**»(٢).

المحبة وحدها لا تكفي، الأصل في الوجود هو الاتّباع، الأصل في السير في الوجود هو الاتّباع.

للاتباع مرتبتان:

أ - اتباع، أي القيام بالفعل والعمل الصالح.

ب - الحضور (الرابطة)، تذكر المرجع في الفكر عند القيام.

ينعزل عن الناس، يختلي عن الناس، فأصعب شيء على السالك أن يتكلّم إلّا إذا أمره مرجعه - بالكلام -.

من علامات المحبة أن لا ينام كثيراً، ولا يحب الضياء ولا الكلام،

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٢١٣) برقم: (٣١٥٨)، وأخرجه مسلم (٤/ ٢٠٣١) برقم: (٢٦٣٨).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٣٤) برقم: (٢٦٤٠).

وإذا رؤي فكأنّه المجذوب تماماً يدخل المحبوب إلى القلب فيخرج منه كل العوائق دفعة واحدة، ولذلك فإن لحظة من لحظات المحب تعدل أربعين سنة من صاحب العبادة في الرقي.

المحب ليس لديه مسافات يقطعها، بل المسافات عنده لحظة؛ لأنّه روحاني وليس مع الروح مسافات.

اللوعة لا يوجد أعلى منها في السير أبداً، وهذه منحة وعناية إلٰهية ملازمة لأهل العناية، ولا تأتي إلّا من الفضل الإلٰهي، فهي روح القلب وحياته.

روح القلب اللوعة، حياة القلب اللوعة، القلب بدونها لا يساوي شيئاً.

من لوازم صاحب اللوعة ألّا يخطر بباله دنيا ولا آخرة ولا زوجة ولا ولدٌ ولا سماءٌ ولا عرشٌ.

علامة اتباع الرسول ﷺ هي اتباع الشريعة، اتبعوا وأحبوا، ولا تحبّوا قبل الاتباع.

علامة المحبة الاتباع، القضية جميعها مربوطة بالاتباع.

الأكابر يقال لعملهم اتباع، أما الصغار وضعاف العقول فيقال لعملهم تقليد، التقليد صفة ضعاف الشخصية.

التابع الصادق يأتيني الفتح عندما أنظر إليه!

المتبع نيّته حسنة، ومن كانت نيّته غير حسنة أُخِذ بنيّتِهِ.

وإذا كنَّا تابعين كنّا كالمتبوع ﷺ، يرى من ورائه كما يرى من أمامه!!

المتبع مخيلته دائماً أمام رسول الله ﷺ فلا يتساهل ولا يتراجع.

إذا رأى المحب محبوبه نسي كلَّ غالٍ.

التابع تأتيه علوم لا تحصرها الكتب ولا تحصيها الألسن.

ألقتْ نسيبةُ رضي الله عنها كل شيء وهامت في المحبة المحمّدية والإيمان المحمّدي، وكانت تجندل الفرسان بسيفها.

«**المرء مع من أحب**»[١] لا مع من عمل، المحبة هي جوهر النيّة والعمل.

المحب ظل المحبوب، هذا هو الحب الحقيقي، المحب الصادق لا يعرف غير محبوبه، المحب الصادق لا يشعر إلّا بأوصاف محبوبه قد صارت معه.

المحب لا بدّ أن يحاسبه المحبوب على الصغيرة والكبيرة، حتى ينقيه فلا يترك له خاطراً ولا هفوةً إلّا ويحاسبه عليها، أما غير الصادق فمهمل لا يحاسب.

يكون لدى المرشد اثنان: أحدهما يشتغل بالمجاهدات، وآخر مشغول قلبه بالمحبة، فإن الثاني يسبق الأول بأعمال القلب من المحبة والتعلق بآلاف السنين، فصاحب المحبة طيّار وصاحب المجاهدة سيّار.

إيّاكم أن يسبق حُبكم صدقَكم، فإنّه خطر في المائة تسعة وتسعون.

الكيِّس الذي يسبق صدقُه حبَه، فإن الصدق والاتباع لرسول الله ﷺ

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٣٤) برقم: (٢٦٤٠).

ينشأ عنهما الحب الإلٰهي الكامل الثابت الّذي ليس فيه خطر على المتبع المحب.

إيّاك أن تطلب الصفات الإلٰهية، إلّا من طريق الاتباع، تخلّقٌ ثمّ تحقّقٌ ثمّ حقيقةٌ، تشهد أنّك عبد والفاعل المطلق هو الله تعالى.

الرجل المحبوب إلى الله حقاً هو الّذي يتبع أوامر الشريعة، علامة اتباع الرسول ﷺ اتباع الشريعة، اتبعوا وأحبوا ولا تحبّوا قبل الاتباع، فللهوى أحوال.

من يتبع الرسول ﷺ صار عنده ميزان يميز به، يتبع الخير ويبتعد عن الشر.

من اتبع حقيقة سرت إليه شجاعة النبيّ ﷺ فلا يخاف فقراً أو عدواً أو أي شيء، والعناية دائمة، ولكنه بالاتباع أقوى.

«**من قلّد عالماً لقي الله سالماً**»[(١)] يعني العالم بالله، المربوط بالذات الإلٰهية، ليس العالم الّذي لم يعمل بعلمه ولم يكن من العارفين.

الاتباع ينشأ عنه الحب الإلٰهي، الحب الإلٰهي الكامل الثابت الّذي ليس فيه خطر على المتبع المحب.

قال تعالى في الحديث القدسي: «**يا داود ما وسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلب عبدي المؤمن**»[(٢)]. أي بالمعرفة الإلٰهية والعشق الإلٰهي.

---

(١) مثَل شائع على ألسنة العوام.

(٢) كشف الخفاء (٢/ ٢٥٥).

نريد أن نمشي كما مشى أصحاب رسول الله ﷺ.

الحب الثابت ينتج عن الاتباع، يتبع الرسول ﷺ بأقواله وأفعاله وأحواله وأخلاقه وحركاته وسكناته.

الاتباع يطهّر القلب ويزكّي النفس.

علامة المحبة الاتباع، أي يسري من التابع إلى المتبوع شيء، كعربة القطار المربوطة بالماكنة، أينما تمشي الماكنة تلحقها العربة.

المحبة بدون اتباع تضر ولا تنفع، فالمحبة لا تكون بدون اتباع أبداً.

المحبة بدون اتباع ربّما تزول وتكون على خطر.

دين الإسلام دين اتباع لا دين تقليد.

الرجل المحبوب الّذي يتبع الشريعة أي الأمر والنهي.

الّذي يتخلق بما أقول هو المسلم الحق.

الشوق أعلى من الاشتياق، الاشتياق يزول بمجرد الرؤية، والشوق لا يزول، ويدوم.

أريدكم تحبّون الله.

إخواننا العراقيون ما جاء الله بهم إلى (حلب) إلّا لأنه يحبهم، وأنا أريد أن أخدم هذه المحبة.

التابع سيّد دائماً.

المحب يتبع في الأعمال والأقوال والأحوال والأخلاق والأنفاس والنوايا.

المحبة هي جوهر النيّة والعمل.

إذا أحب بعضُنا بعضاً؛ فالمرض يهرب والشيطان يهرب، وتقوى معنوياتنا باللطف واللطافة.

الّذي يحب الله لا يعرف غيره، اعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

أنا أعرف قدر محبتكم لي، وأعرف من يحبني ومن لا يحبني، أنا عن ذوق، أما أنتم فعن وهم وعن.. وعن..

الّذي يدّعي المحبة لا يعمل مخالفة.

المحب سكران فإذا صحا انقطع.

كن مع الله يكن الله معك، كيف تكون مع الله؟ أمرك تأتمر، نهاك تنتهي، فإذا كنت معه بالمحبة كان معك بالوصول، كن مع الله بالمحبة يكن معك(١) بالوصل.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]. فالمتبوع محبوب الله سبحانه وتعالى، فإذا أحب التابعُ المتبوعَ صار محبوباً لله سبحانه وتعالى.

الخمرة النّبهانية! تبقى مع الشخص إلى حد ما؛ فمنهم من تبقى معه إلى باب جامع الكلتاوية، ومنهم حتى يصل بيته، ومنهم أسبوعاً واحداً، ومنهم شهراً واحداً، ومنهم إلى الأبد!

---

(١) لعبد الغني النابلسي قصيدة تتكون من ١٣ بيتاً، مطلعها:

كن مع الله ترى الله معك ... واترك الكل وحاذر طمعك

انظر (مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي) لأحمد قبّش، الباب العاشر.

أنا لا أبتغي بِحبي بديلاً، أنا ومن اتبعني يكون هكذا. كلّ من تغير عن شيخه تبين أنه ما ذاق لبن شيخه، ولو كان ذائقاً لبن شيخه لما طلب غيره.

الاتباع يعطيكم استعداداً وتمييزاً وفهماً، وتسيرون عندئذٍ بكلِّيَّتكم.

الّذي يتبع الرسول ﷺ لا بدّ أن تكون بينه وبين الرسول ﷺ نسبةٌ، الحب مربوط بالنسبة، لا بالقول ولا بالعمل، قال ﷺ: «**الأرواح جنود مجندة، ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف**»(١). أي: لا قبل ولا بعد.

هنِّئ نفسك بالحب الّذي يخرج من الاتباع، أما الحب الّذي قبل الاتباع، ففيه خطر في المائة تسعة وتسعون وثلاثة أرباع.

نحن مأمورون أن نحب ونبغض لله، نحب المرضي لله، ونبغض المبغوض لله.

المحبة الناتجة عن اتباع الرسول ﷺ صاحبُها محبوب، والمحبة التي لا تنتج عن اتباع الرسول تذهب وتنقلب بالعكس.

المحب الصادق لا يعرف غير محبوبه، لا يريد أن يتكلّم مع غير محبوبه، ولا يريد أن يسمع كلام غيره إنه يغار على محبوبه حتى من نفسه. من هو حتى يكون محباً لمحبوبه؟ هذه هي المحبة الصادقة.

المحب الصحيح لا يشتهي إلّا أن يتبع حبيبه.

علامات المحبة أنه يختلي عن الناس، ينعزل عن الناس، وأصعب

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٢١٣) برقم: (٣١٥٨)، وأخرجه مسلم (٤/ ٢٠٣١) برقم: (٢٦٣٨).

شيء عند السالك أن يتكلّم، إلّا إذا أمره مرجعه، يتبع المتبوع في أقواله.. في أفعاله.. في أحواله.. في أخلاقه، حتى إذا رآه غريب يرى مرجعه تماماً.

المحب الصادق أكله ضرورة، ونومه ضرورة، وكلامه ضرورة، والضرورة غير الحاجة، بل أشد بكثير، والمحب الصادق كلامه مؤثر في الجَنان.

المحب الصادق مع الاتباع المحمّدي الحقيقي ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

المحبة الحقيقية لا تكون إلّا بعد الاتباع.

علامات الصادق في سيره ثلاث: إما أن يشمّ شيئاً من الغيب، وإما أن يسمع صوتاً من الغيب، وإما أن يرى شيئاً من الغيب.

إذا كنت تحبّ النبيّ ﷺ فعندها لا أب ولا زوج، نحن نحكي عن المحبة القلبية ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] لا بدّ من الاتباع.

الّذي يحب النبيّ ﷺ يتبع النبيّ في أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته.

«من أحب شيئاً أكثر من ذكره»(١).

كلّما اتبعت النبيّ ﷺ يُلقي الله رب العالمين المهابة منك في قلب عدوك، الحب بدون اتباع ربّما ينعكس.

(١) ذكره المناوي في فيض القدير: (٢/ ٤٣٤).

لا تعملوا عن عادة وإنّما بنية الاتباع، لو أن أحداً عمل بأعمال الرسول ﷺ كلّها ولكن ليس بنية الاتباع لا يستفيد لا كلمة ولا ذرّة البتّة، ثمّ بعدها يشهد حاله لا وجود له، الوجود كلّه للمتبوع، وبعدها النَّفَس الّذي يخرج منه نفَس المتبوع، ثمّ بعدها إذا تقول له أنت شيخك يحبك، يقول: اسكت ومن أنا حتى يُحبَّني شيخي؟!

١٠ - حُسن الخُلق

قال رضي الله عنه :

الّذي يقتدي برسول الله ﷺ ويعمل الأعمال ويتعلم العلم لا ينسب لنفسه شيئاً، كلّه ينسبه إلى فضل الله، وفي رواية مسلم: «ما رأيت أحداً أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ»[(١)].

وقالت السيّدة عائشة رضي الله عنها : «ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً بيده ولا امرأة ولا خادماً إلّا أن يجاهد في سبيل الله، ولا نِيلَ منه شيء (لنفسه) فينتقم من صاحبه إلّا أن يُنتَهَك شيء من محارم الله تعالى فينتقم لله»[(٢)].

وليس لنفسه بل ينتقم لله، هذا عين العبادة، هذا عين الفهم الإلٰهي، حقوقه يتنازل عنها، أمّا حقوق الله، فلا.. «**وأيـمُ الله لو أنّ فاطمة بنت محمّد سرقت لقطعتُ يدها**»[(٣)]؛ لأن هذا شيء غير عائد له هذا أمر الله، هذا هو

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٨٠٨).
(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٥/ ٢٢٣).
(٣) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٨٢) برقم: (٣٢٨٨)، وأخرجه مسلم (٣/ ١٣١٥) برقم: (١٦٨٨).

الحق، ليس لنفسه هذا لربّه، هذا هو المهذِّب؛ لأنّه مهذَّب، هذا هو المؤدِّب؛ لأنّه مؤدَّب، إذا كان الإنسان غير مؤدَّب فيقول شيئاً ويعمل خلافَه، غير المؤدَّب لا يقدر أن يؤدِّبْ، الإنسان إذا لم يؤدب نفسه لا يأتي منه الخير، كما قال ﷺ: «**ابدأ بنفسك ثمّ بمن تعول**»(١).. وهكذا. الحق يعطيك وأنت باقٍ على ما أنت عليه؟ هذه ما وجدت في الوجود أبداً، ولا واحد من كل مخلوقات الله.

سئلت سيّدتنا عائشة رضي الله عنها: «كيف كان رسول الله ﷺ إذا خلا في بيته؟ قالت: ألين الناس، بسّاماً ضحّاكاً، لم يُرَ قطُّ مادّاً رجليه بين أصحابه»(٢). هذه صحيحة لم يُرَ مادّاً رجليه، هذا أدب، لكن بسّاماً ضحّاكاً!! زوجاته كلّهن كاملات صادقات كلّهن مريدات، بل يتسابقنَ دائماً، كل واحدة تسابق أختها بالكمالات، أما الآن فتدخل على المرأة لا تجدها في البيت، يعلم الله أين.. نساء الرسول ﷺ كاملات، والرسول ﷺ كامل، لمّا يشهدهم بهذا الكمال طبعاً يعاملهم بالمعاملة الحسنة.

وعن أمّ المؤمنين السيّدة صفيّة بنت حُيَي رضي الله عنها: «ما كان أحد أحسن خُلُقاً من رسول الله ﷺ ما دعاه أحد من أصحابه إلّا قال لبّيك..»(٣). فقير، غني، كبير، صغير، بعيد، قريب.. إذا دعاه دائماً يجيب، وهكذا شأن الكمّل، وفي بعض المحلات هو يذهب من غير أن يدعوه أحد، خصوصاً إذا تأخر عنه أصحابه، أو مرض أحد وما شابه ذلك، وروى

(١) أخرجه بهذه الرواية الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (١/ ٢٤٦).
(٢) مسند إسحاق بن راهويه (٢/ ٤٣٤) برقم: (١٠٠١).
(٣) مجمع الزوائد (٩/ ١٥).

أحمد وغيره عن سيّدتنا عائشة: «كان سيّدنا محمّد ﷺ يخيط ثوبه، ويخصف نعله، ويصلح دلوه، ويرقع ثوبه، ويحلب شاته ويخدم نفسه»[١]، وهذا يتعين حمله على أوقات؛ فإنه ثبت أنه كان له خادم، فتارةً يكون بنفسه وتارةً بخَدَمِه وتارةً بالمشاركة، وما كان يعتمد على الخادم ولا يترأّس عليه، إذا احتاج إلى شيء يقوم بنفسه، إذا ساعده الخادم فلا مانع، إذا عطش أو جاع يجيء بأكله وشربه كلّه بنفسه في البيت، وكان يشاركهم في العمل، التغسيل والتنظيف وكل عمل.. بدون أن يطلبوا منه، من نفسه يعمل لهم، هذا دلّ على فهمه الحاذق وهذا كلّه صحيح، هذا دلّ على قوته ﷺ وعلى أدبه وأخلاقه، كثير من الناس عندهم قوّة وما عندهم أدب، ويوجد ناس عندهم أدب وما عندهم قوّة، الرسول ﷺ كان جامعاً الأدب والقوّة، وهكذا شأن الأكابر إلى يوم القيامة، لا ينتظرون أحداً، إذا عطش قام وشرب بيده، وإذا أحد جلب له يشرب لا مانع، لكن لا يأمر أحداً أمراً، إلّا إذا لم يكن بينهم حرج ولا تكليف.

وكان ﷺ يركب الحمار ويُجلِس خلفه أحداً، لا يركب وحده، وركب يوم قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف[٢]. وعن قيس بن سعد بن عبادة ﵄ قال: زارنا رسول الله ﷺ فلما أراد الانصراف قرّب إليه سعدٌ حماراً، مغطّى بقطيفة على البرذعة[٣]، وركب عليه رسول الله ﷺ ثمّ قال سعد: يا قيس، اصحب رسول الله ﷺ، فقال لي رسول الله ﷺ: «**اركب**»!

(١) صحيح ابن حبان (١٢/ ٤٩٠) برقم: (٢٤٩٤٧).
(٢) شعب الإيمان للبيهقي (٦/ ٢٩٠) برقم: (٨١٩١).
(٣) البرذعة: الكساء الذي يُلقى تحت الرحل، ليستقر عليه الراكب، انظر: لسان العرب، مادة: برذع.

فأبيتُ، فقال لي: «**إمّا تركب أو أنصرف**» وفي رواية «**اركب أمامي؛ فصاحب الدابة أولى بمقدّمها**»[(١)]. الرسول ﷺ كان معلّماً، صاحب الدابة أدرى بدابّته.. ولمّا قدم رسول الله ﷺ مكةَ استقبله أغلمة بني عبد المطلب، فحمل واحداً بين يديه وآخر خلفه! وقال: «**هؤلاء أولاد العباس**»..

الرسول ﷺ كان قويّاً، يمشي كأنّه ينحطُّ من صبب، أخلاق الرسول أخلاق الأسياد، وليس أخلاق المتعجرفين، الرسول ﷺ قال: «**سيّد القوم خادمهم**»[(٢)]. السيّد يخدم الخادم ويهتم به أكثر من اهتمام الخادم بالسيّد؛ لأن سيّدَهُ خدمتُهُ إلٰهية، سيّد القوم خادمهم، هذه من الله وليست من عبد الله، وهذا رأيناه حقاً، بل السيّد يهتم بأكل الخادم وشربه ومرضه وشؤونه.. يخدم سيادته، تفرض عليه السيادة خدمةَ الآخرين.

الرسول ﷺ كان مرّة في سفر، فأمر أصحابه بذبح شاةٍ وتجهيز الطعام، فقال رجل: يا رسول الله، عليَّ ذبحها، وقال آخر: يا رسول الله، عليَّ سلخها، وقال آخر: عليَّ طبخها، والرسول ﷺ قال: «**وأنا عليَّ جمع الحطب**»، قالوا: يا رسول الله، نكفيك ذلك! قال: «**أعلم أنّكم تكفوني ولكن أكره أن أتميَّز عليكم؛ إن الله يكره من عبده أن يراه متميَّزاً بين أصحابه**»[(٣)]. يوجد فرق بين متميِّز ومتميَّز، المنهيّ عنه، المتميِّز اسم الفاعل، هو ميَّز نفسه، له مشيخة له قيمة، هذا كذّاب وليس شيخاً،

---

(١) المعجم الكبير (١٨/ ٣٥٣) برقم: (٩٠٢).
(٢) فيض القدير (٤/ ١٢٢).
(٣) كشف الخفاء (١/ ٢٩٢).

الرسول ﷺ قال: «**وأنا عليَّ جمع الحطب**». والحطب أصعب الكل، يجمعه ويشعل النار، أما المتمشيخ لو كان سيّداً حقيقياً لخدم، هو ميَّز نفسه وتصدَّر، يريد الناس أن تخدمه، أما إذا هم ميَّزوه فلا يكرهه الله، الرسول ﷺ كان لا يحب أن يتميَّز على أحد، حتى أوّل الإسلام حينما كان الناس يأتون يقولون: أيٌّ منكم محمّد؟! لا يعرفونه؛ يقعد مع الناس لا يعمل عملاً يتميَّز به، يقول سيّدي أحمد الرفاعي رضي الله عنه: «حُشِرتُ مع فرعون وهامان إن خطر لي أني رئيس الجمع»[1]! لكن ماذا؟ إنّما خادم لهذا الجمع، وكان يقول: لو أن الناس افترقوا فرقتين فرقة تبخّرني بالندّ والبخور، وأخرى تقرضني بمقاريض من نار ما زاد عندي هؤلاء ولا نقص عندي هؤلاء. الرسول ﷺ جاء يعلّمنا هذه الأمور.

وعن أبي قتادة: وفَد وفْد النجاشي الّذي ذهب إليه الصحابة فقام رسول الله ﷺ يخدمهم، فقال له أصحابه: نكفيك! قال: «**إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين، وأنا أحب أن أخدمهم**»[2] (أكافئهم). السيّد يعرف حاله، الّذي عنده مال الّذي عنده معرفة الّذي عنده قوّة ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ﴾ [الحديد: ٧]. لا يرى نفسه أميز أو أحسن من مخلوق، إيّاكم أن تروا أنفسكم أحسن من مخلوق؛ لأن الله حسَّنكم، عندما يحسّنك يعني يجعلك سيّداً، إذن وجب عليك أن تخدم بما أعطاك من قوّة، وهذا هو الأصل.. سيّدنا محمّد ﷺ في بعض الأوقات يقوم بالعمل ولو وجد الخادم، لا يقدر الخادم أن يقوم به؛ لأن السيّد الرسول ﷺ أقوى من الخادم وأعلم وأحكم

---

(١) البرهان المؤيد (٧١).

(٢) معجم الشيوخ (١/ ٩٧).

من الخادم، هو يعرف كيف يخدم، وهكذا.. لا بدّ أن نخدم بعضنا بعضاً، ونحب بعضنا بعضاً، ميزة الصحابة كان يخدم بعضهم بعضاً، ويحب بعضهم بعضاً، وكان يعدّون حبهم لبعضهم هو الركن الركين الأساسي، وبه أقول لا شكَّ ولا ريب، أوّل ركن محبَّتُنا لبعضنا، فمهما كان بي من مرض بمجرّد أن نراهم نحبهم يذهب منّا المرض، وإذا كان واحد مبغوضاً إذا لم يكن بي مرض يصير بي مرض. يا لطيف..!

نحن واجب علينا أن نخدم، وهكذا الإنسان «**كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته**»[(١)]. ما فيكم واحد ليس راعياً، راعي بصرك، راعي سمعك، راعي يدك، راعي رجلك.. ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]. إذن الإنسان سيّد على سمعه وبصره ويده وعقله.. لا بدّ أن لا يخرجوا عن إرادتك، هذا متى يكون؟ إذا تهذّب، قال الرسول ﷺ: «**أدّبني ربي فأحسن تأديبي**»[(٢)]. أنت تغتاب أترضى أن أحداً يغتابك؟ لا.. كذلك الناس لا يرضون، الكمالات كانت موجودة عند الرسول ﷺ منذ الصغر، لمّا خُلِق كانت مخفية.

«**عامل الناس كما تحبّ أن يعاملوك به**»[(٣)] هذه تحتاج إلى تربية، أنتم بحاجة إلى تربية تجالسون المتخلقين الأديبين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]. يوجد كثير من الناس عندهم جوهر نفيس لكن ما استعملوه، يقعد مع الكذّابين مع الخائنين مع أهل الغيبة والنميمة..

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٣٠٤) برقم: (٨٥٣).
(٢) فيض القدير (١/ ٢٢٥).
(٣) فيض القدير (١/ ١٧٦).

ذهب وراح؛ وسرت فيه المخالفات، الصادقون ما جاء يوم نقصوا أبداً، لكن الآن استتروا لقلة المؤمنين، وجب علينا أن نجالس الصادقين حتى نستفيد منهم الصدق والكمالات، من أراد الخير فليجتمع مع أهل الله الصادقين، وليس أهل الصور «**إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم، ولكن ينظر في قلوبكم فإذا وجد فيه غيره مقته ووكله إلى نفسه**»[(١)]. ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ﴾ [الحديد: ١٣] كل باطن فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، اجلس مع أهل الرحمة تُزَال الحُجُب ترجع إلى أصلك، الرحمة بطريق الذوق لا بطريق العلم، الله خلقك على الكمال «**ما وسعني أرضي ولا سمائي، ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن**»[(٢)] نحن نريد هذه..

حُسن الخُلُق هو الآلة الكاملة في الإنسان، به تدرَك الأمور على ما هي عليه، تشهد الله باقياً موجوداً حيّاً لا يموت وهو الآمر وهو الناهي ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾ [الأنعام: ٣٨] ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]. «**كلُّ مولود يولد على الفطرة**»[(٣)]. والمذكِّر إذا كان متخلّقاً في التذكير يؤثّر في القلب، الكلام له معنى وهمّة، الهمّة تدخل في قلب الإنسان قبل أن يتكلّم بالكلام ويخرج من فمه، ينظّف ويطهّر الصدر، الكلام يحتل القلب؛ لذلك فإنَّ المؤثّر يشترط فيه شرط أساسي وهو أن يكون كاملاً، هذا يؤثّر، حسن الخلق الّذي ناله بكماله، سيّدنا محمّد ﷺ وتابع سيّدنا محمّد ﷺ ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]. لـمّا

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٨٦) برقم: (٢٥٦٤).
(٢) مسند الشاميين: للطبراني (٢/ ١٩) برقم: (٨٤٠).
(٣) صحيح البخاري (١/ ٤٥٦) برقم: (١٢٩٣).

يكمل حسن الخلق تدركون الأمور، تشهدون الحضرة الإلٰهية بحسن الخلق، تشهدون الأوامر التي أمرنا الله بها أو نهانا عنها، تشهدون الوجود، تشهدونها رأيَ العين، وأعلى تشهدونها بعين القلب، كل ذرّة من ذرّاتكم تشهدون فيها، تشهد وتسمع وتذوق وتستطعم، مثلما قال الرسول ﷺ: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله تعالى ربّاً، وبمحمّد نبياً ورسولاً**»[1].

ومن علامات حسن الخلق أن لا تغضبوا فوراً، لماذا لا تغضبون؟ لأنّكم تشهدون كل الأمور بيد الله سبحانه وتعالى، وهذا الّذي يغضب ويصيح دلَّ على جهله بالله، لو كان عالماً بالله لسكن وما تكلّم، وخصوصاً المرأة! تدعو على ابنها، إذا دعوتِ على ابنك الصغير أو بنتك الصغيرة وكانت أبواب السماء مفتوحة ماذا تعملين يا ابنتي؟ تقولين عن نفسك: حنون وتدْعين على ابنك هذا الدعاء المرّ! أبناؤكم وبناتكم خُدّامكم تلاميذكم.. كلّهم عاملوهم بحسن الخلق، أدّبوهم بأدبكم، علّموهم بحسن الخلق، بحسن خلقكم هذا الناجح.

والله لو تفعلون مثلما أقول لكم لنجحتم بمدّة قصيرة، هكذا كان سيّدنا محمّد ﷺ يعلّم أصحابه بقاله وفعله وحاله، فاقد الشيء لا يعطيه، ما عنده حسن خلق كيف يخرج جيلاً حسن الأخلاق؟ الولد الصغير ادعوا له وعلّموه حسن الخلق، وكذا أمّك، وأبوك وعائلتك كلّها بحسن الخلق، وانظروا كيف سيّدنا محمّد ﷺ عامل اليهودي الّذي كان مستديناً منه شعيراً

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٦٢) برقم: (٣٤).

لمدّة ثلاثين يوماً وجاءه قبل الموعد يطالبه بقيمة الشعير.. ونتيجة حسن خلق الرسول ﷺ أسلم اليهودي!

الخلق الحسن يعني جمال الروح، حسن الخُلق والخَلق، حُسن الأخلاق وحُسن الصورة ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [نٓ: ٤] «**إنما بُعثت لأتمّم مكارم الأخلاق**»[(١)]؛ لأنّه لا يوجد أعلى من أخلاقه ﷺ، أخلاقه هي تمد الظاهر، الباطن هو يمد الظاهر، الإنسان له جسم وروح، والحكم للروح لا للجسم، الجسم حكمه حكم الثوب، جحا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان من الأولياء، في يوم من الأيام غسل ثوبه ووضعه على الحبل، هبّ الهواء فطيَّر الثوب، قال: الحمد لله ما كنت بداخله! الروح باقية لا تموت، الجسم يموت، الجسم لا يقوم بنفسه، الروح قائمة به حاملته وحافظته، الجسم حامل الثوب، لما تكون الروح نزيهة تجمّل الجسم، الجسم قابل للتغيير؛ لأن الروح حاملته، إذا مات يتعفّن؛ لأن الروح تركت تدبيره، الشخصية هي تحمي الإنسان وتحمله، شخصية بارزة فذّة في الوجود «**كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته**»[(٢)] الراعي هو المسؤول.

١١ - وعلى ما في القلوب المعوَّلُ

القلب هو الواسطة بيننا وبين الله، وله ثلاث صفات: الحياة، والصحة، واليقظة، وضدها: الكفر، والمعصية، والغفلة، قلب الكافر ميّت

(١) مجمع الزوائد (٤/ ١٣٩).
(٢) أخرجه البخاري (١/ ٣٠٤) برقم: (٨٥٣).

قطعاً، لا حياة ولا إدراك ولا حاسّة فيه، ما فيه إلّا الماديّات، الحق بنى هذه المملكة على حكمة بالغة، لا بدّ أن يكون هناك تسيير للأمور الظاهرية الحسيّة، قلب الكافر ميّت ناقصهُ الحياة يحتاج إلى إيمان وإسلام، الإيمان هو الصلة بين العبد والرب سبحانه وتعالى ومظهره الإسلام، الإسلام: عمل، والإيمان: تصديق، والإحسان: شهود، هذا هو الدين، الدين له ثلاث مراتب: إيمان، وإسلام، وإحسان. الإيمان هو الدافع للعمل، الإنسان أولاً يؤمن وبعدها يعمل، من هنا المنافقون مسلمون، يعملون عمل الإسلام ولكن لا يوجد إيمان في قلوبهم ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟﴾ كذابون ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ﴾ [الحجرات: ١٤] المنافق ما عنده قلب حي أبداً ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ﴾ الكفرة والفلاسفة والحيوانات هؤلاء مثل بعضهم ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ ما فيها حياة ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ مثل البقر والغنم والحُمُر.. ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]. أكبر مصيبة على الإنسان الغفلة، وسبب الغفلة قساوة القلب، لمّا يقسو القلب يغفل، وإذا غفل ذهب مع الذاهبين! قلب المؤمن صحيح يقظ حي، وإذا عمل أعمالاً غير حسنة وفسق راح؛ لأن القلب الصحيح يحتاج إلى طاعة، وهذا في المعصية وخصوصاً الإصرار على المعصية ما بينه وبين الكفر إلّا حجاب رقيق جداً. هذا قلب مريض، مؤمن، وقلبه مريض لأنّه ما فيه طاعة، القلب إذا كان حياً يعني مؤمناً يحتاج إلى طاعة، الطاعة صحة القلب، بقدر الطاعة تكون الصحة، تأتي الصحة من الطاعات للأوامر الإلٰهية، أول كل شيء المؤمن له قلب يعتقد في الله: الإيمان: «**أن تؤمن**

بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقضاء خيره وشرّه من الله تعالى»[(١)]. هذا اسمه حي، فإن عمل فالقلب صحيح، وإذا لم يعمل فالقلب مريض، افهموا ذلك، لمّا قلبكم يمرض لا تفهمون السبب، السبب أن الحق أمركم وما ائتمرتم، ثمّ أصررتم على ما أنتم عليه، هذا ليس من شأن المؤمن، المؤمن يقع منه ويغفل لكن يرجع، الحق يقول للرسول ﷺ: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥] لماذا المؤمنون؟ لأن قلوبهم حيّة تدرك، أمّا الكفّار فتتكلم معهم ينظرون إليك مثل الحيوانات! الكافر قلبه ميّت؛ لذلك الإنسان لمّا يجلس مع كافر لا بدّ أن يكون قوياً ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣] سلام دخول، أما الضعيف: سلام خروج، لكن القوي: سلام دخول يبين له يمشي معه، القلب من حيث هو إمّا أن يكون له معنى أو ما له معنى، معناه الإيمان، وإذا لم يكن هناك إيمان فحكمه حكم الحيوان، الإيمان تصديق بالجَنان في القلب، والإسلام إقرار باللسان: أشهد أن لا إلٰه إلّا الله، وأشهد أن محمّداً رسول الله، والإسلام خمس مراتب لا بدّ أن يعتقد بها: الشهادتان، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، إذا ما عنده مال ما عليه زكاة ولا حج، الناس: إسلام وإيمان، أما الإحسان (الشهود) من قائم به؟ قائم به الصوفية رضي الله عنهم، هم أهل مرتبة الإحسان، الإحسان مرتبة شهود وذوق، قال ﷺ: «**الإحسان: أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»**[(٢)]. الصوفية أعمالهم عالية لا يغشُّون لا يخونون، حتى

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٣٧) برقم: (٨).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٢٧) برقم: (٥٠).

خلاف الأَولى لا يعملون، حاكم على نفسه، الإنسان إذا حكم على نفسه يصير خيَّالاً يفعل ما يريد، أبو الإحسان لا يقع منه شيء يخالف الحضرة الإلٰهية.

الصلاة خادم ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] الشيطان لا يجرؤ أن يدخل في محلات فيها كرامة؛ لأنّه مطرود، تدخل الملائكة والجنّ الصالحون، نحن والجنّ إخوان خُلِقنا من طينة واحدة لكنها معكوسة! فالطين فينا أكثر، وهم فيهم النار أكثر، هم فيهم نار وهواء وماء وتراب، نحن فينا تراب وماء وهواء ونار؛ لأجل ذلك إذا كان المكان الّذي نريد أن ندخله مسدوداً لا نقدر أن ندخل، هم طبيعيون فيهم نار أكثر فيدخلون في العروق! في الإنسان مجرى الدم، يصيرون في الإنسان، نحن نأكل وهم يشمّون شمّاً، الملائكة لا أكل ولا شمّ ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]. الملائكة ليس فيهم ذكر ولا أنثى، طعامهم التسبيح والتقديس، نور فقط، المشركون يسمّونهم بنات الله!

القلب هو المركز الأساسي للإنسان، حياتنا في إطلاق القلب، وسرورنا في حياته، قال الترمذي ﷺ: حياة القلوب الإيمان، وصحتها الطاعة، ويقظتها الذكر. تذكّروا الله، تذكّروا الجنّة، تذكّروا الموت، الإنسان إذا كان قلبه مملوءاً بالأغراض رجلاً أو امرأة بالبدلة الفلانية، أو الثوب الفلاني.. فهذا إعراض عن الله وإقبال على النفس التي هي محل الشهوات، الأصل هو الأخلاق، لا مانع أن تأخذ ثوباً أو أي شيء آخر من أكل أو لبس وتذهب إلى محل الخياطة لكن ليس عند الرجال، أخلاق الإنسان وخصوصاً المرأة جمالها بأخلاقها، والّذي عنده أخلاق يدّل ذلك

على أن أعماله مقبولة صحيحة، نتيجة قبول الأعمال عند الله أن تكون عند الإنسان أخلاق، والأخلاق هي آلة الفهم للإنسان، والرسول لمّا أُرسِل، أُرسِل تحت عنوان: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [نٓ: ٤]. قال ﷺ: «**إنما بُعِثتُ لأتمّم مكارم الأخلاق**»(١). الأصل في الوجود بالدنيا إتمام مكارم الأخلاق، المكارم موجودة لكن إتمامها خاص بالأمّة المحمّدية، الإنسان عليه أن يتمّم المكارم بالاتباع المحمّدي، القلب لا بدّ أن يكون دائماً متوجّهاً إلى الله، وجرت العادة أن هذا لا يكون بمجرّد العبادة ولا بمجرّد الذكر، ولا بمجرّد الأعمال.. بل بالصحبة وإعطائها حقَّها، إذا صحب وما أعطاها حقَّها لا يستفيد، وهذا رئيس المنافقين عبد الله بن أبيّ ابن سلول صحبَ رسول الله ﷺ ومات منافقاً، كان مسلماً بالصورة، الحق يقول: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] الصراط المستقيم هو الرسول ﷺ. لكن إذا لم يهدنا إليه لا نعرفه، لذلك يقول الحق: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ حتى يخرج ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]. أما الصراط المراد هو صراط الّذين أنعمت عليهم ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩]. ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ أهل النفوس ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ أهل العقول الفاسدة، والغضب مظهر لليهود؛ لأن اليهود يعرفون الرسول كما يعرفون أنفسهم! لكن ما آمنوا به حسداً من عند أنفسهم، والحسد يخرج من صغير العقل ولو كان عنده علم، إلى يومي هذا ما رأيت حاسداً عقله كبير واسع! سيّدنا خالد بن الوليد بقي عشرين سنة يحارب رسول الله ﷺ لكن ما حسده ولا

(١) مجمع الزوائد (٤/ ١٣٩).

سُمِع عنه الحسد، حتى يوم أسلم بعد عشرين سنة بلغ ذلك رفيقَه عكرمة بن أبي جهل (قبل إسلامه) فقال له: يا خالد، بلغني أنّك صبأتَ! قال: لا! بل أسلمتُ، قال: كيف تسلّم لمن يسيء إلى أبيك في القرآن؟ قال: دعنا من تلك العصبية، الرسول ﷺ على حق، ثمّ بعد أن أسلم وهو في بلده مكة اشترى خيلاً وبعثها هدية إلى رسول الله ﷺ.

إبليس الخفيف هذا الحاسد! أول حسد ظهر، ظهر على إبليس، الحق لمّا أمره بالسجود لآدم أبى واستكبر وكان من الكافرين، الحق سأله ﴿يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ [صَ: ٧٥] العالون: الملائكة المحبّون الهائمون بالحضرة الإلٰهية، ما عندهم خبر بوجود آدم ولا إبليس، رائحون في الحضرة الإلٰهية أهل الشوق والاشتياق. إبليس قال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [صَ: ٧٦] تبين أنه تكبر! لماذا أنت خير منه؟ قال: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [صَ: ٧٦] أنا أقول لك: اسجد لآدم وليس آدم القائل!.. الحسد لا يأتي من عاقل أبداً، ووجدناه مع مغضوب الوالدين ومع شارب الخمرة على الدوام.

إذا رأينا واحداً عنده حسد فإيمانه ضعيف، الّذي إيمانه صحيح قلبه صحيح وهذا الّذي يدرك، لو كان إبليس عنده ذرّة من الذوق لسجد لآدم وترقى؛ لأن آدم هو الخليفة، أما الجنّي فما عنده استعداد لكي يكون خليفة، قولوا لأنفسكم، أنتم تضيّعون عمركم! أنتم فيكم سر الخلافة وتضيّعون عمركم باللبس والأكل والسينما واللهو؟ الله يكبِّر عقلي وعقلكم.. آمين! هذه وضعها الله في القرآن حتى نتّعظ ونأخذ عبرة ولا نعمل مثل إبليس، ظن أن السجود لآدم! لا بدّ أن يسجد لآدم لأن الله أمره، آدم هو خليفة الله في

الأرض، ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ [صٓ: ٧٦] إذَنْ ترى نفسك أحسن منه! فالّذي هو أحسن يسجد قبل غيره؛ اللطيف هو يخدم الكثيف، افهموها.. انظروا حالكم عدّلوا سلوككم، إذا كان واحد يرى نفسه متعبداً كثيراً أحسن من واحد تائبٍ جديدٍ أعماله قليلة افهموا أنه تلميذ إبليس! ولا يمكن أن يرقّيه الله إلّا بعد أن يبتليه، ولا يبتليه حتى يحبه، والابتلاء امتحان، لا بدّ أن نتوب ونرجع إلى الله وندخل في المحبة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] نعترف بأننا كنّا مخطئين كثيراً، هذا ليس عيباً، إذا وقع منكم ذنب توبوا، فقط العيب عدم التوبة من الذنب، إذا وقع منكم في اليوم الواحد مائة ذنب أو أكثر توبوا كل مرّة، لكن بالقلب وليس باللسان.

سيّدنا أبو يزيد البسطامي كان له صاحب اسمه أبو موسى الأردبيلي، صحبه ثلاثين سنة، قال له: يا أبا يزيد، مرَّتْ ثلاثون سنة وأنا صاحبك لا تعمل عملاً إلّا أعمله، ولا تعتقد اعتقاداً إلّا أعتقده، ما لي أراك تتكلّم بكلام لا أتكلّمه أنا؟ بل لا أفهمه! قال له: لوقوفك مع نفسك! قال له: ألذلك دواء؟ قال له: نعم ولكن لا تقدر، قال: أقدر، قال: لا تقدر! قال: أقدر، قال: طيب! إذا قلنا لك: رح إلى الحلّاق قل له: احلق لي لحيتي! وجئ (بمخلاية)[1] واملأها جوزاً، واذهب إلى الصبيان وقل: يا صبيان كل من يضربني كفّاً أعطه جوزة! قال: سبحان الله يا أبا يزيد! لمثلي يقال ذلك؟ قال له: أشركتَ! قال: لماذا؟ قال: نزهتَ نفسك! قال: أعطني غير هذا الدواء، قال: لا يوجد غير هذا الدواء! ﴿وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ﴾ [البقرة: ١٨٩] لا يوجد غير باب الذل والانكسار والرجوع إلى الله.

(١) حاوية أو زنبيل.

«كل ابن آدم خطّاء، وخير الخطّائين التوّابون»[(١)]. «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي»[(٢)].

بالقوّة والعبادة والعلم لا نقدر؛ لا يوجد أعلم ولا أعبد من إبليس، خذوا قاعدة مني إذا أعطتكم العبادة والعلم خضوعاً وانكساراً وذلًّا وخدمةً افهموا أن الله يريد أن يرقّيكم، هذه العلامة الصحيحة، إذا كان واحد صوّاماً قوّاماً في الليل متعبّداً لا مانع لكنه ذليل منكسر إلى الله هذا دليل على أن الله يحبه، وإذا أعطته العجب والغرور والكبر ويرى نفسه أحسن من غيره فهذا مطرود من الرحمة الإلٰهية سواء كان رجلاً أو امرأة لأنّه ما بينه وبين الرحمة نسبة ﴿طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] الحق عَزَّوَجَلَّ لمّا أعطى سيّدنا الخضر العلوم اللدنية لسببين: عبديته ورحمته ﴿فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا﴾ [الكهف: ٦٥]. فإذا لم يكن عبداً لربِّه يرى نفسه فوق الناس ويقول: أنا صلّيت وقمت الليل وسبّحت وأصوم كذا يوم.. لماذا حكاها؟ حتى يصير له كيان عندنا! لا.. بالعكس صرنا ننظر إليه نظراً مشكوكاً فيه؛ لأنّه تلميذ إبليس، إبليس قال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ [صٓ: ٧٦]. لماذا لم يقل: ذلك فضل الله؟ وأنت يا متعبّد قل: ذلك فضل الله، إذا لم تقل فأنت لست أحسن من قشّة! لا بدّ أن تعملوا مراكز، كل شيء له مركز أساسي في الدين، المركز الأساسي هو الاعتراف، عندما ترتكبون ذنباً أو سيئةً اعترفوا وارجعوا إلى الله ولا تطغوا.

أعمالكم وكثرتها أمام أعينكم وتقولون اندماج؟ عند الله لا يوجد اندماج! لو عمل أحد مليون حسنة وعمل سيئة واحدة صغيرة هذه نقطة

---

(١) سنن الترمذي (٤/ ٦٥٩) برقم: (٢٤٩٩).
(٢) ذكره الإمام العجلوني في كشف الخفاء (١/ ٢٠٣) برقم: (٦١٤).

سوداء واضحة، لا بدّ من الرجوع إلى الله، الحق ربّما يمحوها أو يبدّل سيئاتهم حسنات، هذه قاعدة مطردة، إذا أراد أحد أن يزِن نفسه فهذا سهل جداً جداً أنا يا تُرى إذا وقع مني ذنب أأعترف؟ أم تأبى نفسي؟ هذا إبليس متكبر هذا طالب الربوبية! لا يوجد غير رب واحد ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١]. أما أن تدمج نفسك معه فهذا خطأ، هذا دليل على ضعف العقل، إذا كنتم تعترفون وتقرّون فالحق عَزَّوَجَلَّ يبدّل سيئاتكم حسنات، يعطيكم الرحمة الإلٰهية ويعلّمكم العلوم.

إذا عمل أحد الناس عملاً صالحاً خالصاً لوجه الله لا بدّ أن يأتيه ابتلاء! الناس تقول: خيراً لا تعمل شراً لا تلاقي!. لا لا..، أنتم لمّا تعملون خيراً يبتليكم حتى يرقيكم، إذن وجب علينا أن نصبر ونرضى ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥]. الله جعلكم للرُّقيّ دائماً يزيد إيمانكم على الدوام، زيادة الإيمان لا تكون بالأعمال فقط! ما تكون إلّا بالابتلاءات، أي الاختبارات، لمّا يبتليكم اعرفوا أنَّه هو المبتلي، لا يوجد أحد، لا تغضبوا، المبتلي هو الله، ذل وانكسار ورجوع إلى الله ولا تروا أنفسكم أحسن من غيركم، وانسبوا النعمة إليه جلّ جلاله.

صادق الوجهة لا يعمل شيئاً يخالف وجهته، المحب لا يعمل مخالفة، حجاب الظلمة: المخالفات، وحجاب النور: حب الجنّة والآخرة، هذا يسمونه صفاتيّاً، المخالفات انطبعت آثارها في القلب فصارت ريناً ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [النحل: ١٠] الله أمرك لماذا لم تأتمر؟ نهاك لماذا لم تنتهِ؟ هذا الطبع الّذي هو الرين لا توجد فائدة إلّا بالتطبيق، يمكن أن يجيء يوم فيطبّق، نحن لا نغلق الباب، لا نغلق باب الله.

القلب له جنود من الملائكة والشياطين، الملائكة جنود للصادقين النزيهين، والشياطين جنود على المجرم والجاني على الكذّاب والفاسق، جنود القلب اثنان: جندي صوري تراه بالعين الشحمية، يراه الكافر وغيره: اليد والرجل. . أما الثاني وهو المعنوي: الصفات، هذه لا يراها إلّا صاحب القلب ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧] ألقى السمع لأهل القلوب، هو ليس منهم ليس له قلب، لكن ألقى السمع فصار بين يديهم يأمرونه بما يهذب نفسه كما يريدون، هم أهل الله.

المجاهد يأتمر بما أمره الله وينتهي عمّا نهاه الله، والباقي كلّها عصبيات، الأصل في الوجود الأمر والنهي فقط، لا نفهم إلّا الشريعة، لا نتكلّم بالحقائق.

صاحب القلب والروح أقرب إلى الله من الجنّة.

النفس مربوطة بالشهوات، والعقل مربوط بالتمييز، والقلب مربوط بالتقلبات، والروح مربوطة باللطف واللطافة، وهي الواسطة بيننا وبين الحق عَزَّوَجَلَّ .

القلب ساجد من الأزل إلى الأبد، كل القلوب؛ لأجل ذلك فإن الله تعالى لم يسلّمنا قلوبنا قال ﷺ: «**قلوب الخلائق بين أصبعين من أصابع الرحمٰن يقلّبها كيف يشاء**»(١) القلوب دائماً ساجدة.

وعلى ما في القلوب المعوّل وهذا هو الحق، أين الإيمان؟ في القلب، أين المعرفة؟ في القلب، وأين الشوق؟ في القلب، وأين الحب؟ كلّه في القلب، وعلى ما في القلوب المعوّل.

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٤٥) برقم: (٢٦٤٥).

القلب سلطان الجسم، وهو محل التجليات الإلٰهية.

القلب هو محل التجلي الإلٰهي، وهذا القلب دائماً حواليه شياطين وملائكة، الشياطين تريد أن تحتله والملائكة تريد أن تحتله؛ لأن الّذي يحتل القلب احتل الجسم! القلب هو الملك، والمرجِّح هو الإنسان، الإنسان إذا يكون بجانب الملائكة يحتلون قلبه. أما إذا جالس أهل الغيبة والنميمة يرجّح الشياطين فيحتلونه، مسكين هذا القلب! دائماً عليه الهجوم، إمّا ملائكة وإمّا شياطين، والمرجَّح هو الإنسان، أي همّته، قيمة الإنسان همّته.

مع كل إنسان شيطان وملَك متنازعان لأجل احتلال القلب، والمرجّح بينهما أنت أيها الإنسان، فإن رجّحتَ الشيطان احتلّ الشيطان القلب، وإن رجّحتَ الملَك احتلّ الملَك القلب ليلاً نهاراً يومياً آنياً القلب حياته الإيمان، وصحته العمل الصالح والطاعة، ويقظته الإقرار والرجوع إلى الله تعالى، ومرضه الإصرار على الذنب ولو كان صغيراً. القلب سلطان الجسم **«إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كلّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلّه، ألا وهي القلب»**[(١)].

«ما وسعتني أرضي ولا سمائي، ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن»[(٢)].

«إن لله أواني ألاَ وهي القلوب، أقربها إلى الله ما رقّ وصفا وصلب»[(٣)].

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٨) برقم: (٥٢)، وأخرجه مسلم (٣/ ١٢١٩) برقم: (١٥٩٩).
(٢) ينظر: كشف الخفاء (٢/ ٢٥٥).
(٣) الفردوس بمأثور الخطاب (١/ ١٩٢) برقم: (٦٩١).

القلب هو الّذي فيه السرّ، لا القلب الصنوبري ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩]. القلب محل الأمر والنهي.

القلب مربوط بالتقلبات

قال ﷺ: «**قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن، يقلّبها كيف يشاء**»[(١)].

رأس مالنا الصفاء.

حاكمنا ورئيسنا هو القلب، فإذا صار به شيء فسد الإيمان فتعمى القلوب.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧] أي ليس له من أمره شيء، بل بين يدي المرجع، وليس له رأي، وهذه المرتبة إذا لم يكن من أهل القلوب وهم أهل العناية كان ممّن ألقى السمع وهو شهيد، وهم أهل المجاهدة.

القلب إذا طَهُر سعِد، نجا، قلبك عزيز، قلبك مجيد، قلبك عظيم، قلبك حكيم، حتى تفهم القرآن، حتى تكون نسبة بينك وبين القرآن بهذه الصفات.

إذا كان قلب الشخص صحيحاً فكل تفكيراته صحيحة، وإذا كان قلبه مريضاً فكل تفكيراته مريضة.

طهارة القلب أعلى من طهارة النفس؛ لأن القلب ليس فيه شهوات، والنفس فيها شهوات.

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٤٥) برقم: (٢٦٤٥).

الجسم مع القلب كالجندي مع الآمر، فالجسم مأمور للقلب، رأس المال هو القلب.

الإيمان مرتبة قلبية، ولا تصح النيّة إن كان يقول: نويت بلسانه، لا تصح إن لم تكن خارجة من القلب.

كثرة المزاح وكثرة الضحك تميت القلب، كل من يمزح لا قلب له. حياة القلب متوقفة على صدق صاحبه. بعْ فرشتك واشتر لك قلباً. المراد من القلب النور الإلٰهي، السرّ الإلٰهي، هو صاحب الأمر والنهي.

- نور القلب، نور البصيرة:

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

إذا منَّ الله تعالى عليكم بالنور استعملوه، الحق عَزَّ وَجَلَّ أعطانا نورين نوراً ظاهراً ونوراً باطناً، نور الظاهر: ندرك به الأشياء المحسوسة المادّية، ونور الباطن: ندرك به الأشياء الغيبية المعنوية، والحق سبحانه اعتبر الثاني الّذي هو نور الغيب نور الباطن ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] هذه التي تدرك الله، هذه التي تفهم عن الله، هي التي ترى ليلة القدر وليلة المولد، وترى الأولياء والأبدال، ترى الحق عَزَّ وَجَلَّ ، ترى الرسول ﷺ ترى الملائكة، لا عين البصر. عين البصر شارك الإنسان فيها الثور والحيوان، عين البصيرة عند الإنسان فقط، حتى الجنّي ما قدر أن يشاركك في كمالها، عنده منها، لا كمالها؛ لأنّك صالح لئن تكون خليفة الله في الأرض، وهم ليسوا بصالحين لأن يكونوا خلفاء الله في الأرض.

كل شيء معلّق بالمعاني والغيب كلّه، فالرؤية بعين البصيرة، الله خلقنا من شيئين اثنين: من مادّة وروح، البصر روحاني والعين جسماني، السمع روحاني والأذن جسماني ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [صٓ: ٧١] التفاضل يكون في ذلك، سرّ التفاضل يقدّر الأمور ويميزها، التفاضل ليس بالمكان، إذا واحد سكن في مكان عالٍ لا يعني هذا أنه أحسن من غيره؛ لذلك الحق ما اعتنى بعين البصر وإنما اعتنى بالبصيرة ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣] الإيمان يشهد الغيب كالشهود؛ لأن هذا معنى وهذا معنى، القضية تحتاج إلى إيمان، تجديد الإيمان، تحقيق الإيمان.

نور القلب نور البصيرة، هذا معنى من معاني الله تعالى، يدرك الغيب يدرك الحضرة الإلٰهية، يدرك الرسول ﷺ، يدرك الجنّ، يدرك الملائكة. البصيرة أمرها غريب! تدرك كل شيء، فهي التي تبصر وتسمع وتحكي وتشمّ وتذوق ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٦٥] نحن لنا العين لكن البصر له، الأذن لنا لكن السمع له، اللسان لنا لكن الكلام له «**اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله**»[١] أي بنور البصيرة، أي بعين البصيرة لا بعين البصر.

عين البصيرة تدرك المعاني، وأما عين البصر فلا تدرك المعاني، تنعكس عين البصيرة على عين البصر ثمّ تدرك.

البصر يدرك الأشياء المادّية المحسوسة، والبصيرة تدرك الله، تدرك الكمالات من ذاتها.

---

(١) سنن الترمذي (٥/ ٢٩٨) برقم: (٣١٢٧).

يوجد في المجالس جميعها ملائكة وجن! لكن لا يرون بعين البصر بل بعين البصيرة.

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] السماء إشارة إلى الباطن، والأرض إشارة إلى الظاهر، الباطن: هي البصيرة، والظاهر: هو البصر.

تمزيق الحجُب الحقيقي وجودك بين يدي أهل الله، أهل الله خاصة الكمّل، على عيني. المكاشفة مربوطة بتطهير النفس، حتى الكافر إذا روّض نفسه وجاهدها يصل إلى هذه المرتبة، أما الكشف فهو خاص بأهل الله ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَٰهُمْ﴾ [الأعراف: ٤٦].

البصيرة تدرك الله، الإنسان لمّا يشهد الحضرة الإلٰهية ليس بعينه، وإنّما يشهدها بكلِّ ذرّة من ذرّاته.

الله موجود شئنا أو أبينا، ولكن لا بدّ أن نتلطف لكي ندرك الله، واللهِ لا نرى الله إلّا بالله. الإنسان لمّا يشهد الحضرة الإلٰهية لا يشهدها بعينه، بل بكل ذرّة من ذرّاته؛ والبصر يا أولادي مادّي حسّي، لا يشهد إلّا المادّة والحس، أمّا النور الداخلي، نور القلب، نور البصيرة لا يُمسَك، هذا معنى من معاني الله، هذا الّذي يدرك الغيب، يدرك الحضرة الإلٰهية، يدرك الرسول ﷺ والجنّ والملائكة، البصر غير البصيرة، البصر لا يفهم هذه القضايا، نحن بالبصر لا نرى إلّا زيداً وبكراً وعَمْراً.

البصيرة معنى، والبصر حس، والبصر ينظر من طرف، والبصر يبصر من جانب العقل، والبصيرة من القلب، البصيرة تدرك كل شيء، اللسان: يتكلّم، والأنف: يشمّ، والأذن: تسمع، البصيرة: هي التي تشمّ وتحكي وتذوق وتتكلّم.

نور المخلوق لا يتجزّأ، فكيف نور الخالق؟ من باب أولى وأولى وأولى لا يتجزّأ.

الله إذا منَّ عليكم بالنور استعملوه، الرسول كلّه نور، يرى من أمامه وخلفه، ومن فوقه وتحته، كان يرى بالبصيرة.

ربّما تكلّم الإنسان بكلام يهوي به في جهنم سبعين خريفاً؛ لأنّه ليس عنده نور. النور يعطي تمييزاً وفهماً. كل إنسان عنده نور، ولكن إذا كانت بصيرته مطموسة فذاك شيء آخر. النور الحقيقي كما تقول النار: «**جُز يا مؤمن فإن نورك يطفئ لهبي**»(١). نوركم يطفئ لهب الشيطان. النار تقول: جُز يا مؤمن فإن نورك يطفئ لهبي. وكما أن النور يطفئ لهب النار كذلك نوركم يطفئ لهب الشيطان. الظلمة ليست من عند الله، الله خلقكم، ويبيّن لكم الظلمة. النور غيور، نور وظلمة لا يجتمعان أبداً البتّة.

١٢ - مجالسة أهل الله

الإنسان لمّا يصدق، يستمر يصدق حتى يقعد مع الصادقين ولا يفارقهم حتى يكتب عند الله من الصادقين الصدّيقين، الصدق يجرّه إلى الخير، والخير يجرّه إلى الجنّة، نعم إذا كان اعتقاده سليماً، ولمّا يجلس بالمجلس لا يرى إلّا المرجع، اللهمّ صحيح، هذا له علامات، العاقل لا يتكلّم لكن حاله صدْق، إذا ما تكلّم لسانه، لكنه موجود مع أهل الله ويملأ من النور حتى يظهر على الفاسق ويخاف منه من النور الإلٰهي، الرسول ﷺ دائماً

(١) المعجم الكبير للطبراني (٢٢/ ٢٥٨) برقم: (١٨٥٢٠).

بالشهود مع الحضرة الإلٰهية «**نُصرت بالرعب من مسيرة شهر كامل**»[(١)] كان من رآه على بُعد فقد هابه، هيبة من الذات الإلٰهية ظاهرة فيه؛ لأنّه دائماً بالشهود وبالأدب مع الشهود..

يجلس الرجل مع أهل الله بالأدب، آداب خاصة يتذوق منهم، تبيّن عنده شيء من الصدق والنزاهة، يتغذى وينمو حتى يفهم العلوم كلّها ولو ما درس العلم، ويفهم أكثر من الّذي درس العلم، سيّدنا الصدّيق كانت مدّته قليلة سنتين بعد وفاة الرسول ﷺ ولكن أي علم عنده؟

مجالسة أهل الله تفيد إذا وجد صدق وأدب، وإلّا فمجرّد الجلوس بالجسم مع أهل الله إذا لم يكن نورانياً قد تبعده عن أهل الله، معرفة أهل الله أصعب من معرفة الله، الله معروف لأنّه مخالف للحوادث، خالق المخلوقات، لكن الولي مثلُنا يأكل ويشرب ويعمل.. الّذي يريد أن يجالس أهل الله قبل كل شيء يجب أن يكون عنده اعتقاد سليم لا يجيء بصورة منتقد.

انتقاد سيّدنا موسى لسيّدنا الخضر هذا من الكمال، انتقاد علمي، عليه أن يبيّن له مثل ما بيّن له سيّدنا الخضر، مع كون سيّدنا الخضر أخذ عليه العهود أن لا يسأله وأن سيّدنا موسى مبعوث من قبل الحضرة الإلٰهية، لمّا خطب سيّدنا موسى الخطبة التي ذرفت منها العيون قالوا: يا كليم الله، هل هناك أعلى منك؟ قال: لا، فقال له الحق: بلى يوجد أعلى منك رجل أمّي لا يقرأ ولا يكتب، قال له: أين هو يا رب؟ قال له: في مجمع البحرين، فذهب إليه.. سيّدنا الخضر عندما رآه من بعيد غطّى وجهه فجاء، ووقف

---

(١) أخرجه البخاري (١/١٢٨) برقم: (٣٢٨).

إلى جنبه ورمى السلام، وقعد ﴿فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا﴾ [الكهف: ٦٥] علم الذات الإلٰهية، هذا اختصاص ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ﴾ [الكهف: ٦٦] جاء تلميذاً بعثه الله! انظروا القوّة، الله بعثه تلميذاً وقال له: أعلى منك، مع هذا لمّا يعمل سيّدنا الخضر قضيّة مخالفة للشريعة ينتقده سيّدنا موسى، هذا كمال وقوّة، سيّدنا موسى ما أجمله، استسلم له بعدها الاستسلام الكلي، سؤال سيّدنا موسى وإنكاره على سيّدنا الخضر هذا هو الحق، ديننا دين حق، الّذي يريد الجواب الحق عليه أن يستسلم، وهذه لا يقدر عليها إلّا صاحب النفس التي تزكّت، النفس غير المزكّاة لا تقدر عليها أبداً، تبحث عن القول الضعيف حتى تردّ عليه (تلفّ وتدور!) ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا﴾ [الكهف: ٦٦] قال له سيّدنا الخضر ﴿إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٦٧ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ٦٨﴾ [الكهف: ٦٧، ٦٨] سيّدنا موسى أعلى من سيّدنا الخضر بما لا يقاس؛ سيّدنا موسى نبي ورسول ومن أولي العزم بالاتفاق، أما سيّدنا الخضر فمختلف فيه، قيام سيّدنا موسى كلّه مظهر للشريعة مظهر للعلماء، يعني يقول للعلماء يا علماء، مهما كان فأنا أعلم منكم لأنني رسول الله، انتقدوا مثلما أنتقد لكن انتقاد أدبي.. سيّدنا الخضر أخذ عليه العهود، «إذا صحيح الله باعثك» (سيّدنا الخضر عنده خبر لكنّه تجاهل) قال له: فإن اتبعتني تكن أديباً فلا تسألني عن شيء.. أخذ عليه العهود لكن هذه العهود ما أخذ بها سيّدنا موسى، أكثر ما يظنّون أن سيّدنا موسى أخذ بها، لا لا لا أبداً، شرط أساسي أنَّ سيّدنا موسى ينتقد، لا ينتقد لمذهب؛ ربّما المذهب الثاني صحيح، سيّدنا موسى كان ينتقد من حيث الشريعة أي

صورة الشريعة، وكان سيّدنا الخضر بالحقيقة، خالف الشريعة بالصورة، سيّدنا موسى طار عقله لمّا خرق السفينة مع أنَّ أصحابها أركبوهما مجاناً! يعلّم الخضر، والخضر يعرفها كلّها، أما سيّدنا موسى فيعلّمنا نحن أن ولياً من غير شريعة لا يكون، الولي عليه العمل بالشريعة، الشريعة رمز من الحيّ إلينا، قال الحق: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] هذا للذي يطبق الشريعة، بالصورة سيّدنا موسى آتٍ يتعلم لكن بالحقيقة آتٍ يعلّمنا، هكذا افهموا سيّدنا موسى، وضعها الله في القرآن قواعد حتى تصل إلينا، كل من مشى عليها سلم ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ [الكهف: ٧١] منكراً! قال سيّدنا الخضر: الله بعثني أحفظ السفينة لأهلها؛ لأن الملك عنيد يأخذ كل سفينة جديدة جيّدة غصباً..

الّذي أحق بالعلم القلب الطيب أبو النفس المزكّاة، هنا يجب علينا أن نحترم العلماء مهما كان شكلهم ولو كان العالم واقعاً بالحرام والمخالفة؛ لأنّه عنده علم، وحامل العلم، هو يعرف حاله إذا عمل مخالفة بما عنده من العلم، ربّما يأتي يوم يتوب، سيّدنا موسى جاء معرِّفاً ومؤدِّباً ومهذِّباً ويرد دعوى المدّعين، سيّدنا موسى ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى﴾ [الكهف: ٧٦] لو لم يقل هذا سيّدنا موسى لأجابه ولو سأله ألف سؤال! قال له سيّدنا الخضر: الآن أعلّمك: أمّك عندما وضعتك باليمّ حتى تخلّصك من فرعون وأنا كذلك خلّصتُ السفينة من الملك رأوها معيبة فتركوها، وأنت قتلت القبطي وأنا قتلتُ الغلام والحق أعلمه أن الغلام سيكون شقيّاً ولكي أخلّص الأم والأب منه، وإنّ عُمْر الغلام انتهى فقتلته، بعدما خيَّرتُ الأم والأب أن هذا الغلام كذا وسيعوّضكم الله ببنت يأتي

منها نبي، فوافقا على قتله، العمر والرزق لا يزيد ولا ينقص، الزيادة في البركة فقط، بعض الأوقات يموت واحدٌ ويرجع؛ هذا لا بدّ أن يستكمل رزقه ثمّ يرجع يموت.. والقبطي أنت قتلته حتى تخلّص الإسرائيلي؟ قال: نعم، أما الثالثة: طلبنا منهم وما أطعمونا وأنا مبعوث فأقمت الجدار (هذه كرامة لسيّدنا الخضر) سمّى بالرحمٰن وأرجعه؛ لأنّ تحت الجدار كنز، وهذا الكنز وضعه الأب «من عاشر ظهر» عند الله أمانةً قال له: يا ربّ، هذا الكنز أمانة عندك لولد صالح من صلبي! والولد الصالح يظهر قريباً فإذا تركت الجدار ينهدم ويأتي بعضهم ويأخذ الكنز، وأنت يا موسى لماذا سقيتَ لبنات شعيب بدون مقابل؟ ثلاثة أنت عملتها! هذا كلّه تعريف لنا، سيّدنا موسى أعلى ويعلم بذلك وسيّدنا الخضر بيَّن قال له: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِىۚ﴾ [الكهف: ٨٢] هذا كلّه من عند الحضرة الإلٰهية.

سيّدتنا رابعة العدوية قالت: ما عبدتُك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنّتك، إلّا أنّك إله تستحق العبودية. هذه تكلّمت من نزاهتها، والكلام الناضج لا يخرج إلّا من النزاهة، النزيه تأتيه علوم لا يعلمها إلّا النزيه أو أنزه منه، سيّدتنا رابعة العدوية رضي الله عنها كانت مشهورة بالعبادة والمحبة، الّذي نالته بالنزاهة، في زمانها أي عالم كبير كانت تقول له: ما أراك إلّا رجلاً تحبّ الدنيا! هذه نزيهة درجة أولى، ما توجهت إلى الله لغرض نفسها البتّة، صاحب هذه المرتبة واصل ما انقطع بتاتاً، دائماً الأمور تخدمه، حتى كل شيء في الوجود يخدمه، كان أحد الأكابر شيخ من المجتهدين تقول له: ما أراك إلّا رجلاً تحبّ الدنيا! يقول لها: صدقتِ، كان يكتب الحديث، هو سيّدنا سفيان الثوري، أرسل مرّة هارون

الرشيد أحد وزرائه برسالة إلى سفيان الثوري إن كان بحاجة إلى مال أو إلى شيء! سافر الوزير إلى الكوفة، فسأل: أين سفيان الثوري؟ فدلّوه عليه.. دخل المسجد ووجد الشيخ يعطي درساً، فقعد ينتظر إلى نهاية الدرس، بعدها تقدم إلى الشيخ وسلّمه الرسالة، فأعطى الشيخ الرسالة لأحد تلاميذه ليقرأها، ثمّ قال الشيخ للتلميذ: اقلب الرسالة واكتب يا هارون، أما كفاك أن تسرق بيت المال حتى تجعلني شاهداً عليه؟! فتأثر الوزير بحال الشيخ وأُخِذَ.. وذهب للسوق واشترى جبة وعمامة وعاد إلى الخليفة هارون الرشيد، والحرس أوّل الأمر ما عرفوه! ودخل إلى هارون.. فقال: نالها الرسول قبل المرسِل! قرأ الرسالة وأخذ بالبكاء، وبطانته قالوا: لا بدّ أن يعاقَب هذا! قال: لا، لا.. وكان الخليفة قبل كل صلاة يقرأ الرسالة ثمّ يصلي.. هذا سفيان الثوري، لمثل هذا قالت رابعة العدوية: ما أراك إلّا رجلاً تحبّ الدنيا، وهو كان يكتب الحديث، يعني تقول له: أحسن من أن تكتب الحديث على الورق اكتبه في ذاتك.. النزيهون قليلون في العالَم، هؤلاء ذاتيون، الحق من كرمه وحكمته لا يوظفهم وظائف لا في الدنيا ولا في الآخرة، لكنهم حاكمون على الكل، سيّدتنا رابعة العدوية كانت تتكلّم مع سفيان الثوري ومع غيره من باب النزاهة.

والنزاهة صفة لا تتجزأ: فالشخص النزيه خمسة بالمائة أو أكثر فهذا المقدار هو على حسبه، عنده منها بمقداره، هذا جيد عليه أن يستمر في السير، كلّما تطهّر إذن يصير عنده نسبة أكثر، إيمانه صار بالله، يشهد أنه لا يوجد مقدِّر ولا مدبِّر ولا محرِّك ولا مسكِّن، يشهدها شهوداً، وقد يكون شهوده ضعيفاً ساعة دون ساعة، ساعات يصير الشهود عنده كاملاً وساعات

أخرى يصير إيمانه ضعيفاً جداً تتقاذفه الأهواء! وفي بعض الساعات متوسطاً، وحسب طهارة النفس وعدمها، والطهارة قد تكون أصلية أو عرضية، وأقوى شيء في الوجود الّذي يقعد مع أهل الله مطمئناً منهم، يطلع نور أهل الله ظاهراً عليه، به يدرك، ويخرج من لسانه كلام وقضايا ومسائل من أهل الله، ودليل ذلك عندما يبتعد عنهم لا يبقى معه شيء، تروح منه بل يضيع بتاتاً!

١٣ - صحبة الصادقين

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] لماذا؟ لأن الصادقين ما عندهم إلّا الصدق والأمانة والعفّة، والكمالات نأخذها عنهم، فمنهم نأخذ الصدق؛ لأن النفس يا أولادي تقبل الخير وتقبل الشر، فإذا جالست أهل الخير تأخذ الخير، وإذا جالست أهل الشر تأخذ الشر، النفس هكذا عادتها، الطباع سرّاقة وكل طبع سرّاق، وطالما هو سرّاق إذن نجلس مع أهل الطباع السليمة الطيبة، أهل الفطرة الإلٰهية والأمانة والنزاهة والعفّة والشرف والشجاعة أهل الكمال.

من أراد الخير كلّه فليجتمع مع أهل الله الصادقين. إذا أراد الله أن يمنّ عليك رزقك مصاحبة الصادقين، ما أفلح من أفلح إلّا بصحبة من أفلح، ولا خاب من خاب إلّا بصحبة من خاب. اثنان لا تصحبهما أبداً حبّاب الدنيا وحبّاب النفس، فإنهما لا يعطيان الصحبة حقها.

الصحبة صحبة القلب، الّذي يصحبني لا بدّ أن يكبر عقله، الّذي يصحب أهل الله ينقى ويتلطّف، صحبة خصوصية حتى تدرك الخصوصية. مطلوب من الإنسان أن يصاحب أهل اليقظة حتى يكون يقظاً على الدوام. إذا رأيت الرجل لا يتغير بصحبة أهل الله فافهم أنه عادي..

بالصحبة الصادقة يصل بلحظة مقدار أربعين سنة، والّذي يصحب أهل الله لا تكون عنده نفس، هذا لا يكون أبداً. تجلس جلسة واحدة مع أهل الله بصدق تكون من أكرم الكرماء ومن أشجع الشجعان. أحسن ما رأيت صحبة أهل الله، هي التي تخلّص الإنسان من الكبر والعجب.

لا يعطي الصحبة حقها من كان حبّاب دنيا أو محباً للمدح. الرجل المليح يجب أن يجعل له صاحباً صادقاً أو على أثر الصدّيقين، ولا يفهم الصلاة إلا إذا جلس مع الصدّيقين.

لا تصحب إلا من ينهضك حاله، ويدلّك على الله مقاله.

من جالس أهل المعنى يكنْ من أهل المعنى ولا يفارقهم أبداً.

الّذي وجدته حسب التعليم والتعريف الإلٰهي أن المريد لا بدّ له من محاسبة النفس، والمحاسبة تصعب على المريد جداً، إلّا إذا كان له صاحب صادق، قال ﷺ: «**المؤمن مرآة أخيه المؤمن**»[1]. وإذا منّ الله عليك أيها المريد بالصاحب الصادق يمنّ عليك بعدها بالمرجع. أولادي إذا أردتم أن تصيروا ملاحاً اجتمعوا مع الطيبين الصادقين.

إذا منّ الله عليك وصاحبتَ واحداً منهم نجحتَ، نفهم أن الحق أراده،

---

(١) سنن الترمذي (٤/ ٤٢٥) برقم: (١٩٢٩) بلفظ: (**إن أحدكم مرآة أخيه**).

لكن لها علامة يشهد المرجع منزَّهاً من كل الوجوه، وعنده ثقة مطلقة بالمرجع، مركوبكم الاعتقاد، على قدر ما أراد الله أن يوصله بسرعة يعطيه اعتقاداً أكبر وأوسع، والمرجع ليس له دخل ظننتم فيه الخير أو الشر؛ هو على ما هو عليه، لكن الخير والشر لكم يا معتقدون، أما إذا صار عندكم شك سيئ فهذا شيطانكم ونفسكم الخبيثة من أجل أن تقفوا ولا تسيروا!

أعطيت الصحبةَ حقَّها للصحبةِ وليس للمرجع أو الرسول ﷺ. معنى الصحبة تَعود للشخص الماشي السالك الّذي يريد أن يصاحبنا، تعود للصاحب وليس لنا، المرجع لو حكى عليه الإنس والجنّ فهو مسرور؛ يفهم أن هذا رقيٌّ له، الذم لا ينقصه وإنما يوقظه، إذا شك واحداً بالمائة يسري فيه الفساد والشرور فتقطعه! الإنسان قبل أن يكمل قابل للرجوع بجلسة واحدة مع الأشرار، يكون منذ عشرين أو أربعين سنةً من أجمل ما يكون لأنّه ما وصل للحقيقة فبجلسة مع الأشرار يطير هذا كلّه ويقلب كل اعتقاده العالي إلى الأدنى! عقيدتكم واعتقادكم في المرجع هو ميزانكم، على مقدار المرجع عندكم تصلون إليه، وإلّا فالمرجع عندما تمدحه أو تذمه فهذا لديه سيّان؛ لأنّه اكتفى بعلم الله فيه، المريد الصادق دائماً بالشهود والملاحظة أينما كان، صاحب مرتبة العلم اللدني قليل في العالم، الصادق يتطلبه، يشهد أن له ضائعاً، لكن ما الضائع؟ لا يعرف، يبحث: بسنة، بسنتين، ناس من صغرهم يلاقونه، وناس بكبرهم.. سيّدنا سهل التستري رضي الله عنه وجده وهو صغير، كان ابن ثلاث سنين، كان خاله المرشد الكامل محمّد بن سوار، كان نائماً وقام الليلَ، يقوم الصغير معه، قال: نم، قال: نم أنت! نم، نم أنت.. ما نام! توضأ الخال توضأ ابن

الأخت، صلّى الخال، صلّى ابن الأخت، مواظب دائماً، قال له: يا ابن أختي، أريد أن أعلمك كلماتٍ، قال: نعم! (ابن ثلاث سنين) قال: قل: الله شاهدي.. الله ناظري.. الله معي، علّمه إيّاها قولاً، لكن الولد فيه حقيقة، صار يقولها كل يوم مرّة، بعدها: رقّاه مرتين.. بعدها رقّاه لإحدى عشرة مرّة في الأربع والعشرين ساعة.

بعدما ترقّى الولد.. صار عمره ست سنوات، قال لأبيه: علّمني القرآن، ولكن اجعلني عند الشيخ المعلم كل يوم ساعة فقط؛ أخاف على قلبي أن يفقد! (الله أكبر! يخاف على قلبه أن يفقد وهو ابن ستّ سنين، لأنّه نور خالص، ووالده مثل الأجير بين يديه) فأخذه إلى الشيخ..

كان الشيخ الّذي يعلّم الأطفال وليّاً من أولياء الله، لمّا رأى هذا الولد وصدقه ونوره توجّه الشيخ إليه، انجذب إليه كتوجّه سيّدنا يعقوب إلى سيّدنا يوسف عليهما السلام.. رفقاؤه حسدوه! راحوا قالوا لآبائهم: نحن شيخنا لا يحبنا. لأن الصغير عقله صغير، الغيرة والكيد دائماً يأتيان من ضعف العقل، وحين شكا الأولاد لآبائهم جاء الآباء إلى الشيخ.. قالوا: شيخي شيخي.. قال: نعم! قالوا: أليس هؤلاء أولادك؟ قال: نعم؛ أولادي، قالوا: لماذا تحبّ سهلاً أكثر من أولادك الآخرين؟ قال لهم: اقعدوا.. فقعدوا.. حتى جاء الأولاد كلّهم، قال لهم: يا أولادي غداً كل واحد منكم يجيء ومعه دجاجة حيّة! وأنت يا سهل كذلك، وأنتم يا آباء تعالوا غداً..

جاؤوا صباحاً مع الأولاد ومع كل واحد دجاجة حيّة، قال لهم الشيخ: يا أولادي، فليأخذ كل واحد منكم دجاجته ويذبحها في محل لا

يراه فيه أحد، فذبح الأولاد جميعاً دجاجاتهم وجاؤوا، أمّا سيّدنا سهل، فالآن يجيء، الظهر يجيء، العصر يجيء.. فلمّا جاء فإذا بدجاجته معه حيّة! قال له الشيخ: لماذا لم تذبحها يا بني؟ خاف وهو لا يزال ابن ست سنين، قال له: مولاي، أنت قلت لي اذبحها في محل لا يراك فيه أحد، قال له: نعم، قال: مولاي، أين ما أكون أرى الله يراني!.. هؤلاء الآباء قالوا له: شيخي، والله هذا زهّدنا في أولادنا، هذا يُحَبُّ، ومن لا يُحِبُّ هذا؟.. ثمّ انصرفوا..

فختم القرآن الكريم بسرعة، وصار يشهد قلبه ساجداً لله، يسأل العلماء، مولاي، القلب يسجد؟ يقولون له: لا.. بل الأعضاء السبعة تسجد «كما جاء في الحديث» بقي يسأل ويسأل ويسأل.. إلى أن صار عمره ثلاث عشرة سنة وهو يشهد قلبه ساجداً لله تعالى، إلى أن دلّوه على عارف بالله في البصرة، فاستأذن فأذن له والده.. وعند مجيئه إلى الشيخ قال له: مولاي، القلب يسجد؟ قال: نعم ولدي إلى الأبد. الفقير أزيد من عندي أقول: القلب ساجد من الأزل إلى الأبد؛ لأجل ذلك الحق سبحانه ما سلّمنا إياه. «**قلوب الخلائق بين أصبعين من أصابع الرحمن، يقلّبها كيف يشاء**»(١) من رحمة إلى رحمة. فبقي هذا التلميذ عند ذلك الشيخ العارف.. إلى أن تخلّق وتحقّق وصار شيخاً..

فجاء يوماً من الأيام إلى صومعة من صوامع النصارى لأن سيّدنا سهلاً كان في القرن الثاني بعد الرسول ﷺ. جاء إلى صومعة وفيها مسيحيون يتعبّدون، طرق الباب على واحد، قال له: ماذا تريد؟ قال له: أدخلني

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٤٥) برقم: (٢٦٤٥).

عندك؛ أتعبّد الله، قال له: ما هو دينك؟ قال له: مسلم.. قال: اخرج اخرج! قال: لماذا؟ قال له: نبيكم محمّد لم يصم أكثر من ثلاثة أيام، أمّا المسيح فقد بقي أربعين يوماً صائماً! قال له: طيّب، افتح لي أدخلني عندك فإن بقيت صائماً أربعين يوماً أتدخل في ديني؟ قال له: نعم، قال له: وأنا إذا لم أبقَ أربعين يوماً أدخل في دينك، دخل.. وبقي أربعين يوماً بدون طعام!! هذا عنده الأربعون يوماً مثل ساعة أو ساعتين؛ مروّض! قال له: وعشرة أيام من أجلك لأنّك أسلمتَ! صام خمسين يوماً، دخل المسيحي في دين الإسلام..

أولادي، إذا أردتم أن تصيروا ناساً ملاحاً طيبين اجتمعوا مع الجماعة الطيبين الصادقين، بنفسك لا تقدر أن تفهم، نحكي لكم عن ذوق لا عن قيل وقال، تحتاج إلى صحبة، صحبة الصادقين، الصادقون تخلَّقوا ويقولون، ويفعلون بما يقولون، ويتخلَّقون بما يفعلون، الخُلُق يعني القول والفعل شاهدا عدلٍ لحالهم، الحال لا تكذب، القول قد يكون كذباً، الفعل قد يكون رياءً، الحال لا تكون، وهكذا.. علينا العمل بالدين، عليكم بالتطبيق، علم وعمل ويخرج من العلم والعمل شيء نوراني حقيقي، شرط أساسي أن تكون عندكم همّة، هؤلاء أهل الله عندهم شريعة وعندهم طريقة، إذا تأدّب بآداب الشريعة وتخلَّق بأخلاق الطريقة وكان عنده همّة قوية لا تقف إلّا عند الله لا بدّ أن تتولّد الحقيقة، أما إذا اكتفى بالاسم أو بالصورة لا لا.. قيمة المرء همَّتُه، الّذي عنده همّة لا يقف مع غير الله، لا يقف مع المخلوقات، لا بدّ من الهمّة، يقف مع الخالق جلّ جلاله ويشهد شهوداً ذوقياً أن الفعّال المطلق هو الله لا غيره.. «**من عمل بما علم ورّثه**

الله علمَ ما لا يعلم»[(١)]. ومن عمل بالعلم الثاني علم التقوى ورّثه الله علم ما لا يعلم، وإلى ما لا نهاية.. ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الضحى: ٧] لا وقوف، الموفِّق هو الله، هو الهادي، وجب علينا أن نقرّ ونعترف ونذوق أن الموفِّق هو الله، لا نقف، الآخر يقول: أنا وأنا.. ويقول: إن فلاناً لو يعمل بما قلتُ.. وأنا قلتُ.. ولو يعمل بما قلت له لنجح.. هذا شخص على الهامش، الحيوان أحسن منه!

١٤ - الالتزام بالشيخ وتوجيهاته

قال رضي الله عنه:

كل من تغير عن شيخه تبين أنه ما ذاق لبن شيخه ولو كان ذائقاً لبن شيخه لما طلب غيره. الّذي ينفع المريد النفَس الّذي يعطيه الشيخ للمريد. استفادتكم من الشيخ بمقدار اعتقادكم به، وهذا الاعتقاد من عند الله ومن فضل الله. مطيتنا العظمى هي الاعتقاد، ثمّ العلم، ثمّ العمل.

الشخص قبل اجتماعه بالعارف يظنّ نفسه بأنه صار عالماً أو عارفاً أو ولياً، وعند اجتماعه به يضرب عليه نوره فيتبين أنه صفر على الشمال.

كل من اتّبعني في آخر حياتي والله لا بدّ أن يتزندق، الّذي يريد أن يتّبعني فليتّبعني في بداية أمري[(٢)].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠/ ١٥).

(٢) هذا للمقلّدين له باللبس والهيئة والكلام آخر حياته، ولم يتبعوه على ما كان عليه بداية أمره في السير والسلوك.

لا تطلبوا المرشد، اطلبوا الصدق في الطلب.

المعتقد بنا ينفعه الاعتقاد، ولو كان فاسقاً أو فاجراً، فنحن موجودون نحضره عند الممات وفي القبر وغيرهما.

المريد يأخذ بمقدار توجّهه لشيخه، اصدقْ ترَ المرشد يطرق بابك، أما غير الصادق فلو جالس صاحب الوقت خمسين عاماً لا ينتفع منه؛ لأن معرفة الولي أشد صعوبة من معرفة الله تعالى، فالولي يأكل ويشرب وينكح وينام، والحق تعالى ليس كذلك.

الآن أسيّركم سيراً ليس موجوداً في سوريّة ولا في العراق ومصر، ولا في العالم أجمع.

صاحب العقل لا يمكن أن يكون سالكاً أو مريداً إلّا إذا كسر العقل وهو الميزان وهو الحجاب، فإذا كسر عقله استسلم للوارث فأصبح مريداً، وأضرّ شيء على العقل الهوى، فإنه يفسده لأنّ الهوى وزير النفس، وهما يتعاونان على إضلال العقل إن لم يكن هناك مرجع.

التسليم بالولاية ولاية، والتسليم لأهل الله ولاية، والتسليم قسمان: فمن الناس من يسلّم بمراتبهم وولايتهم، ولكن هناك شواغل تمنعه من العمل بأقوالهم والاقتداء بأحوالهم، وهذا أكثر أهل التسليم، وهو على خير ولكن فاتته مراتب الذوق والعرفان، فمن سلّم وعمل بما قالوا واقتفى أثرهم ذاق ما ذاقوا ومن ذاق عرف ومن عرف لزم، ومنهم القليل: من سلّم فسلك فذاق فعرف فلزم، وهذا هو الجوهر النفيس المراد للحضرة الإلٰهية.

الأدب مع المرشد وغيره

الأدب ما شكّلَهُ إلّا المريد، التلميذ لا يقدر عليه، شكَّل الأدبَ المريدُ، المريد إذا جاء لشيخه لا يطرق الباب أبداً، يقف على الباب، الحق يحرّك قلب الشيخ يخرج إلى الباب فيراه واقفاً على الباب.. هذا هو المريد الصادق، والمريد الصادق هو الّذي شكَّل الأدب الحقيقي في الوجود، ونحن ما عرفنا الأدب إلّا من المريدين، المريدون هم المرادون لله سبحانه وتعالى قلوبهم مع الله على الدوام، لا يخطر لهم خاطر إلّا وهو صحيح، المريد قلبه طاهر ونفسه مزكّاة، لا يفكر في شيء بالدنيا وغيرها البتّة، هذه لا يعرفها أبداً، وكان المريد المشهور في الأنبياء سيّدنا إسماعيل، والشيخ المرشد الكامل هو سيّدنا إبراهيم عليهما السلام، لمّا بلَّغه: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢] افعل.. صار المريد يعلّم أباه، قال له: أول كل شيء كتّفني وأتقنِ التكتيف، واجعل وجهي إلى الأرض حتى لا يأخذك الحنوّ والشفقة عليّ! فجاء سيّدنا إبراهيم بالسكين - سيّدنا إبراهيم الخليل كان أشبه الناس بسيّدنا محمّد ﷺ هو المرتبة الثانية في الوجود - مسك السكين وسمّى باسم الرحمٰن وصار يذبح.. أيُّ سكين، إذا يأتي بكل سكاكين الدنيا لا تذبح؛ لا يوجد إذن إلٰهي! حتى تفهموا المريدين كيف يكونون مع مشايخهم، هكذا المريدون، يحزّ ويحزّ ويحزّ.. وما يقول له: أوجعتني البتّة! ساكت ساكن.. مستغرق بأدبه بقلبه الطاهر، وأبوه يذبح.. فقالت الملائكة عن إسماعيل: يا ربّ، عبدك المحب يتألّم، عندئذٍ نزل على سيّدنا إبراهيم أن افدِه بكبش، اسمه أضحية، كل إنسان

يذبح على مقداره، عند الحنفية: واجب، أما عند الشافعية: بالعائلة يذبح واحد، هذه فداء كبش عن إسماعيل عليه السلام. المريد لا يصنع إلّا كما يريد الشيخ، المريد الصادق يعرف ما في قلب الشيخ وما يريد أن يتكلّم حتى بالألفاظ!

كن مع المرشد كما يريد لا كما تريد، كن معه لا تحمله أن يكون معك.

ربّ رجل واقف في الأبواب ولكنه في الصدر (أي في مقدمة الغرفة)، وربّ رجل في الصدر جسماً ولكنه مطرود في القلب، ليس بكثرة العلم والمطالعة إنما هي أدب.

المريد الصادق لا يطرق الباب بل يقف على الباب حتى يفتح له الشيخ!!

إذا جئت المرشد وطرقت عليه الباب مرّة ثمّ مرّتين ثمّ ثلاثاً، ولم يفتح لك الباب فرجعت إلى بيتك، فإنّ حصتك تأتيك بكمالها برمّتها، أمّا من دخل بغير إذن فنعوذ بالله من ذلك لم يستفد شيئاً، وكان ذلك الدخول وبالاً عليه.

الحق لا يعطي الأسرار الإلٰهية إلا للأدباء، الأدباء عندهم أعدى عدوٍّ لهم هو أنفسهم.

المجلس للأديب ولو كان في بيته.

وقد يحضر في المجلس اثنان أحدهما يأخذ الأسرار والآخر محروم من الأنوار.

مقدار الأدب مقدار النور.

الإنسان عندما يتأدب يتأدب حتى مع الحيوان، الحيوانات عندها أدب.

يلزم الإنسان التأدب مع الصغير والكبير، حتى يصير الأدب صفتك، فإذا وصل الإنسان إلى مرتبة الأدب وصار أديباً نجح.

الأدب تنشأ منه المعرفة الإلٰهية.

سيّد الأخلاق الأدب.

أدب يا هو، علامة أهل الجنّة الأدب، وعلامة أهل النار الوقاحة علامة خاصة.

الأدباء جلساء الحق، الدنيا طريقها طريق أدب، والإسلام كلّه أدب من أوله إلى آخره.

أولادي عليكم بالأدب والحياء: «**أدّبني ربي فأحسن تأديبي**»(١).

لا تنادِ أحداً باسمه بل بكنيته، ولا من وراء جدران.

عليكم أن تتأدّبوا قولاً وفعلاً وحالاً.

العلم بالله هو الألف والدال والباء.

الأديب محبوب أينما حل في أي زمان ومكان وعند كل الطوائف.

قال بعض أهل الله: الّذي ليس عنده أدب ترتفع الألف بمعنى (دُبّ).

نسأل الله تعالى أن يجعلنا خادمين لكم، ويرزقنا الأدب معكم!

---

(١) فيض القدير: (١/ ٢٢٥).

الحقائق لا تنتج إلّا من المريد المتأدب والمتخلق صاحب الهمّة العالية.

ينال العبد من الله بمقدار أدبه لا بمقدار عمله.

شأن القريب أن يكون أديباً، وإلّا فلا تصدقوه أبداً.

الأدب باب الحضرة الإلٰهية.

غير المؤدب لا يؤدب غيره.

أنا أتأدب مع الشخص الّذي ليس بأديب.

أهل الله أديبون، ولم يصلوا إلّا بالأدب.

عليك أيها المكلف أن تتأدب وتأتمر بما أمرك وتنتهي عمّا نهاك.

تأدّب مع كل شيء، حتى مع جوربك، البسه باليمنى واخلعه باليسرى.

طلب المريد الإذن من شيخه:

قال رضي الله عنه :

إذا أراد المريد أن يعمل عملاً أو يسافر سفراً لأمر من أمور الدنيا والآخرة وكان صادقاً فلا يُقدِمُ عليه إلّا بأمر المرشد المربي، وأعني بالمريد بشروطه جميعها، وهو المنقطع الّذي ليس له مرجع آخر، فهذا المريد له ثلاث مراتب: أعلاها: أن لا يُقدِمَ على عمل يخطر له، بل يرده بقلبه إلى الشيخ، حتى يأمره بفعل ذلك الشيء الّذي خطر له أو تركه، وهذه مرتبة لا ينالها إلّا الأفراد من المريدين. المرتبة الثانية: وهي الوسطى والتي أدنى من الأولى أن يذكر للشيخ ما اختلج في صدره وخطر على باله أن يعمله أو يتركه على سبيل الحكاية يقصها عليه وكأنّه رجل أجنبي ليس له ميل ولا

شهوة في الإقدام أو الترك له، مستسلماً منتظراً الإجابة، وليس في قلبه مثقال ذرّة من ميل، بل هو متجرّد لا يعلم شيئاً سوى أمر شيخه، فهذا إذا أمره الشيخ أو نهاه وامتثل كان مأذوناً وفالحاً وناجحاً بذلك. أما المرتبة الثالثة: فهي مرتبة المكر، إذا خطر له ونوى تنفيذه أو اشتهاه أو مالت نفسه له، ولكنه خجلاً من الشيخ أو تبركاً به أو تمنّياً لعله يوافق هواه، فإنه يذهب لشيخه ماكراً به وكلّه شهوة وكلّه ميل للتنفيذ أو الترك، فيقدّم المقدمات المعسولة باللفظ المرتب لقضاء شهوته، فيطلب الإذن على هذه الحالة. وهنا مرتبة العارف بالله يشمّ كلامه منتناً ومقدّمته وشهوته تفوح رائحتهما لديه، فيتجاهل، ويقابل مكره بمكره ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥١] فيقول له: موفّق إن شاء الله، وهذا هو عين المكر من العارف، إذ إن المستأذن هو الّذي بدأ المكر، وإن الشيخ لم يبين له نتيجة ذلك الأمر من أمره ونهيه عنه خوفاً عليه من القطيعة، إذ لو أشار عليه بما هو الأنفع فلا بدّ أن يقدم على مشتهاه مخالفاً للشيخ فيخجل، وربّما انقطع عنه، بل إن الشيخ يطاوله بعد ذلك متجاهلاً، لعله يرزق الصدق ولو بعد حين.

الإذن فيه مكر، والأمر ليس فيه مكر.

أدب المريد القلبي:

قال رضي الله عنه :

إذا أراد إنسان أن ينزل من عمل إلى عمل أدنى منه فلابدّ أن يطلب الإذن من الحضرة التي هو فيها، فإذن العارفين والأولياء وأهل النيابات من الحضرة الإلٰهية أو الحضرة المحمّدية.

وإذْن المريد من حضرة الشيخ هذا في حال النزول من عمل أعلى إلى أدنى، أما العروج من أدنى إلى أعلى فلا يحتاج إلى إذن، والإذن يحتاج إليه الإنسان في الأقوال والأفعال والحركات والسكنات، حتى يكون مؤدباً بالأدب المحمّدي.

فطالب الإذن محفوظ، وله ملائكة خاصة به، وظيفتهم أن يحفظوه ما دام في الأدب.

عتاب المرشد للمريد:

قال رضي الله عنه:

إذا أراد المرشد عتاب المريد صاحب القلب فإنه يعاتبه بلحاظ عينه، فيطحن قلب المريد في هذه اللحظة، فيبقى الأيام والليالي حزيناً مؤاخذاً، وهذا عتاب محبة، وآخر يعاتبه باللسان لتسمع الآذان، إذ ليس له قلب بل له سمع.

وذكر رضي الله عنه أن مريداً كان يتأدب معه فرآه مرّة وقد نزل على الدرج درجتين في خطوة واحدة فعاتبه بقلبه عتاباً شديداً حتى تاب عن ذلك، قال رضي الله عنه: كان ذلك المريد يكاشفني في المجلس بماذا أريد أن أتكلّم به، وصل إلى ذلك بكثرة الأدب.

١٥ - ذكر الله تعالى

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

الذكر ركن قوي في طريق أهل الله، قال الله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤١]. وسأل أحد الصحابة رسول الله ﷺ قائلاً: يا رسول الله كثرت عليّ شرائع الإسلام فأوصني بأمر أدرك به ما فاتني وأوجز! فقال: «**لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله**»(١).

وقال ﷺ: «**لو أن رجلاً في حِجْرِه دراهم يقسمها، وآخر يذكر الله لكان الذاكر أفضل**»(٢).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**ألاَ أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم؟**» قالوا: بلى قال: «**ذكر الله**»(٣).

فلا مدخل على الله إلّا من باب الذكر، فالواجب على العبد أن يستغرق فيه أوقاته؛ لأن الذكر منشور الولاية ولا بدّ منه في البداية والنهاية، ولكن الذاكرين يختلفون فمنهم من يذكر الله مع الغفلة، ومنهم من يذكر مع اليقظة، ومنهم من يذكر مع الحضور، ومنهم من أسكته الحضور والشهود عن الذكر، وها هنا يسكت اللسان وينتقل الذكر إلى الجَنان،

---

(١) سنن الترمذي (٥/ ٤٥٨) برقم: (٣٣٧٥).
(٢) المعجم الأوسط (٦/ ١١٦) برقم: (٥٩٦٩).
(٣) سنن الترمذي (٥/ ٤٥٩) برقم: (٣٣٧٧).

فيصير ذكر اللسان غفلة في حق أهل هذا المقام؛ لأن حقيقة الذكر عند هؤلاء القوم هو الانقطاع إلى المذكور وعن كل شيء سواه لقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾ [المزمل: ٨٠].

الذكر هو اندراج الذاكر في المذكور، واستظلام السرّ عند الظهور، يقول الحق في الحديث القدسي: «**أنا جليس من ذكرني**»[١]. ونحن نسأل الجليس بأن يخبرنا عن جليسه، فإن أجاب فهو ذاكر، وإلّا فهو صاحب عادة وهوى، مالت نفسه لحضور الذكر فتبعها، ونحن نرى حلقات الذكر في زماننا يهيم أهلها في الذكر كأنّهم سكارى في الحضور، فإذا بهم بعد انتهاء الذكر يمزحون ويضحكون!

فلو كان هذا صحيحاً لبقوا بعد الذكر ساعات بل أياماً في حلاوة الذكر غائبين صامتين.

من الناس من يذكر الله لأن الله ذكره، ومنهم من يذكر الله ليذكر، والثالث يذكره لا لهذا ولا لذاك بل لأنّه مستحق الذكر، ومصدر الذكر قوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢] أي أدعوكم لذكري أذكركم لأنّكم من الذاكرين. الذكر يوصل إلى المذكور.

أوراده وأذكاره ﷺ[٢]:

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي (١/ ٤٥١) برقم: (٦٨٠).

(٢) أجاز ﷺ العمل بأوراده لطلبة العلوم الشرعية خاصة ولكل مسلم ومسلمة بشرط عدم حب الدنيا. وفي رواية أخرى قال ﷺ: هذا الورد للجميع بشرطين: الحضور بين يدي الله، وعدم حب الدنيا.

﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٣]، وقال أيضاً: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

ولمّا كان الذكر مفتاح خزائن قلوب الذاكرين، ومعراج أرواح السالكين، فقد كان له رضي الله عنه أذكار وأوراد عدة، أهمّها:

الأول: قوله: الله شاهدي، الله ناظري، الله معي. إحدى عشرة مرّة، مفرّقةً على اليوم والليلة(١) مع التدبّر والتفكّر في معانيها.

الثاني: التهجد: وأقله ركعتان قبل الفجر ولو بنصف ساعة، مع تضرع وبكاء.

ومن المناجاة قوله(٢):

يا عزيز أنت العزيز وأنا الذليل؛ فمن للذليل سواك؟

يا قادر أنت القادر وأنا العاجز؛ فمن للعاجز سواك؟

يا قوي أنت القوي وأنا الضعيف فمن للضعيف سواك؟

يا غني أنت الغني وأنا الفقير؛ فمن للفقير سواك؟

يا عالم أنت العالم وأنا الجاهل؛ فمن للجاهل سواك؟

يا باقي أنت الباقي وأنا الفاني؛ فمن للفاني سواك؟

يا حي أنت الحي وأنا الميّت؛ فمن للميّت سواك؟

---

(١) من مأثورات سيّدنا أبي محمّد سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه، المولود بـ(تستر) أعظم مدن خوزستان سنة ٢٠٠هـ - ٨١٥م، والمتوفى في ٢٨٣هـ - ٨٩٦م. ينظر: الأنساب للسمعاني ١/ ٤٦٥.

(٢) أطلق عليها رضي الله عنه: أركان المعرفة الإلٰهية..

الثالث: قوله عند النوم واليقظة ثلاث مرات[(١)]:

بسم الله ما شاء الله، لا يسوق الخير إلا الله.

بسم الله ما شاء الله، لا يصرف السوء إلا الله.

بسم الله ما شاء الله، ما كان من نعمة فمن الله.

بسم الله ما شاء الله، لا حول ولا قوّة إلا بالله.

الرابع: الذكر بين سنة الفجر والفرض: يا حي يا قيوم لا إلٰه الا أنت ٤٠ مرّة، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله ١٠٠ مرّة

الخامس: ذكر اسم الجلالة (الله الله): من بعد صلاة الفجر حتى مطلع الشمس.

السادس: الورد بعد الصلوات الخمس:

أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحيَّ القيّوم وأتوب إليه (ثلاثاً).

اللهمّ أنت السلام، ومنك السلام، وإليك يعود السلام، تباركت وتعاليت يا مالك الملك يا ذا الجلال والإكرام.

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير (ثلاثاً).

جزى الله عنا سيّدنا ونبيّنا محمّداً ﷺ وشيخنا ومربينا ما هو أهله (ثلاثاً).

---

(١) قال ﷺ: من واظب عليها يصير من الأبدال!!!، وأضاف: أن سيّدنا الخضر وسيّدنا إلياس عليهما السلام: يلتقيان في الحجاز في كل عام مرّة، فيحلق أحدهما شعر الآخر، ويفترقان على أربع كلمات: بسم الله ما شاء الله...

اللهمّ صلّ على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلِّم.

اللهمّ أعنّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، ولا تجعلنا يا مولانا من الغافلين.

آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾ [البقرة: ٢٨٥-٢٨٦].

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢٧﴾ [آل عمران: ٢٦، ٢٧].

سورة الإخلاص.

سورة الفلق.

سورة الناس.

سورة الفاتحة.

سبحان الله (٣٣ مرّة)، الحمد لله (٣٣ مرّة)، الله أكبر، (٣٤ مرّة).

الدعاء: وهو في الغالب من صيغ الدعاء المذكورة في نهاية حلقة ذكر الجمعة.

السابع: يقرأ بعد فرض الجمعة: سورة الفاتحة والإخلاص والمعوذتين (سبعاً سبعاً)، يختمها بدعاء: اللهمّ يا غني ويا حميد، يا مبدئ ويا معيد، يا رحيم ويا ودود، أغننا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمّن سواك، اللهمّ أغننا بالعلم، وزيّنا بالحلم، وأكرمنا بالتقوى وجمّلنا بالعافية، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلِّم.

الثامن: الصلاة العظيمية: بعد عِشاء ليلة الجمعة:

«اللهمّ إني أسألك بنور وجه الله العظيم، الذي ملأ أركان عرش الله العظيم، وقامت به عوالم الله العظيم، أن تصلي على مولانا محمّد ذي القدر العظيم، وعلى آل نبي الله العظيم، بقدر عظمة ذات الله العظيم، في كل لمحة ونفَس عدد ما في علم الله العظيم، صلاة دائمة بدوام الله العظيم، تعظيماً لحقّك يا مولانا يا محمّد يا ذا الخلق العظيم، وسلِّم عليه وعلى آله مثل ذلك، واجمع بيني وبينه كما جمعت بين الروح والجسد، ظاهراً وباطناً، يقظةً ومناماً، واجعله يا ربِّ روحاً لذاتي من جميع الوجوه في الدنيا قبل الآخرة يا عظيم»(١).

---

(١) الإجازة بهذه الأوراد: رأيتها مدونة في كرّاس عند الشيخ محمّد الفياض الكبيسي رحمه الله تعالى، وبخط ولده الشيخ خليل، ونصها: قال ﷺ: هذه الأوراد فيها إجازة =

ختم الجمعة الشريف:

ما إن تنتهي فريضة الجمعة حتى يباشر رضي الله عنه بمذاكرة قصيرة يتبعها بحلقة الذكر ليغص المسجد بالذاكرين إذ هي شبكة صياد القلوب، وحادي الأرواح إلى الله تعالى، يرتادها التائبون والمحبّون من داخل حلب وخارجها، وتستغرق الوقت إلى قبيل أذان العصر.

آداب الذكر التي يحثّ عليها رضي الله عنه:

الطهارة، والجلوس على الركبتين كما في تشهّد الصلاة، وتغميض العينين، مع السكينة والربط القلبي، وعدم الإفراط في التمايل أو رفع الصوت والصراخ.

حضرت مرّة حلقة الذكر: فغلبت على أحد الذاكرين الحال، فصاح رضي الله عنه :أخرجوه، كأنّ هذا ليس من إخواننا.

وقال: الروحاني إذا سمع يسكن؛ تتوجّه روحه إلى عالمها، أما الطبيعي فيصيح: آه آه.. وإن الكمنجة والعود والموسيقى.. هذه كلّها للطبيعيين لا للروحانيين.

حدثنا الشيخ عثمان عمر الويسي قال: في أيام أحد الأعياد كان الشيخ عبد العزيز البدري ضيفاً عند سيّدنا رضي الله عنه ، وبينما السيّد يتحدث إذ بأحد الإخوان يصرخ، فسأله الشيخ عبد العزيز: سيّدي ومولاي، ما تقول في

= خاصة لطلبة العلم، وإجازة عامة لكل مسلم ومسلمة بشرط عدم حب الدنيا. وفي رواية أخرى قال رضي الله عنه : هذا الورد للجميع بشرطين: الحضور بين يدي الله، وعدم حب الدنيا.

هذا الصراخ؟ فقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : هذا أحد رجلين، إما صادق أو كاذب، فالكاذب ليس لنا حديث معه، أما الصادق فإناؤه صغير وهذه حالة ضعف، أنا بحياتي ما صحت، ولا صاح أصحاب رسول الله ﷺ.

ولم يُدخل الدف حلقته في المسجد أبداً.

وكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يأمر بتغميض العيون في حلقة الذكر، ويقول: إذا أغمض أحدكم يرى نوراً متصلاً من مدد الرسول عليه الصلاة والسلام.

وهذه هيئة الختم وصيغه:

يجلس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ظهره إلى المحراب ووجهه إلى من حوله، يتقدمهم شيوخ العلم والطلبة وكبار السن، ويباشر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بإيعازات كما يلي:

أ. أستغفر الله العظيم، أستغفر الله العظيم. فيستغفر الحضور كلّهم سرّاً.

ب. الرابطة الشريفة: ملازمة اليقظة والحضور، بربط القلب والمخيلة بالله ورسوله والشيخ المربي.

جـ. الفاتحة الشريفة: يتلون الفاتحة سرّاً.

د. صلوات شريفة: اللهمّ صلّ على سيّدنا محمّد عبدك ونبيك ورسولك وحبيبك النبيّ الأمي وعلى آله وصحبه وسلّم.

هـ. ألم نشرح لك الشريف: يتلون سورة الانشراح سرّاً.

و. إخلاص شريف: يتلون سورة الإخلاص سرّاً.. يكررها عشراً.

ز. الحمد لله رب العالمين: إيعاز يبدأ به القِسْمُ الجهري من الختم(١).

(١) قال الآلوسي في تفسيره: والّذي نصّ عليه الإمام النووي في فتاواه أن الجهر بالذكر =

ح. يتلو مأذون بالقراءة: بضع آيات من الذكر الحكيم.

ط. إيعاز: على أكمل العالمين سيّدنا محمّد صلوات. فيقول الجميع جهراً: اللهمّ صلّ على سيّدنا محمّد وعلى آل سيّدنا محمّد صلاة أهل السمٰوات والأرضين عليه عددَ ما عندك من العدد في كل لمحة عين ونفسٍ من الأزل إلى الأبد.. ثلاثاً.

ي. الحمد لله الذي أنعم علينا بنبينا محمّد ﷺ.. ثلاثاً.

ك. تلاوة لمأذون بالقراءة: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمٰن الرحيم:

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة: ١٢٨، ١٢٩] ويتبع بآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب ٥٦].

= حيث لا محذور شرعاً مشروع مندوب إليه، بل هو أفضل من الإخفاء في مذهب الإمام الشافعي، وهو ظاهر مذهب الإمام أحمد، وإحدى الروايتين عن الإمام مالك بنقل الحافظ ابن حجر في فتح الباري، وهو قول (القاضي خان) في فتاواه في ترجمة مسائل كيفية القراءة. تفسير الآلوسي (١٦/ ١٦٢).

وقال أيضاً: فقد صح ما يزيد على عشرين حديثاً في أنه ﷺ كثيراً ما كان يجهر بالذكر، وصح عن أبي الزبير أنه سمع عبد الله بن الزبير يقول: كان رسول الله ﷺ إذا سلّم من صلاته يقول بصوته الأعلى: «**لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله، ولا نعبد إلاّ إياه، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، لا إله إلاّ الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون**». ينظر: روح المعاني (٨/ ٤٧٨) وحديث أبي الزبير في مسند الشافعي (١/ ٤٤).

ل. الجميع جهراً: اللهمّ صلّ على سيّدنا محمّد وعلى آل سيّدنا محمّد بعدد كل داء ودواء وبارك وسلّم عليه وعليهم كثيراً «ثلاثاً يزيدون في الثالثة» كثيراً كثيراً.

م. إيعاز المدير: بنيّة الشفاء ورفع البلاء عنا وعنكم وعن إخواننا المسلمين: الفاتحة.

ن. يدعو ﷺ الله سبحانه وتعالى بما شاء.

س. الجميع جهراً: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه (٢٥ مرّة) يزيدون على الأخيرة: توبة عبد ظالم لنفسه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً.

ع. الجميع جهراً: اللهمّ صلّ على سيّدنا محمّد عبدك ونبيك ورسولك وحبيبك النبيّ الأمي وعلى آله وصحبه وسلّم (٧٥ مرّة).

ف. الفاتحة (إيعاز تنتهي به الصلوات السابقة).

ص. الحمد لله رب العالمين (إيعاز): يتلو المأذون بالقراءة بضع آيات كريمة يختمها بـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

ق. الجميع . . . : اللهمّ صلّ على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم (ثلاثاً)، ثم اللهمّ صلّ وسلّم على الذات المحمّدية واغفر لنا ما يكون وما قد كان (ثلاثاً).

ر. فاصل للاستغاثات الربانية والمدائح النّبوية: يستغرق نصف ساعة أو أقل أو أكثر، يقتطف فيه المدّاحون ما لذّ وطاب(١).

---

(١) أنشد في هذه الحلقة خيرةُ منشدي حلب، محيي الدين أحمد عمر حلبي، وحسن الحفار، =

ش. يختَم الإنشاد بشعر يقوم معه الذاكرون للمولد الشريف:

حيث جبريلُ في السموات مجّدْ
يعلن البشرى بمولد أحمدْ
سمعت أمّه هاتفاً أبشري بمحمّد
وتوالت بشرى الهواتف أن قدْ
وُلد المصطفى وحق الهناء

ت. الجميع جهراً وهم وقوف:

الصلاة والسلام عليك يا من عظّمك الله (أربعاً).

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله.

الصلاة والسلام عليك يا حبيب الله.

الصلاة والسلام عليك يا أفضل خلق الله.

الصلاة والسلام عليكم يا أنبياء الله أجمعين: الفاتحة.

ث. يقف الذاكرون كهيئتهم في الصلاة، ويفتتح ﷺ بـ ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]: فيذكرون معه مئات المرات، يتمايلون يميناً وشمالاً تمايل الشجر في الريح استئناساً بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾ [آل عمران: ١٩١].

= وصبري المدلل، وأحمد الجاكيري، وأبو عمشة، وعبد الرؤوف الحلاق، وعمر نبهان (الدربي)، والمدني، ومحمّد الحمّامي، وبكري القرقناوي، وغيرهم، ومنهم من توفاه الله، ومنهم ما زال يتردد إلى حلقة الذكر. وقد وهبهم الله تعالى أصواتاً عذبة وأنغاماً شجيةً.

خ. جلسة على نغم الحادي لبضع دقائق.

ذ. وقفة ثانية: مع صوت الحادي بِذكر (الله، الله) مئات المرات، ويختم المدير بإشارة إلى المنشد.

ض. يقول مأذون: إلى حضرة سيّدنا رسول الله ﷺ الفاتحة.

إلى حضرة شيخنا ومربينا الفاتحة.

إلى حضرة جميع الأنبياء والمرسلين والأولياء والعلماء والشهداء والصالحين ووالدينا ومن له حقٌّ علينا وأمواتنا وأموات المسلمين وأمّة سيّدنا محمّد أجمعين: الفاتحة.

ظ. مسك الختام: بالدعاء، وهذه صيغه:

بسم الله الرحمٰن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم، على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللهمّ أصلح أمة سيّدنا محمّد ﷺ.

اللهمّ فرّج عن أمة سيّدنا محمّد ﷺ.

اللهمّ استر أمة سيّدنا محمّد ﷺ.

اللهمّ اجبر كسر أمة سيّدنا محمّد ﷺ.

اللهمّ ارفع الكرب والشدائد عن أمة سيّدنا محمّد ﷺ.

اللهمّ ردّنا إلى ديننا، دين نبينا محمّد ﷺ.

اللهمّ انصر المسلمين، واكسر الكافرين، أعداءك أعداء الدين، يا ذا القوّة المتين.

اللهمّ إنّا نسألك إيماناً دائماً، ونسألك قلباً خاشعاً، ونسألك علماً

نافعاً، ونسألك يقيناً صادقاً، ونسألك ديناً قيّماً، ونسألك العافية، ونسألك العافية من كل بليّة، ونسألك تمام العافية، ونسألك دوام العافية، ونسألك الشكر على العافية، ونسألك الغنى عن الناس.

اللهمّ يا غني يا حميد، يا مبدئ يا معيد، يا رؤوف ويا ودود، أغننا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمّن سواك.

اللهمّ أغننا بالعلم، وزيّنا بالحلم، وأكرمنا بالتقوى، وجمّلنا بالعافية.

اللهمّ إنا نعوذ بك من الهمّ والحَزَن، ونعوذ بك من العجز والكسل، ونعوذ بك من الجبن والبخل، ونعوذ بك من غلبة الدَّين وقهر الرجال.

اللهمّ أرِنا الحق حقاً وارزقنا اتّباعه وحبّبنا فيه، وأرِنا الباطل باطلاً وألهمنا اجتنابه وكرّهنا فيه.

اللهمّ طهّر قلوبنا من كل وصف يباعدنا عن محبتك ومعرفتك ومشاهدتك.

اللهمّ امنن علينا بصفاء المعرفة، وهبْ لنا تصحيح المعاملة فيما بيننا وبينك على السُّنّة.

اللهمّ اهدنا الصراط المستقيم، صراط الّذين أنعمت عليهم من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقاً، غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

اللهمّ ارزقنا اتّباع سيِّدنا ونبيِّنا محمّد ﷺ في الأقوال والأفعال والأحوال والأخلاق، واجعله يا ربّنا روحاً لذاتنا من جميع الوجوه، في الدنيا قبل الآخرة يا عظيم.

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين، ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢] الفاتحة.

١٦ - التوكل على الله تعالى

قال رضي الله عنه :

التوكل قسمان:

أولاً: توكل محمود وهو التوكل على الله تعالى وهو أقوى الأسباب ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]. ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦]. وهو مرتبة من مراتب السير، علامته لا يطلب شيئاً لا من أبيه ولا من أحد على وجه الأرض، وأي شيء جاءه يأخذه، ولا يردّ من أحد إلّا إذا كان حراماً، وصاحب هذه المرتبة لا يضجّ ولا يلجّ ولو بقي ثلاثة أيام بلا طعام أو شراب! فإذا أعطي شيئاً يأخذه، ولكن ممّن؟ يأخذه ليس منه وإنَّما من الله تعالى، يفهم مَن الّذي بعث له، من الّذي أعطاه، وهؤلاء هم الصوفية.. كان أحد السالكين يمشي مع جماعة فجاءه رجل فطرقه كفاً (أي ضربه)! فسكت، ثمّ مشى قليلاً وإذا بآخر يناوله رغيفاً! فسئل مَن الّذي أعطاك الرغيف؟ قال: الّذي ضربني الكف!

ثانياً: توكّل مذموم وهو التوكل على الناس، على أبيه، على أخيه، على عمِّه.. ليبعث له خبزات ونحوها وهو قاعد في المسجد، فهذا لا يجوز أبداً، يقلّدون المتوكلين على الله، وعلامة هذا النوع أنهم يضجّون ويلجّون، وهؤلاء هم المتصوفة.

١٧ - الوقوف مع الحق

قال رَضِوَاللهُعَنهُ :

امش مع الحق، واتّبع الحق، ولا تخشَ إلّا الحق، فالحق أحق أن يتّبع، وما في الوجود إلّا الحق.

صاحبي وصديقي الّذي إذا رأى الحق علي يقول لي الحق عليك. أما إذا كان الحق بجانبي فعليه أن يقول الحق معك.

الحق له صولة، الحق أحق أن يتبع، ولا نحب ولا نبغض الأشخاص بل للحق والباطل، نحبهم للحق، ونبغضهم للباطل، وما جئنا إلّا للسعادة، فلا يصل الإنسان إلى الله تعالى حتى يصل إلى مرتبة الحق وهي: الاطمئنان بالله سبحانه.

والّذي يظهر له الحق ويقف مع نفسه ومع الباطل ليس على شيء.

المراد تطبيق الأوامر واجتناب النواهي، وتنفيذ أوامر الله سبحانه وتعالى.

فالإنسان عليه أن يصل إلى مراد الحق سبحانه وتعالى، لا أن يصل إلى مراد نفسه.

إيّاك والعصبية، إيّاك والعصبية، قل الحق ولو كان على نفسك.

بعض الناس يعرفون الحق ويكابرون، هذا إنسانيته ناقصة، هذا ليس بمسلم!! هذا حيوان! لماذا تكابر؟ لماذا تضع محامياً عن ابنك؟ لو كان ابنك هو المقتول فهل ترضى؟.

نحن لا بدّ أن نعشق الحق ونتبع الحق، الحق أحق أن يُتَّبع، وقال ﷺ: «**الحق ما ترك لعمر من صديق**»[(١)]، في قصة إبل عبد الله بن عمر بن الخطاب[(٢)] ما قال: ابني أكون بجانبه، الحق أحق أن يتَّبع، الصحابة لما صدقوا صاروا كلّهم كباراً، الإنسان لا بدّ أن يكون بجانب الحق مع من يكون الحق، يمشي مع الحق مع من يكون الحق، تبين هو من أهل الفضل، يصير بجانب الحق ويحب الحق أينما كان، ويبغض الباطل أينما كان.

١٨ - الصبر على الابتلاء

قال رضي الله عنه :

أصل الابتلاء كلّه للمحبة، إذا أحب الله عبداً ابتلاه[(٣)].

الحق سبحانه وتعالى هو الّذي يبتلي لا أحد معه في الوجود البتّة.

وما ابتلاك إلّا ليطهّرك، وما يطهّرك إلّا ليرقيك، وما يرقيك إلّا ليجعلك جليسه!!

(١) كشف الخفاء (٢/ ١٣٤).

(٢) ورد عن سيّدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: اشتريت إبلاً وارتجعتها إلى الحمى، فلما سمنت قدمت بها، فدخل عمر السوق فرأى إبلاً سماناً فقال: لمن هذه الإبل؟ قيل لعبد الله بن عمر، فجعل يقول: يا عبد الله بن عمر! بخ بخ ابن أمير المؤمنين! فجئت أسعى فقلت: ما لك يا أمير المؤمنين؟ قال: ما هذه الإبل؟ قلت: إبل اشتريتها وبعثت بها إلى الحمى أبتغي ما يبتغي المسلمون، فقال: ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين! اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين! يا عبد الله بن عمر، اغدُ على رأس مالك، واجعل الفضل في بيت مال المسلمين. سنن البيهقي (٦/ ١٤٧).

(٣) شعب الإيمان (٧/ ٢٢٢) برقم: (١٠٠٨٧).

نعرفها من نفس المبتلى، فإن سخط وغضب فهذا انتقام.

وإن صبر فهذا رقي.

وإن رضي فهذا أعلى وأعلى، وهذا مراد الحق سبحانه وتعالى.

الحق يناديك هو أكرم الأكرمين، جرت عادة الله إذا قام أحد بعمل خالص لله فلا بدَّ أن يبتليه، كل عمل خير أمامه ابتلاء، كل قضية تعملونها لله فيها ابتلاء، لا يمكن إلّا أن يبتليك، اصبر وانظر.. يفتح لك ويرقّيك كنتَ تعتقد صرتَ تذوق، كنتَ تصدّق صرتَ يقيناً، صرتَ منهم.. هذه عادة الله، أنت وعملك ملك لله، والحق يقول: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ [غافر: ١٦].

لا يوجد أحد، الأنبياء والأولياء والملائكة ﴿ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ «كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان»[(١)]. الّذي يجعلكم تَثبتون على الابتلاء هو صحبة الأكابر من أهل الله، الصحبة الصحبة، جمعة، أسبوعين، شهراً، أكثر أو أقل، تعدل عبادة أربعمائة مليون سنة!! لكن الصحبة لها حق، إن صدقتَ يبين لك وينصحك، وإذا لم ينصحك اتهم نفسك، إذا ينصحك بالصغيرة والكبيرة أدخلك عنده، والدليل في ذلك أنّك تسمع لما ينصحك، تبكي وتنكسر وتنذل، وترى ليلة القدر، العادة أن ليلة القدر يراها مرّة بالسنة هذا عنده كل لحظة ليلة القدر!.

يقول علماء الطبيعة: إن الّذي يكظم غيظه تتولد عنده عقدة نفسية؛ لذلك يجب على الإنسان أن يظهر ما في باطنه، وإن هذا الكلام خلط، يجب أن نكظم الغيظ؛ لأن فيه تطهيراً للنفس وللذنوب وللمعاصي، ويطهر القلب، ويحدث معه صفاء.

---

(١) ينظر: كشف الخفاء (٢/ ١٧١).

إيّاكم إذا غضبتم أن تنفذوا غضبكم.

الطين فيه الشهوة والغضب.

الابتلاء يخلصك من الأغيار ومن عبادة الأصنام، كي لا تُبقي في قلبك أحداً.

الابتلاء نعمة، نعمة إذا عرفت المبتلي فتوجهت إليه، فوصلت بواسطة الابتلاء.

الابتلاء نقمة، نقمة إذا كنت غافلاً عنه فبعدتَ عنه بواسطة الابتلاء.

لقد جرت عادة الحق إذا أحب عبداً أن يسلط عليه معشوقه الّذي علق قلبه به مهما كان. والناس في الابتلاءات يختلفون؛ منهم المرادون للحضرة الإلٰهية وهم من إذا ابتلاهم الحق فسلَّط عليهم محبوبهم من زوجة أو مال أو صديق أو ولد أخذوا العبرة فأخرجوا الكل من قلوبهم دفعة واحدة ولا رجعة وهؤلاء هم الدرجة الأولى، وآخر يخرج من قلبه الّذي سُلِّط عليه، ويعلّق آخر، ثمّ يسلط عليه أيضاً، وهكذا يبقى في التسليط من واحد إلى آخر، وهذا وسط. والثالث الّذي يتلقى الأذى من إنسان ثمّ يصالحه ويرجع إلى ما كان عليه لا يأخذ عبرة! وهذا لا خير فيه.

بيننا وبين معرفة الرسول الأعظم ﷺ الجبل الكبير وهي نفسنا، أم الغضب، لـمّا تغضب لا تعرف كبيراً ولا صغيراً ولا مقدَّراً ولا منزهاً، الخير كلّه في برود القلب.

إذا رأيتم شخصاً يذم نفسه ويقول أنا لست بشيء، وحين يذمّه الآخرون يغضب وتقوم قيامته فهذا اتركوه لأنّه صغير وليس بكبير.

عندما تغضب يركبك الشيطان ويخبطك - أي يرميك - من فوق إلى تحت، تحسن إلى شخص عشرين سنة أو ثلاثين سنة ثمّ يغضب غضبة واحدة ولا يتذكر الإحسان قطعاً لا يذكر إلّا الغضبة، وهذا الشيء وقع معي كثيراً، أسأل الله تعالى أن لا يؤاخذ أحداً أحسنتُ إليه ثمّ أساء معي.

لا تتعبوا! إذا لم تزكّ النفس لا تستفيد شيئاً، تبقى عشرين سنة أو ثلاثين سنة تصلي وتدرس وتبكي وتذكر وإذا غضبت تخرب الدنيا.

الفارق بين الغضب للنفس والغضب لله أن الغاضب لله بمجرد ما يظهر له الحق يتلاشى غضبه ويرجع، الثاني: مثل الحصان البطران.

الفرق بين البلاء والابتلاء الأول: اسم المنتقم، والثاني: اسم المحب «**إذا أحب الله عبداً ابتلاه**»[(١)]، الابتلاء يتكلّمون عليكم كلاماً ما أنتم بعامليه أبداً، فهذا هو الابتلاء، وأما إن كنتم عامليه فهذا هو الانتقام، وهذا بلاء.

إذا عملتم عملاً حسناً وتكلّمت الناس عليكم فمعنى ذلك أن الحق أراد أن يختاركم حتى يحمِّلكم الكمالات الإلٰهية.

الإسلام قسمان: نصفه صبر ونصفه شكر، الإنسان لا بدّ أن يقوم بالمرتبتين، جرت عادة الله أن الابتلاء قبل؛ لذلك يخرج منه الصبر ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥]. لا بدّ من الصبر، والّذي ما عنده استعداد للصبر ما عنده كيان عند الحضرة الإلٰهية، هذا يعتبر إنساناً عاديّاً في السير ما وُجِد واحد في الوجود وصل إلى الله

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي (٧/ ١٤٥) برقم: (٩٧٨٦).

بدون ابتلاءٍ، على الخصوص إذا يريد أن يجعله مظهراً، لا بدّ أن يبتليه ابتلاءات حسب ما قال الرسول ﷺ: «**أشدكم بلاءً الأنبياء ثمّ الأمثل فالأمثل**»[1]. لكن الحق يمنّ عليه بعدها، الرسول ﷺ والرسل عليهم السلام من أول قدم يعرفون ذلك، أن المُبْتَلي هو الله، العارف بالله قبل أن يدخل بالمعرفة يشهد المبتلي هو الله، وجاءت السورة الصغيرة ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢﴾ [العصر: ١-٢] كل إنسان خاسر ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ لا تكفي ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ لا تكفي ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾ لا تكفي ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ٣] الصبر آخرها وأمَرُّها ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [النحل: ١٢٧].

افهموا أن المُبْتَلِي هو الحكيم، وأن الابتلاءات هي كمالاتنا ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾ [الكهف: ٧]. الابتلاءات والانتقامات كلّها فيها التطهير حتى جهنم، ما جرت عادة الله أن يختار عبداً بدون ابتلاء، حتى المجذوب إذا أراده يسلط عليه أولاداً يضربونه بالحجارة.

كلّما كانت مرتبته عند الله أكبر كانت ابتلاءاته أكثر، أشد الناس بلاءً الأنبياء ثمّ الأمثل فالأمثل.

سبب الرقي الابتلاء، الابتلاء ضد النفس.

إذا عمل أحدكم خيراً وأخلص فيه فلا بدّ أن يبتليه الله تعالى حتى يرقيه.

إذا صدق العبد في سيره إلى الله تعالى ورُزِقَ المحبة فلا بد له من الابتلاء يبتليه الله تعالى فيسلط عليه الخلق أجمعين.

---

(١) سنن الترمذي (٤/ ٦٠١) برقم: (٢٣٩٨).

ففي بداية أمره يسلط عليه البعيد ثمّ الصديق ثمّ الحميم ثمّ الأقرب فالأقرب. وللمحب الصادق عناية فكلّما سلط عليه إنساناً زاده ذلك المتسلط تعرفاً إلى الله ويناديه الابتلاء: ألّا تبقِ في قلبك إلا الله.

ولا يزال يبتليه في أقاربه في أمِّه في أبيه في زوجته في أخيه في صاحبه حتى لا يبقى في قلبه أحداً وكلّما أتته واحدة نادته: ألّا تبقِ في قلبك سوى خالقك. وهناك مواقف للنفس فإنها تقول عندما يتكلّمون عليها ويؤذونها: أنا ليس كما يقولون وليس عندي ما به يتهمون، فتهجرهم وتراهم يخوضون في لعبهم وبهتانهم وكذبهم وترى أنها خير منهم فتدخل على صاحبها الرضى عنها فتغلي صدره عليهم بما يتكلّمون وهناك تأتيه عناية الله فتناديه: إن هؤلاء الذين تسلطوا عليك هم رسل من عند الله إليك وأن الله سلطهم عليك محبة فيك ليفردك وتفرده.

غير أنَّ النفس ما هان عليها مفارقتهم وما طاب لها تذليلها ورجوعها إلى خالقها بل تريد أن تبقى معهم يمدحونها وتألفهم، فتقطعك عن مولاك وعن مراتب الالتجاء إليه، فتبين أن النفس أشد عداء منهم، وهنا تفهم سر الحديث: «**أعدى أعدائك نفسُك التي بين جنبيك**»[(١)]. وتذوق عداوتها فتشتغل في عيوبها، وأما الأعداء الّذين تسلطوا عليك فترجع إليهم بالرحمة والشفقة، إذ نقلوك إلى مرتبة عالية، ومن هنا تعلم بأنه لا صاحب إلّا الله، وأنه لا سير إلى الله بدون ابتلاء، فكلّما عملت عملاً بإخلاص وصدق فانتظر بعده الابتلاء يأتيك ممن عملت معه الإحسان، والابتلاء يأتِكَ امتحاناً فإن ظهرت النفس وقابلته بمثل ما عاملك خسرت الصفقة، وإن

(١) أخرجه البيهقي في الزهد الكبير (٢/ ١٥٧) برقم: (٣٤٣).

كنت من أهل العناية وقابلته باللطف والإحسان بحيث كنت قبل أن يعاملك بهذه المعاملة تنتظر منه هذا العمل فهذه عناية من الله فيك، والابتلاءات ثلاثة:

- ابتلاء للاختبار قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمّد: ٣١].

- وابتلاء للتعريف قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة: ١٥٥، ١٥٦].

- وابتلاء للرقي والمحبة ورد في الحديث: «**إذا أحب الله عبداً ابتلاه**»(١). ليسمع صوته ليسمع أنينه، ابتلاك لتعلم من هو المبتلي، ولماذا ابتلاك؟ هل بينك وبينه عداوة؟ مهما كنت فإن الخلق كلّهم عيال الله، فكيف أنت مقبل عليه ثمّ يبتليك هذا الابتلاء؟ فما ابتلاك إلّا للمحبة والوصول والمعرفة.

والمُبْتَلى محبوب للحضرة الإلٰهية، ورد في الحديث «**أشد الناس بلاءً الأنبياء ثمّ الأمثل فالأمثل**»(٢) فما ابتلاك إلّا لأنّه أرادك وأراد أن يخلصك من الأغيار والأصنام المعشوقة في قلبك: أصنام الأموال، والزوجة، والأولاد، والأصدقاء، وأصنام الوظيفة، والكرسي، والجاه، والزعامة..

أصعب الابتلاء هو من أقرب الناس إليك أمّك، أبيك، أخيك.

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي (٧/ ١٤٥) برقم: (٩٧٨٦).
(٢) سنن الترمذي (٤/ ٦٠١). برقم: (٢٣٩٨).

ما جرت عادة الله إذا كانت درجة الرجل عشرة أن يبتليه مائة.

أهل الله ترقوا بالابتلاء، أين الّذي ترقى بغير الابتلاءات؟ ما رأت عيني شيئاً للإنسان مثل الابتلاءات.

«**إذا أحب الله عبداً ابتلاه**»(١)؛ لأي شيء؟ ليطهّره.

ابتلاء الترقي لا يكون إلّا في اليقظة.

كل من يعمل عملاً له فيه نيّة حسنة لا بدّ أن يبتليه به سبحانه وتعالى، وبعده ﴿وَمَا يُلَقَّـٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّـٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥].

أرجوكم أن تشهدوا المبتلي، وهذا حب منه لكم، فهو يهيّئنا ويعرّفنا ويهذّبنا، فإذا رضينا بتصرفه ترقينا. الابتلاء مبني على المحبة لا على البغض، وهناك تستعد للرقي وتقول: ﴿رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٤].

إذا أراد الحق أن يختار عبداً من عبيده لنفسه لا بدّ أن يبتليه؛ لهذا ما رأيت ولا سمعت ولا شممت أنّ أحداً وصل بدون ابتلاء أبداً.

إذا مدحك أحد يصير عندك نوع من السرّور، ولكن لا بدّ أن يقابلك الله سبحانه بالابتلاء لكي لا تغتر بالمدح، وكل شخص ابتلاؤه على قدر مرتبته، قالوا: الامتحان على قدر الامتكان.

الإهانات للمقربين، توصلهم إلى الذل، لولا الإهانات لم يحصل الذل، فالذل يحصل من الإهانات والابتلاءات.

(١) شعب الإيمان للبيهقي (٧/ ١٤٥) برقم: (٩٧٨٦).

فليتَ الّذي بيني وبينك عامرٌ
وبيني وبين العالمين خراب[١].

جرت عادة الله أنه لا يبتلي إلّا الصادقين.

الابتلاءات تعطي السعة والرحمة، الّذي يحبني يصبر، كل الخير بالصبر، والله ما رأيت الخير إلّا بالصبر.

رأس مالنا الصبر، الصبر مخالف للنفس، موافق للرب.

الدنيا من أولها إلى آخرها دار ابتلاء فقط ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].

الابن ابتلاء، والأب ابتلاء، والليرات ابتلاء، والمال ابتلاء، والعلم ابتلاء.

إذا كان جارُك عدوَّك فأطعمه، فهذه الطعمة تقتل العداوة بينك وبينه.

الابتلاء عرّفنا بأنفسنا أننا عبيد، وإذا جاءنا شيء من الكمالات فهي له وليست لنا ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾ [الجمعة: ٤].

إذا عملتم عملاً حسناً والناس تكلّمت عليكم بمعنى أن الحق أراد اختياركم ليحملكم الكمالات الإلٰهية، أول شيء افهموا أن المبتلي هو الحكيم.

الفتح لا يكون إلّا بعد الابتلاء، ولا يكون قبل الابتلاء، ومقدار الفتح بمقدار الابتلاء، لذا قالوا: الامتحان بقدر الإمكان.

---

(١) من قصيدة منسوبة لأبي فراس الحمداني، ينظر: البداية والنهاية لابن كثير (١١/ ٢٧٩).

الابتلاءات كلّها دروس - خذوها عني - وكلّها علم ذوقي، الابتلاءات تطهير، تعليم، تَرقٍّ، تفقره في الصورة ليصبح غنياً بالله.

يا إخوان الّذي عنده دعوة مستورة مقبولة لا يدعُ بها لحبيبه بل يدعو بها لبغيضه لعدوه!

إذا سامحت من أساء إليك فأنا الكفيل بأن الله سبحانه يعطيك الرضا في قلبك والسعة.

إذا تكلّم عليك أحد وسبّك اضحك، ابتلاءات الله ليست للإهانة، بل لرفع الهمّة.

إذا سامحت المسيء فإنَّ الله سبحانه يعوِّضك الرحمة والرضا والبركة والسعة.

إذا أراد الله عبداً من عبيده لا بدّ أن يبتليه، ثمّ بعد الابتلاء يمنّ عليه بالتسليم والرضا، ثمّ يشهد الابتلاء من الحضرة الإلٰهية لا من أحد المخلوقات، ابتلانا بالخير والشر.

دار الدنيا والآخرة أنا لا أشهدها غير ابتلاءات.

الطفل الصغير إذا مرض فمرضه تطهير لأمّه إذا صبرت، وإذا جزعت فهو انتقام.

الابتلاءات هي كمالاتنا ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧] هل نقف مع الأشياء أم مع الله؟

إذا شتمك وشتمته سهلة، ولكن القوّة إذا شتمك تحسن إليه، هذا عطاء إلٰهي هذا فضل إلٰهي.

الّذي لا يريد الابتلاء فهو لا يريد أن يتطهّر، لا يريد أن يشاهد الأسرار، لا يريد أن يعرف الله.

الابتلاء روح الدين.

ابتلاء البعيد شيء بسيط، وابتلاء القريب أصعب، مثل الصديق والرفيق.

أقوى سلاح لك على عدوك أن تدعو له بالليل ولا تدعُ عليه! لأنّك إذا دعوت عليه يعاملك بالشقاوة لا بالسعادة، كذلك ولدك.

ادعُ للّذي يؤذيك، ابكِ له البكاء الحار في خلوتك.

الإنسان لمّا يبتلى بالكلام ويصبر: أولاً تتطّهر نفسه، ثمّ يترقى، ثمّ تأتيه العلوم اللدنية ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

صاحب المحاسبة الصادق إذا تكلّم عليه أحد يضحك ويفرح، أما غير الصادق فلن يبتليه الحق، ولا لزوم لذلك.

المؤمن ينبغي أن يكون بصيراً بالأمور كلّها، ولا يكون بصيراً إلّا بعد الابتلاءات، يُبتَلى ثمّ يُبتَلى ثمّ يُبتَلى إلى أن يكون بصيراً.

الابتلاء الذّي يأتينا من زيد من عمرو من بكر يعطينا التوحيد، علامته ندعو له.

لا يمكن لإنسان أن يصل حتى يبتلى من أعزّ أحبابه وأصدقائه، وهذه الابتلاءات يجب أن ننظرها من الخالق والبشر آلة منفذة، فإذا صبرنا وسامحنا وعفونا عن العامل نترقى إلى الله، وإذا غضبنا نخسر الصفقة، وهذه الابتلاءات تطهّر الإنسان من الخبث والقاذورات الموجودة معنا.

لا يترقّى أحد إلّا بالابتلاء، ولا يوجد شيء أجمل من الابتلاء ولا أحسن منها ولا أكمل ولا أحلى؛ لأن الله يريد أن يرقي الشخص، وعندما أمر الله إبليسَ أن يسجد لسيّدنا آدم فمراده أن يرقيه، وهذا ابتلاء من الله.

أنا ما رأيت وليّاً تولاه الحق بدون ابتلاء أبداً، ولا فرداً من أفراد الوجود، لا يمكن أبداً.. الرسول ﷺ جاء ليخرجهم من الظلمات إلى النور رموا عليه الأقذار، وكسروا رباعيته، وشجّوا وجهه الشريف، وحكوا عليه كل كلام مُرّ، ومع كل هذا فهو صابر..

الابتلاء ضد النفس، والنفس ما زالت موجودة لن يأتي من صاحبها خير أبداً.

نقول للغضبان: يا غضبان كيف هي صلاتك؟ يقول: لا أعرف أصلي! ولا أعرف أحكي! ولا أعرف أسمع! ولا أعرف..! إذن يا أستاذ يا غضبان سلّمت زمامك لعدوك وهو إبليس! والحق يقول: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ﴾ [فاطر: ٦].

هناك نقطة حساسة جداً! الشيخ عندما يأتيه مريده الصادق لا بدّ أن يُبتلَى كثيراً، افهموها! يخمّنون إذا جاء للشيخ يروح عنه الابتلاء..لا! وإنما يُسهِّلُ له الساقية التي تصرّف الابتلاءات إلى البحر، لا يرفع عنه الابتلاءات، الرسول ﷺ يقول: «**إذا أحب الله عبداً ابتلاه**»(١). لكن للابتلاء نتائج نتقرّب بها إليه، ونزداد له محبة، لا نغضب ونسخط! فذاك الّذي يغضب ويسخط بعيد، ما هو ابتلاء، بل انتقام! فرّقوا بين الابتلاءات

(١) شعب الإيمان للبيهقي (٧/ ١٤٥) برقم: (٩٧٨٦).

والانتقامات، العلامة منكم ليست من غيركم! إذا ابتلاكم الحق بشيء إما أن تسخطوا وتغضبوا، وإما أن تصبروا وتسلّموا وترضوا، فإن سخطتم أو غضبتم فهذا انتقام. لـمّا الحق يبتليكم ابتلاءً فأول درجة الصبر ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ [فصلت: ٣٥] بمجرد ما عرفتموه ابتلاءً فلا بدّ أن تصبروا؛ لأنّكم تعلمون بأن الله حكيم، والحكيم يضع الأشياء في محلها، فإذا ابتلاكم وصبرتم، فبعد الصبر بشيء قليل جاءكم الفتح! جاءكم الصفاء! ثمّ الحق يبتليك بابتلاء آخر فتسلّم، بعد التسليم وإلّا جاء فتح أكبر من الأول! ثمّ يأتيك ابتلاء ثالث! الابتلاء الثالث يعطيك رضىً ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ [البينة: ٨]، فهذا تأهّل للكمالات، وتهيأ للرقيّ، وبعد الرقي ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٤].

لـمّا الحق يبتليكم بشيء اصبروا، خمس دقائق، عشر دقائق شيئاً قليلاً.. فما ترون إلّا وقد جاءكم الخير العظيم!

الإنسان لـمّا يعمل عملاً خيراً لا يمكن إلّا أن يبتلى لأجل ذلك يقول العوام: خيراً لا تعمل، شراً لا تلاقي، ما أجهلهم في الله! لا، لـمّا تعملون خيراً ونيّة حسنة يعطيكم عليها ثواباً، لكنه يحب أن يزيدكم؛ لأنّه أرحم الراحمين، يبتليكم حتى يطهّركم حتى يرقّيكم حتى يعطيكم حتى يجعلكم خلفاء له سبحانه وتعالى، فإذا عملتم عملاً حسناً صحيحاً بنيّة صحيحة فلا بدّ أن يجيئكم ابتلاء مقابله، تصبرون وهذا الصبر يطهّركم..

أولادي خذوها قاعدة هكذا كان الرسول ﷺ والورّاث كلّهم أخذوا هذه الصفة الأولى، وهي إذا عاداكم أحد ادعوا له لا تدعوا عليه، إيّاكم أن تدعوا عليه! إيّاكم! مهما كان يردّه الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾

[البقرة: ٢٠] ليس من المعقول أن تتوسل إلى الله له فتكون كريماً والله ليس بكريم! الله أكرم الأكرمين، الله لا يغار إلّا من الكريم، لـمّا تكرم وتعطي الفقراء يقول لك: عبدي أنت كريم؟ وأنا أكرم منك، يعطيك الحسنة بعشرة وبسبعين وبسبعمائة ويغفر لك ذنوباً لا يعلمها إلّا الله ويعلّمك ويهذِّبك ويرضّيك ويبارك لك! فهذا طريق السعادة، إيّاكم ثمّ إيّاكم أن يدعو أحدٌ على أحد، إيّاك مهما آذاك، أليس مرادك أن يصير مليحاً معك؟ أم مرادك أن يزداد عليك؟ فإذا دعوت عليه يصير شقياً، ولـمّا يشقى يعاملك معاملة الشقاوة، وإذا يسعد يعاملك معاملة السعداء، ما أجملها وما أكملها وما أحسنها.

إذا أعطاك الله ما تريد فما معنى ذلك؟ معناه أن الله طردك من رحمته، هذا معناه. الآن إذا طلب مني أحد قضايا أنا أعرفها تضره فهل أنا مجنون حتى أعطيه إياها؟! لا أعطيه إياها، أحاول.. حتى يدرك، يصير عنده نور وتمييز فلا يعود ليطلب مني! يقول: جزاك الله عني الخير يا شيخي! لو كنتَ أعطيتني لكان كذا.!

المريض يصدق مع الطبيب، كثير من المرضى يجيء إلى الطبيب فيجعل حاله هو الطبيب! اسكت! أنت مريض، أنت ضعيف، لا تفهم حالك حتى تعرف غيرك، أنت اسمك مريض وأنا اسمي طبيب...

كلّما عملت بإخلاص وصدق فانتظر بعده الابتلاء من الّذي عملتَ معه الإحسان! فلا بدّ أن يأتيك الابتلاء، يأتيك امتحاناً؛ فإن ظهرتَ وقابلتَه بمثل ما عاملك به خسرتَ الصفقة، وإن كنتَ من أهل العناية قابلتَه باللطف والإحسان وكنتَ قبل ذلك تنتظر ذلك الابتلاء، فهذه مسألة يجب أن تُحفَظ.

ميزان المدح والذّم:

إذا كان هذا يمدحك وذاك يذمك، فما لَكَ والمادح والذام، لا ترَ مادحاً ولا ذامّاً بل عليك أن تتعرض لأعمالك وأحوالك فتصلحها.

ربّما جاءك إنسان ومدحك في شيء ما، فإن كان ما مدحك به موجوداً معك فلا تغتر بمدحه إياك أو تنسب ذلك العمل لنفسك بل ذلك فضل الله أجراه على يدك، فإن نسبته لنفسك سلبه إيّاك، وإن شهدته من فضله تعالى ألبسَهُ إيّاك وزادك منه وأدامه عليك ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].
أما إذا مُدِحت بشيء ولم يكن موجوداً معك فسارع وحقق ذلك الشيء الذي نُسِبَ إليك، واستحِ من الله أن توصف برتبة لم تكن معك.

وإن جاءك أحد وذمّك بشيء فإن كان العمل موجوداً فيك فهو نذير من الله إليك، فاهجر العمل واقطعه فوراً، وإن لم يكن واقعاً منك فحذّرْ نفسك من الوقوع بمثله، فإن الناس بالمرصاد ثمّ ادع له سواء كان ذامّاً أو مادحاً لأنّه نفعك.

١٩ - الإحسان إلى المسيء

قال ﵁:

أولادي تحمّلوا الأذى وأحسنوا ما استطعتم، اشهدوا مَن الّذي أبكى، اشهدوا مَن الّذي أضحك، أسندوا النعمة إلى المنعم، اشهدوا النقمة منه ليرقّيَكم ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

لا تدعوا على من آذاكم، فربّما تكون أبواب السماء مفتوحة، يستجاب

لدعائك، ويزداد شقاؤه أكثر وتزداد شقاوته عليك أكثر، وإنما ادعوا له ليوفقه الله.

إذا سبّك أحد من الناس اضحك وانبسط.

إيّاكم أن تسيئوا إلى المسيء، بل أحسنوا إليه وادعوا له.

إذا أساء إليك أحسن إليه، توسع له وأكرمْهُ يأتِك وينجذب إليك ويسمع نصيحتك، وإذا تكلّم عليك كلاماً بذيئاً نقِّ له خصلة حسنة فيه وامتدحه بها، إذا سبّك لا تسبّه، علّمه، هذّبه أدّبه بحالك يا مهذّب يا مؤدّب.

اقتل كفر الكافر وعداوة العدو لا تقتل عدوّك، اقتل العداوة التي بينك وبينه.

إيّاكم أن تسيئوا إلى المسيء، بل أحسنوا إليه وادعوا له.

أحسن إلى المحسن بإحسانه والمسيء تكفيه إساءته، اصنع المعروف مع أهله ومع غير أهله، فإن وافق أهله فذاك وإلّا فكن أنت أهلاً له.

أوصيكم إذا كان لكم عدو فإن أقوى سلاح عليه أن تدعوا له في الليل لا أن تدعوا عليه، إذا دعوت عليه تقوى شقاوته عليك يعاملك بالشقاوة ومن باب أولى ابنك، أجيرك، صاحبك، إيّاك أن تدعو عليه فيشقى، وإذا شقي يعاملك معاملة الأشقياء، أمّا إذا دعوت له فيسعد ويعاملك معاملة السعداء، هكذا شأن رسول الله ﷺ.

أنا لا أرضى أحداً ينتسب للشيخ النّبهاني وما يدعو لعدوه.

إذا أحسنت لمن أساء إليك، ابكِ ابكِ شكراً لله.. اضحك اضحك فرحاً بالله.

فالمسيء يعلِّمنا أن لا نكون مثله ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ﴾ [فصلت: ٤٦].

شيخي سيّدنا محمّد ﷺ لا يريد أن ينتقم لنفسه من أحد، يريد أن يردَّه إلى حقيقته.

إذا نام إنسان وقلبه مسامح أفراد العالم جميعاً ومات تلك الليلة يموت شهيداً.

إيّاك أن تحمل في قلبك على أحد في العالم مهما جاءك منه، ادع له، وهذا في صحيفتك، الابتلاءات تعطي السعة والرحمة، وهذا هو الطريق المستقيم.

لا تسبّوا الّذي يسبّكم، لا تسيئوا لمن يسيء إليكم، أحسنوا إليه علّموه الإحسان بالفعل، كان رسول الله ﷺ يحسن لمن أساء إليه.

الحق عَزَّوَجَلَّ ما خلق مجرماً ولا شقياً ولا يهودياً ولا نصرانياً ولا مجوسياً ولا شريراً: «**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه**»[(١)].

القوي لا يؤاخذ الجاهل الضعيف، حينذاك تعلم أن الخلق عيال الله والغصن منها وإن مال، فينبغي أن ترحم المخلوقات وتدعو لعدوك، ولو كان عدوك جائعاً أطعمه، النعمة والنقمة رسمها واحد.

إذا أعطاك مالاً أو جاهاً أو غير ذلك فعصيت الله بها كانت نقمة وبالعكس، حتى الأرض التي تطؤها لا تبرحها حتى تصلي أو تذكر الله فيها، اخدم نفسك بنفسك تلطفْ بنفسك.

---

(١) البخاري (١/٤٥٦) برقم: (١٢٩٣).

صاحب النور يرى الأشياء ويرى الناس بالله، ولكن الحق عَزَّوَجَلَّ يعطيه الرحمة قبل ذلك، فينظر الناس بالرحمة ويؤول لهم ولأعمالهم، وأقل التأويل أن يرى قلوب الخلائق بين أصبعين من أصابع الرحمٰن، فلعل العاصي أو الفاسق بعد نفس يكون ولياً.

يجب أن يكون وصف الرسول ﷺ وصفنا، نحسن لمن أساء إلينا لا عن جُبن ولا خوف البتّة، نحسن إليه! وهو غالباً يرجع ويقول في نفسه: أنا أسأت وهو أحسن إليّ؟ وغالباً يرجع ويتبعه، أما الذين هم مثل العقارب والحيّات وأمّ أربعة وأربعين! فمهما عاملته بالإحسان لا ينفع معه، والحق عَزَّوَجَلَّ قال عن هؤلاء الناس: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ الدواب ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

٢٠ - حفظ السرّ

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ناس كثيرون يدّعون أنهم أولياء صغار أو ما شابه ذلك، يخبرون إخبارات، هذا جهل منهم يا أخي، هذا سر لا يجوز الكلام فيه، يتكلّم فيه صغير العقل الّذي ما عنده قوّة الضعيف البعيد.

الوجود كلّه قائم بالأسرار، وأهل الأسرار لا يخبرون عن السرّ، كي يبقى السرّ سرّاً، ولأجل ذلك تباح دماؤهم! إذا أفشوه.

إذا رأيتم أحداً يخبر يتكلّم إما دجّال وإما جاهل لا يفهم.

لا يمكن لأحد أن يخبر؛ لأن الله ما أخبر، ولا سيّدنا محمّد ﷺ، إلّا

المعجزة هنا بأمر الله، يأمره الحق عَزَّ وَجَلَّ ، وإلّا فلا يجوز أبداً، اسمه سر، فإذا تكلّموا فيه خرج عن كونه سرّاً، صار كلاماً واضحاً.

الأسرار الإلٰهية مصونة مستورة، العارف لا يظهر الأسرار الإلٰهية إلّا إذا أُمر بها أو كان في المجلس صاحب أمانة فإنه يؤديها إليه.

الحق لا يعطي الأسرار الإلٰهية إلّا للأدباء، والأدباء عندهم أعدى عدو لهم هي أنفسهم.

٢١ - الشغل عبادة

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

الشغل عبادة، اشتغلوا واعملوا حمّالاً حصّاداً حارساً ناظراً، لا عيب أبداً، عيب أن (نشحذ)(١).

الحارس يحرس والفلاّح يزرع.. كلّه عبادة.

أمرك بالتجارة، زيِّن التجارة بصدقك وإخلاصك، أمرك بالزراعة **«إن الله يحب أحدكم إذا عمل عملاً أن يتقنه»**(٢).

سيرك وسلوكك إلى الله هو الإتقان في عملك.

احمل الحجر من هناك ثمّ ائتني به، ولا تقعد بدون عمل.

---

(١) (شحذ): استجدى استعطى، قال الفيروز آبادي: والشَّحْذُ.. الإلحاح في السؤال وهو شحاذ مُلِحٌّ. ينظر: القاموس المحيط (١/ ٤٢٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٥١٨) برقم: (١٣٦١)، ومسلم (٢/ ٧١٧) برقم: (١٠٣٢).

إيّاكم أن يطعمكم أحد «**اليد العليا خير من اليد السفلى**»[(١)]. ولكن لا تنهمك، أنا أشتغل كل الشغل لكنني فوق الشغل كلّه.

إيّاك أن تكون بطّالاً ولو أن تضرب حجراً بحجر، عليك أن تأخذ بالسبب والباقي على الله سبحانه وتعالى.

نحن نأخذ بالسبب ونعمل بالسبب، ولكن لا نقف مع السبب، نقف مع مسبب الأسباب.

الزهد في الدنيا لا ينافي العمل فيها؛ لأن الزهد مرتبة قلبية لا يدوية.

لا يحبّون الدنيا لا يعني أنهم لا يشتغلون بها، يشتغلون بالدنيا ولكن يزينونها، الزهد الحقيقي هو زهد القلب، ولا مانع من وجود المال بيد المؤمن يقول به هكذا وهكذا ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ٢٥﴾ [المعارج: ٢٤ - ٢٥]، «**نعم المال الصالح للرجل الصالح**»[(٢)].

لا أرضى لأحد أن يكون بطّالاً، البطّالون لا أحبهم، زارعوا تاجروا صانعوا كاتبوا، ولكن بصدق وإخلاص؛ لأن الوجود لا يقوم بغير زراعة، بغير تجارة، بغير صناعة، أمرنا الله سبحانه بالزراعة نزرع، أمرنا بالتجارة نتاجر، حدادة.. نجارة بشرط الصدق، ولا بدّ لمن يريد أن يتعلم الحدادة أو النجارة أن يحب معلمه فيها.

كل مكلف بوظيفة أو عمل يجب أن يخلص فيه حتى يوصله إلى الله.

---

(١) مجمع الزوائد (٤/ ٩٨).

(٢) صحيح ابن حبان (٨/ ٦) برقم: (٣٢١٠).

ميزان الأعمال المقبولة:

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

الأعمال المقبولة تثمر شيئين: الوجهة إلى الله تعالى، والأخلاق.

حديث المرأة التي قالوا فيها لرسول الله ﷺ: «يا رسول الله إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل، إلّا أنها تؤذي جيرانها بلسانها، فأخبر ﷺ: «**هي في النار**»[1]. أنا أعلّمكم لماذا هي في النار، إنَّ صلاتها وصومها غير مقبولة عند الله، لو كانت عبادتها مقبولة عند الله لأثمرت وأعطتها الأدب.

إذا عمل أحد عملاً من أجل الناس فهذا اسمه رياء.

وإذا ترك عملاً من أجل الناس فهذا اسمه شرك.

وإذا لم يلاحظ الناس فهذا اسمه موحّد.

السير إلى الله تعالى ليس مربوطاً بكثرة الأعمال، بل بصدقكم بالأعمال وبتحقيقها.

الإنسان نتيجته أخلاقه لا أعماله، أعماله إذا كانت مقبولة عند الله تُهضَمُ إلى الأخلاقِ، وصاحب الشخصية لا يسيء الأخلاق، حياة الإنسان بحسن المعاملة.

الأعمال شرطها أن تكون مركوزة على طهارة النفس من الأوصاف المذمومة، فإذا صدر العمل من شخص نفسه غير مطهّرة لا يكفي لأنّه في خطر يهدم عمله بغضبة واحدة.

وإذا عمل الإنسان عملاً فصار عنده بسط وسرور وفرح تبين أنه مقبول مراد، وإذا صار عنده قبض وانزعاج تبين أن العمل غير مقبول.

(١) المستدرك على الصحيحين (٤/ ١٨٣) برقم: (٧٣٠٤).

٢٢ - الاستعداد للخدمة

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

الرسول ﷺ ما عرفناه، ما عرفه إلّا الله؛ لأن الرسول لا يشهد إلّا عبديته فقط.

محـمّـد بـشـر ولـيـس كـالـبـشـرِ
بـل هـو يـاقـوتـةٌ والـنـاس كـالـحـجـرِ

ياقوتة سوداء من السيادة، «**أنا سيّد ولد آدم ولا فخر**»(١). قال ﷺ: «**سيّد القوم خادمهم**»(٢) لأجل ذلك لا تليق الخدمة إلّا بالسيّد، يعرف كيف يخدم؛ لأنّه ذاق.. سار.. سلك.

يعرف كيف يخدم، سيّدنا أبو هريرة كان مرّة جائعاً وسيّدنا الرسول جاءه لبن قليل، قال له: «**قم اسقِ القوم**». فارتاب سيّدنا أبو هريرة؛ لبن قليل كيف يكفي سبعين.. ثمانين شخصاً؟.. فشربوا كلّهم وزاد اللبن! قال ﷺ: «**اشرب أبا هرّ**». فشرب وأيّ شربٍ! اشرب أبا هرّ شرب وشرب.. «**اشرب أبا هرّ**»(٣) سيّدنا الرسول ﷺ ساقٍ، شرب وسقى، أبو

---

(١) المستدرك على الصحيحن (٢/ ٦٦٠) برقم: (٤١٨٩).
(٢) فيض القدير: (٤/ ١٢٢).
(٣) ورد عن سيدنا أبي هريرة قال: والله الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع. ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه فمر بي النبيّ ﷺ فتبسم حين رآني وعرف ما في وجهي وما في نفسي، ثمّ قال: «**أبا هر**» قلت: لبيك يا رَسُول اللَّهِ، قال: «**الحق**» ومضى فاتبعته، =

هريرة ما كان منهم، يلزم أن يشرب، لمّا دار ووجد الحقيقة عندئذٍ صار صالحاً لأن يسقي، وقبلها لا يصلح لها، إيّاك أن تعطي البخيل شيئاً وتقول له: أعطِ القاعدين! إيّاك.. فإنه يقتل القاعدين كلّهم! الصحابة مهذّبون رضي الله عنهم. الّذي فعله رسول الله مع سيّدنا أبي هريرة هذا تعليم لنا، الله خلقهم أصحاب رسول الله ﷺ حتى يعرّفنا إذا أمرك سيّدك أعطِ القوم كلّهم لا تبالِ ولا يصير عندك نقص أبداً، ولو الشيء القليل يكفي الكثير، وإذا صار عندك هِزّة فمعناها ما عندك استعداد للخدمة، الّذي وجدناه في السير، لا يجوز أن يخدم إلّا بعد أن يتذوق، لأجل ذلك الخادم الحقيقي هو السالك الحقيقي، سيّدنا أنس رضي الله عنه ما فعل شيئاً قط وقال له رسول الله ﷺ:

= فدخل فاستأذن فأذن لي، فدخلت فوجد لبناً في قدح فقال: «**من أين هذا اللبن؟**» قالوا: أهداه لك فلان أو فلانة، قال: «**أبا هر**» قلت: لبيك يا رَسُول اللهِ. قال: «**الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي**» قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها، فساءني ذلك فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة؟! كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربةً أتقوى بها، فإذا جاؤوا أمرني فكنت أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بد، فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت، قال: «**أبا هر**» قلت: لبيك يا رَسُول اللَّهِ. قال: «**خذ فأعطهم**» قال: فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثمّ يرد علي القدح، فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثمّ يرد علي القدح فيشرب حتى يروى، ثمّ يرد علي القدح حتى انتهيت إلى النبيّ ﷺ وقد روي القوم كلّهم، فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إلي فتبسم فقال: «**أبا هر**» قلت: لبيك يا رَسُول اللهِ، قال: «**بقيت أنا وأنت**» قلت: صدقت يا رَسُول اللهِ، قال: «**اقعد فاشرب**» فقعدت فشربت. فقال: «**اشرب**» فشربت، فما زال يقول: «**اشرب**» حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق لا أجد له مسلكاً! قال: «**فأرني فأعطيته القدح فحمد الله تعالى وسمى وشرب الفضلة**. أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٠٥) برقم: (٥٨٩٠).

لِمَ فعلت؟ أو بالعكس؛ لأنّه يسير مع قلب رسول الله ﷺ فلو لم يكن ابن سير لا يقدر عليها، هذه لا تكون بالتعليم، هذه في السير أولاً ثمّ بالمحبة ثانياً، هذا هو الأصح، ولا بدّ من الاثنين، محبة بدون سير لا تنفع أبداً، السير بدون محبة أعلى، لكن الكمال، السير ثمّ المحبة، تخرج المحبة من السير وهو الاتباع المحمّدي ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي﴾ [آل عمران: ٣١] مأمورون بالاتباع؛ لأن المحبة عطاء إلٰهي ليس لنا فيه دخل، لكن الاتباع لنا فيه دخل؛ نقدر.. الفاسق أقدر أن أخدمه، لكن لا أقدر أن أحبه، هو فاسق وأنا غير فاسق، لا أقدر أن أحبه ليس بطاقتي ذلك، الصادق بدون أن تأمره يتّبع.. السالك المحب ما عليه خطر، أما المحب فقط فعليه خطر مائة بالمائة!! الأول ماشٍ بالكمال ويأخذ عن المرجع أكثر؛ لأنّه واقف مع المرجع، نفسه ما لها دخل، والآخر، نفسه لها دخل، كلّه نفس، ونفسه تحبّ المرجع، بمحبته يأخذ عني هذا صاحب غرض إذا زالت المحبة بل رأيناها ينقلب إلى بغض! أما صاحب الاتباع فهذا محفوظ أبداً، ما وجد يوماً تابعٌ بعدها يبغض، أدعو الله أن تتّبعوني، الاتباع يعطي المحبة؛ لأنّه لا يمكن بلا محبة أبداً، الرسول ﷺ لما عُرِج به عرج إلى مكان معلوم وبدون شعور منه كان بين يدي الحضرة الإلٰهية، هنا المحبة ضرورية، والمحب لا يوجد أحد معه أبداً غير المحبوب.. إذا كنت تحبّني لغرض ما، وراح غرضك صرت تبغض، وهذا رأينا منه كثيراً، إذا كنت تابعاً لن تمشي حسب هواك ونفسك؛ لكونك مأموراً وتمشي حسب الأمر، لا يصير عندك بغضٌ أبداً، المحبة بدون غرض تكون لاثنين فقط، إما أهل العناية الإلٰهية وهؤلاء أفراد وإما نتيجة الاتباع أول أمره، إذا كان مريد مع مريد

ورأى شيخه قدّمه أكثر منه يصير في قلبه شيء، أهل العناية هذا لا يحصل عندهم، سيّدنا عبد الكريم الجيلي يقول: (حببتك لا لي، بل لأنّك أهله) هذه متى أدركها؟ بعد أن كمل، (وما لي في شي سواك مطامعُ) لا أطمع أن تقربني أو تبعدني، هذه ما لها دخل، هنا أهل الله لو أن أحداً قرضه بمقاريض من نار.. والآخر صار يبخره بالند والبخور لا ينقص عنده هؤلاء ولا يزيد عنده هؤلاء أبداً البتّة وكلّهم بمرتبة واحدة! الكمّل يشهدون الحق والحقيقة واحدة، لا يشهدون أنا وأنت.. المتصرّف في الوجود هو الذات الإلٰهية.

نحن خُدَّام الجميع، خُدَّام العموم بكل أنواعهم، أهل الله مسدِّدون ومسدَّدون، المحمّدي مطلق؛ لذلك هو الفاتح وهو الخاتم.

يحكى أن رجلاً من أهل الله عارف زمانه في المغرب، يحب أهل البيت كثيراً، وكان يوجد طائفة كبيرة قُطّاع طرق من آل البيت، كلّهم لا صلاة ولا صوم ولا عبادة.. هذا العارف قال: أريد أن أخدمهم، قالوا له: يقتلونك! قال: أريد أن أخدمهم، فذهب إليهم وجاء إلى رئيس القبيلة وقال: أنا أحبّ أهل البيت أريد أن أخدمكم، قال له: تخدم ماذا؟ قال: أجمع لكم الحطب، أعمل لكم قهوة، أنظّفُ لكم.. قال له: اخدم، هذا قام يخدم وكلّما يقوم بعمل يضع كلمة بلطف وبدون جرح شعور، وهكذا.. حتى انقلبوا كلّهم ورجعوا إلى الله، هذا الصحيح ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [النور: ٥٤].

٢٣ - نسبة النعمة إلى المنعم

قال ﷺ:

الإنسان بروحه، وهذه الروح هي المراد، وهناك روح الأشياء وهو الفهم، هو النور الإلٰهي، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]. فالإنسان يدرك بالنور ويميز الصغيرة عن الصغيرة، والنور من الله لا تنسبوه لأنفسكم! إذا نسبتم شيئاً لأنفسكم أُخرِجتم، كل شيء نراه معنا وهو صحيح نقول: ذلك فضل الله، إذا واحد صادق فمن وفّقه للصدق؟ الله.. ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٤]. ليس من عندنا، النعمة منسوبة إليه جلّ جلاله أعطاك علوماً ومفاهيمَ ومعارفَ فانسبها إليه لا يصح أن يُنسَب لك شيء أبداً، وإذا نسبتَها إليك تصير مثل إبليس! يعمل بكم مثلما عمل بإبليس! لا يكون الفضل إلّا من الله ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٢]. إيّاكم أن تقولوا أنا! اثنان قالوا أنا، فرعون قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] فأغرقه في البحر، ونجّى الله بدنه؛ لأن البحر ما قَبِل جثة فرعون! الأخلاق والرحمة نأخذها من القرآن، قال الحق لسيّدنا موسى وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤]. وبالفعل حكوا معه كلاماً ليناً؛ نفعه عند الغرق ونطق به وقال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]. أمّا قُبِل منه أم لم يُقبَل فهذا عائد إلى الله، أمّا واحد يقول: فرعون ما آمن وما أسلم. فهو كافر! لأنّه خالف القرآن، إذا أراد الله أن يتوب على فرعون أو على الشيطان فنحن ليس لنا دخل، هذا عائد إلى الله، فرعون عندما قال:

﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ غرق في الحال، أمّا قَبل الإيمان قال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨] لو كان هناك نص لا يوجد خلاف، لكن هنا لا يوجد نص، أنا لو تسألوني، أميل إلى الرحمة دائماً، أريد كل الكفّار يؤمنون وكلّهم يدخلون الجنّة، مهما كان فاسقاً أريد أن يتوب الله عليه وقال: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩] ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ٣٣]، كبار الأولياء أهل الرحمة قالوا بنجاته، الشيخ الأكبر قال بنجاته، وقال بمحل آخر بعدم نجاته! قال بنجاته بعد قوله الأول.. كلامهم أكثره فتوحات، أما نحن فنقول: لا نجاة ولا غير نجاة، نقول: آمن وأسلم وأمرُهُ مفوَّض إلى المشيئة الإلٰهية..

فرعون رأى بني إسرائيل طلعوا من البحر وما غرقوا وقال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠] الإيمان مرتبة قلبية، الكلام قابل للنجاة وقابل لغير النجاة، سيّدتنا رابعة العدوية قالت: استغفارنا يحتاج إلى استغفار؛ لأنّه باللسان، التوبة هي التصميم أن تندم على ما فعلتَ، الّذين قالوا بنجاته أكابر العلماء وأكابر أهل الله، وليس الأصاغر، والّذين قالوها لا يوجد أكبر منهم..

وأما الثاني الّذي قال: أنا؛ فهو إبليس ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [صٓ: ٧٦] فطرده من رحمته، أيُّهما أقوى فرعون أم الشيطان؟ الشيطان أقوى؛ الشيطان كل الشرك فيه، عندما الحق لعن إبليس فتل[1]! قالوا له: لماذا؟

(١) فتل: بمعنى رقص.

قال: ألبسني خلعة ما ألبسها لغيري!! هذا من الحسد، لله درُّ الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله.

سيّدنا الرسول ﷺ أوذي كثيراً وصبر، أوذي كثيراً وصبر، وبعدها قالوا كلّهم: فداك أمي وأبي يا رسول الله! وهذه هند زوجة أبي سفيان لـمّا أسلمت كسّرت الصنم وقالت: غررتنا هذه الأيام الطويلة.. بيدكِ عملتِه وأنت تعبدينه، لا يوجد عقل!!

قبل وجود الرسول ﷺ كنّا في ظلمة، قال الحق: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٩]. جاء سيّدنا محمّد ﷺ بالنور (المهم أن الإنسان بصيرٌ) الشمس طالعة لكن الأعمى لا يراها ولا يرى آثارها، البصير يرى الشمس ويرى الأشياء ويرى الأشجار والألوان... كذلك إذا واحد أعمى البصيرة وهذا كثير لا يقف إلّا عند الألفاظ، العلم الحقيقي هو النور، هو يكشف الحقائق، نور وظلمة لا يجتمعان، لا يمكن واحد عنده العلم الحقيقي ويكون عنده إطراء أبداً، الإطراء: المدح بالباطل، يكون بالأحزاب وبالطرق كثيراً، أهل النور أهل الفضل الإلٰهي كل شيء ينسبونه لله جلّ جلاله هذا العاقل الموفَّق، معناه قابل للكمالات والأمانات الإلٰهية، هو الّذي أعطانا هو الّذي وفَّق، بهذه النسبة إليه تزداد النعم، صغيرة تكبر وتكبر.. لأنّك رددت الأشياء إلى أصلها، دلّ عندك نور ولطافة وفهم، ودلّ أنّك عبد لله، وليس عبداً لغير الله، كثير من الناس عبيد لغيرهم كثيراً كثيراً، تردّون النعمة إلى المنعم، لا تظنّوا أنكم على شيء، دائماً فضل الله علينا بالسرّ والعلانية بالظاهر والباطن، دائم الدوم نكون يقظين، نحن علينا

الشكر وهو عليه النعم، من أجل ذلك الّذي يتكلّم بكلام رسول الله ﷺ لا بدّ أن يكون نوعاً ما متخلقاً متحققاً بالحديث حتى يعرف كيف يأتي به، حتى يصير هو عين الحديث، قال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، إنما أنا عبد**»(١). قولوا: عبد الله ورسوله، قولوا: سيّد الوجود، قولوا: روح الوجود، لا تقولوا: إلٰه، إيّاكم! سيّدنا محمّد ﷺ أعلى ما وصل إليه العبدية الكاملة من كل وجوهها، لا تتوهموا أن سيّدنا محمّداً إلٰه خالق رازق معطٍ مانع.. لا والله أبداً، قال سيّدنا محمّد ﷺ: «**أجلسُ كما يجلس العبد، وآكل كما يأكل العبد**»(٢). هو عرّفنا العبدية حقاً، لا يوجد أجمل وأطيب من هذه الأكلة، لذّتها لذّة حقيقية! لماذا؟ لأننا ما نسبنا لأنفسنا شيئاً، ننسبها للفضل الإلٰهي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [البقرة: ٢٠] نحن غير قادرين لا على الصغيرة ولا على الكبيرة ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

الشكر الحقيقي هو أن ترد النعمة إلى المنعم، واللسان مساعد للقلب، وإلّا فهو مرتبة قلبية فإذا أسندت النعمة إلى المنعم فأبشر بالزيادة من تلك النعمة، قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ﴾ [إبراهيم: ٧]. ومن شُكْر النعمة وضْعها في محلها بعد إسنادها إلى المنعم.

إذا أعطى أَحدٌ شخصاً شيئاً وجعل نفسه هو المحسن إليه فالحق سبحانه وتعالى يسلّط ذلك الشخص عليه رحمةً به، ليعرّفه بأن المحسن هو الله جلّ جلاله.

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٢٧١) برقم: (٣٢٦١).
(٢) سنن البيهقي الكبرى (٧/ ٢٨٣) برقم: (١٤٤٢٨).

أنصف يا منصف لا تنسب الأشياء إليك ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤]. إيّاكم أن تشتغلوا بالنعمة عن المنعم؛ لأنّها تحجبكم عن المنعم.

إذا توهم الإنسان أو ظن في يوم من الأيام أو نفَس من الأنفاس أنه مليح سقط من عين الله.

المربَّى ينسب العمل إلى الله، لا إلى نفسه ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤]. لا يعرف الفضل من الناس إلّا ذووه.

إذا رأى أحد نفسه أن لديه علماً وعبادة وصلاحاً فهو لا يفهم البتّة.

إذا رأيتم أنفسكم أحسن من غيركم أو رأيتم أنفسكم مليحين يسحب السرّ من عندكم ويعطيه لشخص كان كافراً يرزقه الإسلام ثمّ يعطيه السرّ الّذي كان معكم.

إذا رأيت نفسك أحسن من غيرك فالكلب أحسن منك، وإذا كان فيك شيء من الفضل الإلٰهي ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤] ولا تنسب ذلك الفضل لنفسك.

النعمة توصل إلى المنعم، والنقمة توصل إلى المنتقم، فدوام النعمة شكرها، أما إذا أنعم الله على عبد نعمةً فنسبها لنفسه سلبها منه.

النعم إذا نسبها الإنسان لنفسه يصير مثل إبليس.

إذا رأى أحد منكم أن لديه عملاً أو علماً فعليه أن يرده إلى الله.

أتعجب بنفسك ولا تسمي العمل فضل الله عليك؟

إيّاك أن تنظر إلى حالك بأنك أحسن من غيرك، أعطاك الله علماً أعطاك فهماً شيئاً ليس لك؛ فكيف تنسبه إليك؟ هذا ليس بإنصاف!

والله لا أقدر أن أقول أنا، بل ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

نعمتان من أجلّ النعم: نعمة الإيجاد، ثمّ نعمة الإمداد.

٢٤ - محبة آل البيت النّبوي عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

قال الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ [الشورى: ٢٣].

وقال أيضاً: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وقال رسول الله ﷺ: «**مثَل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق**»(١).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ **أن تحفظوني في أهل بيتي وتوادّوهم بي**»(٢).

وقال النبيّ ﷺ: «**الخلافة بعدي ثلاثون عاماً**»(٣) فكمّل الثلاثين سيّدنا الحسن.

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

الّذي يحب النبيّ ﷺ ولا يحب أهل بيته يكذب.

---

(١) المستدرك على الصحيحين (٢/ ٣٧٣) برقم: (٣٣١٢).
(٢) الدر المنثور: (٧/ ٣٤٨).
(٣) سنن الترمذي: (٤/ ٥٠٣) برقم: (٢٢٢٦) بلفظ: (**الخلافة في أمتي ثلاثون سنة**).

وسئل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن آل بيت النبيّ ﷺ هل عندهم عصبية؟ فأجاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : لا ليس عندهم عصبية، إلّا أن دمهم حار، ما شاء الله على آل البيت، يتوبون ولا يموتون إلّا على توبة، وكلّهم في الجنّة كرامة للنبي ﷺ، والّذي لا يحب آل البيت كذاب.

حبك لأهل البيت عين حبك للأولياء، ولا يمكن لأحد أن يحب أهل البيت ولا يحب الأولياء.

الغصن من الشجرة وإن مال.

أنا أحب أهل البيت ولو أنهم يشربون الخمرة، ما أحببتهم لكونهم يشربون خمرة، أحببتهم لكونهم منسوبين للحبيب الأعظم، لوليّ نعمتي ﷺ. كل من أحب آل بيت رسول الله ﷺ لا بدّ أن يموت عن توبة.

سيّدتنا فاطمة انفطمت إلى الكمالات أجمع، وكانت تشكل الحياء والأدب، الرسول ﷺ ما كان يعامل سيّدتنا فاطمة إلّا كمعاملة الشيخ المرشد الكامل للمريد الخاص، ما ألبسها ذهباً! والذهب يجوز للأنثى، كانت مظهر الحياء ومظهر الأدب ومظهر العلم، سيّدتنا فاطمة لا تُقدَّر! خصوصاً عند أبيها، إذا كان أبوها موجوداً لا تتكلّم بتاتاً! تقول لعائشة: قولي لأبي كذا.. فالرسول ﷺ ما كان يعطيها كما تريد، يعطيها الأعلى؛ لأن الدنيا عند الرسول ﷺ لا تساوي شيئاً مثل الظل الزائل.

فاطمة أم الحياء أم الأدب، كان أدبها أكثر من أمها؛ لأنّها بضع من رسول الله ﷺ.

٢٥ - محبة الصحابة رضي الله عنهم

قال رضي الله عنه :

أحبوا الصحابة أجمعين صغيرهم وكبيرهم، كانوا مظهراً للقرآن كلّهم، وإذا وقع منهم خطأ فليس عن قصد، ولذلك يقول الحق عز وجل : ﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ﴾ [الفرقان: ٧٠] هذه أول ما تنطبق على الصحابة رضي الله عنهم .

فالصحابة خلقهم الله للرسول ﷺ مهيئين حتى لم نجد فيهم صغيراً، كلّهم كبار كلّهم ذاتيون، دليل ذلك تركوا أهلهم ولحقوا برسول الله ﷺ، لحقوا به على الجوع، جائعين عراة، فهؤلاء برهنوا على أنهم صادقون، وكل واحد من الصحابة ورث خصلةً من النبيّ ﷺ بقدر ذاته.

وكل الصحابة الّذين انتقل رسول الله ﷺ وهو راضٍ عنهم ماتوا على الكمال.

ينبغي أن نضع الحديث في موضعه إذا ما رأيتم خطأً في صحابة رسول الله ﷺ فأوّلوه، فإنه تعليم لنا، حتى يطبّقوا شرع الله والحدود. إذا رأيتم أحداً يتكلّم عن الصحابة اهجروه لله، ولو كان أباك أو أمّك، قال عليه الصلاة والسلام: «**أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم**»[(١)]. فإن النبيّ ﷺ أطلق، فإن الصحابي يدلّنا حاله وأفعاله، فإن الّذي يتكلّم لا يكون إلّا مطموس البصيرة.

أصحاب الرسول ﷺ ورثوا من الرسول ﷺ كل واحد بمقداره، سيّدنا

---

(١) فيض القدير: (٦/ ٢٩٧).

الصديق ورث الإيمان الكامل بجميعه، حكم على الصفات، سيّدنا عمر ورث النصيحة، سيّدنا عثمان ورث الحياء، سيّدنا علي ورث الشجاعة، سيّدنا الحسن كان هو الغوث، في الباطن هو الغوث، لما توفي والده مسك الخلافة وبقي ستة أشهر، ثمّ تركها تنازل عن الخلافة الظاهرية، بقي بالخلافة الباطنية رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

الصحابة ﷺ قلوب طاهرة، نفوس زكية، جل مرادهم تنفيذ أوامر رسول الله ﷺ.

أناس كثر يوجد في قلبهم غلٌّ على بعض الصحابة، ينجسون ألسنتهم بكلامهم على الصحابة، يتكلّمون على سيّدنا أبي بكر وسيّدنا عمر وهما الوزيران الحقيقيان، لمّا نشهد شخصاً يتكلّم على أصحاب رسول الله أو على أهل الله أو على المقرّبين يدلّ هذا على شقاوته.

إيّاكم أن تتكلّموا على أصحاب رسول الله ﷺ، أصحاب رسول الله ﷺ هم فتحوا البلاد، دوّخوا العباد بحق وإخلاص مع قلة العَدد والعُدد، تبين فيهم قوّة نور، قوّة إيمان، قوّة محبة، قوّة اتباع للرسول الأعظم ﷺ.

إذا رأيتم أحداً يتكلّم على الصحابة فاهجروه لله ولو كان أمّكم أو أباكم! بعدما تقدموا له البيان، هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ، هؤلاء أنوار، هؤلاء المقربون، هؤلاء الّذين فتحوا البلاد، فإذا أخذ بهذا فهو المراد، وإن لم يأخذ به فاهجروه لله تعالى؛ كائناً من كان.

٢٦ - محبة الأولياء (أهل الله رضي الله عنهم)

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: ٦٢-٦٤]. الحق بيَّن في هذه الآيات الكريمات مَن الولي، فهو قبل كل شيء يكون مؤمناً، ثمّ يكون تقياً، لكن الولي عند أكثر الناس هو الّذي يكاشف، غير هذا لا يعرفونه ولياً!

الولي الّذي يطلب المادّة من الناس هذا ابتعدوا عنه، لا تأخذوا عنه؛ الولي فوق المادّة لأنّ نوره فوق الظلمة فوق الكثافة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢]. كثير من الناس لما تريّض نفسه بالمجاهدة يكاشف، وهذا لا مانع فيه، المهم الكرامة الحقيقية هي الاستقامة على الشريعة، أن يكون مستقيماً، أمرَهُ اللهُ فائتمر ونهاه الله فانتهى، وإذا وقع في المخالفة يعرفها مخالفة ويتوب، لا مال ولا أصحاب ولا شيء ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ قبل كل شيء ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ قلبه مطمئن، نفسه مطمئنة، لا يوجد عنده أخذ وعطاء ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ يبشّره الحق ويشهد عند طلوع روحه مكانه الّذي سيصل إليه، قد يكون أوّل الأمر غير مستقيم فيشهد مكانه الأول في النار، بعدها يشهد مكانه في الجنّة، بعد أن تاب وأناب إلى الله سبحانه وتعالى هذا هو الأصل، قال: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٤]. قال ﷺ: «**هم قوم**

تحابّوا في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن لوجوههم نوراً، وإنهم على منابر من النور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس»[(١)]. لكن يشترط أن يعتقد فيهم، إذا كان ابنه لا يعتقد فيه كيف لا يخاف عليه ويحزن؟! هذا سيّدنا نوح ابنه كافر وزوجته كافرة، وسيّدنا لوط زوجته كافرة ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحريم: ١٠] بالكفر، زوجة النبيّ لا يجوز أبداً أبداً أن تكون زانية، وابن سيّدنا نوح خان أباه بالكفر كذلك، هؤلاء لا يصلهم صلة لأنّهم قطعوا الصلة، إذا واحد يحب ولياً من الأولياء ولو كان في غير بلاده فهو معه، إذا كان يحب الأولياء ويتبعهم ويقتدي بهم، واحد حجّ عدة مرات نقول له مصاريف الحجّة أعطها للفقراء، لا يقبل! نقول له: الرسول ﷺ يحب منك أن تفرّقها على الفقراء وأنت حججت أكثر من مرّة وأديت الفرضَ الّذي عليك.. لا يوافق.

لمّا تأتيه العصبية يغضب، وإذا كان واحد غضبان قد ينطق بالكفر رجلاً كان أو امرأة فلا تقل له: صلِّ على النبيّ؛ لأن الشيطان قائده، والشيطان هو الّذي نطق بالكفر!، هذا لا تقل له صلِّ على النبيّ أو اذكر الله.. إيّاكم، بلسانه ينطق والدافع هو الشيطان، عندما يكون غضبان يفور الدم فوراناً ويغلي غلياناً، أين ذلك المؤمن صاحب النور البارز ويصبُّه فوق الدم الّذي يغلي لا تراه إلّا وقد هدأ وسكن، الّذي يقول: أحب الله وأحب رسول الله هو يعرف نفسه إن كانت المادّة أغلى من رسول الله ﷺ يقول بالتأويل ولا يعطي، وإذا كان الرسول ﷺ أغلى من المادّة يعطي.. لا يخافون على أحبابهم، ولا يحزنون على أصحابهم ولا على أقاربهم، من؟

---

(١) صحيح ابن حبان (٢/ ٣٣٢) برقم: (٥٧٣) بلفظ مقارب له.

الّذي يعتقد فيهم ويقرّ ويعترف، أما إذا كان من عائلته ولا يعترف بهم ولا بولايتهم فهذا مقطوع معزول، افهموا.. المعاني فوق المادّة ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٣] أي من كان على عقيدتهم وعلى حبهم، وهذا هو الحق، مثل ابن سيّدنا نوح، ولمّا بين له الحق تركه ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾ [هود: ٤٦] وكذلك سيّدنا إبراهيم مع أبيه، وهكذا، إذا وضعنا مكبرة في قلب أهل الله لا نجد دنيا ولا آخرة ما في قلبهم إلّا:

وما حب الديار شغفن قلبي
ولكن حب من سكن الديارا

أمّا الآن فنرى الحب الطبيعي وليس الحب الروحاني ولا الحب الإلٰهي، لمّا يحب أحد حقيقةً لا يبقى يفكر لا بأهل ولا بمال ولا بشيء البتّة، الحب الطبيعي لا يجوز، أما الّذي يحب رسول الله ﷺ فيفديه بكل شيء.

لو أن روحي في يدي ووهبتُها لمبشّري بقدومكم لم أنصفِ!

هذا الحب، يقول روحي فداك، نقول له: هات ديناراً حتى نعطيه للفقراء من أجل الرسول، فلا يعطي. كيف يقول أحب الرسول ﷺ؟

سئل رسول الله ﷺ: من هم أولياء الله؟ قال: «**الّذين إذا رؤوا ذُكر الله**»[1] هذا صحيح نذوقه ذوقاً، يفكر بالله وبرسول الله وبالأولياء

(١) المعجم الكبير (٢٤/ ١٦٧) برقم: (٤٢٣).

وبالصحابة وأهل الله لأن عنده نوراً إلٰهياً، الإنسان بمجرد أن يراه يتوجه إلى الله وإلى أهل الله، وروي عن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله تعالى: إن أوليائي وأحبائي من خلقي الّذين يُذكَرون بذكري وأُذكَر بذكرهم** ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾»[(١)]. الولي قلبه ليس مولعاً لا بالدنيا ولا بالآخرة، وإنما مولع بربّ الدنيا والآخرة وبربّ الوجود كلّه، وعن عبادة بن الصامت قال: سألتُ رسول الله ﷺ عن ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ قال: «**هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له**»[(٢)]. وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبَّه، فإذا أحببتُه كنت سمعه الّذي يسمع به، وبصره الّذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطيته، ولئن استعاذ بي لأعيذنّه**»[(٣)]. وآذنته بالحرب أي أعلمتُه أني محاربٌ له، هذه أوّل الأمر، وإذا أصرّ على معاداة الأولياء يعلن عليه الحرب، وإذا أعلن الله الحربَ على واحد لا يوجد شيء يصدّه، أوّل ما يسلّط عليه نفسه، ويقسّي قلوب الناس عليه!

الوليّ لا يعرف غير الإحسان، لا يدعو على أحد ولا حتى على عدوّه، غير الولي لا يعرف غير الإساءة، الوليّ المحمّدي لا يدعو على أحد ويحسن لمن أساء إليه، أما الوليّ غير المحمّدي ربّما يدعو بالشرّ وربّما يسكت لا

(١) مسند الإمام أحمد: (٣/ ٤٣٠) برقم: (١٥٥٨٨).
(٢) أخرجه مسلم (١/ ٣٤٨) برقم: (٤٧٩).
(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٨٤) برقم: (٦١٣٧).

خيراً ولا شراً، الوليّ عبارة عن ميزان للعالَم، الّذي يحبهم دلّ على أنه سعيد، والّذي يبغضهم دلّ على أنه شقي بعيد عن النور، لا أحد يجرؤ أن يقول: لا أحب الرسول ﷺ لكن يمكن أن يقول: لا أحب الأولياء، وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**رُبَّ أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسمَ على الله لأبَرّه**»[1]. أهل الصفّة نسمّيهم الآن أهل التوكل لا يطلب من أحد ولا يردّ عطاءً من شخص لا يعرفه، هؤلاء لا يعملون مخالفاتٍ، يشهدون المعطي والمانع هو الله عز وجل .

أنا أطلب منكم حبَّ الأولياء وليس المجاذيب الّذين يأخذون المال، هؤلاء اتركوهم لحالهم، المجاذيب لا نريدهم، الشريعة فوق كل شيء، وإنما أقول لكم حبّ الأولياء أمثال الشيخ عبد القادر الجيلاني، والشيخ أحمد الرفاعي، والشيخ محيي الدين بن العربي.. سيّدي الشيخ الأكبر في آخر عمره أهدى له شخص داراً كبيرة، وجاءه سائل يطلب منه مالاً وما عنده عطاء، فأعطاه الدار كلّها من أوّلها إلى آخرها..! لا يهمهم هذا، رأس مالهم هو (الله) لا دنيا ولا غيرها..

الميزان الحقيقي الّذي وجدناه في الوجود هو حب الأولياء وحب الرسول ﷺ، قال ﷺ: «**يحشر المرء مع من أحب**»[2] وفي رواية أعلى: «**المرء مع من أحب**»[3]. ولو كان واحد بالمغرب وآخر بالمشرق وكان يحب ما عمل يُحشر معه سواءٌ كان خيراً أو كان شراً، وإذا كانت واحدة أو

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٤٤) برقم: (٢٦٢٢).
(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٣٢) برقم: (٢٦٣٩).
(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٣٤) برقم: (٢٦٤٠).

واحد يحب المدنية يحشر معها، وإذا واحدة أو واحد، امرأة أو رجل متمسك بالدين وأهله كلّهم على المدنية يحشر مع أهل الدين، هذه نعمة كبرى، من هنا قال الرسول ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيّات، وإنما لكل امرئ ما نوى**»[(١)]. هذه نعمة عظمى لأنّها بيد الإنسان، لا نقول قضى الله علينا بالشقاوة، هذا خلط لا تؤمنوا به أبداً البتّة؛ لأن الحق أمرنا ونهانا، إذا ائتمرنا وانتهينا لا شك في أننا سعداء، وإذا خالفناه فهذه من الشقاوة، منهم من يتقي ويلحق المادّة هذا ليس ولياً أبداً، بعض الناس يقولون فلان ولي، وهو يحب الدنيا هذا كذاب! الولي أول صفة أنه لا يحب المادّة ولا يحب الدنيا، الولي إذا رأيناه يلحق المادّة لا نعتبره أبداً ولا نقول له: ادعُ لنا، ولا نقعد معه ولا نجالسه، أكثر الناس يعتقدون بالمكاشف، ربّما هذا المكاشف من أهل الرياضة والمجاهدة.. النفس لمّا تصفو يصير عندها مكاشفة.

هم الناس فالزمْ إن عرفتهم:

كثير من البعيدين عن الله والجامدين يظنّون الأولياء أرباباً! لا والله، الوليّ ذليل بين يدي ربّه على الدوام، دائماً ذليل، يا رب، يا رب.. وإذا منَّ الله عليه بشيء من الطاعة ينسبها إلى الله لا لنفسه، يقولون: من هو شيخ الصوفية؟ شيخهم هو سيّدنا محمّد ﷺ. أهل الصفّة هؤلاء الصوفية حقاً، هم الشجعان حقاً، هم الكرماء حقاً، وهؤلاء حرّاس الرسول ﷺ.

كثيرون يأتون إلى الذكر والدرس وهم باقون على ما هم عليه، الإنسان

(١) أخرجه البخاري (١/ ٣) برقم: (١).

دائماً بالرقي الدائم، ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] لماذا؟ ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [قٓ: ١٥] الخلق الجديد، دائماً جديد، أرقى مما مضى، أرقى وأعلى.. هذا الأمر بحاجة إلى محبة تسهل عليكم السير.

عن أبي عثمان المغربي رضي الله عنه قال: العارف ومثله تابع العارف تضيء له أنوار العلم فيرى عجائب الغيب، الغيب له ضوء مثل الشهود له ضوء، ضوء الغيب، العلم بالله، يعني العلم الصادق المرضيّ، هذا العلم له ضوء يضيء للغيب، الغيب له نور، له ضوء وهو تقوى الله سبحانه وتعالى فالتقوى هي ضوء الغيب، والغيب له ضوء مثل الرسول ﷺ لمّا بعثه الحق ليخرجهم من الظلمات التي كان عليها الناس بعضها فوق بعض، ولمّا جاء الرسول ﷺ بالنور الحق وهو القرآن، وشرَحه وبيَّنه بكلامه وهو الحديث. فالإنسان إذا لم يكن عنده اعتقاد أو كان اعتقاده بالله أو بأهل الله ضعيفاً أو ضئيلاً وأهم ما يكون بالأولياء يحتاج إلى نور، نور الغيب وهو التقوى، والتقوى يجب أن يكون معها همّة، وهكذا..

قال إبراهيم بن أدهم لرجل: أتحبّ أن تكون لله ولياً؟ قال: نعم، قال: لا ترغب في شيء من الدنيا والآخرة، وفرّغ نفسك لله، وأقبلْ إلى الله بوجهك يُقبلْ عليك ويواليك ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

رأس مالي محبة الأولياء من صغري، فالّذي يحب الأولياء يحبه الله سبحانه وتعالى، قال ﷺ: «**اللهمّ ارزقنا حبك، وحب من أحبك، وحب عمل يقربّنا إلى حبك، واجعل حبك أحب إلينا من الماء البارد**»[١].

(١) سنن الترمذي (٥/ ٥٢٢) برقم: (٣٤٩٠).

من أحب أولياء الله لا بدّ أن يموت على توبة، ومن أنكر الولاية أنكر الرسالة، وأنكر الربوبية.

إذا اعتقد شخص رجلاً كان أو امرأة بكلام العارفين (أهل الله) أي صدّق بكلامهم أنه حق فقولوا له أن يدعو لكم، فإن دعاءه مستجاب!

الّذي يحب الأولياء العارفين يحضرونه عند الوفاة وفي القبر عند السؤال وعند الميزان وعند الصراط؛ لأن الله سبحانه الّذي يحبهم ويحبّونه هو الّذي يحضرهم عند الشخص الّذي يحبهم في المواطن المذكورة؛ لقوله ﷺ: «**المرء مع من أحب**»[(١)]. الّذي لم يرَ الأولياء ولم يجتمع بهم ما رأى شيئاً، ونحن دائماً مع الأولياء مثل الشيخ عبد القادر الجيلاني والشيخ أحمد الرفاعي، أرواحهم معنا الآن، أهل الله أرواحهم لطيفة وأجسامهم لطيفة.

الّذي لا يحب أهل الله تعالى لا يحبه الله، ولو كان عاملاً متصدقاً وهو على خطر في المائة تسعة وتسعون أن يموت على زوال الإيمان، والّذي يحب أحباب الله يحبه الله ولو كان قاطع طريق؛ لأنّه لو لم يحبه الله ما وضع حب أحبابه في قلبه ولا بدّ أن يموت على توبة قبل وفاته، سارقاً كان أو قاطع طريق أو شرّاب خمر ولكن قلبه مملوء بحب الأولياء، والله لا يمكن أن يموت حتى يَمُنَّ عليه الحق بالتوبة بشرط أن لا يكون ديّوثاً، كل من يحب أحبابه فهو سعيد إلّا الديّوث؛ لأنّه في حديث عن رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنّة ديّوث، وإن ريحها ليشمّ من بُعد ألف عام**»[(٢)]، والديّوث

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٣٤) برقم: (٢٦٤٠).

(٢) مسند الطيالسي (١/ ٨٩) برقم: (٦٤٢) بلفظ: (لا يدخل الجنة ديّوث).

لا يشمّ رائحة الجنّة، وكل قضيّة يمكن التساهل بها إلّا الدياثة، دليلنا في ذلك لو كان الله لا يحبه ما جعل حب أحبابه في قلبه، هذا دليل واقعي ذوقي ودليل حقيقي.

وإذا قلنا بالعكس: صوّام، قوّام، كل سنة يذهب إلى الحج، ذقنه طويلة وعمامته كبيرة لكنه لا يحب الأولياء فهذا عليه خطر زوال الإيمان تسع وتسعون بالمائة وثلاثة أرباع، إيّاكم أن تجالسوهم، إيّاكم أن تحبّوهم، نحن نحب الأولياء، وأنا أقول: والله أي شخص مهما قتل وخرّب العالم ويحب الأولياء لا يمكن أن يموت إلّا على توبة، دليلي لولا أن الحق سبحانه وتعالى يحبه ما جعل حب أحبابه في قلبه... والآخر الأفندي المدرّس الصائم ثلاثة أشهر والإثنين والخميس ولا يترك عملاً إلّا ويعمله ولكن لا يحب الأولياء، فهذا عليه خطر بالمائة مائة، إلّا إذا تاب تاب الله عليه.

أساس الأساس أن تكون العقيدة سليمة، وكل شخص رأيتموه يحب الأولياء فأخبروه بأن الشيخ النّبهاني يبشرّك بالجنّة! ويقول: لو أن الله ما يحبه ما جعل حب أحبابه في قلبه.

أتحبّ أهل الله وتُضام؟ لا والله!.

الّذي يؤذي الأولياء يحاربه الله، والّذي يحب الأولياء في قلبه علامة خاصة أنا أكفله أن يدخل الجنّة، ولا يمكن أن يموت إلّا عن توبة، أما الّذي لا يحب الأولياء لو يزكّي ويتصدق وينفق ويقوم الليل ويصوم النهار عليه خطر تسعة وتسعون بالمائة وثلاثة أرباع. الأمور مبنيّة على قاعدة: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

﴿وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]. من جعله ولياً؟ من اصطفاه واختاره؟ هو الله، والحق أعلم وأحكم، الّذي يحارب الأولياء شقي؛ لأنّه لا توجد نسبة، والرسول ﷺ جعل قواعد: «**المرء مع من أحب**»[1]، و«**يحشر المرء مع من أحب**»[2]. ومن أسماء الله الوليّ (ولي حميد) أعطى اسم الولي للّذي آمن واتقى، الميزان هو حب الأولياء، الّذي ينكر الولاية فقد أنكر النبوّة وأنكر الربوبية وهذا كفر! وجب على الإنسان أن يأكل الحلال قبل كل شيء ويصاحب أكابر أهل الله.

حبكم لأهل الله ينفعكم كثيراً:

إذا أتى بلاء على زوجتك وأولادك يُصرف عنهم كرامة لمحبتك لأهل الله، الّذي يحب أهل الله لا يموت إلّا عن توبة، والّذي عنده عبادة الثقلين ولا يحب الرسول ﷺ والأولياء عليه خطر تسعة وتسعون بالمائة وثلاثة أرباع! والّذي يؤذي الأولياء شخصيته ناقصة وإيمانه ناقص وإنسانيته ناقصة، ابن الفارض كان محباً لشيخه الشيخ الأكبر سيّدنا محيي الدين رضي الله عنه يقول عن ابن الفارض: شمّ الرائحة وملأ الدنيا صياحاً!. وكان واحد يحسد ابن الفارض في مكّة.. ابن الفارض ترك مصر وجاء إلى شيخه في مكة، ما نزل في مكة بل نزل في الوديان، ينزل في الوديان دائماً، يريد أن يصلي الصلوات الخمس وراء شيخه في مكة، يروح ويرجع عشرة أيام يروح ويجيء ولا يحس! عنده واحد عذول لا يحبه، وفي يوم من الأيام وجد أسداً يمشي

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٣٤) برقم: (٢٦٤٠).
(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٣٢) برقم: (٢٦٣٩).

بجانب ابن الفارض يقول له: اركبني اركبني! فلا يسمع للأسد ولا يعطي له بالاً! فحين رأى العذول هذه الحالة تاب التوبة النصوح ورجع لابن الفارض. أهل المحبة تخدمهم الصغار والكبار حتى الإنس والجنّ وحتى الحيوانات، المحب الصادق إذا قلت له: محبوبك يحبك يصيح بك! لا يرغب أن يسمع منك هذه الكلمة أبداً؛ يشهد لا وجود له مع محبوبه أبداً.

٢٧ - محبة المريدين لبعضهم

قال رضي الله عنه :

الركن العظيم في الطريق والوصول إلى الله تعالى هو محبة الإخوان بعضهم لبعض، وكلّما كان المريد صادقاً كان هو الخادم لإخوانه، وإذا أساؤوا إليه اتهم نفسه بعدم الصدق بخدمتهم، يؤثرهم على نفسه ويقدّمهم، فهذا وارث الشيخ وهو السلّم الموصل إليه وهو أقربهم منه.

فإذا صدق الإخوان - أي المريدون - وأحبوا بعضهم فبصفاتهم يعرفون من هو الأقرب للشيخ الّذي هو السلّم فيصلون عن طريقه، أما الّذين يظنّون بأنفسهم أن كل واحد منهم هو السلّم فإن ذلك الإنسان صاحب ظلمة ومقطوع وهو مع نفسه، إذ لو كان هو السلّم لشاهد أنه لا يصلح لذلك فاتهمها وأقبل على الخدمة حتى يؤمر أمراً بالإرشاد.

الّذي رأيته في سيري وسلوكي إلى الله أنه لا بدّ من الأخ، وإذا أوصلك الله تعالى إلى الأخ يوصلك إلى الشيخ، من أكبر النعم الأخ الناصح، ومن تمام النعم وجود المربي الكامل.

الأخ هو الركن الركين في السير، وإذا غلبتك نفسك فعليك بأخيك الصادق.

٢٨ - المائدة المحمّدية

اعلم أن ولادة سيّدنا محمّد ﷺ لم يولدها نبي ولا رسول؛ لأنّه ولد متمماً لمكارم الأخلاق ويجب علينا معشرَ هذه الأمة أن نولد هذه الولادة، ولادة الوراثة، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الممتحنة: ٤]. ولكن نحتاج إلى حفظ السمع والبصر والفؤاد واللسان وهذه أداة المعراج والعروج، والحق يقول: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠].

ولا تقل: الزمان فسد، فأي زمان لم يكن فاسداً؟ زمان شُجَّ وجهه الشريف وكسرت رباعيته ﷺ؟

أم زمان قُتل فيه الخلفاء الراشدون؟

أم زمان قتْلِ الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ واللعب برأسه؟

الزمان وتقلباته وأحكامه تسري على صاحب الغفلة، أما أهل الشهود فلا يحكم عليهم زمان ولا مكان، بل لم يبق عندهم زمان ولا مكان!

المطلوب أن تكون أنت الزمان والمكان، فلا يأخذك الزمان والمكان، الكلام جميل، ولكن هل من قلوب ينبت فيها؟

المائدة المحمّدية ممدودة، ولكن هل من جائع؟ الرجل كل الرجل الّذي يحمي سمعه وبصره ولسانه وحتى المخيّلة من الخواطر الفاسدة، المؤمن هو

الّذي يظهر بمكارم الأخلاق فَتُشمّ رائحته، ورد في الحديث: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله تعالى رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمّد نبياً ورسولاً**»(١).

بل ذاق طعم الإيمان من شممتَ رائحة الإيمان منه!

الصور ليس لها حقيقة «**إن الله لا ينظر إلى صوركم بل ينظر إلى قلوبكم**»(٢).

الحق عَزَّوَجَلَّ من أسمائه المصوّر، ينفخ في الصور الأرواح، فانفخ لأعمالك روحاً، اعمل بالآداب الإسلامية لا بأعمال الصوَر والطقوس بل بأعمال القلوب، ولك في رسول الله القدوة الحسنة، قال تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ﴾ [مريم: ١٢] وأنت يا أخي خذ القرآن وتخلّقْ به.

القول شأن العموم، والصافون شأنهم النفع والعمل، خذ معك شيئاً يبيّض الوجه ويخلّصك هناك.

السرور أن يكون لك محبوب تناجيه في عملك في طريقك في نومك ويقظتك لا تحس بتجارة ولا عمل، لا تحس بألم الفقر ولا الغنى، ولا بألم المدح والذم، فأنت مسرور دوماً، الّذي لا يجد المحبة ليس له سرور أبداً بل سروره لحظات ثمّ يتكدر.

الربح بعده خسران، والصحة بعدها سقم، والكرسي بعده عزل، والشباب بعده هرم، وهكذا، أما المحب فلا يحس بشيء لأنّه في «البنج»، «بنج المحبة».

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٦٢) برقم: (٣٤).

(٢) تمام الحديث: (... **إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن إنما ينظر إلى أعمالكم**) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٨٦) برقم: (٢٥٦٤).

كلّها أوهام كلّها خيالات عدا المراتب، يقول بعض المحبين:

اشـــــرب شــــراب أهـــــل الـصـفـا تـرَ الـعـجـايـب
مـع رجـال الـمـعـرفـه والـــوقـــت طـــايـــب

فالوقت الطيب هو الّذي ليس فيه سوى المحبوب.

ابن الشيخ تعظّمه الناس وتحترمه وتوقّره فيكتفي بهذا ويظنّ أنّه محترم، وهو فارغ، فإذا مات الشيخ تركه الناس، وجاويش الشيخ كذلك تعظمه الناس لأنّه مفتاح الشيخ، فيكتفي بهذا ويظنّ أنه على شيء، فهما لا يأتيان بخير، اللهمّ إلّا إذا توجه كل واحد منهما إلى نفسه فاشتغل بها وقال: مرادي أن أمشي على قدم الشيخ فأهذّب نفسي كما هذّب نفسه وأنال كما نال.

الإسلام لا يحمله إلّا صاحب الشخصية، القرآن لم يحمله إلّا سيّدنا محمّد ﷺ، بعض المسلمين يصوم ويصلي ويغش، يصوم ويصلي ويخون، فيلعن الناس كل من يصوم ويصلّي بسببه ويكون عليه الوزر، والعكس بالعكس.

الإسلام ما نزل من أوْجهِ العالي، وله رجال يحملونه من زمن سيّدنا محمّد ﷺ وإلى يوم القيامة، فإذا أردت أن تعرف الإسلام الصحيح عليك بمجالسة أهل اليقين.

والعلماء أساؤوا إلى الإسلام بتعبيرهم القالي الخالي من التعبير الحالي، وماذا ينفع تعبير المقال إذا لم يكن هناك تعبير الحال؟

فالشجاع الّذي يضع الأشياء في محلّها، وإلّا فكلّها أضغاث أحلام.

إذا أردتم أن تفهموا الدين الحقيقي عليكم أن تحفظوا لسانكم وسمعكم وبصركم وتضبطوها، هذه الثلاثة إذا حميتموها يحميكم الله، وحتى السماع إذا سمعتم كلمة غير حسنة فهذه مشاركة، في محل السمع حلّت الظلمة محل النور، فلا يرغب في أن يسمع القرآن، ولا يرغب في أن يسمع درساً أو علماً؛ لأن الظلمة حلّت محل السمع، لا بدّ أن ينزّه الإنسان سمعَه فلا يسمع شيئاً مخالفاً البتّة، ويجب أن يبقى هكذا حتى تصير عنده قوّة وملَكَة، الإنسان لا بدّ أن يحفظ نفسه من الوقوع في المخالفات، النور يتبع بعضه بعضاً.. بعدها حتى الأهل والناس يعذرونكم لمّا يرونكم صادقين تماماً، فلا يتكلّمون غيبة أمامكم، تأتيكم قوّة من الحضرة الإلٰهية على قلوب الناس، فلا يتكلّمون أمامكم كلاماً عاديّاً البتّة.

البغض في الله والحب في الله ليس لك قدرة عليهما إلّا من المنّ الإلٰهي، الحب في الله والبغض في الله بآن واحد لا يزيد عندك هذا ولا ينقص هذا، لا يبغضونه هو، البغض للصفات، لا يوجّه البغض لصاحب الصفة، صاحب الصفة جلدة لا شيء بيده، يتوجه بقلبه إلى الله بالدعاء له، الصادق ليس له وجود مع محبوبه مطلقاً البتّة، الحق ليس ظلاّماً للعبيد، وما ظلم أحداً البتّة؛ لأن الحق عنده فيرى الحق بالحق، فيجب أن أحب الّذي يحبه الله، الكامل لمّا يوجد مع غير الكامل يتعذب رأفةً بغير الكامل، غير الكامل قياسه نفسي ذاتي، والكامل قياسه نفسي ذاتي أيضاً، لكن هذا ناقص وهذا كامل، لا يصير تفاهم، واجب على الكامل أن يتحمل الناقص، الناقص لا يقدر أن يتحمل الكامل، لكن الكامل يتحمل الناقص، الصغير لا يسع الكبير، لكن الكبير يسع الصغير، قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

أنا الّذي يحبّني في العالم قليل جداً، لا يحبني إلّا أهل العناية لا يوجد غير أهل العناية، أما الآخر فأحبّني لغرض ما.. فهذا ما أحبّني، الغرض يعود له، حب الشيخ يوصلك إلى حب الرسول ﷺ، لا بدّ أن تحبّه حتى تفنى فيه بدون تكلف، تصير عين المرجع، ترى الرسول ﷺ بكماله، بعدها هو يوصلك إلى الله جلّ جلاله.

الفصل الثاني

آفات الطريق

- ١ - المدنية الماجنة.
- ٢ - حب الدنيا.
- ٣ - المبغضون لأهل الله.
- ٤ - صحبة المجاذيب.
- ٥ - الدعوى وصحبة المدّعين.
- ٦ - مجالسة الغافلين.

١ - المدنيـة الماجنة

قال ﷺ:

قائمة على ركنين: لا عيب، ولا حرام، وهي ضدّ الإنسانية، والحق تعالى يغضب من هذه المدنية وممن يتبعها، مع أن أصلها في الدين ليس هكذا، إذ المدنية في الإسلام هي التقوى وعدم التعدي على الآخر، لا المدنية التي تزيل كلمة (عيب) وكلمة (حرام).

العقل والمدنية لا يجتمعان، ما رأيت في أهل الأرض مدنياً وعنده عقل بتاتاً؛ لأن المدنية قائمة على ركنين: لا عيب، ولا حرام.

لا تتبعوا المدنية أو تقلّدوها، خالفوا المدنية، خالفوا المجوس، ولا يتبعها إلّا من لم يتزكَّ.

المدنية ضد الإنسانية، والحق يغضب غضباً شديداً على المدنية وعلى كل من اتبع المدنية.

المدنية لا قانون لها، قانونها الشهوات، لو أشهد في المدنية خيراً لاتبعته، الرجال مثل النساء والنساء مثل الرجال، تشبهوا بعضهم ببعض، وهؤلاء بعيدون عن الجنّة.

إذا لم يكن عند الإنسان شرف[١] فهذا اسمه ديّوث، والديّوث لا يشمّ رائحة الجنّة.

(١) كلمة الشرف في اللهجة الحلبية معناها: الغيرة على العرض.

دين الإسلام مرتبة حافظة، تحفظك وتحفظ منك، أما المدنية فلا تحفظك ولا تحفظ غيرك، تضرّك وتضرّ غيرك.

● القلب نور خالص درّاك، القلوب لها حياة، إذا كان القلب حيّاً يكون مؤمناً، الكفّار قلوبهم ميّتة، لو كان فيها حياة لاستعملوا المخترعات من صاروخ وقمر صناعي وراديو وتلفزيون.. بالخير، هذا يكون جميلاً جداً، الراديو والتلفزيون إذا استعملوه بالخير، بالعلم لا يوجد أجمل من ذلك! نحن لا نحرّم الحديد والخشب، نحرّم ما يُبثّ فيه، وما يظهر فيه من السقطات (أي السفالات)، يغزونكم به غزواً! فرعون لـمّا أراد أن يدّعي الربوبية ما قدر أن يدّعيها رأساً! بل فسّقهم قبل كل شيء، أدخلهم بالفسق ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [الزخرف: ٥٤]، فلمّا فسّقهم صاروا تحت الأمر، وما بقي لهم وجود أبداً البتّة (فَرِّقْ تَسُدْ). كذلك هؤلاء أهل التلفزيون يأخذون زوجاتنا وأولادنا وبناتنا منا؛ يعلّمونهم الغراميات والمحبات الدنيئة والسفالة، ولا أحد يردعهم، حرام حلال كيفما اتفق! لا يوجد رادع يردع، الإنسان إذا ما كان عنده من داخله رادع يردعه ضميره، قلبه؛ ذهب وراح هباءً منثوراً! العاقل لا يدخل تلفزيوناً في بيته، لو كان التلفزيون في العلم والكمالات والدروس لا يوجد أجمل منه!. وأنا لو وجدت فيه خيراً لاستعملته.

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: نحن نعرف الشجاع الّذي يطيع الله تعالى ورسوله ﷺ، الله سبحانه وتعالى هو خالق المخلوقات، هو أنزل قانون الخالق للمخلوق، فإذا سار عليه سعد مهما كان المخلوق، اليهودي مخلوق، والمجوسي مخلوق، والجنّي مخلوق مثلنا تماماً ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

[الذاريات: ٥٦]، كلّهم مخلوقون، المخالف مطرود مُبعَد عن الحضرة الإلٰهية، لا وجود له، حتى طُرِد عن الإنسانية وليس عن الدين فقط! ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]. الملائكة تقويمهم حسن، والجنّ تقويمهم حسن، والحيوانات.. إلّا الإنسان ﴿فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾؛ لأن فيه الخلافة ليكون خليفة الله في الأرض، وهو يأمر وينهى، هذا هو الإنسان، أما إذا كان ينظر ويشاهد التفلزيون يذهب العقل تماماً! حب وعقل لا يجتمعان أبداً، الحب يأكل العقل، حتى السالك إلى الله لا يجتمع عقله وحبه عندما يحب الله ورسوله(١)، فمن باب الأولى أن يذهب عقل الفاسق والفاجر، أحب واحدة، المحبة غير مربوطة بالجمال ولا مربوطة بالشخصية، الحب ما له ارتباط بالجمال وغير الجمال، الارتباط بالنسبة الموجودة بينهما، أين الكامل المميز؟ صار عنده تمييز، صار عنده عقل، عقل نوراني وليس عقلاً ماديّاً، الأوربيون يخترعون صواريخ يحرقون بها بعضهم بعضاً، أما نحن فنحيي الميّت بإذن الله، هذا هو العاقل(٢).

---

(١) المراد: أنه يشغله اتّباعه لهما عن كل شيء، فلا يفكر في غيرهما، حتى إنه ربّما يهمل مظهره كما يقع لبعض السالكين حين يشتغلون بالأمور القلبية عن الأمور الظاهرة.

(٢) انتباه: إن نظرة متفحص فيما ورد عنه ﷺ من نصوص في المدنية توحي إلى أمرين:
الأول: أنه ﷺ فرق بين المدنية المشروعة والمدنية الماجنة القائمة على ركنين: لا عيب، ولا حرام.
الثاني: وفي مسألة التلفاز وما يتبعه من قنوات فضائية أو انترنت؛ فهي سلاح ذو حديّن من حيث الضر والنفع، والإثم أو عدمه، كما هو واضح من كلامه ﷺ أعلاه، فهو ﷺ لم يحرّم الجهاز المصنّع من حديد أو خشب، وإنما بنى حكمه بالمنع أو بالإجازة على ميزان شرعي دقيق، ليحرّم ما يهتك حرمة الإنسان أو يستدرجه إلى نفق الدياثة المظلم، ويحبّذ ما يرسخ القيم الإنسانية والكمالات المحمّدية، ولئلا يساء فهم مراده ﷺ فيقال: إن =

٢ - حب الدنيا

قال تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]. ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨].

قال ﵁:

الدنيا وصفك أيها الإنسان، الدنيا من الدنو لا من الدناءة، رسول الله ﷺ لم يذمّ الدنيا، بل ذمَّ حب الدنيا، قال رسول الله ﷺ: «الدنيا حلوة خضرة»(١).

الدنيا رأس مالنا، الميزان هو حب الدنيا لا الدنيا.

ما رأت عيني أحداً منسوباً لأهل الله تعالى ويحب الدنيا أبداً، الّذي يحب الدنيا ضع عليه خطّين، ولو كانت عمامته كبيرة ولحيته طويلة، محب الدنيا كلب ولو كان يخطب على المنبر، وطالب المولى أمير ولو كان عبداً أو راعياً للإبل.

نشتغل في الدنيا، نعمل في الدنيا؛ لأن الله أمرنا بذلك؛ لأن الدنيا لا

= الشيخ ﵁ يقف حائلاً بيننا وبين التقدم العلمي، إذ نظرته ﵁ في العلوم العصرية لم يسبقه إليها أحد كما هو مدون عنه في القسم الرابع من هذا الكتاب، وواقع الحال أن ظهور التلفزيون وما يتبعه هو فتنة في كل بيت قلّما ينجو منها أحد! وكذلك خدمات الانترنت، وإن أغلب استعمالهما ضرر ما لم يكن البث أو الاستعمال مشروعين، كما في بعض القنوات الإسلامية والتعليمية والإخبارية المقيّدة بضوابط الشرع، فتمعنْ في قوله ﵁: «لو كان التلفزيون في العلم والكمالات والدروس لا يوجد أجمل منه».

(١) أخرجه مسلم (٤/٢٠٩٨) برقم: (٢٧٤٢).

تقوم بدون تجارة أو صناعة أو زراعة.. ويلزمنا أن نعمل لأن الله أمرنا بالعمل.

«**حب الدنيا رأس كل خطيئة**»[١]. ولا يمكن لأحد يحب الدنيا أن يشهد الرسول ﷺ.

محب الدنيا اثنان: الكلب والقرباطي[٢]، فالجيفة يطلبها الكلب يأكل اللحم والعظم، وأما الثاني فيأخذ جلدها يعمله (ربابة) يغنّي عليها، عمى البصيرة هو الوجهة إلى الدنيا.

عيب علينا أن يشهد الله في قلوبنا حبَّ غيره، قال لي واحد: أنا إذا راحت الدنيا لا أحزن! قلت له: إذا جاءتك تفرح؟ قال: نعم، قلت له: إذنْ فإنك تحزن إذا راحت!

الزهد الحقيقي هو زهد القلب، ولا مانع من وجود المال بيد المؤمن يقول به هكذا وهكذا ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ۝١٩ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ۝٢٠﴾ [الذاريات: ١٩ - ٢٠]، «**نعمتْ الدنيا مطيّة المؤمن**»[٣]، و«**نعم المالُ الصالح للرجل الصالح**»[٤].

الميزان الأول حب الليرات، إذا رأيتم الرجل يصوم النهار ويصلّي كثيراً وله عمامة ولحية ويحب الليرات فلا تعتقدوا به.

الّذي يحب الدرهم والدينار ليس بأمير، بل هو أجير مملوك، يعتزّون بالدنيا، من اعتزّ بغير الله ذلّ.

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي (٧/ ٣٣٨). برقم: (١٠٥٠١).
(٢) القرباطي (من اللهجة الحلبية الدارجة) أي: الفسقة من الغجر، وليس كلّ الغجر.
(٣) الفردوس بمأثور الخطاب (٥/ ١٠) بلفظ: «**لا تسبّوا الدنيا فنعم مطية المؤمن هي**».
(٤) مسند الإمام أحمد: (٤/ ١٩٧) برقم: (١٧٧٩٨).

القانون الإلٰهي هو حبُّ الدنيا وبغضُها، الّذي يتعلق بالجيفة صار أدنى من الجيفة؛ لأنّه تعلّق بها؛ لذلك تبيّن أنّه أدنى منها.

الدنيا ديار، والله هو الساكن، لا تحبّوا الديار بل مَن سكنَها.

الّذي يحب الدنيا الدرهم والدينار ليس على شيء، ومن طغى مع المال تبيّن أنه صغير والمال أكبر منه، حب الدنيا غير الدنيا، نعمت الدنيا مطيّة المؤمن(١).

لا تنغشوا بالمال، لا تنغشوا بالزعامات.

الدنيا أخذت الكثير من الأكابر، ما رأت عيني أحداً منسوباً لأهل الله ويحب الدنيا أبداً، يشتغل بها ويزيّنها، ولكن لا يحبّها.

المادّي روحه ضعيفة، محكوم عليه بمادّته، المادّي يحترم كل من عنده مادّة، ولو كان يهوديّاً عسى أن يصل إليه شيء منها، ولا يحترم أهل المعاني خوفاً على محبوبته أن تذهب.

أما المعنوي فلا قيمة عنده للمادّة والمادّيين، ولو ذهبت المادّة منه بأجمعها ولا أن تخدش المعاني، فالّذي ما عنده معانٍ لا يدرك المعاني.

المادّي فتحه قليل، بل لا فتح له؛ لأنّه محكوم بالمادّة، وكذلك الّذي يصاحب المزّاحين والمجاذيب نادر أن يأتي منه خير.

الإنسان يقدر أن يتريّض حتى يصل إلى ربع رغيف ولا يصيبه شيء ولا يضعف، وهذه لا توصل إلى الله، الّذي يوصل إلى الله عدم حب الدنيا وعدم حب الأخرى، إذا واحد ما عنده شخصية وعنده مرتبة ففي الغالب

---

(١) الفردوس بمأثور الخطاب: (٥/ ١٠).

ممكور فيه، ما وُجِد واحد حبّاب دنيا ويصير وليّاً أبداً البتّة، متعبد بالظاهر لا بالباطن، بالصورة فقط، قال ﷺ: «**إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنّة فيما يبدو للناس حتى لا يكون بينه وبينها إلّا مقدار ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها**»[(١)]. هذه الرواية ما كنت أراها (فيما يبدو للناس) بعدها رأيتها. . ليس معقولاً إلّا (فيما يبدو للناس) لحية وعمامة وصوم وصلاة وقلبه خراب وقد يبغض الأولياء! يصير وليّاً بالصورة، لكن غضبة من الغضبات تذهب عبادته وأعماله كلّها هباءً منثوراً، الرسول ﷺ يقول: «**حبّ الدنيا رأس كل خطيئة**»[(٢)]. أقوى من القتل، وأقوى من كل شيء. هذا لا نأخذ عنه ديننا.

٣ - المبغضون لأهل الله تعالى

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله قال: من عادى لي وليّاً فقد آذنْته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينَّه، ولئن استعاذني لأعيذنَّه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته**»[(٣)].

قال رضي الله عنه: المبغضون لأهل الله تعالى قسمان: مبغض عن اجتهاد؛

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٦١) برقم: (٢٧٤٢).
(٢) شعب الإيمان للبيهقي (٧/ ٣٣٨) برقم: (١٠٥٠١).
(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٨٤) برقم: (٦١٣٧).

وهذا تُرجى توبته ورجوعه، ومبغض ذاتي؛ وهذا لا يرجع، وأكثرهم عن اجتهاد.

والمبغضون يقولون لا نتوسل بالعامل بل بالعمل.

ونحن نقول: هل يقوم عمل دون عامل؟ والعمل ليس إلّا وصفاً، والعامل هو المراد وهو المأمور وهو الناوي، الصلاح للعامل لا للعمل، اثنان يعملان عملاً واحداً أحدهما يُثاب عليه، والآخر يُحاسب عليه(١).

لا يمكن لمحب لأهل الله تعالى أن يحب مبغضاً، وإن وُجدت معه أعمالٌ صالحة يقدّرها المحب لأهل الله تعالى تقديراً، ولا يمكن أن يقع بينهما حب بتاتاً، ولو أتى المبغض بأعمال أهل السمٰوات والأرض.

ومهما جالس المحب لأهل الله تعالى أهل البغض فلا يمكن أن تسريَ إليه العدوى، إذ أن أكثر المعاصي تكون في العدوى إلّا بغض أهل الله تعالى، فلا يكون في العدوى، وهذا ميزان لمن يدّعي محبة أولياء الله تعالى.

إذا جالستَ مبغضاً للأولياء فجالسْهُ بصفته مريض والمريض يُداوى بلطف، أمّا إذا تحدّى المرتبة وتكلّم في عقيدته وتحدّى عقيدتك فانظر في قلبك ماذا تجد؟ فإن وجدتَ حرارةً ورأيته عدوّاً فإيّاك أن تتكلّم، فليس هناك إلّا التنازع والجدل. وإن وجدتَ برودةً فتكلّم يأتك المدد، وطاولهُ في الميدان بطيب ولطافة، فإمّا أن ينهزم عنك، وإمّا أن يتوب، وإيّاك أن تنظره عدوّاً.

---

(١) مثال ذلك: رجل يبني مسجداً مخلصاً لله تعالى وآخر يبني مسجداً كمسجد ضرار أو ليقال: إنه بنى مسجداً فيشرك الناس مع الله.

إيّاكم أن تجلسوا مع المبغضين لأهل الله تعالى.

المبغضون إيّاكم أن تجالسوهم، إيّاكم أن تحبّوهم.

المبغض لأهل الله تعالى وتارك الصلاة لا نزوّجهم ولا نسعى لهم بتزويج.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ﴾ [لقمان: ١٠] هم أهل الله، رواسي الأرض وعمَد السماء ﴿رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾ [الأحزاب: ٢٣] نهنئهم ونهنئ أنفسنا لكوننا نحبّهم ونجالسهم، نهنئ أنفسنا لكوننا لسنا ضدّهم، كثير من الناس ضدّهم، ضدّ الصوفية، جفاة؛ يحكون على الصوفية، هؤلاء الناس ليس لهم روح! أجسام بدون أرواح، والإنسان إذا سحب الله منه سرّ الروح يقع في الأرض ميّتاً، هؤلاء لا يعرفون الرسول، ولا يحترمون الرسول ﷺ وهم المشركون حقاً! ويحبّون الجدل ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ [الكهف: ٥٦] لا تتعلموا الجدل، ولا تجادلوا إلّا بالتي هي أحسن، وهذه إلّا لضرورة، الجدل يأخذ القلب حقيقةً لا يدع فيه نوراً، وهؤلاء لا قلب عندهم أبداً ولا معنى ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]. لا تضيّعوا صفاءكم بالمجادلة، روحهم الجدل! ولا يعرفون غير الجدل، ولا يطلبون إظهار الحق أبداً، إذا ظهر الحق يموتون! نحن جئنا إلى هنا حتى نكون صافين مع رسول الله ﷺ لا نجادل أبداً؛ لأننا عرفناهم أمواتاً بلا روح؛ لأنّهم لا يحبّون روح الوجود رسول الله ﷺ وأصفياءه وأحبّاءه ﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ﴾ [آل عمران: ٧٤] ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٣]. هم يقولون:

الرسول ﷺ في حال حياته له عمل، والولي في حال حياته له عمل.. نحن نقول: ليس له عمل لا في حال حياته ولا قبل! العامل هو الله ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]. هم المشركون حقاً! نحن غير مشركين أبداً، الله هو وكيل الرسول ﷺ هو وكيل المؤمنين حقاً. الجدل وصف الكافر ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ [الكهف: ٥٦] قلبهم محجوب، الكفر هو الحجاب هو السَّتْر، الرسول ﷺ هو حبيبنا وإمامنا ﷺ هذا لا يدركونه. لا تجادلوهم أخاف على قلوبكم، والحق يقول: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٧]، بنصّ القرآن، لا يفرّقون بين المحبة والعبادة، نحن نحب الرسول ﷺ لكن لا نعبد إلّا الله! والرسول ﷺ حبيب الله ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] لكن نحبّه، سيّدنا محمّد ﷺ ليس معبوداً لكنّه محبوب، لا يفرّقون بين العبادة والمحبّة، ما رأيت عندهم من المعنى ولا ذرّة!

تقبيل الحجر الأسود سُنَّة لأن الرسول قبّله، سيّدنا عمر قبّله وقال: «لو لم أرَ الرسول ﷺ قبّلك لما قبّلتك»(١) حجر لا يضرّ ولا ينفع، لا يضرّ ولا ينفع إلّا الله، ومنها يجوز تقبيل يد العالِم أولى وأولى، يجوز احترام غير الله مثل الحجر الأسود، إذا كان الحجر الأسود يمين الله في الأرض(٢) فالرسول ﷺ من باب أولى وأولى، وأولياء الله أولى وأولى.. حجر مصنوع يُقَبَّل فكيف رسول الله أو العارف بالله لا تُقَبَّل يده؟ هذا من باب أولى وأولى.. والرسول ﷺ قال: «**اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يبلغني حبك اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي**

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٥٨٣) برقم: (١٥٣٢)، ومسلم (١/ ١٨٨) برقم: (١٢٧٠).
(٢) ينظر: الفردوس بمأثور الخطاب (٢/ ١٥٩).

وأهلي ومن الماء البارد»[(١)]. ما عندهم حب؛ لذلك ينكرون الحب فاقد الشيء لا يعطيه، أنا أعذرهم؛ لأن اللاقطة المعنوية عندهم مفقودة وهي عين البصيرة ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]. ارحموهم لعلكم تجذبونهم إلى الصواب، لعلهم يرجعون إلى الله. هم غير معذورين لكن نرحمهم، والحق أمرنا بأن نردّ إليه عبيده، وقد قال: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾ [النور: ٤١]. كلّ شيء يسبّح والمعجزة سماع التسبيح، هؤلاء ما عندهم سماع؛ لا يوجد قلب، المادّي يرى المادّة، والمعنوي يرى المعنى، الله من أسمائه الظاهر والباطن، هذا يسبّح باسم الباطن؛ لذلك لا يسمعون، الوجود كلّه يسبّح، وكلٌّ قلوبهم بين يدي الله «**قلوب الخلائق بين أصبعين من أصابع الرحمٰن يقلّبها كيف يشاء**»[(٢)]. تهيؤوا لتحمّل الأمانات، إذا أردت أن تحمل الأمانات والكمالات فعليك أن تكون قويّاً مثلها، الإسلام واسع لكن لا يمكن أن تشهد وتذوق إلّا بالتطبيق، حتى تدرك الإسلام ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]. أما هؤلاء المساكين واللهِ إيمانهم على خطر تسعة وتسعون بالمائة وثلاثة أرباع. من يقدر على أن يقف على الميزان إلّا أولياء الله؟! من يقدر أن يقف على الصراط إلّا أولياء الله؟! حب الأولياء ليس باليد، هذا عناية من الله، لا تجادلوهم؛ هم يعتقدون أنهم على حق ونحن على باطل ومشركون! لا تتناقشوا معهم؛ المعنى مفقود من قلوبهم ما ذاقوا، وجب علينا أن نرحمهم، لا يوجد معنى حتى يصير ذوق، الذوق لا يحصل من الصورة، ما جالسوا

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٢٢) برقم: (٣٤٩٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٥٤) (٤/ ٢٠٤٥).

أهل القلوب، قلبهم قاسٍ؛ لأن روح القلب هو رسول الله ﷺ، نحن إذا سمعنا بذكر الولي يصير معنا هيَمَان، مع كون الله تسمّى بالولي وتسمّى بالمؤمن ما تسمّى بشيء آخر ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] لا يعرفون التوحيد أبداً، التوحيد يحتاج إلى قلب صافٍ موحّد، عليكم أن تسعوهم، لا تقابلوهم على أنهم أعداء، لا يليق ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا ءَاتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]. ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ١١٨] ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩]. الجدل ليس منه فائدة، اللهمّ اجعلنا من المخلَصين وليس من المخلِصين، المخلِصون على خطر عظيم! المخلَصون هو اختارهم، هم أحبابه هم جلساؤه بالحقيقة، يا ربِّ اجعلنا من المخلَصين، لا يوجد غير المخلَصين لا أكثر، يجب أن تكون عندنا سعة حتى نأخذ هؤلاء وغيرهم حتى نردهم إلى الله، المعاني لا تدركها العين الحسيّة المادّية الشحمية، عين المعنى عين القلب هي الّتي تدرك المعاني ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١] عالَم الجسم وعالَم الروح، عالَم الأمر وعالَم الخلق ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢] بحاجة إلى ذوق، والذائق لا يمكن أن تكون عنده دعوى، وإنما عنده سعة ورحمة، لا بدّ أن نرحمهم، نتحملهم على أي شيء يحكونه، نتأدب معهم، أهل الوقاحة ما عندهم أدب هم أهل النار! العلم بدون أدب يكون عليك، إبليس كان عنده علم لكن ما عنده أدب! الأدب هو المعنى، أنت صاحبْ الشيخ الأديب الّذي يحاسب نفسه على الصغيرة والكبيرة ويتأدب بما يقول، والعالِم أديب بكلامه معكم، ومتخلّق بعلمه والأدب صفته، إذا مدحك أو ذمّك لا تبالِ اكتفِ بعلم الله فيك.

٤ - صحبة المجاذيب

قال رضي الله عنه:

المجذوب له صفات ثلاث: عقله صغير، نفسه كبيرة، قلبه طاهر، وهو غير مكلّف، المجاذيب لا يحملون سرّاً، وإذا حمّلْتهم سرّاً يبيعونه بليرة أو ليرتين.

ابتعدوا عنهم، أعطوهم لأنّهم ضعاف لا يشتغلون، ولا تقولوا لهم: ادعوا لنا. المجذوب لا كمال عنده، جرّبوه، إذا غضب يدعو عليكم ولو أحسنتم إليه ثلاثين سنة.

الّذي يصاحب أهل المزح وأهل الجذب لا يأتي منه خير إلّا نادراً؛ لأن المولع بالمزح لا يذوق الكمالات الإلٰهية، والمولع بالمجاذيب لا بدّ أن يصير منهم.. اصحبوا الأقوياء أهل الذوق، لا تصحبوا المجاذيب؛ لأن المجذوب ناقص، لا يقدر أن يكمّل غيره، فاقد الشيء لا يعطيه لو كان عنده كمال لكمّل نفسه.

لا تقل للمجذوب: ادع لي، ولا تأكل معه، وإذا أعطاك شيئاً لا تأخذه منه، هذا مع أني أحب المجاذيب وأكرمهم، ولكن لا أرضى لأحد من أصحابي وإخواني أن يصاحبهم؛ لأنّك لو صحبته مدّة طويلة ولم تتفق معه في مسألة يدعو عليك.

الذين خالطو المجاذيب ثلاثة: منهم كفروا، ومنهم جُنّوا، ومنهم سبهلل[1]، إيّاكم ثمّ إيّاكم أن تدخلوا المجذوب إلى بيتكم أو تنوّموه عندكم.

---

(١) سبهلل: أي ليس معه من عمل الآخرة شيء. الفائق في غريب الحديث (٢/ ١٥٠).

علينا أن نجالس الكمّل ليهذبونا، أما المجاذيب فغير مكلّفين، أعطهم وابتعد عنهم.

إيّاكم أن تخالطوا المجاذيب، ولا تأكلوا معهم ولا تجالسوهم، ولا تسلّموا عليهم؛ لأن المجاذيب لهم ثلاث صفات: عقله صغير، ونفسه كبيرة، وقلبه طاهر. والمجذوب قسمان: صغير وكبير.

الصوفية أهل العرفان، أهل الكرم، أهل الصدق، أهل الشجاعة، لا المجاذيب المرقعين، هذه أحوال طرأت على أصحابها فأخذتهم، يُتركون وحالهم، لا يُنكَر عليهم ولا يُؤخَذ عنهم؛ لأنّهم في حالة نقص؛ لغلبة الحال، أما العارف فلا تتصرف الأحوال فيه، بل يتصرف هو فيها وتظهر عليه حالة الكاملين.

المجاذيب إيّاك أن تحبّهم أو تبغضهم، والله يا أولادي أنا أحب المجاذيب على الإطلاق، كما أني أحب الطرق كلّها؛ لأنها توصل إلى الله.

٥ - الدعوى وصحبة المدّعين:

قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يريحون رائحة الجنّة: رجل ادّعى إلى غير أبيه، ورجل كذب علي، ورجل كذب على عينيه**»(١).

وقال أيضاً: «**مَنِ ادَّعَى ما ليس لَهُ فَلَيْسَ مِنَّا، وَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»(٢).

(١) مجمع الزوائد: (١/١٤٨).
(٢) أخرجه مسلم (١/٧٩) برقم: (٦١).

وقال أيضاً: «وَمَنِ ادّعَى دَعْوَى كَاذِبَةً لِيَتَكَثّرَ بِهَا لَمْ يَزِدْهُ اللهُ إِلاّ قِلّةً. وَمَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ فَاجِرَةٍ»(١).

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

أصعب شيء عندنا الدعوى، المدّعي مفضوح، والدعوى لا تأتي إلّا من الجهل، والمدّعي ثقيل على المعدة، المدّعي له علامة ظلمة، ورائحة نتنة.

يوجد وادٍ في جهنم، ما أحد قال به، أنا أقول به، اسمه وادي المدّعين. والمدّعون أصناف، منهم: فرعون ادعى الألوهية، مسيلمة الكذّاب ادعى النبوّة، إبليس قال: أنا خير منه أي سيّدنا آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [صٓ: ٧٦].

المدّعي أتباعه إما جاهلون، أو صغيرو العقل، وهو في النار تحت المنافقين في الدرك الأسفل، وأول ما تُسَعّر النار به ثمّ بالمنافقين. ويتأثرون بكلامه؛ لأنّه كلام أهل الله وهو كلام منوّر ينقله المدّعي إلى أتباعه فيحسبون أن هذا الكلام له فينجذبون إليه.

تابعُ المدّعي واحد من اثنين: إما كذّاب مثله، أو جاهل به.

يوجد ناس عندهم فتح ظلماني! هذا من باب الفتنة من باب المكر الإلٰهي؛ يدخلون بالطريق ويشتغلون بالاسم، والشياطين تدخل عليهم، يظنّون هذا من الله، ويحلقون اللحية وهي سنّة ويحسب نفسه قد وصل.. وصل إلى إبليس لا غير. لا تصاحبوهم ولا تصاحبوا الّذي يتكلّم بلسان

(١) أخرجه مسلم (١/ ١٠٤) برقم: (١١٠).

وحدة الوجود، هذا يلزمه ابتلاءات طويلة عريضة حتى يتطهّر، من أجل أن لا تبقى عنده دعوى ويفهم حاله.

٦ - مجالسة الغافلين

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

لا يتعرف إلى المعارف الإلٰهية إلّا من تبدل في سائر أحواله، ومن أراد أن يفهم أحوال الرجال الكبار فليجالسْهم ويجانسْهم ويتأدبْ معهم، أنت لا تقدر على تغيير عادة من عاداتك فكيف تخرق لك العوائد؟

والإنسان قبل أن يتلطف يجالس البطّالين يضحك ويمزح، فإذا تلطف لا يستطيع أن يجالسهم؛ لأنّه لم تبق بينه وبينهم نسبة، ولهذا أنكروا عليه حين تلطفت روحه وشددوا عليه بالإنكار، فهو قَبْلَ النور يندمج مع كل أحد، فإذا تنوّر اختلى عنهم مع محبوبه بروحه وجسمه، أما إذا عدم النور فإنه يجالس كل إنسان.

الغافل لا ميزان له لا لنفسه ولا لغيره، جاهل وأحمق.

إيّاكم أن تجالسوا الدنيء. الدنيء ربّما يعمل عملاً حسناً فتنجذبوا إليه.

وقاطع لمن واصلت أيام غفلة

فما واصل الأحباب من لا يقاطعُ[١]

---

(١) من عينية الإمام عبد الكريم الجيلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، سبقت ترجمته مع قصيدته في القسم الأول من الكتاب، ينظر: مبحث (فتى حلب).

وقاطع لمن واصلت أيام غفلة قاطعْهم بتاتاً، لأي شيء؟

لأن أهل الغفلة ما عندهم غير السوء وغير الخسّة، إذا كان لي رفقاء سيّئون ثمّ توصّلت بعد ذلك إلى أهل الله فهل أقدر في يوم من الأيام أن أجلس مع الأولين؟

لا لا، أبداً أبداً، فما واصل الأحباب من لا يقاطعُ سيّئ الأخلاق، وهكذا الّذي يطلب الله تعالى.

المفروض أنت الّذي تقاطع، لا هم الّذين يقاطعونك، لا لا، أنت عالٍ، أنت نوراني، عندك نور تتميز عنهم، أولئك لا نور عندهم ولا عيب ولا حرام.

إيّاكم والجلوس مع الغافل، أصعب شيء الجلوس مع الغافل، سماع كلمة من الغافل تحبط العمل.

الّذي يصاحب أهل الله لا بدّ أن يترك أهل الظلمة ولو كان أباه أو أمه أو أخاه أو زوجته.

القسم السادس

إطلالات النهاية

وفيه الفصول التالية:

١ . الوفاة.

٢ . حادثة الشيخ أيوب محمّد الفياض الكبيسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

٣ . خلافته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وإدارة الكلتاوية.

٤ . كراماته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ .

٥ . رقياته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ .

٦ . بعض المدائح والمراثي التي قيلت فيه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ .

الفصل الأول

الوفاة

إشارات سبقت الوفاة:

- في الأشهر الثلاثة قبيل وفاته رضي الله عنه كان يتحدث بدروسه عن وفاة رسول الله ﷺ وذكر رضي الله عنه أن مزاراً في الغرفة التي يلقي فيها مذاكراته لم يظهر بعد!.

- ومن سننه رضي الله عنه أن يوقظ أهل بيته قبل الفجر بنصف ساعة لصلاة التهجد، ولا يأذن لهم بالنوم حتى تطلع الشمس.. وقبل وفاته رضي الله عنه بثلاثة أشهر، انتبه الأهل على غير عادتهم فلم يبق عن بزوغ الشمس أكثر من نصف ساعة، وسيّدنا رضي الله عنه لم يوقظهم، فماذا حدث؟. فزعت ابنته السيّدة رشيدة رحمها الله ودخلت إلى غرفته فإذا لحيته رضي الله عنه وقميصه قد ابتلاّ بكاءً، فسألته: لماذا يا أبتي؟ قال رضي الله عنه: كان عندي رسول الله ﷺ وبعض أصحابه يحدّثونني عن أحوال إخواني من بعدي[1].

- حدّثنا الحاج عمر ططري رحمه الله[2] قال: قال لنا رضي الله عنه قبل وفاته بأيام:

---

(١) وبعد ست سنوات من وفاته رضي الله عنه وفي شهر رمضان من سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م زارنا في الفلوجة بالعراق الشيخ منير بشير حداد رحمه الله وبصحبته السيّدة رشيدة (زوجته) وولده محمّد رحمهم الله تعالى، وأقاموا تسعة عشر يوماً، فسألته عن صحة الرواية التي سمعتها، فسأل أم محمّد، فأجابت بأنّها حقيقة كما رويت.

(٢) أحد أصحاب سيّدنا رضي الله عنه الصادقين، وهو من أصل تركي رحمه الله تعالى.

هل بقي شيء ما بيّنته لكم؟ يوم السبت ٢٤/آب يوم الأحد ٢٥/آب يوم ٢٥ يوم ٢٥!! ولم يفهم أحدٌ منّا مقصدَه، حتى كان يوما الوفاة والتشييع.

- حدّثنا خادمه الحاج مصطفى سروجي رحمه الله قال: في آخر خميس سبق الوفاة استأذنته رضي الله عنه كعادتي كل أسبوع بدخول الحمّام معه رضي الله عنه فرفض، وقال لي: أنا راضٍ عنك يا مصطفى، ولكن لا حمّام بعد الآن.
- وفي الخميس نفسه دعا ربه عزّ وجلّ قائلاً: يا رب خذْني إليك.
- حدّثنا الشيخ عادل سعود العاني[1] من الفلوجة بالعراق قائلاً: سافرت

---

(١) هو السيّد عادل بن سعود بن خليل آل قزان من ذرّية سيّدنا موسى الكاظم من السلالة الحسينية المطهّرة، ولد سنة ١٩٣٩م، في مدينة (عانة) بالعراق، وأكمل فيها الابتدائية والمتوسطة، ثمَّ واصل الإعدادية في صناعة بغداد، ومنها عرّج إلى ألمانيا الغربية، وتخرج فيها مدرساً مهنياً وفي سنة ١٩٦٦م رجع إلى العراق، وشغل التدريس في أكثر مدارسه، ثمّ انتقل لمثل وظيفته إلى مسقط رأسه وكانت آخر محطات مدينة الفلوجة، وفيها ترك عمله الوظيفي، ليشتغل حرّاً باختصاصه، ويأكل من قوت يده، وكما حدّثنا عن نفسه أنه نشأ في أسرة متدينة، فوالده صالح كادح، ينسج الأردية الصوفية ليبيعها (بين الموصل، وحلب) وكلا أبويه يتميزان بفطرة سليمة ومحبة للصالحين، فتعهدا تربيته على الدلال ولقمة الحلال وحباه الله تعالى بأخلاق وجمال، فهو محبوب بين أقرانه وإخوانه، ومحفوظ من صغره، ومحظوظ بنور في وجهه وفصاحة في لسانه، يتمنى كل من رآه أو خالطه أن يكون هذا صديقاً له أو مصاحباً، وذلك لما يبدو عليه من عفة وبراءة، وصدق ووضاءة، وعلى هذا أمضى مقتبل عمره وشبابه، ولم يطرأ تغير في ألمانيا فترة غيابه، ومع إخلاصه في عمله وصدقه في مهنته فقد أولع بمطالعة الكتب عامة، فاجتذبته سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام، وكتب الصوفية الأعلام، فتعلّقت ذاته بالشخصية المحمّدية، وكمالات أهل الله، ومن هنا أصبح يستشعر حاله كغريق في بحر يستنجد، وتائه في صحراء يسترشد يقلّب أفكاره بين الحين والحين، لعلّه يحظى بنَفس الحياة وسفينة النجاة، التي ترسو به إلى بر الأمان، حتى ظهر واشتهر اسم السيّد =

إلى حلب سنة ١٩٧٤م ووصلت إلى الكلتاوية في الساعة العاشرة ليلاً من يوم الأربعاء الموافق ٢١/آب وأول من التقيته هناك الحاج مصطفى سروجي رحمه الله، فحدثني قائلاً: إن سيّدنا حفظه الله قد اجتمع عصر اليوم بكثير من إخواننا في ساحة المسجد، وتكلّم معهم كلاماً طويلاً، وفجأةً شعر حفظه الله بوجع شديد في رأسه، فطلب إحضار عقار مسكّن، ثمّ ذهب إلى البيت(١).

وفي اليوم التالي الخميس ٢٢/آب نُقِل سيّدنا رضي الله عنه إلى المستشفى على

= النّبهان رضي الله عنه . . . فشدّ إليه رحله سنة ١٩٦٩م فما إن وصل الكلتاوية وأبصر بل أمعن في تلك الشخصية حدثته نفسه: أهذا الذي كنتَ تبحث عنه وتتفكر، حتى إذا جلس بين يديه فاجأه رضي الله عنه: (قل لي فقط: أين رأيتك!؟). . وبادره ثانية قبل أن يجيبه: (أنا جئت بك من ألمانيا!!). . . وبتلك الكلمات حدثت النقلة من حال إلى حال، ومن دهشة، بل من حياة إلى حياة، وشعر فيها - لأول مرة في حياته - أن العناية الالٰهية تحفّ به وترعاه قبل أن تطأ أرض الشهباء قدماه. . .

وقد سافر الشيخ عادل إلى حلب تسع مرّات خمس منها قبل انتقاله، وحضر وفاته رضي الله عنه وتركت فيه تلك الصحبة المباركة آثاراً فتح الله عليه بإلهامات كثيرة وفهوم وأذواق غزيرة، وأفاض عليه في الظاهر والباطن، ما لا يخفى على مجالسهِ ومخالطه ومستمع إلى أحاديثه، وهو ينثر درراً كاللآلئ، يشحذ بها الهمم، فلا يمل كلامه، فهو معروف بصلاحه، يقصده مَن ضعف قلبه وهزلت روحانيته ليعالج بكلمات مرشده وعباراته ما طرأ من برود وفتور وخواء، فلا ينهض جليسه إلا وقد ارتشف الدواء وملأ الوعاء، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤]. ولقد عبّر عن نفسه فأحسن، بما تفضل عليه الله تعالى وتمنّن، فقال: (لقد ذبح تعرُّفي إلى سيّدنا النّبهان رضي الله عنه كل قديم بي لا ينفع، وأحياني بصدق الوجهة إلى الله تعالى، وعدم الالتفات إلى سواه). . وتلك هي آثار صحبة أهل الله تعالى رضي الله عنهم، وجمعنا وإياهم تحت لواء سيّدنا محمّد صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه الأخيار. .إنه سميع مجيب.

(١) انتهى كلام الحاج مصطفى سروجي رحمه الله تعالى.

إثر إصابته بنزيف دموي شديد ولم يكن في جيبه إلّا خمس عشرة ليرة سورية استلمها منه حفيده السيّد بشار.!

وفي اليوم التالي اتصل ﷺ تلفونياً من المستشفى طالباً مقابلة العراقيين، وكنّا ثمانية أشخاص، فذهبنا بصحبة أحد إخواننا الحلبيين، ولدى وصولنا سمعنا صوته ﷺ وباللهجة الحلبية: (بدّي[1] العراقيين)! فدخلنا عليه ﷺ وحداناً، وأنا آخر من دخل، ثمّ خرجنا إلى مسجد مجاور لأداء صلاة المغرب، ومن بعدها إلى الكلتاوية.

وفي الساعة السادسة وست دقائق مع غياب الشمس يوم السبت السادس من شعبان/ ١٣٩٤هـ الموافق للرابع والعشرين من آب/ ١٩٧٤م؛ فاضت روح السيّد النّبهان ﷺ إلى بارئها.

وسرعان ما ذاع الخبر وفوجئ أهل حلب بالحادث الجلل فضجَّت المآذن والبيوت والشوارع..

أما أهل الكلتاوية فمنهم من ألجمته المفاجأة! ومنهم من تفجّر بالبكاء! ومنهم من سقط مغشياً عليه!

وقبيل منتصف الليل بدأت أصوات المعاول تسمع من داخل الغرفة التي تقرر أن يكون مرقده ﷺ فيها فهرب كل من رأى ذلك، ولم يبق في المسجد إلّا نفر قليل.

وبعد منتصف الليل تشرف بتغسيله الشيخ عمر الملاحفجي، والشيخ بشير حداد رحمه الله.

---

(١) «بدي» هنا معناها: أريد لقاء العراقيين.

ثمّ نقل ﵁ إلى المسجد عند المحراب، وسُمِح لي بالدخول إلى الحرم، فاقتربت منه ﵁ من جهة قدميه الشريفتين، فحصل شيء لم يكن بالحسبان، لقد فتح ﵁ عينيه، وتبسّم قليلاً! ففقدت صوابي وكدت أصرخ ولكنني تمالكت نفسي.

وفي صباح اليوم التالي - الأحد - سُجّي سيّدنا ﵁ في غرفة الاستقبال مكشوف الوجه، وقبضته اليمنى وإصبعه كما هي في تشهد الصلاة، وإشراقة النور لم تفارق وجهه الشريف.

لكنَّ أمرين حيّرا الناس:

أحدهما: أن الأطباء يقولون إنّه فارق الحياة ونزف الدم من أنفه لم ينقطع!

والثاني: أنّه شوهد مرّات عديدة يفتح عينيه ويبتسم.

ثمّ إنني دخلت الغرفة مع الناس لإلقاء نظرات أخيرة، وحين خرجت منها وقفت عند شبّاكها مع نفر من الحلبيين، فقدم فلّاح حلبي يسأل: صحيح أن سيّدنا انتقل؟. فقالوا له: انظر، وفسحوا له، فألقى نظرة من الشبّاك فصعق ووقع على الأرض هامداً كالثوب، واصفر لونه وابيضت شفتاه وبردت أعضاؤه وانقطع نفَسه، فضجّ القوم إلى الله تعالى وتوسلوا إليه بجاه سيّدنا النّبهان ﵁ أن يعيد إليه الحياة.. فعادت! واستوى قائماً، وطلب إلقاء نظرة أخرى فمنعوه[1].

حدّثنا الشيخ منير بشير حداد ﵀ قال: يوم أن توفي سيّدنا ﵁ فلت

---

(١) انتهى كلام الشيخ عادل سعود العاني.

زمام صبري وأيقنت بالضياع، وسيّدنا رضي الله عنه وقتئذٍ مُسجّى في النعش قبل أن يحمل فإذا به رضي الله عنه يخاطبني من النعش (لا تخف أنت معي)! فهدّأ من روعي.

وفي عصر اليوم نفسه (الأحد ٢٥/آب) اجتمعت الوفود من سوريّة وخارجها حتى ضاقت بهم الكلتاوية فكان التشييع، وأثناءه نزل مطر خفيف ابتلّ منه وجه الأرض ولم يكن غيم في السماء(١) ففُسِّرَ ببكاء السماء عليه(٢).

وحاول المشيّعون إدخال النعش إلى الغرفة من شبّاكها، فتراجع مرّتين فنادى منادٍ ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩] فأدخلوه من بابها القبلي.

أمور أعقبت الوفاة:

- يوم انتقاله رضي الله عنه توقفت ساعة غرفته فجأةً، وهي مصنوعة من النحاس الأصفر، طولها متر ونصف تقريباً، فأُرسلت إلى الساعاتي فعجز عن تصليحها، وأخبر أن أمرها غريب، ليس فيها أي عطل إلّا أنّها متوقفة، وفُسّر ذلك بحزنها عليه رضي الله عنه، وهي إلى هذا الوقت متوقفة على الساعة والدقيقة التي فارق فيهما الحياة.

(١) حدّثنا بهذه الرواية: أخو سيّدنا الحاج جميل أحمد النّبهان رحمه الله تعالى.

(٢) ورد في صحيح مسلم (١/ ٣٠) برقم: (١٤٥)، قال رسول الله ﷺ: «**إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، ألاَ لا غربة على مؤمن، ما مات مؤمن في غربة غابت فيها بواكيه إلاّ بكت عليه السماء والأرض**» ثمّ قرأ رسول الله ﷺ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [الدخان: ٢٩] ثمّ قال: «**إنهما لا يبكيان على الكافر**».

- لوحتان في غرفته ﷺ منقوش على إحداهما:

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ﴾ [النور: ٣٦].

والثانية: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم: ٥١] غمرت زجاجتيهما قطرات كالمطر! لا يمكن إزالتها، وفُسّر ذلك ببكائهما عليه لا زالتا مع الساعة في غرفته ﷺ.

- ويوم التشييع ﷺ ذبلت أكبر شجرة ورد في الجامع ثمّ يبست، كان ﷺ يعتني بها بنفسه، ساقها حوالي ثلاثة أمتار وورد‍ها أصفر، ولها أمر غريب فقد كان ينبعث منها عطر كعطر الليمون والبرتقال وإن لم يكن بها ورد وذلك أمر تذوقته بنفسي مرات عديدة.

- ثمّ أعقب ذلك يبس عدد من الأشجار العالية التي غرسها بيده الشريفة في ساحة المدرسة والجامع!!.

- ولسيّدنا ﷺ فرس أصيلة لا يركبها غيره، وبعد الحادث الجلل بثمانية أشهر رأيتها والدموع تنساب من عينيها وقد تركت تحتهما خطيّن أسودين، وبقيت على هذه الحالة حتى ماتت.

لقد انتقل السيّد النّبهان ﷺ وبقي بالحسرة من رآه ومن لم يره، وبقيت سيرته ومنهجه وطريقته وآثاره لكل المسلمين منهجاً وطريقة، فأصحابه بعد وفاته لم يزدادوا به إلا حبّاً وتعلّقاً. أمّا محبّوه فقد كثروا. ولم يدخل عليهم المدّعون ولم تؤثر بهم عواصف المحن والفتن، وتتابعت الوفود للزيارة، وازدادت أفواج أتباعه، بما يتعذر علينا إحصاؤهم؛ مصداقاً لقوله ﷺ: (من بعدي ثلاث: يظهر أمري، ويكثر المدّعون، وتظهر الفتن). وإن نظرة

واحدة على جامع الكلتاوية في إحدى الجمع تكفي للتعرف إلى الحشود الكثيرة التي تناشد القائمين على إدارته أن يوسعوا في ساحته، ويزيدوا في عمرانه، ليسع المزيد من أهالي مدينة حلب وخارجها.

وكان لولده الأكبر أحمد - أبو فاروق - الأثر الكبير في حماية تراث والده وحراسة مسيرة أتباعه، وإن من يلاحظ الكلتاوية اليوم ورآها على أيامه لا يجد فرقاً إلّا أن وجهه الشريف قد حجب عن أنظار الّذين لا يتمكنون من رؤيته.

الفصل الثاني

حادثة الشيخ أيوب محمد عبد الله الفيّاض الكبيسي رحمه الله

ولد رحمه الله تعالى في ناحية كبيسة بالعراق في السنة التي هاجر فيها والده من كبيسة إلى الفلوجة ١٩٤٤م وفي أسرة آل الفيّاض الشهيرة بالكرم والصلاح نما غصنه وزها، حتى إذا أكمل دراسته الابتدائية أرسله والده إلى الآصفيّة الشرعيّة في الفلوجة.

فتميز بهمّة عالية ومكانة راقية، وتفوق بالعلم والأدب، وتمكّن لفترة أن يجمع بين طلب العلم والتجارة ثمّ تجرد للعلم، وتشرف بالتعرف إلى السيّد النّبهان رضي الله عنه فما إن حطّ رحله عنده حتى توجه بكليّته ليسبق بصدقه الكثير ممن وفد قبله على حلب، وتفضّل عليه رضي الله عنه بتربية خاصّة وعناية قلّما تجدها على غيره.

وبعد أن أكمل الثاني عشر في آصفية الفلوجة عزفت نفسه عن تسلسل الشهادات التي درج عليها الطلبة في الماجستير والدكتوراه، لكنه لم يتوقف عن الاستزادة في حلقة أقرانه.

وفي سنة ١٩٦٩م وبإشارة من سيّدنا النّبهان رضي الله عنه تمكن من تأسيس المدرسة الأحمديّة الشرعية في الخالدية الكائنة بين الفلوجة والرمادي، حتى أصبحت المدرسة بمديرها الشيخ أيّوب وإخوانه المدرّسين بشهادة سيّدنا رضي الله عنه: (مدرسة الخالدية قبل الكل وأحسن)، والشيخ أيوب مطاع ومحبوب لا يُرى لصدق محبته إلا كالمجذوب في البردة.

وكان مبتلى بطفح واحمرار في وجهه فضربه سيّدنا رضي الله عنه كفّاً فبرئ!

واتفق مع عشرة من أصحابه في الفلوجة على قيام الليل ورُبّما أمضى الليل كلّه يتجوّل بسيّارته مع بعضهم يذكر الله تعالى وينشد ويتضرع فعجيبٌ أمره، فهو بحق عاشق، حتى أصبح سيّدنا النّبهان رضي الله عنه يقول عنه: أيوب نحن نشتغل له، أيوب ظلّي، أيوب لا فرق بيني وبينه!.

وامتحنه رضي الله عنه بأمر بالسفر من حلب دون أن يسمح له بتوديعه، فارتقى أيوب رحمه الله سطح المسجد وهمّ أن يلقي بنفسه! لولا أن تداركه رضي الله عنه وأجلسه عنده، ثمّ ودّعه!

وأعرف عنه قلّة المراجعة لدوائر الدولة، فلم يصل وزارة الأوقاف إلّا مرّة واحدة في حياته، مع كونه مدير مدرسة ترتبط بتلك الوزارة.

وأنّه يقول الحق ولا يخشى في الله لومة لائم، وصادق صريح لا يحيد عن الصراط، ملازم لحالة واحدة يترقى فيها، لا نعرف عنه كبيرة أو صغيرة، ولا يأكل من رواتب الأوقاف، بل يدفع مرتبه إلى أحد المدرسين معه، ومع أنّه من عائلة معروفة بالغنى أصبح مديناً بسبب ما ينفقه على طلبة العلم والمحتاجين.

وأعلم أنّه أخذ الذهب من أهل بيته ومحارمه وصرفه على المدرسة وتلاميذها!.

وعمل جرداً بالأسر الفقيرة في الخالدية، وأجرى لها جرايات نقدية وعينية شهرية، فالفاكهة على سبيل المثال في أول أوانها لا تدخل بيته قبل أن تدخل بيوت أولئك المحتاجين، وقلّما تجد مثل هذا العمل في زماننا!.

فتلك هي كلمات مختصرة عن حياته رحمه الله.

حتى إذا جاء اليوم الّذي توفي فيه سيّدنا النّبهان رضي الله عنه سافر رحمه الله تعالى في اليوم التالي الأحد ٢٥/آب / ١٩٧٤م بصحبة الشيخ عايش جروان الكبيسي والشيخ حامد الصخي نجم الجنابي، ولحقت بهم في اليوم التالي بالطائرة.

ولم يبق لنا من أمل في هذه الدنيا الفانية إلّا اللحاق بسيّدنا النّبهان رضي الله عنه وكنّا في الكلتاوية جنباً إلى جنب، وهو يتنهّد بحسرة ويردد على سمعي من حين لآخر: الدنيا قصيرة وإن طالت يا أخي يا هشام!.

وحوالي الثانية والنصف من بعد ظهر الثلاثاء ٢٦/آب / ١٩٧٤م ونحن في غرفة الضيافة بمسجد سيّدنا رضي الله عنه رأيت في الواقعة: وإذ بنا في سيّارة مع سيّدنا رضي الله عنه باتجاه مدينة حماة، فأخطأ السائق سيره فظننت أن ضابط المرور سيستوقفنا ويجعلها مخالفة، فقال رضي الله عنه : (كأنّها ليست مخالفة)! وفهمت أن الصورة صورة مخالفة لكنّها في الحقيقة ليست مخالفة.

فانتبهت وإذا بالشيخ أيوب رحمه الله تعالى يقول: الدنيا يا أخي يا هشام قصيرة وإن طالت.

حتى إذا انتهت أمسية ذلك اليوم (الثالث) بتأبينه رضي الله عنه ، وتفرق الجمع، توسد الشيخ أيوب النعش الّذي حمل فيه سيّدنا رضي الله عنه بعد الحادية عشرة ليلاً، وأخذ يتضرع ويقسم على الله تعالى ويتوسل بالسيّدة فاطمة الزهراء البتول رضي الله عنها أن يلحقه بمن يحب!.

وأسرّ إليّ رحمه الله تعالى قبلها: إذا كنتَ ترغب بالعودة معنا إلى العراق فعليك أن تتهيأ قبل الفجر بساعة.

وحان الموعد الّذي اتفقنا عليه، فدخلنا حضرة سيّدنا رضي الله عنه، فألحّ بالدعاء والطلب باللحوق!.

ثمّ انطلقنا من الكلتاوية هو وأنا والشيخ حامد الصخي، فسألني: أنتجه إلى دير الزور أم الشام؟.

قلت: دير الزور أقرب.

قال: بل عن طريق الشام.

قلت: خير المرافقة الموافقة!

وفي الطريق: أذّنت مساجد حلب لصلاة الفجر، فدخلنا جامع سيف الدولة الحمداني، واقتدينا بالشيخ أيوب دون أن يلتحق بنا أحد، فصلّينا وخرجنا بسيارته، وأنا معه في صدرها والشيخ حامد الصخي من خلفنا، حتى إذا صرنا قريباً من خان السبل مسافة تبعد أكثر من ثمانين كيلو متراً عن حلب، طلب الشيخ أيوب من الشيخ حامد تلاوة شيء من القرآن الكريم! فاعتذر.. فقرأ هو أواخر سورة الزمر:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزمر: ٧٣ - ٧٥].

وما هي إلّا لحظات حتى أخذت السيارة من يد الشيخ أيوب يساراً، وإذا بنا وجهاً لوجه مع عربة!! والسرّعة على المائة! فقلت: لا لا يا شيخ أيوب، فانتبه، ولاذ يميناً دون أن يتمكن من الخلاص من حادث اصطدام بجرّار زراعي صعقه بعجلته الخلفية، فانقلبت سيارتنا! وتخلخلت نوافذها فخرجت وأخذت بيد الشيخ أيوب فقال: يا أخي هشام جرُّنَي جرُّنَي! وتمكن الشيخ حامد من الخروج من نافذة أخرى! ثم أمسكت بالشيخ أيوب ورفعته بكلتا يديّ فإذا به لا ينفع نفسه، كسرٌ في يده اليسرى، وآخر فوق الركبة اليمنى، فاحتضنته ووقفت فجاءتنا سيارة يقودها ضابط برتبة رائد، فحملنا إلى حماة، ولم يكن غيره في الشارع وقتئذٍ.

وفي طريقنا إلى حماة تذكرت الواقعة التي رأيتها في الكلتاوية وقول سيّدنا رَضِيَ الله عَنْهُ: (كأنّها ليست مخالفة)، وضممت الشيخ أيوب إلى صدري أمسح ما به من دم بعمامتي! وهو يقول لي: يا أخي يا هشام هل خلصتْ أم بعد!؟ (أي هل انتهت الحياة الدنيا أم لا!) فلم يضعف طلبه باللحوق!

وحين وصلنا إلى حماة حملناه بمحمل ودخلنا المستشفى الأهلي وهو يصرخ أوكسجين محمّد، أوكسجين محمّد، أوكسجين سيّدنا محمّد ﷺ!!! فاتصلت بالكلتاوية في حلب وأخبرتهم بالحادث، ولم تمض أكثر من ساعة حتى فارق الحياة مبتسماً، فقبّلته ستّاً! واتصلت بحلب ثانية وأعلمتهم بالوفاة!.

أصيب الشيخ حامد الصخي بكسر في عظم الترقوّة، أما أنا فبفطر في الجمجمة، وبعد ساعة وصلت نجدة من الكلتاوية في سيارتين بجمع من

أصحاب سيّدنا رضي الله عنه، في وقت فرغ فيه القضاة من التحقيق، ورجعنا بالشيخ أيوب إلى حلب ثانية!

وفي الكلتاوية تم تغسيله وتنشيفه بالمناشف التي تنشف بها جسد سيّدنا رضي الله عنه! ثمّ جيء به بالطائرة بصحبة وفد من حلب، ودفن في مقبرة الفلوجة الإسلامية بجوار والده الحاج محمّد الفياض رحمهما الله تعالى.

الفصل الثالث

خلافتــه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ
وإدارة الكلتاوية من بعده

أ – خلافته رضي الله عنه

بعد تحقيق وتدقيق توصلنا إلى جملة أمور:

أولاً: أنّه رضي الله عنه لم يخلّف ولم يوكل ولم يعطِ الثقة لأحد بالتربية والإرشاد لا في الرجال ولا في النساء فترة حياته كلّها، وأن كل من أجازهم رضي الله عنه فمقتصر على حلقة الذكر، ونصيحة الإخوان قال رضي الله عنه : (أنا ما خلفت ولا وكّلت)، وقال أيضاً مخاطباً النساء: (اصحوا بناتي! أنا ما أعطيت ثقة[١] إلى الآن لأحد لا من الرجال ولا من النساء! حتى يبقى ببالكن، لا يروح يكذب عليكنّ أحد، فيقول لكُنّ: الشيخ أعطى.. لا يا بناتي! أنا ما أعطيت شيئاً لأحد البتّة).

ثانياً: حدّثنا الشيخ بشير حداد رحمه الله إمام جامع الكلتاوية قال: سئل سيّدنا رضي الله عنه : من سيكون بعدك؟ فأجاب رضي الله عنه : (أنا ما خلَّفت ولا وكّلت، الذي جاء بي يجيء بغيري).

ثالثاً: في إحدى سفراتي إلى سيّدنا رضي الله عنه طلب مني أحد المحبين في الخالدية بمحافظة الأنبار واسمه أحمد علوان الزوبعي من عامرية الفلوجة أن أستشير سيّدنا له بفتح مكتبة جوار المدرسة الأحمدية الشرعية التي يديرها الشيخ أيوب محمّد الفياض آنذاك، وبعد أن أوصلت الطلب

---

(١) أي: بتدريس النساء والله أعلم.

وعدني رضي الله عنه بعمل استخارة، ثمّ مضى يوم أو يومان وكنت أترقب طلعة سيّدنا بأعلى الدرج النازل من الجامع إلى بيته رضي الله عنه فإذا به يخرج لابساً السّروال والقميص الأبيضين فنادى بقوّة: هذه استخارة المكتبة الأحمدية: حسنة، ولكن من هذا الذي كتب لي: إلى حضرة قطب الزمان؟ (أنا قطب الزمان؟ أنا إلى يوم القيامة)! ثمّ تبين لي أن أحد أحفاد الشيخ بشير حداد رحمه الله واسمه أحمد كان طالباً في الصف الثاني بدار نهضة العلوم الشرعية هو كاتب تلك الرسالة ومطلعها: إلى حضرة قطب الزمان.

رابعاً: كاتبنا الشيخ الدكتور عثمان عمر بن محمّد الويسي قائلاً: سمعت سيّدنا النّبهان رضي الله عنه يقول: (إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة لهذه الأمّة من يجدد لها أمر دينها، ويبعث الله مجدداً لكل ألف سنة، ويبعث الله مجدداً للدهر، وأسأل الله أن أكون هو).

خامساً: وحدثني ابن سيّدنا عبد الله أبو الشيخ رحمه الله قال: سمعت والدي يقول: (أنا أمهّد للمهدي). وحدثني المهندس الشيخ عادل سعود العاني من الفلوجة بالعراق قال: سمعت سيّدنا رضي الله عنه يقول في درس مسجل: (المهدي أخوكم في الطريق).

سادساً: قوله رضي الله عنه المشهور على ألسنة أصحاب سيّدنا في الكلتاوية: (أنا فتحت المدرسة من أجل واحد). وقبل وفاته رضي الله عنه بستة أشهر قال عن ذلك الواحد: (إلى الآن لم يدخل).

سابعاً: وجدت في مكتوبات الشيخ محمود مهاوش الكبيسي رحمه الله برسالته تحفة الإخوان من فيوضات الشيخ نبهان النص التالي: وفيه عن سيدنا رضي الله عنه أنه قال: (المهدي من آل البيت، واسمه محمّد، وهو على

الصراط المستقيم، وهو مسدَّد، يسدده ملَك من السماء، وأعوانه ووزراؤه أعجميون غير عرب، ينزل بالسيف، ويُبطِل المذاهب؛ لذلك يحاربه العلماء! هو وأعوانه قائدهم الحق، وجماعته الوزراء التسعة منسوبون لأهل الله، وهم أهل الفهم.

والمهدي مظهره واسع في شؤونه كلّها، يأخذ الناس في حكمة، ويحكم على الأرض تسع سنين بعدد وزرائه!

وينزل عيسى عليه السلام في زمانه بعد خروج الدجّال؛ لأن المهدي لم يُسلَّط على الدجّال، بل يقتله عيسى عليه السلام، الّذي يحكم بشريعة سيّدنا محمّد ﷺ.

والمهدي يخرج بعد أن تمتلئ الأرض جوراً، فيملؤها عدلاً، والآن لم تمتلئ بل كادت أن تمتلئ!

وإن ظهور المهدي ودعوته كظهور الرسول ﷺ ودعوته من حيث الدعوة ثمّ القتال، ويخرج في هذه البلاد، ويُبايَع في مكة بعد أن يخرج عليه الناس، وهو قطب المهديين!).

ثامناً: وفي آخر أيام التعزية الثلاثة بوفاته ﷺ حدث أمر لفت الأنظار في الكلتاوية وهو ظهور السيّد الحفيد الدكتور محمّد فاروق النّبهان مرتدياً جبّة جدّه وعمامته بجمهور الحاضرين، فبايعه الجمع على خلافة جدّه بيعة عامة، وهذه المبادرة الكريمة لم تكن برغبته بل بضغط من كبار أصحاب سيدنا حينئذٍ لكبح دعوى من تُخيّل له نفسه أن يدّعي خلافته، فجاءت بلسماً على جرح عميقٍ وقتئذٍ، والدكتور محمّد فاروق علَمٌ في الفكر الإسلامي وجوهر نفيس، وشخصية محبوبة، وصاحب فهوم واسعة، وعلوم غزيرة، وتحليلات علمية نادرة ومؤلفات في الشريعة والاقتصاد الإسلامي باهرة،

وخدمات في المؤتمرات والجامعات الإسلامية زاخرة، إذا خالطته أحببته، وإذا تحدّث تمنيت ألّا ينهي حديثه لما يفيض الله تعالى من قلبه على لسانه من لآلئ البيان وفهوم في تفسير القرآن، يشحذ بكلامه الهمم، ويذكّر بسيرة جدّه رضي الله عنه ومسيرته العظيمة، ولا عجب في ذلك فإنّه واحد من أبرز أهل هذا البيت الكريم، تربّى في كنف السيّد النّبهان رضي الله عنه تربية الدلال، ورضع من توجيهاته وأنظاره الحنان، وبعد أن شغل عمادة دار الحديث الحسنية بالمغرب الشقيق لأكثر من عقدين من الزمان رجع إلى حلب مستشاراً محبوباً لأتباع سيّدنا رضي الله عنه ، حافظاً لعهده سائراً على طريقة جدّه رضي الله عنه .

ب . إدارة الكلتاوية من بعده رضي الله عنه

أما المباشر الأول لإدارة الإرث الكريم فهو ولده السيد أحمد المكنّى بـ (أبي فاروق)، وما أدراك ما أبو فاروق رحمه الله تعالى! نسخة من والده، ما إن يقع نظرك عليه حتى ترتسم لديك صورة أبيه رضي الله عنه في حركاته وسكناته، حتى إنّه لو لبس العمامة ما ظننته إلا هو هو، فقد استلم إدارة الكلتاوية بعد انتقال والده رضي الله عنه حتى وفاته في يوم ٦/ ٤/ ٢٠٠٣م.

وُلد السيد أحمد أبو فاروق بحلب سنة ١٩٢٠م ونشأ في كنف والده رضي الله عنه فتى عزيزاً في بيت العزّ، شريفاً في معدن الشرف، كريماً في منبع الكرم، ابتدأ مقتبل شبابه بخدمة أسرته، ما دام والده متجرّداً للسلوك بعزلته، حتى إذا بزغ فجر ظهوره ودعوته كان في أول المنقادين لتوجيهاته، والمنفّذ لأوامره وتعليماته، والمتابع لأعماله طيلة حياته، وبعد أن انتقل إلى الرفيق الأعلى فإنّه الأمين على أسراره وعهده، والحارس على طريقته وآثاره من بعده، المسدد المؤيد ذو فراسة صادقة، شجاع لا يهاب، وحوله

أولو الألباب، كأنّه من هيبته فارسٌ في عسكر، أقام في بيت جنب المسجد بالكلتاوية، فلم يجرؤ المدّعون والمرجفون من تسلّق الجبل ليخترقوا الصف أو يضعفوا حركة قطار المسيرة النبهانية، يتحرّك وسائق الهمم يدفعه، يرقب ويوجّه ويتابع محطّات القطار دون توقف أو تردد أو انتظار، ديدنه في الليل والنهار إدارة إرث أبيه والترحيب بأتباعه ومحبيه، فلم ينفد وقود المحطّة منها إذ هي في تعبئة دائمة، والقلوب معه بمحبة سيّدنا النبهان ﷺ هائمة، والذي يدخل إلى الكلتاوية لا يستشعر إلا دوام السعادة، ونظاماً محكماً بالترقي والزيادة، وأمضى تسعاً وعشرين سنةً في عمله الدؤوب لم يفتر ولم يتعثر حتى وافاه الأجل، وسيرته تستحق أن تفرد بكتاب رحمه الله آنسه الله.

أما أبو الشيخ عبد الله رحمه الله، الابن الثاني لسيّدنا ﷺ؛ فهو كما قال عنه والده ﷺ: (عبد الله ابن الجنّة). فأنعم به وأكرم ما أطيب قلبه! كرم بلا تكلف، وخدمة ومروءة بلا تصنع، ومحبة بفناء، وذرّية له صالحة وقد سبق رحمه الله أخاه أحمد أبا فاروق بالوفاة بيوم واحد وبتاريخ **٥/ ٤/ ٢٠٠٣** رحمه الله وآنسه، وشُيِّع جثمانهما إلى جوار والدتهما في يسار أعلى الدرج الصاعد إلى ساحة جامع الكلتاوية.

حدثني الابن الأكبر السيّد أحمد أبو فاروق المكرم مرّتين أنّه سمع سيّدنا ﷺ يقول: من بعدي أحمد أبو فاروق ومن بعده غسان. فحصل كما أخبر ﷺ فقد تولى إدارة الكلتاوية السيّد أحمد أبو فاروق منذُ أن لبّى سيّدنا ﷺ نداء ربه لجواره ولفترة امتدت لتسع وعشرين سنة، وبعد وفاة أبي فاروق رحمه الله استلم ولده غسان الحفيد الثاني لسيّدنا وأمضى في الإدارة سنتين.

تسلَّم إدارة الكلتاوية الآن ييبشار بن السيّد أحمد، حفيد السيّد النّبهان ﵁، فللّه درّه ما ألطفه وما أجمله، كأن بيده للخير مفاتيح، وفي قلبه للنور مصابيح، شجاع كريم، قوي حكيم، مهاب محبوب، لا تأخذه في الله لومة لائم، مشفق على من حوله، وهو مشاور لأخيه الأكبر الدكتور محمّد فاروق النّبهان أمد الله لنا بحياتهما مع العافية وزادهما من فضله وبقية أبناء آل بيت سيّدنا النّبهان الطيبين الأطهار.

وحريّ بنا أن نشير إلى أن كل من استلم الإدارة وخدمة الناس في الكلتاوية أو الذين لم يستلموا بعد انتقال سيّدنا ﵁ هم موضع إجلال وتقدير أعني السيد أحمد أبا فاروق وأبناءه، الدكتور محمد فاروق، والسادة عبد الرحمٰن(١)، وغسان وبشّار، والابن الثاني السيد عبد الله المكنّى بـ(أبي الشيخ)، وأبناءه السادة محمد ومحمود وأحمد ويوسف وعمّار. وإن الصفة التي يلتقي فيها الأبناء والأحفاد هي النسبة الروحية التي ألبسهم الله تعالى إيّاها، فهم المؤتمنون على إرث سيدنا الحبيب، ونقطة النون التي يلتقي فيها المحبون، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) استشهد ﵀ سنة ١٩٨٦م في الحرب بين لبنان وإسرائيل.

الفصل الرابع

كراماته رضي الله عنه

تمهيد في الكرامة

هي أمر خارق للعادة، يظهره الله تعالى على يدي مؤمن صالح، غير مقترن بدعوى النّبوة، وهي والمعجزة من مشكاة، كلاهما للدلالة على الله تعالى، تطمئن قلوب الضعفاء، وتزيد يقين الأقوياء، إلّا أن المعجزة للأنبياء بعد أن يتحدّاهم قومهم، والكرامة للأولياء بلا تحدٍّ.

قال رضي الله عنه: (الناس ثلاث أصناف:

١. صنف لا حاجة عندهم للمعجزات والكرامات أبداً، الفطرة عندهم تدرك، عقلهم الأصلي النوراني الفطري يدرك، هؤلاء لا حاجة عندهم للكرامة ولا للمعجزة!

٢. القسم الأكثر في العالم أهل عقول، بمجرد ما تأتيه بكرامة يقول لك: نعم صحيح أسلمت! بمجرد ما يرى المعجزة يرجع إلى الله سبحانه وتعالى.

٣. أما القسم الثالث فهؤلاء اسمهم أهل العناد، لا يؤمنون بآية ولا بمن كان يكون! يقول لك: صدفة هكذا صارت!.

أهل الله لا يُظهرون الكرامة إلّا إذا أمِروا، وهذا ضروري، كثير من الناس لا يعرفون الولي وما هو الولي والغوث والأقطاب والأبدال والأنجاب والإمامان.. هذه لا يفهمونها قطعاً، ما اجتمعوا بهم ولا مع من اجتمع بهم، ولو اجتمعوا مع من اجتمع بهم ربّما لا يتكلّمون أمامهم خوفاً

عليهم إذا ما قلنا خوفاً منهم!! أنا ما رأت عيني أبعد من الّذين ينكرون الأولياء وكرامات الأولياء؛ بهذا الإنكار يجعلون قوّة الله محدودة! الكرامة قوّة من قوّات الله، والمعجزة قوّة من قوات الله و﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠] ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]. هذا ترون منه كثيراً إذا الإنسان تلطف وجالس أهل الله الكمّل أهل الاستقامة.

جاء في القرآن والأخبار والآثار بالإسناد ما يخرج عن الحصر والتعداد، فمن ذلك ما أخبر الله عن مريم رضي الله عنها.. سيّدتنا مريم اختلف الكثير من العلماء لا نقصد العلماء العصريين، بعضهم قال: نبيّة، والآخرون قالوا: وليَّة، سيّدتنا مريم وليَّة من أولياء الله، سيّدنا زكريا كان قد تكفّل سيّدتنا مريم وهي صغيرة ووضعها في مسجد بغرفة في محل عالٍ بعدما طلعت من نصيبه ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٣٧] بعدها يقول الحق: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ [مريم: ٢٥] ترقّت أكثر، الإنسان كلما يكمل أكثر يأخذ بالسبب أكثر، لا تفهموا بالعكس! أكثر الناس تفهم بالعكس، بالكتب يذكرون، سيّدتنا مريم تعلّق قلبها بابنها فقال لها: وهزّي.. قبل ذلك لمّا كان قلبها غير متعلق بابنها ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٣٧] سيّدتنا مريم لا يتعلق قلبها لا بابنها ولا بأبيها ولا بأخيها..

الكرامة تحفظ المعجزة، إذا واحد أخذ سمّاً مثل سيّدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه لمّا جاء ليفتح (حمص) جاء الأحبار وقالوا له: لا تقاتلنا ولا نقاتلك، إن كنت صادقاً فالسمُّ لا يقتلك ونسلّم لك المفاتيح، قال: هاتوه، أخذه وشربه واستلم المدينة بدون قتال!

وحكى النووي رحمه الله في كتاب البستان أن امرأة أبي مسلم الخولاني قالت له: ليس عندنا دقيق، هل عندك شيء؟ قال: ما عندي، هل عندكِ أنتِ؟ قالت: درهم بِعنا به غزلاً، قال: أبغنيه (هاتيه) وهات الجراب (الكيس) فدخل السوق ووقف على رجل يبيع الطعام فجاء إليه سائل: يا أبا مسلم تصدّق عليّ! فهرب منه وأتى حانوتاً آخر، فتبعه السائل: يا أبا مسلم تصدّق عليّ! فزجره مرّتين أو ثلاثاً فأعطاه الدرهم وانصرف السائل، ثمّ أخذ الكيس فعبأه من نحاتة النجّارين مع التراب الأبيض! ثمّ أقبل إلى داره فطرق الباب وهو مرعوب (أين وضعتَ الدرهم) فلّما فتحت الباب رمى الجراب وذهب.. فأخذته المرأة وإذا فيه دقيق خالص، فعجنت وخبزت، ولـمّا رجع في الليل وضعت بين يديه خواناً وأرغفةً، قال: من أين لكم هذا؟ قالت: يا أبا مسلم، هذا من الدقيق الّذي جئت به!! فجعل يأكل ويبكي.. واسم أبي مسلم عبد الله بن صوب، وكان قد رحل إلى رسول الله ﷺ من البلاد الشرقية ليصحبه، وتوفي رسول الله ﷺ وهو في الطريق، ولمّا ادّعى الأسود بن قيس العنسي الكذّاب النّبوةَ في اليمن بعث إلى أبي مسلم الخولاني رضي الله عنه فلّما جاءه قال: أتشهد أني رسول الله؟ قال: ما أسمع! قال: أتشهد أن محمّداً رسول الله؟ قال: نعم، فردّد ذلك عليه فأبى، فأمر بنار عظيمة فأُجِّجتْ وألقى فيها أبا مسلم فلم تضرّه النار!! قالوا له: انفهِ عنك وإلّا أفسد عليك من اتّبعك! فأمره بالرحيل.. فأتى أبو مسلم المدينة وكان قد توفي رسول الله ﷺ واسْتُخْلِفَ أبو بكر رضي الله عنه فأناخ أبو مسلم راحلته بباب المسجد، فقام يصلي إلى سارية (عمود) فيه، فبصر به عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقام إليه فقال له: من أين أنت؟ قال: من أهل اليمن، قال:

ما فعل الّذي حرقه الكذّاب بالنار؟ قال: ذلك عبد الله بن صوب (ما قال أبو مسلم الخولاني غيَّر) قال عمر: ناشدتك الله، أنت هو؟ قال: اللهمّ نعم أنا، فاعتنقه ثمّ بكى.. فذهب به حتى أجلسه ما بينه وبين أبي بكر الصديق ﵁ فقال سيّدنا عمر: الحمد الله الّذي لم يمتني حتى أراني في أمّة سيّدنا محمّد ﷺ [1] من فُعل به كما فُعل في سيّدنا إبراهيم ﵇.

لا تعتقدوا أن الكرامة تردّ الإنسان (الكافر أو المنافق) إلى حقيقته، هذا عبد الله بن أبيّ بن سلول صحبَ رسول الله ﷺ وما آمن به والوحي ينزل عليه.. ومات وهو رئيس المنافقين، وهذا أبو جهل والمشركون ما آمنوا برسول الله وما آمنوا بالإسراء والمعراج بعدما بيَّن لهم وما بقي لهم حجّة، بعدها قالوا: سحر وساحر، شاهدُنا إذا ما كان يوجد عقل صحيح ولو أسلم فإنّه يرتدّ! فهذا السرّ لا يُعطى لكل فرد، حتى إن بعض الناس يأتون بمسبّاتٍ لأهل الله؛ تكلّموا بقضية من القضايا أو كرامة من الكرامات، الناقل يحكيها ويفضحها، والناس لا يعترضون عليه يعرفون عقله صغيراً يتكلّمون عليه وعلى الشيخ وحتى على الله وعلى الكرامات وربّ الكرامات! الشيخ أعلم لمن يُظهر الكرامة، أعلم بالناس، لا يظهرها إلّا للعاقل، بحيث لو أُجبر على البيان لما بيَّنها، والوجود كلّه أسرار، الّذي يبيح بالسرّ يباح دمه، إذا جئناكم بشيء من الكرامات حتى نبين لكم عظمة الرب جل جلاله.. هذا سيّدنا عمر حمل السيف لقتل رسول الله ﷺ (لا يبالي من الصغير ولا من الكبير) ملأ أبو جهل آذانه كلاماً قال: أنت تكون عمر ومحمّد يكذب علينا ويأخذ الناس من عندنا ويشكّك بآلهتنا.. فحمل السيف وجاء لقتل سيّدنا محمّد ﷺ..

---

(١) ينظر: الاستيعاب (٤/١٧٥٨). وجامع كرامات الأولياء: ١٨١.

والقصة معروفة، وآمن وصار ثاني خليفة في الإسلام، جاء لقتل رسول الله ﷺ وصار ثاني خليفة في الإسلام! سيّدنا عمر قلبه ليس فيه شبهة، كان يتعبّد حسب اجتهاداته، كثير من الناس يكونون بعيدين عن الإسلام جداً لكنَّ قلبهم أقرب ما يكون للإسلام، غلبتهم العادات، ولمّا يشهد الحقيقة يرجع كما رجع سيّدنا عمر بن الخطاب.

الكرامات جزء من الاعتقادات، الّذي ما رأى في حياته كرامة كاد أن يكون عنده شك في الله! والقرآن يعد أكبر كرامة وأكبر معجزة في الوجود، أهل الله عندهم الكرامة الحقيقية هي الاستقامة ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ [هود: ١١٢]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ [فصلت: ٣٠]. فإذا واحد ما نزلت عليه الملائكة ولا تكلّم مدداً بكلام شيخه وعلومه فهو ليس مستقيماً كما هو المراد! الملائكة تنزل على الإنسان، فالكرامات كثيرة جداً)[١].

قال رضي الله عنه:

(قال الشيخ الإمام عبد الله بن أسعد اليافعي رحمه الله: «ظهور الكرامات

---

(١) ومنها رؤية سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه جيشه بنهاوند وهو على منبره بالمدينة! ونداؤه لأمير الجيش (يا سارية الجبلَ الجبل) فسمع سارية نداء أمير المؤمنين من ثلاثة آلاف ميل! فرقى الجيش الجبل، ونصره الله تعالى على الأعداء ينظر: كرامات الأولياء: ١٢٠، والإصابة في تمييز الصحابة (٣/٦).
ومنها: جريان النِّيل بكتابٍ من سيّدنا عمر إليه ليفيض، وعادة المصريين قبل الفتح أن يلقوا إليه أجمل فتاة! فلما أُلقِيَ فيه كتاب سيّدنا عمر فاض وانقرضت تلك المأساة، ينظر: فتوح الشام للواقدي (٢/٩٧)، وينظر: كرامات الأولياء: ١٢٠.
وما ورد عن سيّدنا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه الطيران في الهواء، وعن آخرين المشي على الماء.. وآثار وأخبار في هذا الباب لا تُحصى.

على الأولياء جائز عقلاً وواقع نقلاً، كثير في القرآن والحديث، أما جوازه عقلاً فإنّه ليس بمستحيل في قدرة الله سبحانه وتعالى بل هو من قبيل الممكنات كظهور معجزات الأنبياء، وهذا مذهب أهل السنَّة من المشايخ العارفين والنظّار الأصوليين والفقهاء والمحدّثين، وتصانيفُهم ناطقةٌ بذلك، ثمّ القول الصحيح المحقّق المختار عند جمهور المحقّقين من أهل السنَّة، أن كلّ ما جاز للأنبياء من المعجزات جاز للأولياء مثله من الكرامات، والفرق بين المعجزة والكرامة هو التحدّي، فالرسل مأمورون بالتحدّي لكن الكرامة المطلوب إخفاؤها، ولا يُرَدُّ على ذلك، ولا يصح قول من يقول إن ذلك يؤدي إلى الالتباس بين الكرامات والمعجزات، والكرامة يجب على الوليّ أن يخفيها ويسترها إلّا عند ضرورة، أو إذن أو حال غالب ليس فيه اختيار أو تقوية يقين بعض المريدين. كقصة ذي القرنين وتمكين الله له ما لم يمكّن لغيره، وقصة أهل الكهف والأعاجيب التي ظهرت عليهم رضي الله عنهم أجمعين من كلام الكلب معهم.. أهل الكهف سبعة، تجمعوا واحداً فواحداً وصاروا سبعةً، وبعدها لحقهم الكلب، أخذوا حجارةً وصاروا يضربونه يريدون أن يردوه عنهم، فنطق الكلب قال: أنا خادم لكم، أنا مبعوث حارساً لكم، أحرسكم أينما ذهبتم.. وكذلك قصة آصف بن برخيا الّذي كان تحت يد سيّدنا سليمان عليه السلام لمّا بعثه ليأتي بعرش بلقيس، جاء إلى عفريت من الجنّ وقال له: ما هي المدّة حتى تجلب لي عرش بلقيس؟ قال: قبل أن تقوم من مقامك، قال: لا، جاء إلي الّذي عنده علم من الكتاب ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ﴾ [النمل: ٤٠]، وإذا بعرش بلقيس أمامه! وكل هؤلاء المذكورين ليسوا بأنبياء لا سيّدتنا مريم ولا سيّدنا

آصف.. ومن ذلك الحديث المشهور في الصحيحين جريج الراهب، عندما كلّمه الطفل في المهد وكان بعض الناس من زمان ضد الأولياء هذا لا بدّ منه في الوجود جاؤوا راعٍ واتفقوا معه ومع زانية خبيثة أن ينام معها، ثمّ جاءها ولد، فقدّموا دعوى قالوا: هذا يدّعي أنّه راهب ونام مع المرأة! استدعوا المرأة قالت: نعم نام معي، وهذا الولد من هذا الراهب! والراهب ما عنده خبر، متعبّد لله تعالى، جاءت الحكومة والناس قال الراهب: أحضروا الولد، فقال له: من أبوك يا ولد؟ قال: الراعي! فاستدعوا المرأة.. فأقرّت المرأة واعترفت أنّهم أعطوني ودفعوا مبلغاً من المال لقاء قيامي بهذا العمل[(١)].

جرت عادة الله من زمان أن الأولياء كل شقي يعاديهم، الأولياء كلّهم كرامات، توفيقهم لذلك كرامة.. قال: ومن ذلك حديث أصحاب الغار الّذين انطبقت عليهم الصخرة، ومن ذلك ما جاء في الصحيحين أن أبا بكر الصديق ﵁ جاء عنده ضيف وجلس يأكل معه، والضيف وهو يأكل يشعر أن الطعام يزداد!».

المعجزة والكرامة نوع واحد، هذه يذوقها أهل الكرامات، لا يمكن أن تأتي الكرامة إلّا على من استقام، كما أن المعجزة لا تكون إلّا لمن استقام، كثيراً ما نُسأَل عن الّذي يضرب نفسه بالشيش أو يدخل النار أو يأكل زجاجاً أو يشرب سمَّاً.. كيف يكون هذا وهو غير مستقيم؟ القضية مركبة من شيئين: مِن عمل ومن عامل، العمل إذا ضرب أحد الناس نفسه بالشيش فالعادة يجب أن يموت، أو دخل النار يجب أن يحترق.. وهناك

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٧٦) برقم: (٢٥٥٠).

عامل، نسأل عنه أهو مستقيم أم لا؟ إذا كان غير مستقيم لا يصلي ويكذب ويغش.. هذه لا نسمّيها له كرامة، وإنما نسمّيها له استدراجاً كما قال الله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: ٤٤]، أو مكراً إلهياً، لكن الكلام على الأول وهو العمل، الناس ما عندهم هذا الفهم والفقه خصوصاً العوام..

كان في مصر نصرانيٌّ يكاشف، والناس يقولون عنه إنّه ولي! وكان في الأزهر من العلماء الصالحين مَن قال: سأَقتُلُه وأخلّصُ الناسَ منه، كيف يصير نصراني ولياً؟ أخذ السكين وذهب إليه، طرق الباب فقال النصراني مِن خلف الباب: يا عالمِ المسلمين ارفع السكين! رمى السكين وفتح له الباب، قال له: بِمَ نِلتَ ذلك؟ قال النصراني: بمخالفتي لنفسي، قال له عالمِ المسلمين: أَسلِمْ، فأطرق قليلاً ثمّ قال: أشهد أن إلٰه إلّا الله، وأشهد أن محمّداً رسول الله، قال: كيف أسلمتَ؟ قال: عرضتُ الإسلام على نفسي فأبت فخالفتُها فأسلمتُ.. افهموها لأن كثيراً من الناس كذّابون دجّالون، يُرِونكم قضايا ومسائل وخصوصاً الّذين يستحضرون الأرواح.. هذا نصراني كيف يقولون عنه ولي؟ قال عنه الناس: يكاشف؛ فاعتبروه ولياً! لا لا.. صاحب النفس لا تؤمنوا به لو مسك السمٰوات والعرش لا تؤمنوا به إذا خالف أدباً من آداب الشريعة، فكيف إذا خالف سنَّةً؟ فكيف إذا خالف فرضاً؟ قالوا: هذا ولي! النصراني أولاً يسلم بعدها يسلك طريق الولاية، أنتم انظروا إلى الشخص هل هو مستقيم في أموره؟ فهذا ولي، الولاية تأتي من الاستقامة وليس من العمل، في الهند يجد الإنسان كثيراً من البراهمة، يضعون أحدهم في صندوقٍ أربعين يوماً ويقفلون عليه لا أكل

ولا شرب.. الهواء فقط!! بعد هذه المدّة يخرج ويمشي في الهواء بهذه الرياضة وتجده يكاشف! حتى تعرفوا عزَّة الإلٰه، الإلٰه كبير، الإلٰه عظيم، فعّال مطلق، لكن هناك حدود اسمها الشريعة، نحن لا نعرف غير الشريعة التي أمرت والتي نهت، هذا عندنا المستقيم، يقولون عن النصراني إنّه ولي، وكثير من الناس غير مستقيمين حتى الصلاة لا يصلونها يسمّونه ولياً! لو كان الله يريد أن يكرمه لأكرمه بالصلاة، الصلاة مفروضة عليه فرضاً لا بدّ منها، لا يجوز ولا يصح ترك الصلاة، هذه مخالفة شرعية كبيرة، أمره بالصلاة وما صلّى، بقي لا بدّ أن تفهموا أن العمل شيء والعامل شيء، لمّا نقول كرامة أو استدراج ننظر في العامل وليس في العمل، العمل خرق عادة ليس لنا دخل فيه، ضرب نفسه بالشيش وما مات هذا اسمه خرق عادة، شرب سمَّاً وما مات هذا اسمه خرق عادة وليس كرامة، الكرامة مربوطة بالعامل وليس بالعمل، إذا كان العامل مستقيماً نسمِّيها له كرامة، أو العامل غير مستقيم نسمِّيها له استدراجاً أو مكراً إلهياً، هذه لا تنسوها!

يكذب ويغش ويأكل حراماً ولا يصلي وديّوث ولص ولا يعرف إنسانية ولا مذهباً ولا شريعةً..! لماذا ما مات إذا ضرب نفسه بالشيش أو شرب السم؟ المعجزة التي كانت في زمن الرسول ﷺ ما كنا نحن في زمانها، لا بدّ في زماننا من شيء يثبتها وهي الكرامة، ليس الغرض من الكرامة إلّا إظهار المعجزة، طالما أن رجلاً عادياً صارت عنده كرامة إذن السرّ من شيخه أعطاه إياه، هذا السرّ الّذي حمله وحماه مِن ضَرْبِ الشيش ودخول النار.. طالما آحاد الناس يعملونها إذن الرسول أولى وأولى، وهذه باقية إلى يوم القيامة حفظاً للمعجزة، الكرامة تثبت أن المعجزة صحيحة.

لا يصلّي وحتى لا يعرف كيف يتوضأ، هذا ممكور فيه (الممكور فيه معروف وغير الممكور فيه معروف) الممكور فيه لا تطمئن إليه، أنتم غير مستقيمين على الشريعة وتعملون هذه الأعمال؟ هذا ليس دين الإسلام، بهذا العمل نفَّرتم الناس عن دين الإسلام! الحجة قائمة عليكم الله أمركم بالعمل بالشريعة، ما أمركم بأكل الزجاج ودخول النار وشرب السم.. أما الآن فيضرب نفسه بالشيش ويأكل زجاجاً.. إذا تسأله إلى أين؟ يقول: الليلة جمعة عندنا فيها لعب بالشيش..! هذا لا يجوز ولا يصح وليس مقبولاً أبداً، إلّا في حالة واحدة وهي القيام بهذا العمل من أجل شخص غير معتقد حتى يتولد عنده اعتقاد أو كافر حتى يسلم، غير هذا لا يجوز مطلقاً.

أما عند أهل الله فأكبر شيء هو الاستقامة على الشريعة، لا يختلف فيها اثنان ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ [هود: ١١٢]. علينا أن نستدل لصاحب هذا العمل بصدقه ونزاهته وعفته وإنسانيته، هذا القلب يطمئن إليه، الشيخ الحقيقي الّذي يقول: أنا خادم، ويفعل ما يقول: «**سيّد القوم خادمهم**»[(١)]. الشيخ خادم فقط، الراعي له شروط، أهل الغنم يعرفون أن أول شرط للراعي أن يعرف أن الأرض مأوى ذئاب، أو أرض فيها نباتات مسمومة، أو أرض مأوى قطاع الطرق واللصوص، أو أرض أمينة ومأمونة في مراعيها «**كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته**»[(٢)].

أمّا هذا العالـمَ فلا يعرفون إذا رأوا من أحد مكاشفةً قالوا (ولي من

---

(١) ينظر: فيض القدير: (٤/ ١٢٢).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٣٠٤) برقم: (٨٥٣).

أولياء الله)! هذا لا يجوز، شرط أساسيٌّ أن تكون الكرامة من رجل صالح وليس من رجل فاسق فاجر، إضافةً إلى ذلك يصير عندهم عجب وكبر!! من أين أتاك الكبر والعجب؟ هل تقدر من نفسك أن تعمل هذه الأعمال؟ يقول: لا، إذن لماذا لا تسمِّيها فضل الله؟ لماذا عندك عجب؟ هذا من ضعف العقل، الله لمّا خلق الأرض خلقها بدون جبال فمادت واضطربت، إلى أن خلق الحق فيها الجبال رواسيَ، بقي هناك عقول غير مهذّبة ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠] هذه الآية تحكي عن الفلاسفة عن المدَّعين عن هؤلاء، الحق يردّ ﴿وَقَالُواْ﴾ (هم يوم القيامة) ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ﴾ (في حال الدنيا) ﴿مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ فَٱعْتَرَفُواْ﴾ [الملك: ١٠]. إذا واحد يقعد أينما كان ويروح ويجيء ويعمل مشيخات فهذا مقطوع لا شك ولا ريب.

أولادي، كل شيء جرى مع سيّدنا محمّد ﷺ يجري معنا، كانت الحيوانات تأتي إلى الرسول ﷺ تشكو له وتقول له إذا آذاها أحد، تقول له كل شيء، وأنتم كلّ شيء ذاقه سيّدنا محمّد ﷺ تذوقونه إذا صرتم تحاسبون أنفسكم وحتى يصل إلى محاسبة خاطره، بعدها تحكي معه الحيوانات والنّباتات كلّها تحكي معه، لا تخافوا! لا تظنّوها قضية مهمّة، لا.. كل شيء ذاقه سيّدنا محمّد ﷺ تذوقونه، لكنَّ سيّدنَا محمّداً ﷺ صادق، كان من حين الصغر يقولون: جاء الصادق الأمين، لأجل ذلك معجزته المهمّة الكبيرة أنّه كان أمّيّاً لا يقرأ ولا يكتب ولا ذهب إلى تدريس، وبلاد مكة ما كان فيها علماء ولا يفهمون، ولا فهموا عنه يوماً من الأيام أنّه ذهب إلى عالمِ حتى يتعلم أبداً، صار يتكلّم بالقرآن والمعجزات وبالأمم السابقة

والأنبياء السابقين وبالغيبيّات وبالبعث والنشور.. كلّه يتكلّم فيه ولا يبالي لأنّهم متفقون عليه ﷺ أنّه عاقل، وهي أكبر كمال للرسول ﷺ أنّه عاقل، العاقل لا يكذب، العاقل لا يعمل خيانة، العاقل إذا صار عليه الحق يقول: عليَّ الحق، وليس المقصود بالعاقل هذا ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠] أهل الذنوب بطّالون عقلهم مادّي، مثلما اخترعوا القمر الاصطناعي والصاروخ وغيره.. نحن نقول أعلى من هذا بكثير، أكثر من ذلك بكثير، بنص القرآن يصلون إلى سابع سماء! ولا بدّ ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]. أما منهم سوف يؤمنون ويتوبون حتى يعرفوا الفعّال المطلق هو الله، الصاروخ أقوى أم الذي خلقك من نطفة ثمّ جعل فيك السمع والبصر والمخيّلة والفكر..؟) انتهى من كلامه رضي الله عنه.

تنبيهات!

أ. لأولي الألباب الّذين لم تنخدش فطرتهم، معتقدي الكرامة ومحبيها، أن لا يغلوا فيها، وأن يتثبتوا في النقل ويحترسوا من الزيادة، وبعكسه تضيع عبرتها وتفقد فاعليتها.

ب. أهل العناد وهؤلاء ليس لنا معهم كلام، ولا نعتبر منهم بملام؛ لأنّهم جدليون ماديون لا نور لهم، محرومون من محبة الله ورسوله، متبرعون بالطعن بأحباب الله تعالى، وضعوا للإسلام خريطة من نسج الخيال وقيّدوها بخيوط العنكبوت، يجحدون ما تجاوز زعمهم، ويثبتون ما وافق نعتهم، لا يستندون إلى قواعد أصولية أو رأي مستقيم، ديدنهم

الإيهام بأن الأولياء كالأصنام، ولَذِكْرُ إبليسَ عندهم أَسَرُّ إلى أنفسهم من ذِكْرِ وليّ لله تعالى، نسأل الله تعالى العفو والعافية وحسن الختام.

أما ذوو العقول الواعية والآذان الصاغية فنأمل أن لا يغفلوا ورودها في الكتاب والسنّة وسير الصحابة الكرام وآل البيت الأطهار والصالحين الأخيار، وكونها تكريماً من الله تعالى لأوليائه، وإن كرم الله لا حدّ له ولا ساحل، وإنّه جلّ شأنه إذا أعطى أبهر.

فأولياء الله تعالى يسمعون بالله ويبصرون، ويتحادثون ويتصرفون بما أودع الله تعالى في قلوبهم من (بثّ رباني) وأسرار تفوق كل ما توصل إليه العلماء بالأجهزة المسموعة والمرئية والمبرمجة في عالم الأرض والفضاء.

قال سيّدنا النّبهان رضي الله عنه: (أهل القلوب لا يحتاجون إلى بيان باللسان! بل يعرفون الشيء الّذي في قلبك، حتى لو ذكرت لهم ما في قلبك وأخطأت التعبير قالوا لك: ما هكذا مرادك! بل مرادك كذا وكذا، فهم يعبرّون عمّا في قلبك بأفصح منك).

قال رضي الله عنه: (الكرامة للضعيف، من الكرامة ستر الكرامة، أهل الله يستحيون من الكرامة كما تستحيي بنت البيت من الحيض، عليكم عدم الاهتمام بالكرامة، بل بتزكية النفس، أنتم تعتقدون أن الولي هو صاحب المكاشفة فقط، وقد يكون هذا كافراً يعبد النار، الكشف خاص بأهل الله، أما المكاشفة فمربوطة بمخالفة النفس، حتى إن الكافر إذا روّض نفسه وجاهدها يصل إلى هذه المرتبة، فالمكاشفة عند البراهمة في الهند وغيرها شيء عادي، إلّا أنّهم يتريضون عليها من صغرهم).

ومفهوم الكرامة عنده رضي الله عنه يتجاوز (خرق العادة) إلى تقويم الشخصية

بالكمالات المحمّدية من شرف وكرم وشجاعة وصدق ونزاهة وإخلاص وأدب وتزكية للنفس، ليترقى على سُلّم الكمال والمعرفة والعبدية، فيؤثّر بغيره ولا يتأثر بمن دونه، ويتعدى نفعه إلى الصالح العام، بتعريف الخلق على بارئهم، تلك هي الكرامات الحقيقية[(١)].

كل ذلك من ثمرات الاستقامة، وأنوار المحبة التي تخرق الحجب، وتقشع السحب، وتنكشف للبصيرة أعلى المنازل، ليقتطف المحب أطيب المناهل، ويكون فريد عصره وأوانه، وخزينة أسرار الله تعالى في أهل زمانه، ينجذب إليه أولو الألباب، ويرجع إليه من طلب الصواب، ولا بدع ولا غرابة في ذلك فإن الله تعالى يقول في الحديث القدسي: «**من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب مما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الّذي يسمع به، وبصره الّذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأجيبنّه، ولئن استعاذني لأعيذنّه**»[(٢)]. فمن تحقق بأذواق الحديث سيكون بلا شك من الأفراد، ويفتح عليه بالعجب العجاب، وسيّدنا النّبهان ﵁ يؤكد تحققه بتلك المرتبة ويقول: أنا عجيب، وأمري عجيب عند كل عجيب أنا غريب، وأمري غريب عند كل غريب.. أنا نادرة في الأزمان.

---

(١) حدّثنا الحاج أحمد الزيات الحلبي أحد تلاميذه ﵁ قائلاً: سألني شخص بحلب: ما هي كرامات الشيخ النّبهاني؟ فقلت له: أتعرف قاطع الطريق فلان الّذي كان يسرق ويقتل وو...؟ قال: نعم، قلت له: تاب إلى الله تعالى وأصبح من الصالحين على يديه ﵁، وأنا أيضاً إحدى كراماته، كنتُ كذا وكذا، واليوم كما ترى، قال: يكفي هذه من أكبر الكرامات.

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٨٤) برقم: (٦١٣٧).

ولا بدّ للغريب العجيب أن تظهر عنه العجائب والغرائب من الكرامات.

ولأن الناس كل الناس تميل إلى الكرامة الظاهرة وتستأنس بها، وهناك من لا يعرف من سير الأولياء الأكابر غير كراماتهم، وكراماته رضي الله عنه كثيرة كالمطر، بل الصادق معه يشهد منه كرامات كالمطر، لذا نورد بعض ما توثق لدينا منها عياناً أو إخباراً:

١ - فمما مَنَّ الله تعالى به عليه اجتماعه بالأنبياء والأولياء والملائكة والجنّ، ومن إخباراته رضي الله عنه في هذا الباب: (أنا من رجال لو غاب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين).

٢ - سأل الشيخُ محمود مهاوش الكبيسي سيّدَنا رضي الله عنه عن اجتماعه بالأموات؟ فقال رضي الله عنه: تسأل عنّي أم عن غيري؟ قال: سيّدي أسأل عنكم وعن غيركم! فأجاب رضي الله عنه: بالنسبة لغيري فيجتمعون في وقت دون وقت، وأمّا بالنسبة لي فأجتمع بهم في أي وقت شئت؛ لأنني مطلق غير مقيد، وأنا الوارث المحمّدي.

٣ - حدّثنا الحاج عمر ططري الحلبي التركي قال: أيام كان سيّدنا رضي الله عنه ينام في الجامع صيفاً كنت أضع سريري قريباً منه لخدمته، شهدت يقظة مشهدين:

الأول: زاره فيه سيّدنا أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه وجمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، جلسوا عنده ساعة من الوقت، وتحدثوا ثمّ انصرفوا.

والثاني: حضر عنده الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي رضي الله عنه، فأراد الوضوء فأمرني سيّدنا رضي الله عنه فأحضرت له الإبريق فتوضأ.

٤ - حدّثنا الشيخ الدكتور محمود بن أحمد الزين الحلبي[(١)] قال: حدثني الحاج وجيه السيّد[(٢)] بحلب أنّه حج وحضر دعوة في المدينة المنورة، فدخل أحد الشيوخ المدّعين من حلب فنهض الحاج وجيه ليجلسه مكانه فإذا بسيّدنا النّبهان يقظة يقول له: حاج وجيه، ابرك هذا مكانك. فلمّا رجع الحاج وجيه من المدينة إلى حلب حضر مجلساً لسيّدنا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في الكلتاوية قال له: حاج وجيه، ابرك هذا مكانك، مذكّراً إياه بما جرى له في المدينة المنورة.

٥ - وحدّثنا منشد سيّدنا الأستاذ الحاج محيي الدين أحمد قال: كان لي صاحب فيلسوف، وقد أشكلتْ عليه أمور كادت تصل به إلى الكفر، فذكرت ذلك لسيّدنا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال لي: جئني به غداً ليفطر عندنا فحضرنا في اليوم التالي، وعلى مائدة الإفطار كاشفه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بجميع ما عنده وأجابه دون مباشرة منه بسؤال، ثمّ قال له: هل بقي عندك شيء؟ قال: لقد أجبتني يا سيّدي على كل ما أشكل علي وزيادة، ثمّ تاب من ساعته وهام في محبة الله تعالى ورسوله.

٦ - اشتهر عنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إذا توقفت السيارة بسبب نفاد وقودها أنّه يبصق في خزان الوقود ويقول: بسم الله ثمّ يأمر السائق بمتابعة السير.

حدّثنا منشده رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الحاج محيي الدين بن أحمد الحلبي قال: حدّثنا الحاج عبد السلام بن عبد الحميد قمري الحلبي قال: صحبت سيّدنا

(١) أحد تلاميذه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، مدرّس في دار نهضة العلوم الشرعية سابقاً، وكبير الباحثين في دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث في دبي.
(٢) أحد تلاميذه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ المعروفين بصلاحهم وكرمهم.

النّبهان رضي الله عنه بسيارتي في سفرة من حلب إلى الرقة، وأثناء عودتنا نفد وقودها بعد مسيرة ثلاثين كيلومتراً وإن أقرب محطة على بُعد مائة كيلومتر! والمطر ينزل، فنزل عبد السلام يتفحص ماكينتها، وتذكر عمل الشيخ أحمد الحارون في حالة مماثلة إذ تبول فيها واشتغلت!

وإذا بسيّدنا رضي الله عنه داخل السيارة ينادي به يا عبد السلام، تعال هنا! شغّلْ سيارتك، قل بسم الله الرحمٰن الرحيم، نحن لا نعمل كما عمل غيرنا! قال عبد السلام: سيّدي، حتى نصل محطة تعبئة الوقود، فاشتغلت السيارة، ولم تتوقف إلّا عند أول محطّة للوقود، قال: سيّدي انتهى البنزين! قال رضي الله عنه: أنت طلبت إلى المحطة، ولو طلبت لآخر الدنيا لبقيتْ!.

٧ - وتجمّعت أيام إعادة بناء الجامع أنقاض في الساحة، يُكلِّف إخراجها مبالغ باهظة آنذاك، بسبب كثرتها وعدم تمكن الناقلات من وصولها، فأمر رضي الله عنه بتركها، فحدث خسف جوار الأنقاض واستوعب الفائض كلّه!!

٨ - حدّثنا الحاج علي بن أحمد الحلبي طباخ سيّدنا رضي الله عنه في قرية تويم قال: لمّا اكتمل بناء منارة جامع الكلتاوية وضعنا في أعلاها قاعدة إسمنتية لغرس العمود الّذي ينتصب الهلال فوقه فرأى رضي الله عنه بعض إخواننا منهمكين في تصعيد الماء لسقي القاعدة، فأوقفهم قائلاً: الله يسقيها ولم تمض إلّا دقائق حتى خيّمت فوق المنارة غيمة، فسقتها.

٩ - كنت جالساً في غرفة الضيوف بالكلتاوية مع ابن سيّدنا رضي الله عنه أحمد رحمه الله فدخل رجل في السبعين من عمره عليه هيبة

ووقار، ذو لحية بيضاء، وعلى رأسه طربوش التجار، وفي أذنه جهاز للسمع، ولم أتعرف إلى اسمه، فذكر مسألتين، حفظتُ واحدة ونسيت الأخرى، قال: أنا شيخي في الطريق ليس هو الشيخ النّبهاني، ولكني أقولها إنصافاً حصل عندي شك بالشيخ ﵁، فجمعني الله تعالى بالشيخ في بستان الكرِم، فإذا بجسمه يكبر حتى صار بحجم هذه الغرفة! فخفت وارتعبت، فقال ﵁ : أآمنت؟. قلت: نعم، ثمّ عاد إلى حالته الأولى!!

١٠ - حدّثنا الشيخ عمر الملاحفجي الحلبي قال: أمرني سيّدنا ﵁ أن أدعو بعض الشيوخ والوجهاء في حفل افتتاح جمعية النهضة الإسلامية الّذي أقامه ﵁ في جامع الكلتاوية، فذهبتُ إلى المنشد الكبير بكري كردي فقال لي: لقد اعتزلت الحفلات، فرجوته كثيراً، فرفض. ثمّ عدت وأخبرت سيّدنا ﵁ برفضه للدعوة، فقال ﵁ : اذهب إليه وقل له: بالغصب عن رأسك ستحضر وتقيم الحفلة. فرجعت إلى بكري فوجدته يتلو القرآن الكريم وهو مضطجع على سريره فقلت: أخبرت سيّدنا النّبهان بامتناعك، فقال: اذهب إليه وقل له: بالغصب عن رأسك ستحضر. . فانتفض من سريره مرتعباً وجثا على ركبتيه! ووضع يديه على رأسه! وقال: هكذا قال الشيخ؟ قلت له: نعم، وهكذا أمرني أن أقول لك!! قال: سأحضر على رأسي قبل رجلي. قلتُ: لِمَ لمْ تستجِبْ في المرة الأولى وقد كررت عليك الرجاء؟ وإلى أن سمعت كلام الشيخ بالغصب عن رأسك وافقت؟ قال ﵀: الشيخ له حق عليّ كبير، وله معي قضية مهمّة. .

فمنذ خمسة وثلاثين سنة كانت لنا جلسات معه، فمرض ولدي الوحيد مصطفى، فأخذته إلى طبيب للمعاينة، فدعا لجنة أطباء فاتفقوا أن لا فائدة من علاجه، وقالوا: انتظر موته فإنّه في خطر شديد! وانقطع عن الأكل والشرب والكلام، فبقيت وزوجتي بأشرِّ حال ننتظر النهاية، وحان موعد جلستنا مع الشيخ حفظه الله، فتأخرت، فسأل عني: أين بكري كردي؟. قالوا: ولده يحتضر. قال: ائتوني به. فلمّا حضرت وأنا بأسوأ حال، قال: ما بك؟. قلت: سيّدي، ولدي مصطفى يحتضر، والأطباء قالوا: لا أمل في حياته، وانكسرت وبكيت! فأطرق رأسه الشريف لحظات، ثمّ قال لي: يا بكري، رجونا لك الحضرة الإلٰهية أن لا يموت ولدك فداخلني الاطمئنان، وأحييت الليلة عنده بالنشيد والذكر. ولمّا رجعت إلى البيت قرأتُ البشرى على وجه أم مصطفى، قالت: أبشّرك منذ قليل استيقظ مصطفى وطلب الماء! وفي اليوم التالي كأنّه نشط من عقال! فقابلني بعض الأطباء الّذين عاينوه، وسألوني: أمات أم لا؟ قلت: الحمد لله، في تمام العافية! فلم يصدِّقوا حتى رأوه. قال بكري: فكيف لا أذهب والشيخ يطلبني بنفسه؟

١١ - حدَّثنا الأستاذ حسان فرفوطي الحلبي مدرّس في الكلتاوية ومن تلاميذه رضي الله عنه قال: صحبت سيّدنا رضي الله عنه ليلة الخامس من حزيران سنة ١٩٦٧م في سفرة إلى قرية البويدر، فرجعنا بالسيارة الساعة الحادية عشرة والنصف ليلاً، وإذا به رضي الله عنه يصرخ بقوّة: ويلك عبد الناصر اضرب، ويلك عبد الناصر اضرب، ويلك عبد الناصر اضرب! ولم

نعرف ماذا حدث! وفي الصباح هجمت إسرائيل على مصر والضفة الغربية، وانتهت المعركة بخسارة جمال عبد الناصر والعرب كلّهم.

١٢ - حدّثنا الحاج حسين علي النّبهان قال: حدّثنا الحاج حسن حاضري أنّه اتفق مع سيّدنا ﷺ على إحياء أرض (بوار) عائديتها للحاج حسن، فاشترى الحاج حسن الحنطة، وبذرها أحد إخواننا الفلاّحين يدعى الحاج علي الحميدي، ولمَا آن الحصاد ظهر الحاصل شعيراً! فأخبر علي الحميدي صاحبه الحاج حسن بواقع الأمر، فوقف على الحاصل بنفسه وفركه، ثمّ أرسل إلى سيّدنا النّبهان ﷺ يخبره. فحضر ﷺ ومعه الشخصان، فقال الحاج حسن: سيّدي، نحن ماذا بذرنا؟ أجاب ﷺ: بذرنا حنطة. قال: لقد انقلب الحاصل إلى شعير! قال ﷺ: افرك السنبل فإذا به حنطة وليس شعيراً! قال ﷺ: سيّدي، إن الّذي قلبه حنطة هو الّذي قلبه شعيراً.

١٣ - حدّثنا الحاج حسين علي النّبهان أيضاً قال: حضر عند سيّدنا ﷺ وكيله على الزراعة في قرية الجابرية بضواحي حلب ومعه الحاج حسين عبد الحي وقالا: سيّدي، الأرض زُرِعت وبحاجة إلى سقي، قال ﷺ: ولدي، صاحب الزرع هو يسقي الزرع، نحن ما لنا علاقة بالزراعة فجاءت الزرعَ غيمةٌ على سعته فسقت المزرعة ولم تتجاوز لغيرها!

١٤ - حدّثنا الحاج عبد العزيز عبد الرزاق الغرس الكبيسي قال: طلبت من سيّدنا ﷺ أن يعمل لي استخارة بزواجي من (أم خالد) رحمها الله، فقال لي: نتيجة الاستخارة ستتعب! والاستخارة لا تنفع فذهبت إلى

الشيخ ياسين سريّو المؤقت الولي في جامع سيّدنا زكريا عليه السلام، فأجرى لي استخارة، وقال لي: (ستتعب) وبقيت أريدها! فرأيت سيّدنا النّبهان رضي الله عنه في المنام فقال لي: قل: حسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم، ربّنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم، وتكرر بها حتى تنام، وترى نتيجة الأمر الّذي تريده! فامتثلت لما أمرني، فرأيت ليلتها في المنام (كورة قير) تحتها نار!! ومع هذا خالفتُ الاستخارة وتزوجت من (أم خالد)!! وفي سنة 1965م تحققت نتيجتها بحادث اصطدامنا في سيارة على الطريق بين سوريّة ولبنان، وتوفيت زوجتي رحمها الله، وأتعبني الحادث.

١٥ - حدّثنا الشيخ المهندس عادل سعود العاني من الفلوجة بالعراق قائلاً: في أول سفر إلى حلب وعلى مائدة الإفطار مع سيّدنا النّبهان رضي الله عنه صارت رقبتي تدور من دون رأسي وبقيّة أجزاء جسمي! ولأكثر من دقيقة، فالتفت إليّ رضي الله عنه قائلاً: كلْ ابني كلْ، فتوقّف الدوران!!. وقبل قدومي إلى حلب كنت أقرأ في بعض كتب الصوفية أن جسم سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتطاول! ولمّا أن انتهت وجبة الإفطار خرج رضي الله عنه تجاه غرفة وعظه فرأيته يمشي بضعف طوله! حتى إذا وصل باب الغرفة عاد لهيئته! وقبيل الظهر نهض رضي الله عنه لأداء الصلاة، فرأيته في المسجد كواحد من أعمدته طولاً! حتى إذا وقف في المحراب عاد لهيئته. وبعد أن انتهت حلقة ذكر الجمعة كان طلبة العلم في عرض المسجد بصفين يمرّ بينهما دون تضييق، فإذا هو

أقصر من في الصفين!. وأثناء انصرافه بعد العشاء إلى البيت رمى بجسمه الشريف عليّ وهو يمشي! فإذا به رضي الله عنه كالقطن الأبيض، جسدٌ لا يمسك، وحاولت وقتها مسكه فلم أتمكّن، بل وجدت نفسي متعلقاً به وهو يمشي دون أن أشعر بثقل لجسمه رضي الله عنه.

وأضاف السيّد عادل قائلاً كان سيّدنا رضي الله عنه يتحدّث عن لطافة سيّدنا محمّد صلى الله عليه وسلم فقال خادمه الحاج مصطفى سروجي وسيّدنا رضي الله عنه يستمع إليه في وقت مضى كان سيّدنا حفظه الله يغسل يديه وأنا إلى جنبه، فإذا بالدم يخرج من تحت أصابعه العشرة! فقلت: ما هذا الدم يا سيّدي؟ فأجاب رضي الله عنه: اثنان من إخواننا تشاجرا، فاحتملت عنهما!!.

١٦ - حدّثنا الحاج جاسم محمّد عبد الله الفياض الكبيسي من العراق(١) قال: التقيت بأحد مريدي الشيخ يوسف بن إسماعيل النّبهاني اللبناني رحمه الله في بيروت فقال: نزلت إلى شاطئ البحر في بيروت، فرأيت حوتاً تهتف بلسان عربي فصيح: يا ابن نبهان، يا ابن نبهان!!

(١) الحاج جاسم محمّد عبد الله الفياض رحمه الله تعالى: ولد سنة ١٩٢٧م في مدينة كبيسة في العراق، تعرّف إلى سيّدنا رضي الله عنه عن طريق الشيخ محمود مهاوش الكبيسي رحمه الله تعالى حيث كانت له تجارة معه ثمّ انفصل عنه، أقام في حلب سنة ١٩٥٤م إلى سنة ١٩٧٦م قال عنه سيّدنا رضي الله عنه: جاسم صادق، هو ابن أبيه وأبو أبيه! حدّثنا الدكتور نوفل ناصر عبد الحميد الناصر من حلب قائلاً: حدثني الحاج جاسم محمّد الفياض بحلب: أنه عُرِض عليه من دولة أهل الله تعالى أن يكون بوظيفة بدل، فقال لهم: أنا لا أكون موظفاً! فقال له موفدهم: لك مهلة لمدّة سنة، وبعدها ليس لك من الأمر شيء! اهـ. وبعد رجوعه من حلب إلى العراق زارني بمكان إقامتي في الجامع الكبير في الفلوجة فقال لي: بلغني أنك تكتب عن سيّدنا النّبهان رضي الله عنه فأرجو أن تدوّن عني أنني رأيت سيّدنا رضي الله عنه بعد وفاته بين اليقظة والمنام فسألته: سيّدي ماذا فعل الله بك؟ فأجابني: ما خرجت من الدنيا حتى شفّعني الله في أهل زماني!.

فرجعت إلى شيخي يوسف بن إسماعيل ﷺ خائفاً مندهشاً، فحدثته، قال: تعال معي إلى المكان الّذي رأيتَ وسمعتَ، حتى إذا وصلنا كانت الحوت لا زالت تنادي: يا ابن نبهان يا ابن نبهان فخاطبها شيخنا: أوَ تعنيني؟ فأجابت: لا بل نبهان حلب!

١٧ - حدّثنا الدكتور عبد الله عبد العزيز محمود ناشد الحلبي قال: حدّثني جدّي الحاج محمود الناشد: أنّه كان يقود السيارة في سفرة مع سيّدنا ﷺ عائداً إلى حلب من إحدى القرى، فاعترضت السيارة سكّة القطار، واحتجزت عجلاتها بين قضبانها فتوقفت في وقت كانت فيه صافرة القطار تنذر بالوصول، فطلب جدّي الحاج محمود من سيّدنا ﷺ أن يترجل، فأبى، ثم أنزل منديلاً من فوق عمامته إلى وجهه ﷺ حتى إذا لم تبق إلا عشرات الأمتار عن وصول القطار رفع المنديل عن وجهه وأشار إلى مقدّمةِ القطار قائلاً (قف!!!)، فإذا بالقطار يتوقف عن سيره لكن عجلاته تتحرك بمكانها على السكّة فنزل كل من في القطار حتى سائقه واجتمع أهل القرية القريبة مع المسافرين الذين نزلوا من القطار وهم مندهشون بما رأوا، وأخذوا يقبلون سيّدنا ﷺ ويتمسحون بملابسه ويتبركون ويطلبون منه الدعاء. ثم رفعوا السيارة من بين القضبان فانطلقت من فوق السكّة دون عطل يذكر حتى وصل ﷺ ومن معه إلى حلب سالمين، وبعد أيام! أرسلت مديرية السكك الحديدية في حلب استفساراً إلى الشركة التي صنعت القطار في ألمانيا: هل حدث مثل ذلك في تاريخ القطارات؟ فأجابوا: لا!!. ثم أعقبوا ذلك بخطاب إلى جدّي الحاج محمود

الناشد يطالبونه بغرامة مالية مدّعين أنّه تسبب بتأخير رحلة القطار والمسافرين لأكثر من نصف ساعة ولا زال خطابهم هذا محفوظاً لدينا.

وأضاف الدكتور عبد الله عبد العزيز الناشد قال: حدثني جدّي الحاج محمود الناشد رحمه الله أيضاً أنه صحب سيدنا رضي الله عنه في سفرة فنفد وقود السيارة فلم يتمكن من الحصول على بنزين فسأل سيدنا: ماذا يصنع؟ فنزل رضي الله عنه من السيارة وهي (دوج بيضاء) فطلب من جدّي أن يفتح خزان الوقود ثم قال: (نحن لا نفعل مثلما كان يفعل الشيخ أحمد الحارون رحمه الله حينما تتوقف فيه السيارة يتبول في خزانها فتمشي ولكن نقول بسم الله)، ثم بصق رضي الله عنه في خزان البنزين وقال لجدّي: (اسحب بنا) أي تحرّك فسرنا دون توقف حتى إذا قطعنا مسافة تزيد على مائة كيلومتر رأينا محطة للوقود فسأل جدّي سيّدَنا رضي الله عنه: هل نتزود بالبنزين أم نبقى سائرين فأجابه رضي الله عنه: (تَزوّدْ.. لا نريد أن نكون مع الله تجاراً). ولهذه الحادثة ما يماثلها في الكرامة رقم (٥).

١٨ - حدثني الشيخ شريف حمد الراوي من الفلوجة بالعراق قال: كنت عند سيّدنا رضي الله عنه في قرية تويم، فخرج رضي الله عنه على عادته ينادي قبل الفجر من فوق سطح داره:

يا عزيز أنت العزيز وأنا الذليل، فمن للذليل سواك.

يا قادر أنت القادر وأنا العاجز، فمن للعاجز سواك.

إلى آخر المناجاة...

وفي صباح اليوم التالي حضر عنده أحد إخواننا في القرية فقال: سيّدي، رأيت الليلة الماضية عجباً! عندما كان جنابكم ينادي قبل الفجر كانت تأتي مجاميع من الطيور البيض بوجوه بشر، كلّما جاءت واحدة دارت حولكم ذهبت لتأتي مجموعة أخرى، وأنا تكلّمت بهذا لبعض إخواننا فلم يصدِّقوني! فقال رضي الله عنه: هذه لك لا لغيرك، أنت تراها وغيرك لا يراها.

١٩ - حدّثنا الشيخ محمّد يحيى الطرابيشي رئيس اتحاد جمعيات حلب سابقاً قائلاً: سمعت الشيخ منير حدّاد خطيب جامع الكلتاوية يتحدث مرّتين من على المنبر في خطبتين أن الشيخ معروف الدواليبي كان يقول لسيّدنا رضي الله عنه: يخطر لي أن أبقى في حلب أو دمشق لتدريس علوم الفقه الإسلامي، فيجيبه رضي الله عنه: يا شيخ معروف، مكانك ليس هنا، بل في شرق آسيا، وبعد وفاة سيّدنا رضي الله عنه سافر الشيخ الدواليبي لمعاينة طبيب في اليابان دخل على إثرها المستشفى بطوكيو، فحصل بينه وبين مديرها حوار أدى إلى إسلامه ثمّ تبعه الأطباء والعاملون جميعاً، ولم يغادر سرير نومه حتى أصبح الطابق الثاني مسجداً! في طوكيو، وأكبر بذرة للإسلام هناك، إذّ ذاك فهم الدواليبي كلام سيّدنا مكانك ليس هنا، بل في شرق آسيا!

٢٠ - حدّثنا السيّد شفيق عرميط محمّد آل الشيخ عبد القادر الطيار الآلوسي الجيلاني رحمه الله من بغداد قال: كنت موظفاً في مرسلات الإذاعة في أبي غريب، وقد توفي شيخي علاء الدين النقشبندي رحمه الله منذ زمن وبقيت ثماني سنوات أدعو الله تعالى قبل الفجر: (اللهمّ دُلَّني على من

يدلّني عليك، اللهمّ عرِّفْني على من يعرّفُني عليك)، حتى إذا اشتهر ذكر السيّد النّبهان ﷺ خرجت من بغداد دون جواز سفر أو إجازة من الدائرة، ووصلت إلى مدينة القائم على الحدود مع سوريّة، وحاولت الحصول على بطاقة عبور من (القائم مقام) فلم أتمكن.. وهو ما زادني لهفاً وحزناً، وغلبني البكاء، فإذا بالسيّد النّبهان ﷺ أمامي يقظة، رأيته جسداً نورانياً كما ترى الصورة في التلفاز، فلبث لحظات ثمّ اختفى. وجاوزت سراي الحكومة فالتقيت بصاحب تجمعني معه صداقة قديمة، كان ذلك هو الحاج إسماعيل حنتوش عريم مدير دائرة نفوس القائم، فرحب بي، واستضافني، وصار يحدِّثني عن ظهور صوفي كبير في حلب اسمه الشيخ محمّد النّبهان، ويحثني على السفر إليه وهو لا يعلم القصد من مجيئي هناك. قلت: وكيف أجتاز الحدود؟ قال: أنا آتيك ببطاقة العبور. ودخل البيت ليحضر الطعام، فإذا برقية على أذني من الشيخ محمّد النّبهان بحلب: ادفع إلى إسماعيل عشرة دنانير! وبعد أن تناولنا الطعام، قلت: يا أخي يا إسماعيل، هذه عشرة دنانير هدية لك وبقي عندي مثلها فأخذتْه الدهشة، ورفض بادئ الأمر، فألزمته بقبولها فطلب منّي أن أخبره بالسبب، فأنبأته بالبرقية. فقال: واللهِ يا أخي، منذ شهرين وأنا بحاجة إلى عشرة دنانير لإجراء جراحة في اللوزتين فلم أجد من يقرضني! ثمّ استحصل لي الموافقة بالسفر وغادرت إلى حلب.

وحظيت برؤية السيّد النّبهان ﷺ وتشرفت بخدمته، واستمعتُ لدروسه شهرين كاملين، وفي إحدى مذاكراته ﷺ سمعت هاتفاً يقول

لي وأنا في حضرته: (دللتك عليهم فتمسك بهم فسألته رضي الله عنه كيف أتمسك بكم سيّدي؟ فأجاب رضي الله عنه: بالاتباع)[١].

وتعلق قلبي به رضي الله عنه، فراودني شك أن الشيخ علاء الدين النقشبندي رضي الله عنه المتوفى سيغضب عليّ بسبب تغير مشربي، فرأيته في المجلس وإذا بالسيّد النّبهان يقول لي: الطريق واحد. وبعد أن أمضيت شهرين في حلب، رجعت إلى بغداد فرأيت شيخي علاء الدين في حلقة الذكر فقال لي: هنيئاً لك يا ولدي، هو أعلى مني!.. ثمّ إنني زرت سيّدنا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه فقال لي: هنيئاً لك يا ولدي!

٢١ - كاتبنا الشيخ حسين كنّو إمام وخطيب جامع بانقوسا في حلب ومدرس الفقه الشافعي في الكلتاوية والعمدة في الإفتاء قال: سمعت الحاج أحمد جمعة محمّد، أحد فلّاحي سيّدنا رضي الله عنه يقول: كنت في جامع الكلتاوية فقال لي سيّدنا رضي الله عنه: صلّ الظهر في الجامع ثمّ انزل إلى بيتي، فنزلت بعد الصلاة فوجدته رضي الله عنه لابساً الجبة والعمامة وقال لي: امشِ معي حتى إذا وصلنا الشارع وجدنا سيارة (الحاج حسن دانيال) تنتظرنا في الساحة، فركب رضي الله عنه وسافرنا معه إلى قرية (شويحة) جنوب حلب، وحين وصلنا قال للسائق: مِن هنا... مِن هنا... فاتجهنا إلى دار شرقها، فوجدنا الباب مغلقاً ولم نر أحداً، فوقفنا عندها، فأوعز للسائق أن يضرب بمزمارها، ففُتح الباب

(١) ولقد أخذت هذه الرواية من طرفها الثاني الحاج إسماعيل حنتوش عريم رحمه الله تعالى، فحدثني بما أخبرني به السيّد شفيق رحمه الله تعالى لغاية اجتياز الحدود إلى سوريّة.

وخرج منه نحو عشرة أشخاص من إخواننا، وكانوا يتحدثون عن سيّدنا ﷺ ويتذاكرون أحواله وأقواله، فسلّموا عليه ﷺ، ثمّ حضر جمع من نساء القرية فأمر الرجال بالعودة ومشى نحو النساء وهو ممسك بيدي ولم يتركني، ثمّ سألهن عن (عويّد الكسار) الذي يرعى البقرات، فقلن: ذاك هو، وأشرن بأيديهن غرباً، فإذا به على بعد ثمانمائة متر تقريباً، والبقرات بجانبه ترعى، وحين وصولنا إليه جاءت البقرات نحوه مسرعة وهي تخور... فمشى قليلاً إلى الأمام حتى وقف في مكان سهل منبسط، وكلما وصلت بقرة منها جعلت تشمّ سيّدنا ثمّ تطوف حوله وتخور خافضة ورافعة رأسها، حتى اكتمل وصول البقرات جميعاً، فشكلّت حوله دائرة من عشر بقرات،... حتى وصل الراعي (عويّد) فسلّم على سيّدنا ﷺ وقبّل يده، ثمّ قال له: خذها يا بني فوقفت كل واحدة منها مكانها صامتة، ثمّ تحركت باتجاه المرعى الذي كانت فيه بدون أن يسوقها أحد!

٢٢ - حدَّثنا وكتب إلينا بخط يده الحاج تحسين رزيك محمّد المولى الهيتي[١] قائلاً: من كراماته ﷺ أنّه عندما كنا نسير معه كأن الأرض تطوى له، ونحن نسير خلفه ولا نلحق به.

٢٣ - حدّثنا وكتب بخط يده الحاج محمّد يحيى الطرابيشي الحلبي رحمه الله[٢]

---

(١) الحاج تحسين رزيك محمّد المولى الهيتي: ولد في مدينة هيت بالعراق سنة ١٩٣٩م تشرف بصحبة سيّدنا ﷺ سنة ١٩٦٧م.

(٢) الحاج محمّد يحيى الطرابيشي أحد مجالسي سيّدنا النّبهان ﷺ ينتسب إلى الفرع الحسيني من آل بيت الرسالة المطهر، وكان يشغل منصب رئيس اتحاد الجمعيات في حلب، رحمه الله آنسه الله.

قال: لي صديق حميم من الشام هو الدكتور عبد السلام كنعان، رغب بترشيح نفسه للنيابة، وحيث إن الترشيحات تعتمد على الأحزاب والمنظمات، ولم يكن للرجل صفة حزبية أو سياسية أو عشائرية تمكنه من الفوز، بل هو رجل غير معروف في حلب أصلاً، قيل له إذا أردت الترشيح فعليك أن تذهب إلى الشيخ النّبهاني! قال الشيخ الطرابيشي رحمه الله: فاستأذنتُ سيّدنا رضي الله عنه لمقابلته، فأذن بعد أن سألني عنه، فذكرت للشيخ صفاته وأثنيت عليه. فلمّا حضر عنده قال له رضي الله عنه: حدّثني أنت عن نفسك، فذكر له نحو ما ذكرت، فأمره بالترشيح. وبعد أيام كانت الانتخابات، والعادة أن صناديق الترشيح تكون في المساجد، فاصطحبته إلى المراكز الانتخابية نتعرف إلى آراء الناس، وتنقلنا من مسجد لآخر نسأل هذا وذاك: من تنتخبون؟ فكلّما مررنا بمركز كان جوابهم عبد السلام كنعان، عبد السلام كنعان، ونسألهم: هل تعرفون عبد السلام كنعان؟ فيجيبون: لا ولكننا لا ننتخب غيره! فطار عقل الرجل، وعرف صنيع السيّد النّبهان رضي الله عنه وفاز في الانتخابات، ولم يصبح نائباً فحسب بل وزيراً للمالية!

٢٤ - حدّثنا الحاج علي ناصر عبد الحميد ناصر من حلب وكتب إلينا بخط يده فقال: كان الحاج سليم عبد الحميد محمد التبّان(١) أحد

(١) المرحوم الحاج سليم بن عبد الحميد بن محمد آل السلطان سيدنا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه ولد رحمه الله سنة ١٩٠٧م في منطقة قاضي عسكر جِبّ الأحمدي في حلب الشهباء، تشرف بصحبة سيدنا رضي الله عنه عام ١٩٤٠م وبقي ملازماً له متابعاً لدروسه ومذاكراته مرافقاً له في أغلب أسفاره وتنقلاته لا سيما في رحلته إلى الحج وإلى القدس الشريف إضافة إلى القرى المجاورة لحلب وشهد معه الكثير من المواقف وهو صادق في صحبته =

الشركاء في محل تجاري في منطقة المدينة وبداخل خان العلبية تحديداً وجيرانه هناك يعملون بالأقمشة والخيوط والأصباغ أما الحاج سليم فيعمل عطاراً بـ(الشاي، والبن، والتوابل، والكمون..) فأصر شركاؤه على حلّ الشركة، فقال: أذهب وأسأل سيّدنا النّبهان ﵁ هل أبيع حصتي أم أشتري؟ (وعادة الحاج سليم أنّه يستشير سيّدنا في الصغيرة والكبيرة) فجاء إلى الكلتاوية، وسأله فأجابه قائلاً: يا حاج سليم، اشترِ المحل ولو بالدَّين! فالرزق تابع لك، وتلا الآية الكريمة ﴿فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا﴾ [الكهف: ١٦]، مع أن واقع حال السوق الّذي هو فيه خلاف ذلك؛ وأن جيرانه تجّار خيوط وأقمشة، فامتثل الحاج سليم واشترى المحل، وإذا بالخيرات تفيض عليه وكان الزبون يأتي مبكراً من الجزيرة ليشتري من محل التبّان حصراً! وما زال والحمد لله كذلك.

٢٥ - وحدَّثنا أيضاً: دعا الحاج سليم تبان ﵀ سيّدنا ﵁ إلى العشاء في بيته، وبيته في محلة الجبيلة القريبة من الكلتاوية، وفي الطريق توقف ﵁ وقال: يا حاج سليم، العشاء لم يجهز بعد! فقال له: يا سيّدي أنا أعلم أن العشاء جاهز، فقال له سيّدنا: تفضل، فلما وصلا إلى البيت وجد العشاء لم يجهز بعد، فقال ﵁ : ألم أقل لك إن العشاء لم يجهز بعد، قال الحاج سليم: آمنت وصدّقتُ!

= قال عنه سيدنا ﵁ : (الحاج سليم وليّ). وبعد أن انتقل سيدنا ﵁ إلى الرفيق الأعلى بقي على صدقه بتلك الصحبة كثير البكاء متواصل الأحزان إلى أن توفاه الأجل سنة ١٩٩٣م ﵀ آنسه الله.

٢٦ - وحدّثنا أيضاً فقال: حدّثتني والدتي أنها عام ١٩٦٨م شكت من ألم برجلها، فذهبتْ إلى أطباء كثيرين في حلب فلم تشف، فذهبتْ سنة ١٩٧١م إلى بيروت إلى مستشفى (ديو) وعرضت مشكلتها على الأطباء هناك، وبعد الكشف على موضع الألم وإجراء التحاليل اللازمة أجمع الأطباء على قطع رجلها! وقالوا: لا بدّ من ذلك، ويجب الإسراع بقطع القدم، وإذا تأخرت فربّما تبتر الساق! فقالت للطبيب المختص (د. بيطار): إذا كان ولا بدّ من ذلك دعني أنزل إلى حلب لترتيب الأمور وسأعود إليك في أسرع وقت، وعلى مسؤوليتها رجعت إلى حلب، وجاءها بعض النسوة إلى البيت فقالت إحداهن - وكانت من أتباع سيّدنا النّبهان رضي الله عنه -: يا أمَّ نوفل اعرضي الأمر على سيّدنا رضي الله عنه ،فأعطاها موعداً للّقاء في بيت الشيخ بشير حداد رحمه الله، والوقت عصراً فأخذت الوالدة تبث حزنها وتشتكي، فقال لها رضي الله عنه : يا ابنتي، ابسطي رجلك، بعد أن وضعت عليها غطاءً وأمر رضي الله عنه بعصاة صغيرة كانت موجودة في البيت وأمسك بها وأخذ يمررها على رجل الوالدة وهو يتلو آيات الشفاء وبعد دقائق قال رضي الله عنه : لا عملية ولا قطع! فطار عقل الوالدة فرحاً وقالت: إذن يا سيّدي لا داعي للعودة إلى بيروت، فقال: لا يا ابنتي، تذهبين إلى بيروت حسب الموعد هناك. . لنقول لهم: كذّابين!. فرجعت الوالدة إلى مستشفى (ديو) في بيروت إلى الطبيب المدعو (د. بيطار) فما إن رآها الطبيب حتى صرخ بوجهها: أين أنتِ؟ لأنّها تأخرتْ وهذا يضرّ بمصلحتها، فقالت: ها أنا أمامك، ووالدي بصحبتها وبجيبه الأموال استعداداً للمصروف

وللعملية الجراحية، فذهب الطبيب مرة أخرى وأجرى التحاليل اللازمة استعداداً للعملية، وبعد ظهور نتيجة التحليل الثانية أصابه الذهول لأنّه لم يجد في التحليل الأخير حاجة إلى العملية! فأمسك التحليل الأول بيده اليمنى والتحليل الثاني باليد اليسرى وأخذ يقول في ساحة المستشفى: ما في هذا التحليل يُكذّب ما في ذاك! التحليل الأول يظهر الحاجة الملحة إلى عملية القطع، والتحليل الثاني يقول: لا يوجد في القدم مشكلة تذكر، ثمّ قال: لوالدتي المناعة منك وفيك!!

٢٧ - وحدّثنا أيضاً قائلاً: كنت مع سيّدنا النّبهان ﵁ بالسيارة خارج سور المدينة وعلى طريق منطقة المسلمية، والسيارة يقودها أخي الدكتور نوفل، وسيّدنا ﵁ جالس في صدرها، وأنا من خلفه، والوقت بعد العصر صيفاً، وفجأة انطفأ المحرّك وتوقفت السيارة، فحاول نوفل تدوير المحرّك ولكن دون جدوى، فقال سيّدنا ﵁ : نوفل، ما الخبر؟ قال: سيّدي، كأنّه لم يبق في السيارة وقود. وعلى الفور أمسك ﵁ بالمفتاح وأدار المحرك، وسارت السيارة! بعد أن قال لأخي نوفل تابع السير وبعدها قال ﵁ : نوفل، لنرجع إلى الكلتاوية، فامتثل الأمر كعادته، وعُدنا إلى الكلتاوية وصعدنا بالسيارة (طلعة الفِرن) عندها نزلنا مع سيّدنا ﵁ وسرنا حتى دخل ﵁ الدار ورجعنا إلى السيارة، فأدخل نوفل المفتاح ليدير المحرك فلم تتحرك، فقلت: يا نوفل هيا نرجع إلى سيّدنا فهو يشغلها! فعبس نوفل بوجهي حباً بي وحياءً من سيّدنا ﵁ ، وكنت

في الثامنة من عمري تقريباً فغافلتُ نوفل وركضتُ مسرعاً فقرعت الباب، فقيل: من؟ قلت: حاج علي أين سيّدنا رضي الله عنه ؟ فجاء سيّدنا رضي الله عنه وقال: نعم يا حاج علي(١) قلت: سيّدي تفضل، السيارة لم يعد فيها بنزين! وأخي نوفل يراقبني من وراء الحائط القريب من بيت سيّدنا، فرآه رضي الله عنه وقال: نوفل، قال: نعم يا سيّدي، قال رضي الله عنه : لو لم تطفئ السيارة لما عبّأتَها أبداً! اذهب وأحضر البنزين.

٢٨ - وحدّثنا أيضاً قائلاً: حدّثتني الوالدة بأنّه في عام ١٩٧١م جاء شرطي إلى بيتنا ليبلّغ أخي الدكتور نوفل بخدمة العلم (العسكرية) وفي اليوم التالي أو بعده ذهبت الوالدة إلى سيّدنا رضي الله عنه حائرة ماذا تفعل!.. فحدّثته بما كان في البارحة، فقالت له: يا سيّدي جاءت تبليغة نوفل للعسكرية، فتبسّم رضي الله عنه وقال لها: ماذا تريدين؟ نوفل ما في عسكرية! وفتح رضي الله عنه يده اليسار ومسح عليها بإبهامه اليمين وقال: أعفيناه!، ثمّ قال رضي الله عنه : ثمّ ماذا تريدين؟ فقالت: وعبد الحميد! يا سيّدي، فمسح رضي الله عنه بإبهامه اليمنى على يده اليسرى وقال: أعفيناه، ثمّ قالت: ويمان! فقال: ويمان، ثمّ قالت: وبراء! فقال: وبراء.. ومضت الأيام.. وتحقق كلام سيّدنا رضي الله عنه فذهبوا جميعاً إلى الإمارات ودفعوا البدل النقدي ولم يلبس أحد منهم بدلة العسكرية فقلت للوالدة: هل سألتيه عني؟ فقالت: يا ولدي، آنذاك كنتَ صغيراً، ثمّ إنني استحييتُ منه رضي الله عنه فما خدم أحد العسكرية إلّا أنا - أي صاحب الرواية الحاج علي!!.

---

(١) يناديه رضي الله عنه : (يا حاج علي) لأنه كان قد حج بصحبة والديه وهو طفل.

٢٩ - في شهر تموز من سنة ١٩٩٩م - ١٤٢٠هـ التقيت أول مرة بالدكتور الطبيب العميد عبد الكريم هاشم أبي النوار رحمه الله مدير مدينة الحسين الطبية الأردنية، إذ قدم إلى حلب بصحبة صديقه الحاج ناصر عبد الحميد الناصر، وولده الدكتور نوفل ناصر، فدخل حضرة الزيارة، عند سيّدنا رضي الله عنه بعد وفاته بخمس وعشرين سنة وسأل الله تعالى بجاه سيّدنا النّبهان رضي الله عنه أن يزيل عبد الحافظ الكعابنة (مدير الخدمات الطبية الملكية) لأنّه كان يضايقه في عمله فكم كانت الدهشة كبيرة حين أعلن من إذاعة عمان في الساعة العاشرة ليلاً ذلك اليوم نفسه عن إحالة (الكعابنة) على المعاش، وذلك ببركة الدعاء في حضرته رضي الله عنه .

٣٠ - كتب إلينا أحد طلبة مدرسة دار نهضة العلوم الشرعية في الكلتاوية قائلاً: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ورضي الله تعالى عن قطب دائرة العرفان سيّدنا محمّد النّبهان. وأما بعد، فاسمي: عبد الله بن مصطفى صبحة، المولود في حلب القاطرجي (٧/ ٥/ ١٩٨٤م) من الصف الخامس في المدرسة النّبهانية في الكلتاوية، مرض أخي أحمد مرضاً شديداً لم يعرف الأطباء ما دواؤه وكيف شفاؤه، وبقي ثلاثة أسابيع، وفي الأسبوع الرابع خرج بعد صلاة الفجر من البيت فلم يعد، فبحثنا هنا وهناك فلم نعثر عليه، ويوم السبت حضرت أُميّ على عادتها مع بقيّة النساء لزيارة سيّدنا النّبهان رضي الله عنه والاستماع إلى أحد دروسه المسجلة، تبث حزنها وتشتكي إلى الله تعالى، وتتوسل

بسيّدنا النّبهان أن يرد إليها ولدها، وأثناء استماعها للدرس صارت تخاطبه وتقول: أين ابني يا سيّدي؟ وكان أخي أحمد قد تخرج من المدرسة نفسها سنة ١٩٩٠م وفجأةً دخلت والدتي في حالة لم تعهدها من قبل! وكأنّها ليست في الدرس وليس معها في المسجد طالبات وإذا بها ترى سيّدنا النّبهان ﷺ يقظة يخرج من حضرة الزيارة مسرعاً ووجهه يشع نوراً وجمالاً يقول لها بصوت عالٍ: ابنتي، لا تخافي، ابنك عندنا، وسيرجع إليك، تقول والدتي: فنظرت يميناً وشمالاً فإذا بالطالبات ثانية وأنا أستمع إلى الدرس المسجل معهن، ورجعت الأمور إلى حالها، فذهبت إلى البيت فرحة مسرورة مطمئنة على ولدي. وفي اليوم التالي سمعت أُميّ بعد الفجر طرقاً على الباب، فأسرعت، فإذا هو أخي وقد شفي من مرضه وقال: لقد عدت من السفر يا أُميّ معافىً والحمد لله! فأخذها البكاء وهي تشكر الله تعالى، وتروي لنا حكايتها، وتشوّقنا إلى رؤية سيّدنا ﷺ .

٣١ - حدّثنا الحاج محمود رحيم بغزي الكبيسي من الفلوجة قائلاً: عند دخول ولدي غرفة العمليات وأنتَ تعرف قلب الوالد كيف يكون، فقلت: يا الله توكلت عليك يا ربي أنت المشافي وأنت المعافي، وقلت في نفسي: يا سيّدي الشيخ محمّد النّبهان أنت قلت: أنا لكم ولأولادكم، يا سيّدي وهذا ولدي دخل غرفة العمليات أريدك تحضره! وعندما انتهت العملية أخرجوه وهو في (البنج) فقال: بابا، الشيخ النّبهاني حضنني، وقال لي: أنت ابن ابني، أبوك أرسلني إليك، أريدك أن تعمل مثل والدك فأنا واقف لك دائماً.

٣٢ - حدثني الأخ المهندس خالد يوسف القاضي العاني الحسيني من بغداد قال: كنت أستمع إلى درس مسجل لسيّدنا رضي الله عنه فوردت فيه عبارات أدهشتني، فأُخِذت بها ورفعت صوتي وأنا أقول: رضي الله عنكم يا سيّدي! رضي الله عنكم يا سيّدي! فقطع حديثه رضي الله عنه وأجابني: وعنكم رضي سيّدي، وعنكم رضي.

وقد حدث لي أنا الفقير إلى الله تعالى قريب من هذا أيضاً، أن عمدت مرة لاستماع درس مسجل له ولست على وضوء، فما إن باشرت بفتح الدرس حتى فاجأني رضي الله عنه بتأنيب شديد مفاده: أما فيك دم؟! كيف تستمع إلى الدرس بدون وضوء؟! فنهضت وأسبغت الوضوء ثمّ رجعت إلى الاستماع.

ولدروسه رضي الله عنه خصيصة غريبة: إذا أشكلت مسألة على أحد محبيه فما عليه إلا أن يفتح أحد دروسه لا على التعيين فيجد فيه الحل لما أشكل عليه!

٣٣ - حدّثنا المهندس عبد الكريم بن محمّد عبد المنعم الجلب الحسيني الحلبي قال: إن سيّدنا رضي الله عنه تفضل بزيارة لأحد أقاربي في شهر تموز سنة **١٩٧٣**م فنظر في باحة الدار فوجد شجرة وحيدة فسأل: ما هذه الشجرة؟ فأجابوا لا علم لنا يا سيّدي لكنها نبتت لوحدها منذ عشر سنين وربّما تكون شجرة توب (ذكر التين) وهي تعقد ثماراً صغيرة في مثل هذا الوقت من كل عام من شهر تموز لكنها تسقط بسبب الحرارة، ولا تكبر ولم نتمكن من معرفة ثمرها طيلة هذه السنوات، فوضع يده الشريفة على ساقها فقال: بسم الله، لكن الشجرة هذه

المرة - وبعد أن وضع كفه عليها - لم تسقط عقدها بل بدأت تنمو ثمّ كبرت وامتدت أغصانها حتى غطّت على باحة الدار وظهر ثمرها فنتج عنها تينٌ حلْوٌ يسيل منه الشهد على من يمرّ من تحتها ولا تزال الشجرة قائمة مع أن ساقها مجوفة تماماً. أقول: ولقد أكرمني الله تعالى برؤية هذه الشجرة وتقبيل موضع كفه عليها ﷺ.

٣٤ - وحدّثنا المهندس عبد الكريم بن محمّد الجلب أيضاً قال: حدّثني الحاج محمّد لولو وهو أحد أصحاب سيّدنا منذ سنة **١٩٤٣**م قال: أصابني الجفاف في ظاهر كفي اليمنى فأعقبه تشقق بين أصبعي السبابة والإبهام حتى بانت منه العظام وعجز الأطباء عن معالجتي فعبأت الشقوق بالشمع الأصفر المذاب وكنت أعاني هذا صيف كل عام، فرأى سيدّنا ﷺ علّتي مرَّة أثناء معاونته في تنظيف أحواض الورد في باحة مسجد الكلتاوية قبل تجديد بنائه فسألني: ما هذا يا محمّد وهو يمسك بيدي ويفرك بإبهامه ﷺ موضع التشقق فبرئت بعدها ولم يعاودني المرض.

٣٥ - حدّثنا الأخ عماد الدين سوّاس، المهندس الزراعي في المؤسسة العامة لإكثار البذار في حلب قال: في صيف سنة **٢٠٠٦**م انقطعت المياه التي تردنا من المؤسسة العامة للمياه، ولكوني رئيساً لدائرة مختبرات زراعة الأنسجة والبيوت الزجاجية التي مهمتها إنتاج بذار البطاطا في سورية، وإنّ المشروع يحتاج إلى ماء بشكل مستمر على مدار ساعات اليوم، أَجريتُ اتصالات مكثفة بالمؤسسة العامة بضرورة ضخ الماء إلى المنشأة، إلّا أنّ كمية المياه لم تصلنا بالحجم الذي يتناسب مع متطلبات مشروعنا فاضطررنا إلى شراء

الماء بالصهاريج وتعبئة الخزانات الأرضية وهذا أمرٌ صعبٌ ومكلف جداً، فذهبت إلى الكلتاوية ودخلت إلى مقام حضرة سيّدنا النّبهان ﵁ وشكوت الأمر بين يديه وتوسلت به إلى الله سبحانه أن يفرّج عنا هذا الهمّ الكبير فألهمني الله أن أذهب إلى البركة (بركة سيّدنا التي قرأ عليها ﵁ ويستشفي بشرب مائها المرضى) فملأت وعاءً ثمّ أخذته إلى تلك الخزانات الأرضية التابعة للمشروع وصببته فيها في الساعة الثانية عشرة ليلاً ومنذ ذلك الحين وحتى الآن والماء في الخزانات الأرضية لم ينقص، مع كثرة استجرارنا للماء بل فاضت وبقيت على أعلى مستوى لها لحدّ الآن ببركة توسلي بسيّدنا محمّد النّبهان ﵁ والماء الذي حملناه من حوض برْكته.

٣٦ - حدّثنا الشيخ علاء الدين علايا ﵀ أحد أصحاب سيّدنا ﵁ قال: كان سيّدنا ﵁ يشرّفنا بالحضور كل يوم جمعة بعد صلاة العصر إلى فئة من الإخوة منهم: الشيخ حسان فرفوطي والحاج بشير الرفاعي والشيخ محمّد لطفي، وكنّا مرّة بصحبة سيّدنا ﵁ في بيت أخينا الحاج حسن ابن محمّد إسحاق ابن عمر المكنّى بحسن دانيال، وحضر المجلس اثنان من الشيوخ المصريين: الشيخ عبد اللطيف شعبان والشيخ محمود جوهري اللذان كانا مدرِّسين في دار نهضة العلوم الشرعية وقد انتهت مدّة إقامتيهما فطلبا مني أن أكلم سيّدنا ﵁ ليكرمهما بشيء قبل سفرهما فبادرت وقبلّت يده وقلت له سيّدي إنّهما يريدان إكراماً من جنابك، وعندها قال ﵁ مباشرة: هذا رسول الله ﷺ! فالتفتُّ عندها فرأيت رسول الله ﷺ.

وقد أخذت هذه الرواية من الحاج حسن دانيال التي جرت الحادثة في بيته، ومن السيّد بشار أحمد نبهان حفيد سيّدنا ﷺ، كما أخذتها أيضاً من أخينا الشيخ أيوب بن محمّد عبد الله الفياض الكبيسي اللذين كانا حاضرين فيها آنذاك، لكن رواية الشيخ أيوب الفياض فيها زيادة عبارة (هيا قوموا هذا سيّدنا رسول الله ﷺ. فنهض كل من في المجلس).

٣٧ - حدّثنا الشيخ الدكتور عثمان عمر محمد الويسي الأستاذ في جامعة الشارقة حالياً قال: سألت الشيخ أحمد معوّد إمام جامع العثمانية في حلب عن سيّدنا وكان يزيده بعشرين سنة، فأجابني: هو أكبر مني وأنا ولدت قبله، وكنت إذا أردت الوصول إلى منزلي القريب من بيته في باب النيرب أقطع المسافة بثلاثة أرباع الساعة أما إذا قصدت زيارته ﷺ فأقطعها في ربع ساعة فدخلت عليه مرة فرأيت رسول الله ﷺ.

٣٨ - حدثنا الشيخ يحيى حمد الفياض الكبيسي من الفلوجة بالعراق قائلاً: كنت أسمع بالعلامة التي في كتفه ﷺ فتمنيت لو رأيتها، فأبصرته ذات يوم يتوضأ فشمّر عن ذراعيه ورفعهما وكأنّه يقول لي: انظر، فإذا بها بسعة وحجم ليرة الذهب الرشادية، وسمعته يقول: لم يعرفني من الأحياء إلا القليل من الأكابر، الأموات عرفوني من العلامة التي بيني وبين رسول الله ﷺ. وحدثنا أيضاً الشيخ محمّد مطلق عبيد المحمّدي أحد علماء الفلوجة المحبين لسيّدنا ﷺ قال: كنت عنده ﷺ في البيت في حلب، فأكلت مع جنابه ﷺ . . ولما

فرغ من الطعام نهض ليغسل يديه، فتمنيت بقلبي أن أرى خاتم الولاية في يده الشريفة، فكشف ﷺ عنها إلى أعلى ذراعه، وإذا بالخاتم قريب من مفصل الكتف، قطعة لحم بارزة وفيها ثلاث شعرات.

حدّثني رَحِمَهُ ٱللَّٰهُ تعالى قائلاً: وصلنا إلى مدينة دمشق، وركبنا في سيارة ثانية إلى حلب، ورافقنا مطر غزير حتى إذا وصلنا حماة سلكنا طريق (أريحة - حلب) ووصلنا جبل الأربعين وكان المطر على أشدّه، ونزلنا في وادٍ عميق أعاق سيرنا وانطفأ محرّك سيارتنا التي تحمل خمسة أشخاص، وخشية أن يجرفنا السيل العرم الّذي كاد أن يقتلع السيارة، خرجت مع اثنين معي، أما أنا فقد تمسّكت بأحد أعمدة الهاتف، في وقت بدأ (الحالوب)[١] يتساقط كأنّه البيض ما عهدت له مثيلاً في حياتي! وبلغ الماء منتصف صدري، وكانت معي أمانة كادت أن تضيع لولا كونها في محفظة (بلاستك) ودبّ إليّ اليأس وأيقنت بالهلاك وصرت أصرخ وأنا بوحشة الخوف والظلام والغربة: يا غوث، يا غوث، أنا قاصد رجلاً من الصالحين، وأنشدت باضطرار:

أيدركني ضيم وأنت ذخيرتي وأظلم في الدنيا وأنت نصيري
وعارٌ على راعي الحمى وهو في الحمى إذا ضاع في البيدا عقال بعيري[٢]

فحفظت العمامة رأسي، ومضت ساعة أو أكثر.. فخفّ المطر ثمّ

(١) الحالوب: هو البَرَد.
(٢) البيتان لسيّدنا عبد القادر الجيلاني رَضِيَ ٱللَّٰهُ عَنْهُ .

توقف، فخطوتُ صوب السيارة وفقدت مداسي، وإذا بسائق السيارة يقول: أخونا العراقي حي؟! وتناولت حقيبتي فأخرجت بعض ملابسي واستترت، وفقدنا اثنين ممّن معنا قد جرفهما السيل، ثمَّ وصلتنا عربة إنقاذ حكومية فأخذتنا إلى حلب، وكانت الساعة الواحدة ليلاً، فلجأت إلى أحد الفنادق، وأسلمت للعاملين ملابسي فتعهّدوا تنشيفها وكيّها، حتى إذا أصبح الصباح أوصلتني سيارة إلى باب الحديد فمقدّمة الدرج الصاعد إلى الكلتاوية، فاستقبلني شخص قال: أنت ضيف سيّدنا؟ قلت: نعم، فحمل أمتعتي حتى أدخلني المسجد، ومع أنّها زيارة لأول مرّة فقد عرفني خادم سيّدنا الحاج مصطفى سروجي رحمه الله وقال لي: أنت أبو هشام؟ قلت: نعم، ثمّ رحّب بي وقدّم لي طعام الإفطار، فأكلت وتضلّعت ثمّ رجوته أن يعرّفني إلى سيّدنا رضي الله عنه فدخلت عليه وكان رضي الله عنه في مجلس مذاكرته، فإذا به رضي الله عنه كالشمس لا يخفى على أحد، ونهض يستقبلني ويقول: أهلين وسهلين، أهلين وسهلين ثمّ شبكني وقال: أحبّك حبين: حب الإسلام وحب آل البيت، أآذاك المطر؟ أين بتّ البارحة؟ أنت كثيراً كنت تصيح: يا غوث يا غوث أغثني يا غوث، أنا قاصد رجلاً من الصالحين وكلمات معها، قلها قلها، أيدركني ضيمٌ... فذكرت له قصتي وهو عالم بها وكرّرت البيتين اللّذين كنت أردّدهما، فقال رضي الله عنه: (لا يرتضون العار، ولا تكن حبّاباً للدنيا، لأن حبّاب الدنيا لا يغيثه الله كل يوم، وأثناء جلستي قلت في نفسي مستذكراً الإفطار الشهي الذي قدّمه لي خادمه: سيّدي أنا ما جئت للأواني بل للمعاني، فكاشفني رضي الله عنه، وقال لي: مرحباً بك للمعاني والأواني).

٣٩ - وأضيف هنا بعض ما شاهدته منه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ منذ تشرفي برؤيته في ٢٥/ ٧/ ١٩٦٦م وحتى الفراغ من إتمام الكتاب بعد ثلاثين سنة من وفاته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

أ - كان الوقت صيفاً ويلجأ الناس للنوم فيه على أسطح المنازل، واضطجعت، فامتلكتني لوعة، أتضرع بها إلى الله تعالى أن يريني سيّدنا النّبهان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في المنام، فكانت الرؤية الأولى من نوعها، أن يمر يقظة طائراً فوق السطح بنصف متر، وهو بكامل هيئته، جسداً نورانياً، وكلّمني بلهجة عراقية: حِسّك يدور حولي!!

وفي اليوم التالي: أخبرت الشيخ محمّد الفياض رَحِمَهُ اللهُ، فقال: لا تذكرها لأحد، حتى حان موعد السفرة الثانية، فسألته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بعد أن تشرفت بلقائه:

سيّدي، هل يصير لأحد أن يراك في اليقظة؟

فقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : من؟

قلت: سيّدي، رأيتك هكذا، وكلمتني بهذه الكلمات.

أجاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : صحيح.

ب - جلست عن يساره رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في غرفة مذاكراته، في جلسة خاصة، وأخرج من سحابة الطاولة ورقة بقدر راحة اليد، فأطال ينظر فيها ويقلب بجهتيها، وليس عليها كلمة! فقلت بنفسي: ويلك يا هشام! متى ستكون آدمياً؟ لا، لن تكون، اللهمّ إلا إذا ضربك الشيخ كفّاً أو كفوفاً عدّة!.

فإذا به رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يضع الورقة من يده، ويخاطبني بقوّة: الشيخ بِ يضرب[1]؟ الشيخ بِ يضرب؟ الشيخ بِ يضرب؟ فلم أنطق ببنت شفة.

---

(١) الباء قبل الفعل المضارع هنا: نيابة عن همزة الاستفهام، بمعنى: (أيضرب؟) كما هو جارٍ في لهجة أهل حلب وغيرها.

ثمّ قال رضي الله عنه: اسأل فبادرت بعرض ما لديّ، فاستأذن عليه خادمه الحاج مصطفى سروجي رحمه الله والوقت ضحى، فقال: سيّدي، جماعة من إخواننا العرب في البادية جاؤوا إلى جنابكم بحاجة إلى المطر، قال رضي الله عنه: أمليحون هم؟ قال: أنا لا أدري يا سيّدي، أمليحون هم أم غير مليحين، ولكنهم يريدون المطر.

ثمّ شكوت إليه أمراً عانينا منه في الفلوجة لأكثر من خمس سنوات، ذلك أن بيتنا يرجم بالحجارة كل يوم من بعد صلاة العشاء حتى أذان الفجر! ونظنّه يا سيّدي من فعل الجنّ، فقال رضي الله عنه: صحيح، جن ثمّ تلا قوله تعالى: (ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم)، (ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم)، (ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم).

حتى إذا مضت ساعة خرجت من الجلسة المباركة، فإذا طلبة العلم يحملون المظلات والمطر على أشده، ولم يكن قبل استئذان خادمه عليه في السماء غيم، والجو صحو، فيا لله ما ألطف هذا القلب، يدير كل هذه الأمور وغيرها بدون تكلف، وإذا قصده أحد بحاجة تحققت دون أن تتحرك شفتاه... ومنذ ذلك الوقت لم يقذف البيت الذي كنا نسكنه بحجر والحمد لله رب العالمين.

ج - وتشرفت بصحبته رضي الله عنه في سفرة إلى أريحة مسافة ستين كيلو متراً عن حلب، كان ذلك قبل شهر ونصف الشهر من وفاته رضي الله عنه، ركبنا بسيارة الحاج حسن دانيال ومعيّة الشيخ علاء الدين علايا، وكلاهما من أصحابه رضي الله عنه، حتى إذا وصلنا إلى المصيف ارتقينا معه رضي الله عنه إلى دار على مرتفع تحيط به أشجار وزروع، فغادر الشيخ علاء والحاج حسن لإحضار

الطعام، وبقيت معه رضي الله عنه في غرفة الاستقبال، فاضطجع رضي الله عنه على ظهره، ورأسه الشريف إلى مطلع الشمس وقدماه إلى المغيب، واستسلم للراحة، يأخذ النفس من أنفه ويطرحه بنفخة من فمه، فجلست أرقب ذلك الكوكب العجيب في واحدة من أغلى فرص الحياة، ثمّ مضت ساعة فنهض رضي الله عنه وتوضأ فمسح رأسه جميعه ثمّ أحضر الطعام، فأفطرنا حتى إذا انتهينا قلت: سيّدي، إن ثمانية أشخاص من جماعة الشيخ ناظم العاصي قد قبض عليهم الأمن في بغداد، وجدوهم في دعوة عند أحدهم فأخذوهم. فقال رضي الله عنه : ولأي شيء؟. قلت: سيّدي، لأنهّم من جماعة الشيخ ناظم. قال رضي الله عنه : من جماعته أم من جماعتنا؟. قلت: سيّدي، من جماعته. قال رضي الله عنه : ها... من جماعته! حسبتهم من جماعتنا ثمّ قال رضي الله عنه : وماذا تريد؟. قلت: سيّدي، أرجو نظرك عليهم بإطلاق سراحهم؛ لأن أفراد الأمن ظلمة. فابتسم رضي الله عنه ، وكان ذلك في الساعة الثانية من ظهر يوم خميس، ثمّ إنني سافرت بعد ذلك بثلاثة أيام، فوصلت يوم الإثنين إلى الفلوجة، فسألت عن المعتقلين، فقالوا: أطلق سراحهم ظهر يوم الخميس الماضي!!

د - أجريت لي عملية في مستشفى الآلوسي ببغداد لإزالة عظم زائد من فوق الركبة اليمنى، والتخدير نصفي حتى إنني حسبت ضربات الجراح إحدى عشرة مرة، حتى تمكن من قلعه، وأثناءها رأيت سيّدنا النّبهان رضي الله عنه جالساً على سجادة كجلسة التشهد رافعاً يديه يدعو لي، ومن خلفه الشيخ محمّد عبد الله الفياض الكبيسي رحمه الله ، واقفاً ومقدِّماً نصف خطوة ورافعاً ذراعه إلى أعلى بشرى بالأمان.

هـ - وأيام سكني في الجامع الكبير أصابني مغص شديد، فخرجت من هناك بسيارة إلى المستشفى لا يرافقني صديق أو قريب، وفور وصولي وبعد معاينة الطبيب أدخلت إلى غرف الإنعاش فإذا بسيّدنا رضي الله عنه يدخل علي جسداً نورانياً ومعه اثنان من محبيه، وبقيت زهاء ثلاث ساعات ثمّ شفيت والحمد لله، ولكن هذه المسألة بعد وفاته رضي الله عنه .

و - بتاريخ ٢٨/ ١٠/ ١٩٩٨م أصبت بحادث دهس بسيارة في الفلوجة كادت تودي بحياتي، وقد كسر عظما ساقي الأيسر وعظم الذراع، إضافة إلى ثلاثة كسور في بيضة الكتف، فرافقني رضي الله عنه في سيارة الإسعاف شبحاً حزيناً، حتى إذا رقدت في مستشفى المستنصرية ببغداد زارني رضي الله عنه يقظة مرتين خلال أسبوعين، جاءني في الأولى بصحبة أكثر من سبعين طالباً من دار نهضة العلوم الشرعية كلّهم جلوس كما في التشهد ووجوههم إليه رضي الله عنه . أما سيّدنا النّبهان رضي الله عنه فقد نقل معه محراب جامع الحضرة المحمّدية في الفلوجة ووقف فيه، لقد أدهشني بسعة دائرة وجهه الشريف، التي بدت بضعف دائرة البدر، أما شعر لحيته فقد يصل إلى ذراع.

ز - وقبل أن أخرج من المستشفى دخل رضي الله عنه من الباب وخرج من الشباك جسداً نورانياً وقال كلمات بمنزلة الجائزة والمجابرة في الحادث.

ح - وفي ٤/ ٢/ ٢٠٠٤م تعرَّضتُ في الفلوجة لمحاولة اغتيال بثلاثين رصاصة!!! كانت الساعة التاسعة إلا عشرة دقائق، وبعد عودتي من الجامع إلى البيت، كان يسوق السيارة ابن أخي (محمّد تغلب) ولا زلنا عند باب الدار، وإذا بسيارة تخطف أمامنا بسرعة فيها اثنان مع السائق، فبادر أحدهم بسلاحه فرمى ونقلت إلى المستشفى وبعد أن أجريت لي جراحة

رجعت إلى البيت وقد تهشم عظم الحوض من فوق فخذي الأيمن، وبعد يومين أو ثلاثة لا أدري رغبت نفسي بشراب (بيبسي كولا) فطلبته، فجاءني ﷺ بقدح من زجاج أبيض فيه ماء، يحمله بكلتا يديه، فناولني إياه، فما شربت أطيب وأعذب منه في حياتي.

وما ذكرته هنا هو غيض من فيض كثير.

تحذير للمنكرين:

لقد تابعت بنفسي ثماني عشرة حالة لأشخاص كانوا ينكرون على سيّدنا ﷺ في العراق ويمثّلون كلّهم وجهة واحدة فلم يَسلَم أحد منهم من مطعن في شرفهِ أو حرق لبيته أو قتل لولده أعرفهم بالأسماء والأمكنة ولكننا نستر ولا نفضح.

هذا مع أن سيّدنا النّبهان ﷺ يقول عن نفسه: (أنا رحمة خالصة وأنا طالب من ربي كل من يؤذيني أن لا يؤذيه الحق وأن يرده إليه). فإن الله تعالى الذي وهب أولياءه فتوحات وصلاحيات يعجز عن إدراكها المنكرون وهو غيورٌ على أحبابه ينتقم لهم، دليلنا ما ورد في الحديث القُدسي الذي رواه الإمام البخاري: **(من آذى لي وليّاً فقد آذنته بالحربِ)**[1].

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٨٤) برقم: (٦١٣٧).

الفصل الخامس

رقياته رضي الله عنه

الرقية أحد الأمور التي يعالج بها المرضى؛ فمنهم من يأمره بالصدقة لقوله عليه الصلاة والسلام: «**داووا مرضاكم بالصدقة**»(١)، ومنهم من يرده للأطباء، وآخرون يدعو لهم أو يكتب بورقة أو يقرأ لهم على ماء.

وأشهر رقياته قراءة سورة الإخلاص والمعوذتين والفاتحة، وقد يستعيض عنها بآيات: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢١-٢٤] يتلو بعدها آيات الشفاء:

١ - ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ﴾ [التوبة: ١٤-١٥].

٢ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

٣ - ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء: ٧٨-٨٠].

---

(١) المعجم الكبير للطبراني (١٠/ ١٢٨) برقم: (١٠١٩٦).

٤ - ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤].

٥ - ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٩].

٦ - ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٣].

اللهمّ صلّ على سيّدنا محمّد طب القلوب ودوائها، وعافية الأبدان وشفائها، ونور الأبصار وضيائها وعلى آله وصحبه وسلّم.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك (ثلاثاً).

ثانياً: يا رحيم (٢١ مرة) على من به وجع برأسه.

ثالثاً: كتابة الفاتحة حروفاً مقطّعة بلا نقط.

- جيء له رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بامرأة مشلولة الأطراف الأربعة، وأدخلت البيت، وبقيت ساعة من الوقت، فطرق الباب أخوها، فأمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن تخرج هي لتفتح الباب! فمشت على قدميها وبرئت.

- حدّثنا الشيخ ماهر بن محمود مهاوش الكبيسي قال: زارنا سيّدنا النّبهان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في البيت الّذي نسكنه في الزبداني التابعة لدمشق، وكان لي أخ مصاب بالصرع منذ اثنتي عشرة سنة، فصرع وقتئذٍ، فشكا والدي حالة أخي، فلامه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لعدم إخباره بالأمر طوال تلك المدّة، وأثناء الصرعة أذّن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في أذنه اليمنى وأقام الصلاة في أذنه اليسرى، وبصق في فمه، فبرأ من ساعته.

- وعجبت لما جرى للأخ محمّد بن سالم الكبيسي أحد طلبة العلوم الشرعية في المدرسة الأحمدية الشرعية في الخالدية في الأنبار بالعراق

افتقدته أربعة أيام من المدرسة، وهو مبتلى بثالول في وجهه ويديه فرجع معافى! فسألته: أين كنت؟ قال: عند سيّدنا رضي الله عنه في حلب.. قلت: وأين الثالول الذي بوجهك ويديك؟ قال: انطفأ والحمد لله..! قلت: حدّثْني! قال: شكوت لسيّدنا النّبهان رضي الله عنه ذلك فقال لي: أتصبر؟ فسبقني بالإجابة أخي الحاج محمود وقال: لا يا سيّدي، إنّه لا يصبر! فقرأ عليه ونفث، فشفيت بفضل الله.

● حدّثنا وكتب إلينا بخط يده السيّد قحطان عبد العزيز الدراجي(١) قائلاً: كنت مصاباً بالوسوسة عند قراءة القرآن وفي الصلاة وغيرهما.. وبقي عندي ما يقرب من ثماني سنوات، وعندما تشرفت بزيارة سيّدنا رضي الله عنه في حلب شكوت له، فقال لي رضي الله عنه: اجعلني أمامك! وقبل أن ينهي السيّد الكريم رضي الله عنه كلامه، ذهب عني الوسواس وكأن شيئاً لم يكن!.

● حدّثنا الشيخ محمّد مطلق عبيد المحمّدي قائلاً: سمعت سيّدنا رضي الله عنه في الماء الّذي يقرأ عليه: آه آه! لو يعلم الناس ما فيه من السرّ!.

بقي أن نذكر أنّه رضي الله عنه كان يرقي لوجه الله تعالى، ولا يحب أولئك الّذين يتعاطون الرقى، يجالسون النساء ويأخذون على الرقية ثمناً، قال رضي الله عنه: أهل الحجب أنا لا أحبهم.

وقال رضي الله عنه: البارحة سألوني ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ

(١) الحاج أبو محمّد قحطان عبد العزيز عبد المجيد ثويني الدراجي: ولد في سنة ١٩٤٥م معلم متقاعد، تشرف برؤية سيّدنا لدى زيارته الأولى للعراق سنة ١٩٦٢م وله ولوالده صحبة صادقة.

لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢] قلت لهم: شرط أساسي أن يعتقد، ويأخذ من الّذي نفَسه طاهر نفَسه طيب، الّذي نفَسه طيب طاهر يضع الآيات بذاتها، لتبقى بحالها، لا ينقص من فائدتها ذرّة! لكن ذاك لوثها! حمل جوهرة لكن يديه قذرة فقذّر الجوهرة! يوجد مشايخ يقرؤون للنسوان، وبين عينيه (اليوم جاءه عشرون ورقة! ثلاثون ورقة!) فهذه إذا شفيت معه تكون مكراً له! الإنسان الّذي يقول (بسم الله الرحمٰن الرحيم) يجب أن لا يكون في قلبه غير الرحمٰن الرحيم، هذا بإذن الله يشفي، الّذي شفاه نفَسه! القرآن شفاء، لكن شرطاً أساسياً ألا يتلوّث، فإن تلوث راح الشفاء!.

الفصل السادس

بعض المدائح والمراثي التي قيلت فيه رَضِيَ اللهُ عَنهُ

قصيدة الأستاذ واصف باقي الحلبي:

يا زائر الشهباء يمم مسرعاً واقصد جناب السيّد النّبهانِي
للقبة الخضراء عرج داخلاً أمّ الحمى وادخل على السلطانِ
فلك الهنا إن جزتَ في ذاك الحمى وظفرتَ بالفرد العظيم الشانِ
ولك البشارة إن حللت بساحة من حلها قد فاز بالرضوانِ
شمس الشريعة والحقيقة من أتى بالحجة البيضاء والبرهانِ
أحيا الشريعة بعد طه المصطفى بالسنة الغراء والقرآنِ
ورث الهدى من النبيّ محمّد في عصره ليس له من ثانِ
هو كعبة للعارفين وقدوة للواصلين وحضرة الإحسانِ
يا سيّداً ساد الوجود بعصره بالعلم والأذواق والعرفانِ
نحن ببابك قد حططنا رحالنا متوسلين بصفوة الرحمنِ

قصائد الأستاذ الشيخ حسان فرفوطي الحلبي رحمه الله:

صاغت نسائم لطفكم ألحانا تغزو العقول وتوقظ الوسنانا
وتهزّ أوتار القلوب على شذى نغم الخلود وترشد الحيرانا
وتهبّ داعية إلى الله الّذي برأ الوجود وأنشأ الإنسانا
يا أيها البدر المشع على الدنا نوراً يهزّ الوجد والوجدانا

أنفاس حبك كم سقت من تائه غيثاً فراح يعب منك حنانا
ماء السماء أحيا أراضيَ بلقعاً ومياه هديك أنبتت إيمانا
يا سيّدي النّبهان يا شمس الضحى يا تاج كل العارفين أتانا
إنّا بجاهك نستجير ونلتجي وبنور وجهك نستزيد تقانا
في يوم حشر الخلق عند مليكنا وحبيبنا وإلٰهنا مولانا
إذ يوم لا تجدي الفتى أمواله وفعاله إذ لم تكن رضوانا
والأنبياء بباب أحمد خشّعٌ يرجون فضلاً منه أو إحسانا
فيفيض بالكرم العظيم على الورى بشفاعة تهب النعيم جنانا
ويعانق الفرد الّذي قد خصّه بالحب منه وكنّه نبهانا
ذي منّة السيّد الكبير من الّذي يعطي ويمنح ذا الّذي أنشانا

وقال أيضاً:

زاد المعاد عببت من ينبوعه حتى ارتوى شوقي وحنّ وصالا
كم بتّ أرقب ومضةً من نوره لمّا غوى قلبي وتاه ضلالا
مذ أشرقت شمس الحبيب ورنّقت سلب العقول وقيّد الأوصالا
لله سحر قد بدا من روحه لكنّ ذاك السحر كان حلالا
هو سيّدي النّبهان لذْ بجنابه إن رمتَ وصلاً أو عشقتَ جمالا
هو صاحب الوقت المهيمن عزُّه بالبر بالخلق الكريم تعالى
باب الرسول السيّد الفرد الّذي أحيا القلوب وأرشد الضلاّلا

شـهـمٌ كـريـمٌ جـائـد بـعـطـائـه لولا التشهد لم يقل لك لا لا!
حسبي فخاراً أن نُسِبتُ لجاهه وبه من المولى رجوت نوالا
هاتِ العطور وضمّخ الّذات التي سارت على قدم الرسول كمالا

قصيدة محمّد أمين الترمذي الحلبي:

لـلـخـلـد راح مـطـلّقـاً لـلـفـاني خطب أصاب الدين في سودائه
بـدر الـكـمـال الـسيّـد الـنّـبـهـاني فـرد ولـكـن فـي الـحـقـيـقـة أمة
ربـاه مـن لـلـديـن والإيـمـان!؟ هو كعبة القصّاد في حلب التي
هـيـهـات تـلـقـى مثله من ثانِ هو موئل الطلاب في شهبائنا
كـانـت تـتـيـه بـه عـلـى الـبـلـدانِ إنّا اقتبسنا الحب من نظراته
ومـعـلّـم الإرشـاد والـعـرفـانِ وإذا تبسم شمت روضاً زاهراً
فـلـحـاظـه مـمـلـوءة بـمـعـانِ وإذا تـقـطّـب وجـهـه فـكـأنّـه
فـي وجـهـه أو كـوكـبـاً نـوراني يرضى ويسخط للمهيمن وحده
أسـد يـصـول بـهـيـئـة الإنـسـانِ حـمّـال أثـقـال الـعـبـاد بـهـمّـة
ما دون ذلك ليس بالحسبانِ يرضى به المتخاصمون بعدله
موروثةٍ من أحمد العدناني وتـزول أحـقـاد وتـصـغـي أنـفـسٌ
فإذا قضى فالحكم كالميزانِ لله مـجـلـسـه بـكـلـتـاويـةٍ
ويـبـيـن وجـه الـحـق لـلإخـوانِ لا سيّما وقت الأصيل وشيخنا
فـكـأنـنـا فـي جـنّـة الـرضـوانِ حِكَمٌ تفيض من الغيوب لقلبه

يفترّ عن درٍّ وعن مرجانِ فكأنّ أطياراً على هاماتنا
فيصوغها بفصاحة وبيانِ وتعمّنا الأنوار من ميزابه
وكأن آذاناً على الآذانِ يسمو بأرواح الحضور لربها
ويدور راحُ الأنس للندمانِ ونغيب عن هذا الوجود بنشوةٍ
فتزول كل الحجب والأدرانِ ونظل نرشف من رحيق شرابه
نرقى بها لحضيرة الديانِ هلاّ نظرتَ إلى المنارة إنّها
حتى يشقّ الجوَّ صوتُ أذانِ من بعد ما كانت تتيه وتنجلي
لبست عليه عباءة الأحزانِ والمسجد المحزون ليس كعهده
مثل العروس بقدّها الفتانِ لا بدْع إن لاحت عليه كآبةٌ
يَبكي ويُبكي مهجة الشجعانِ إن كان بطن الأرض غيّب جسمه
إن البيوت تعزّ بالسكانِ طوبى لترب قد حواه فإنّه
لكنْ مآثره بكل مكانِ ماذا أقوال بوصفه يا صاحبي
قد فاق ريح المسك والريحانِ إني لأخشى أن أطيل بمدحه
فالأولياء عرائس الرحمنِ رباه أنت اخترته فارفق بنا
فيجف حبري! أو يكلّ لساني فمصابنا جَمٌّ بفُرقة شيخنا
وأمدّنا بالصبر والسلوانِ فعليه رضوان الإلٰه ورحمةٌ
الألمعي العارف الرباني طول الدهور على مدى الأزمانِ

قصيدة الشيخ ضياء الدين الصابوني رحمه الله تعالى[1]:

تحلو الحياة بصحبة الأخيارِ ... وتطيب رغم تعاقب الأكدار
هي بلسم للروح في آلامها ... شَرَك القلوب ونزهة الأفكار
طوبى لمن قد زانه نور الهدى ... كالشمس تسطع في جبين نهار
والناس: هذا نافح من طيبه ... أبداً وهذا نافخ في النار
فاصحب كرام النفس تعرف فضلهم ... إيّاك صاحِ وصحبةَ الأشرار
وأرى معاشرة الرجال تجارباً ... والمرء بين الشوك والأزهار
وربيع أيام الحياة بصحبة الـ ... فئة الثقات المعشر الأبرار
ها أنتمُ في روضة قدسية ... هيا انعموا بالروضة المعطار
وسعادة الأرواح صحبة ماجد ... يشكيك أو يهديك نحو الباري
وشمائلٍ كالشهد منه كريمة ... وخلائقٍ كروائع الأزهار
كالزهر في إشراقه والبحر في ... إغداقه والديمة المدرار
كالليث في إقدامه والغيث في ... إنعامه والكوكب السيار
إن كانت الأقمار تسطع في الدجى ... للطارق الحيران أو للساري
فمحمّد نور النفوس وبهجةٌ ... فلقد تفوق نضارة الأقمار
ولكل قوم شرعة ومنارها ... ومحمّد النّبهان خير منارِ
الأرض خصب إن حللت بساحها ... سقيت بكم بفخائر الأمطار

(١) سمعت سيّدنا ﷺ: يقول عن الشيخ ضياء الدين الصابوني: هذا حسّاننا.

وإذا مشيت فكل راءٍ خاشع وإذا سريت فكل شيء سارِ
لا زلتَ في تاج الجلال متوّجاً تحيي بصدق شرعة الجبار
تهفو إليك الروح حافلة المنى وتتيه في حبٍّ وفي إكبار
وتزينه أنّى التفتّ مهابة فاعجب لنور جلالة ووقار
يا شيخ والدنيا تتيه بذكره وبه تنال شفاعة المختار
فإليك تهنئة الضياء وإنما تاهت بدنيا حبكم أشعاري

قصيدة للشيخ يحيى الفاخوري رحمه الله تعالى:

بدرٌ علا في سما الشهبا ببرهانِ محمّد ساطع بالفضل نبهاني
وقد تسامى بأخلاق فليس له من مثله في بني الشهباء من ثانِ
بحكمة ملك الألباب ملتزماً لطف الحديث رقيق الطبع نوراني
يغضي حياء ويغضى من مهابته تلقاه مبتسماً لكل إنسانِ
بالحزم والعزم والإقدام قد بلغت به المكانة أسمى العز والشانِ
فهو الإمام الّذي طابت مقاصده والكل معترف، في حبه فانِ
فيا له من عظيم قد علا قدما وعارفاً مرشداً بالله رباني
له الفضائل تعزى في نصائحه كأنهّا الدرّ يلقى أو كمرجانِ
له الموائد مدّت حولها كثرت أيدي المحبين من قاصٍ ومن دانِ
أهلاً به من بلاد الحج فابتهجت به الأحبة حتى طائر البانِ
مذ غبتَ عنا كأن الشمس قد غربت وفارق البشر إخواني وأوطاني

حتى أتتنا بشارات بمقدمكم — الفضل وافى فهبوا آل نبهاني
نستقبل الفضل والإحسان أكمله — سبحان من صاغه للإنس والجانِ
نستلهم النور في إقبال طلعته — إذ احتواه تماماً فيض إحسانِ
نور الإلٰه ونور المصطفى سطعا — في ذاته اجتمعا لله نورانِ
فالله يحفظه ذخراً لأمته — يبقيه بدراً منيراً عالي الشانِ
من حوله ثلّة للخير داعية — نعم المربي بأخلاق وعرفانِ

قصيدة الشيخ حامد الملاّ حويش(١) ألقاها ترحيباً بمقدمه ﷺ في سفرته الأولى إلى العراق في دار الحاج محمّد عبد الله الفياض رحمه الله تعالى في ٥/ ذو القعدة/ ١٣٨١هـ الموافق لـ٨/ ٤/ ١٩٦٢م:

ومن حلب جاء الهدى لقلوبنا — فقلنا له: فافتح تعاليم ذي اللّب
تقدّمْ.. أيا نبهان إنا بحاجةٍ — إلى من يدلّ المرشدين إلى الرب
ويمنحهم نوراً يضيء جنانهم — ويسري بهم سير الدراية والحب
وإنك من أهل الهداية فأعطنا — فإنا أناس تائقون إلى القرب
تفضّل بما أعطاك ربّك معلناً — ولا تخشَ أفّاكاً تأهّب للذب

(١) الشيخ حامد الملاّحويش: أحد العلماء الصالحين الأعلام في العراق المشار إليهم بالبنان، وهو مشهور بالولاية ولد في محافظة (دير الزور) في سوريّة سنة ١٣١٦هـ الموافق لـ١٨٩٨م، ثمّ ارتحل إلى العراق وشغل الإمامة والخطبة في جامع الفلوجة الكبير، ثمّ انتقل إلى بغداد ليكون بمثل وظيفته في الحضرة القادرية، توفي في بغداد سنة ١٣٣٨هـ، الموافق ١٩٦٣م، ودفن في مقبرة الشيخ معروف الكرخي، رحمه الله آنسه الله.

فأنت الّذي تأتي علومك بغتةً فلا فيه من شك ولا فيه من ريب
فيجلي لك الأشياء في كل بقعةٍ من الأرض حتى في السمٰوات والسحب
وإنا وإن جار الزمان وضرّنا ففي ضوئكم كشف الغواية والكرب
وهل يجرؤ الطاغي البغيض إذاءنا وأنت الّذي تحمي الكتائب في الحرب
وأنت الّذي تنجي المريد من البلا ولم تخش جباراً يسارع في النكب
فيا رحمة الراجين جدْ لي بنظرة فوصلك يا نبهان يوحي إلى قلبي
وإنّ لأقفال القلوب مفاتحاً ومفتاح علم الغيب يأتيك في حسبي
فلا ترضَ لي بعداً وأنت ذخيرتي ولا ترضَ لي جهلاً أيا مرشد العرب

وهذه قصيدة للأستاذ يوسف الدوري[(١)] ألقاها ترحيباً بقدومه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في سفرته الثانية إلى العراق في الاحتفال الكبير في جامع الرمادي الكبير وأعادها في بيت الحاج فاضل أبو الخير رحمه الله تعالى:

تـتـبـسـم الأفـلاك والأكـوانُ والأنـس يـسـحـر والـهـوى فـتـانُ
والروح سكرى بالمنى ولهانة نـشـوى ويـغـرق حـالـهـا الإيـمـانُ
والورد ميـاس[(٢)] تـمـيـل غـصـونه والأفْـق يـضـحـك والـدنـا تـزدانُ

---

(١) الأستاذ يوسف الدوري: مدير زراعة الرمادي آنذاك، وأحيل بعدها إلى التقاعد، واشتغل محاسباً في شركة أهلية، فأنبأه الله تعالى بموته قبل يوم، حيث أنهى علاقته بالشركة وأكمل حساباته وودّع أصحابه وأخبر أهله وذويه وفارق الدنيا إلى جوار ربه في اليوم التالي!

(٢) الميس: التبختر، وغصن مياس: أي مائل، انظر (لسان العرب)، ماس يميس ميساً.

والعطر يعبق للملا يا طيبه والنور يسطع والصبا هيمانُ
ماذا؟ وكيف؟ لم الحياة تزينت؟ والخير حل وزالت الأشجانُ
ماذا جرى؟ لمن الوفود تجمعت؟ وعلمتُ أنك سيّدي النّبهانُ
وعلمتُ أنك للعراق مشرّف يحدوك شوق غامر ريانُ
وتفتّح القلب الجريح لفرحة اللهُ يعلم صدقَها الديانُ
يا سيّدي يا منيتي يا مطلبي القلب موطئكم لكم إيوانُ
يا سيّدي في الروح، في أكبادنا بعيوننا إذ قد نزلتَ تُصانُ
يا سيّدي يا شيخنا يا نورنا تحيا ويحفظ سرَّك الرحمنُ
يا سيّدي يا من نلوذ بجاهكم لله أنت العارف النّبهانُ
جُدْ للورى باللطف يا خير الورى في ذا الزمان ويحمك المنانُ
يا سيّدي رفقاً فإني مغرم دامي العيون تبيدني الأحزان
وافتح علينا من كريم حنانكم فيضاً لتسعد عنده الأكوان
بالمصطفى المختار نرجو ربّنا يحميك يا نبهانُ يا نبهانُ
وبجاهه أرجو الإلٰه يقيكمُ وتحفك البركات والرضوانُ

قصيدة الحضرة النّبهانية[1]:

أولو الألباب في معناك حاروا ومن عينيك يبتسم النهار
وأهل الله في شرق وغرب بهذا الحيّ يا حيُّ استجاروا

(١) القصيدة للمؤلف.

وصاروا في محبتكم سكارى / وطافوا حول ربعكمُ وداروا
ولو يدري الورى من أنت حقاً / لهاموا في محبتكم وطاروا
إلى هذا الحمى ليلاً نهاراً / على ميدان حبكمُ تباروا
وأذّن منشد الأيام: شهبا / فرددت الأكابر والصغار
بأنك سيّدي النّبهان فرد / جميع العارفين لكم أشاروا
ورثت محمّد المختار طه / وفي ذكراك كم معنى يثار
سلوك أدهش الأقطاب طراً / وسير خلفه الأفراد ساروا
مداد الكون في أيديك مدٌّ / ومنك الجود منبعه يدار
وبات الفضل مختوماً لديكم / على رسغيه: «نبهان المنار»
تجسدت المحامد فيك جمعاً / وصوِّرت الرجولة والوقار
يهابك كل سلطان ويخشى / ويعشق نيل وصلكمُ الكبار
علوم الذّات قلبك مستقاها / وعندك تلتقي السبع البحار
إليكم ينتهي فصل القضايا / إذا الأعلام قد عجزوا وحاروا
وذكر الخير مقرون بشيخ / له فوق السمٰوات اشتهار
فأبراج السماء بكم تغنّت / وأفلاك النجوم بكم تنار
على الآفاق وجهك قد تجلّى / ونور الشمس منكم مستعار
إذا ما قيل: من للدين أحيا؟ / تهلل بالملا هذي الديار
ولي الله كم ظمئت قلوب / إلى حلب وأتلفها الأوار

نحنُّ إليك يا مولى حنيناً كما حنَّت إلى الثدي الصغار
أما لولاك ما جئنا لشهبا ولا كنا على الشهبا نغار
تمكن حبكم فينا جميعاً فكعبة حبنا هذا المزار
وعار أن عيناً قد رأتكم تميل لغيركم والله عار
إذا حاز الرضا منكم عُبَيد فكل العمر حج واعتمار
فمن يهواك تهواه البرايا ومن واليت لم تمسسه نار
ولو أن السما والأرض ضاقت على عبد وترجمه القفار
وبالجاه العريض يصيح حالاً بإذن الله يرتفع الحصار
لقد كنت الرؤوف بنا رحيماً أسيّدنا الأمين المستشار
كما كنت الحليم بنا وبراً وبابك لا يُردُّ به اعتذار
وتؤوي كل محروم ضعيف وتجبر كسر من فيه افتقار
على أعتابكم مولاي حطّت ركائبنا وبالركب اضطرار
فيا لله لو تهدي خيالاً يلوّح ثمّ ينكشف الستار
هنيئاً من رأى ذاك المحيا وبشرى كل من حضروا وزاروا
ستبقى سيّدي النّبهان ذخراً ويتبع «آل نبهان» الفخار

مسك الختام[(١)]

أدلِ الدموع ولا تحبس سواقيها ... فإثمد الشوق يكوي في مآقيها
لئن حبست وضكّ الصدر من حَزن ... يا لهف نفسي لمن يا نفس تبقيها
قوارب الحب في بحر تلاطمها ... عواصف الشوق والشهبا تناديها
وكم يجول بفكري رسم من فتنت ... لتجذب الفلك للشاطي موانيها
وإن حبل الوفا إن عثت جذائله ... سيل الدموع بدلو الشوق يرثيها
وقد قضيت حياتي كلّها لهفاً ... حتى يسير شراعي في مراميها
خفّاقةٌ في الحشا روحي بها هتفت ... بل كلما نبضت روحي تناجيها
وضّاءةٌ قدّها يبني على كبدي ... أكناف طير تغني في أغانيها
نفّاحةٌ عهدُها مذ كنت في صغري ... إذا فقدت الصَّبا قلبي يناغيها
محمّد أحمدُ النّبهان سيّدنا ... أسماء شهبا فما أحلى أساميها
كم موقف تذكر الشهبا مواقفه ... تهابه الأسد والشهباء تدريها
كنز الوراثة والعناية والهدى ... وجنّة الله في أبهى لياليها
إن أبطأت ليلة عانيت من ثكل ... ولا منام لثكلى غاب غاليها
وإن تراءت فكل الكون يرقبها ... لم يبد إلا مثالاً من تجليها
محمودة لا تدانى حيثما ذكرت ... لكل ذي فاقة مدت أياديها
مشهودةٌ في الملا تسمو على أفق ... مرآتها أظهرت خير الورى فيها

---

(١) القصيدة للمؤلف.

كم من وليّ نما في مسك تربتها وأطيب المسك وليّات تربيها
وكيف تُظلّمَ في الدنيا مولّعة بحب حامي الحمى والباري يحميها
وهل يضام عُبَيد وهو يندبها إن بات يوماً بأسر إذ يناديها
إيهٍ أعدني إلى نجوى محبتها وقم تخيل على الأطلال بانيها
قم ناد شهبا ولا ترقد على ضنك أما تريد لنفس من يواسيها
ما زال لحظها يزهي في مرابعها ولا يخيب منادٍ حين يأتيها
قسطاس حق على قول على عمل كأنما صنعت تنزيل باريها
تزكو بها النفس والأيام تشهدها كليلة القدر تبقى لياليها
إيهٍ أعدني إلى نجوى محبتها وخلّ جرح الهوى دوماً يناجيها
إنْ حنت النوق شوقاً إلى نهل فهل وعمرِك ساقٍ غير راعيها
وإنْ شكت ظبية من فقد توأمها تنحو إلى حضرة النّبهان تؤويها
نوازغ الشر لو طنّت بها أذن أو رام نبش رماد الجمر موريها
وإن تجنّتْ لطي الغصن ماكرة ليذبل الورد في الشهبا ويؤذيها
أغارَ حامي الحمى كالرعد في ديم ليطفئ النار يلوي قوس راميها
ونهضة العلم صرح من محامده مصفاة تبر على فحوى معانيها
لله درّ ربوع أنجبت درراً يا سعد عبد نحا يوماً مناحيها
فكيف أصرف وجهي عن وجاهتها وهل يسرّ الحشا إلا مرائيها
يهيم قلبي على أبوابها سحراً وقد أطوف بروحي أو ألاقيها
وقد عشقت من الدنيا معالمها وإن ديدن روحي في نواديها

إيهٍ أعدني إلى نجوى محبتها ... ولا تدان غريباً لا يدانيها
كفاك عزاً وأمجاداً ومفخرة ... أن تحسب اليوم عبداً في مواليها
فإن وجدت حنايا الجذع موجعةً ... فانغط بروحك يا شهبا لترقيها
رعى الله أياماً تقضت بها شغفاً ... بها نالت الدنيا أعلى أمانيها
ألوم عيني إذا جفت مدامعها ... وكيف تجمد عين وهو يسقيها
إيه أعدني إلى نجوى محبتها ... فما سواها لثكلى كي تسلِّيها
وناد يا سيّدي النّبهان يا أملي ... يا روح روحي ويا أسمى أمانيها
لئن رحلتَ عن الدنيا لم تغب أبداً ... يبقى لك الدهر يا مولى مواليها
وإنا بيوم الحشر نرجو لقاكمُ ... إذا الناس قد غصت في تراقيها
مع المصطفى الهادي الرسول محمّد ... عليه صلاة الله تبقى مجاريها
وحق علينا لشهبا أن نقدسها ... نقبل الأرض التي قد كنت تمشيها

ولكي لا تأكل الحسرة قلوب الذين فاتهم التزوّد من قرابه، أو تضيق صدور النادمين على فوت الفرصة بعد إيابه، فإنّه لا زال متسع للصادقين أن يستقبلوا بأرواحهم وصدق توجههم واتِّباعهم إمدادات إرساله وإشراقات روحانيته، ومن بيننا عدد لم يرهُ فأضفى الله تعالى عليهم بجزيل فضله فصاروا يأخذون عنه يقظة ومشافهة؛ مصداقاً لقوله ﵁: (الشيخ الذي يحجبه عن مريده حفنة تراب ليس بشيخ)[١].

(١) راجع بحث: حوار مع كل الناس، مع الشيخ أديب قسّام.

القسم السابع

الموقظة في رؤية الرسول ﷺ في اليقظة

تمهيد

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم، على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن رؤية النبيّ ﷺ في اليقظة من الأمور التي لا ينبغي التعصب لإثباتها أو نفيها، فهي وقبل كل شيء من خوارق الأمور التي لا تقع لحساب ولا تحدث بقاعدة ولا تخضع لإرادة بشر، ومن ثم فهي إن صحّت لأحد من الناس فإنما هي من منن الرحمن، التي يمن بها على من يشاء من عباده الصالحين، شأنها في ذلك شأن معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء التي قد يستوعبها هذا ولا يحيط بها ذلك، ولا حرج عليهما في كلا الحالين ما دام لم يرد بها نص ملزم؛ لأنهّا من الأمور الذوقية التي يتأثر النظر إليها وفيها بمؤثرات عدة نفسية وعقلية وقلبية، وبناء على هذا فإن الحديث عنها والتحدث فيها لا يتطلب معركة جهادية، بل يأخذ طابع المحاورة الهادئة القائمة على تبادل وجهات النظر وإبعاد التأمل، وليس سبيل المناورة العنيفة التي تقوم أساساً على هدف إفحام الخصم وبيان خطئه وإظهار فساد رأيه وقصور حجتَّه.

وقد عرضت البحث في ثلاثة فصول وخاتمة:

الأول: حوار في عصر التقدم العلمي.

الثاني: أقوال العلماء والأولياء في هذه الرؤية الشريفة.

الثالث: كيفية هذه الرؤية المباركة وتساؤلات فيها.

الخاتمة.

الفصل الأول

حوار في عصر التقدم العلمي

رؤية النبيّ ﷺ يقظة مسألة إن جاز لكل عصر من عصور الإسلام أن يحتار فيها أو يتردد في فهمها أو يتحفّظ في القول بصحتها؛ فلا يحق لأهل هذا العصر أن يقعوا بمثل ذلك وهم يواكبون هذا التطور العلمي الزاحف على عقول الناس وعيونهم دقيقة فدقيقة، وليس شهراً بعد شهر أو سنةً بعد سنة! وحينئذٍ لا يعقل أن يقال: إن الله تعالى يعجز عمّا مكّن منه عباده! ولا يعقل أن يقال: إن العباد والعبيد يقدرون على ما ليس في قدرة خالقهم وخالق القدرة في عقولهم!.

وإن من أبرز المخترعات العلمية التي تجعل رؤية المصطفى ﷺ يقظة أمراً ممكناً بل أمراً واقعاً هي مجموعة (التلي) TELE. وهي: التلفون والتلفزيون والتلكسوب والتلكس.. إلى آخر قائمة هذه المجموعات العجيبة، والتي لا ندري إلى أين ستصل مما لا يتصوره عقل لولا المشاهدة والتجربة الفعلية.

ولكي نفهم موضوعنا هذا الذي نتحاور فيه علينا أن نتأمّل جيداً فيما يلي من الأمور الواقعة:

● رجل يتحدث في القمر أو في نيويورك أو في موسكو، فيراه كل الناس وهم جالسون في بيوتهم في آن واحد، فكيف تفتّتتْ أجزاء صورته ثمّ تجمعت مرَّة أخرى حتى وصلت إلى هذا الصندوق الخشبي الذي أمامك؟ فيعرض عليك رجل بكل حركاته وسكناته وتعابير وجهه وعدد

أنفاسه، مع كل ما يجري في العالم كلّه، وكأنك حاضر في كل أرض، وشاهدٌ في كل بلد وموجود في كل قطر في آن واحد! فإذا استطاع البشر المخلوق أن يفعل ذلك بالواسطة والآلة، فماذا يمكن للخالق الذي يقول للشيء كن؛ فيكون، أن يفعل بدون آلة ولا واسطة؟ فهل يصعب عليه ما سهل على عبيده أن يبث صورة حبيبه محمّد ﷺ إلى من يحب من عباده بدون جهاز أو كهرباء؟ أم إن رؤية النبيّ ﷺ كانت من آيات الله عجباً؟.

● إن أجهزة التصوير والتسجيل والفيديو تحتفظ بمئات الأفلام لمئات الأشخاص الذين ماتوا وتعرضهم علينا حيناً بعد حين وهم أحياء يتحركون ويتكلّمون رغم كونهم ميتين فعلاً، وليس ثمة عاقل يقول: إن هذه الحالة تناقُض بين حقيقة كونهم أحياء في هذا الفيلم، وحقيقة كونهم أمواتاً في واقع الأمر، وإنما التوفيق بين الأمرين معقول وواقعي جداً، فهل يصعب على الله سبحانه وتعالى ما سهّل على عبيده من التوفيق بين حقيقة موت رسول الله ﷺ وحقيقة أن صورته لا تزال باقية ولكن من غير جهاز ولا كهرباء، وإنما بقدرة القادر على كل شيء، وإذا كان لا بد من جهاز وكهرباء فما الفرق بين الخالق والمخلوق؟ أم حسبت أن رؤية النبيّ ﷺ يقظة كانت من آيات الله عجباً؟

● إن جهازاً من أجهزة التلفون قد شاع في العالم كلّه وهو تلفون الصوت والصورة، فما إن ترفع السماعة ويدق الجرس في الرقم المطلوب فيرفع صاحبها السماعة هو الآخر حتى ترى صورته وتسمع صوته حيثما كان، رجل في أقصى المغرب ورجل في أقصى المشرق يريان بعضهما من خلال جهاز صغير لو فتحته وتأملت فيه لعجبت من قوّة قدرته رغم صغر

حجمه، هذا من عمل المخلوق، فماذا تنكر من قدرة الخالق عَزَّوَجَلَّ على أن يريك صورة حبيبه محمّد ﷺ ويسمعك صوته سواء كان ذلك بواسطة أو بغير واسطة؟ أم حسبت أن رؤية النبيّ ﷺ يقظةً كانت من آيات الله عجباً؟

● إن من الأبحاث الجارية الآن في العالم والتي وصلت إلى مرحلة متقدمة هي تجميع الصورة والصوت من الأثير، من حيث إن كليهما لا يفنى، وقد جمعت أصوات العديد من شخصيات التاريخ من ذرّات أصواتهم المتناثرة في الهواء، وما هي إلا فترة زمنية قادمة حتى يستطيع العلم أن يجمع لك صورة أي إنسان من الماضين، ويسمعك صوته كما كان قد فعل في حياته، وهذا من عمل المخلوق فماذا تنكر من عمل الخالق؟ أم حسبت أن رؤية النبيّ ﷺ يقظةً كانت من آيات الله عجباً؟

فلو تأمل المسلمون في معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف: ٩] لفهموا الإشارة التي كان الله سبحانه وتعالى قد ضمّنها هذه الآية، فهو يقول لرسوله ﷺ وللناس: أعجبت من أمر أصحاب الكهف؟ أراعك أمرهم؟ أأدهشك أن نُنِيمَهم ثلاثمائة سنة ثمّ نوقظهم؟ أترى أن ذلك آية من آياتنا العجيبة؟ إنك لو تأملت لرأيت أن هذه من أقل آياتنا! فلقد خلقنا آدم من غير أب ولا أم فقلنا له: كن فيكون، وخلقنا عيسى من غير أب فقلنا له: كن فيكون، وخلقنا لزكريا الذي بلغ من الكبر عتيّاً ومن زوجته العجوز العاقر خلقنا لهما يحيى، وأحيينا لأيوب أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا، وأحيينا العُزَيْر بعد أن أمتناه مائة عام، وأحيينا له حماره أمام عينه وقد مات هو الآخر منذ مائة عام، واحتفظنا له بطعامه وشرابه صالحاً لم يتغير طعمه ولم يتسنّه كل هذه

المدّة، فماذا تكون آية أهل الكهف إلى جانب آياتنا هذه؟ أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً؟.

ونحن نقول: أم حسبت أن رؤية رسول الله ﷺ يقظة كانت من آيات الله عجباً؟.

وقد مكّن الله لعباده الكافرين أن يبثّوا صورة الأحياء والأموات عبر ملايين الأميال وما بين السمٰوات والأرض، فلقد رأى أهل الأرض (آرمسترونج) وهو على القمر عبر شاشة مركبته الفضائية، وأصيب رأسه بصداع حاد وهو في القمر، فبثّتْ له محطة إطلاق الصواريخ العلاج عبر الأثير فشفي من مرضه!

فإذا كان الله قد مكّن لعباده الكافرين كل هذا ولا ندري ماذا سيمكّن لهم أكثر بعد ذلك! فماذا تنكر من عبد مسلم بلغ من شدّة عبوديته لله أن تقرب من ربّه فتقرب منه ربّه وبثّ له صورة حبيبه المصطفى ﷺ الذي أثبت العلم أن أجزاءها وأجزاء صوته الشريف موجودان في الأثير، وأن للعلم وأدواته المعاصرة والآلة الحديثة طرقاً في جمعها؟.

● إن العلم يتوصل اليوم إلى اكتشاف آيات الله في الآفاق وفي أنفس الناس حتى يتبيّن لهم أنّه الحق، فالعلم لم يخلق الصورة التي جمعها من الأثير ولكنه اكتشف آية من آيات الله موجودة فعلاً وقدرة من قدراته عَزَّوَجَلَّ جارية في ملكه وملكوته، فإنّ من المعروف أن للضوء الآن دوراً عظيماً في كل خطوات التقدم العلمي، حيث اكتشف العلم الطاقة الهائلة للضوء ابتداءً بأشعة (أكس) و(الليزر) وانتهاء بالحزمة الضوئية التي يمكن أن تكون وعاءً لملايين الكتب التي تخزن في حزمة ضوئية كما تخزن

في فيلم ونحوه، فإذا أردت أيّة معلومة من أيّ كتاب فما عليك إلّا أن تدير جهازاً صغيراً يومض لك ومضة ضوء صغيرة وسريعة ترى عليها ما تريد من معلومات بلمح البصر، فالعلم هنا اكتشف قدرةً من قدرات الله وأسلوباً من أساليب إدارته لهذا الكون، إنّ طاقة الضوء موجودة من قبل أن تكتشف علمياً في هذا العصر، وهذا يعني أن العلم كاشف للحقائق وليس مُنشِئاً لها.

فلماذا لا يُقال: إن رؤية رسول الله ﷺ أو رؤية صورته الشريفة يقظة داخلة في هذا المضمار، وسائرة على هذا النهج من إمكانية ذلك قبل أن تعمل الآلة عملها المعروف اليوم: من تسجيل الصور والحركات والأشخاص والأموات فتحتفظ بها وتعرضها على الناس بعد مئات السنين من موت أصحابها، وما يقدر عليه البشر بالآلة يقدر الله عليه بدون آلة.

وقد خلق الله بشراً بآلة كما خَلَقَنَا نحن، وخلق بشراً بدون آلة كما خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وخلق بشراً بنصف آلة كما خلق عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهكذا، بل إن الله سبحانه تعالى استجاب لبشر صالحين من عباده ليسوا بأنبياء ولا مرسلين، فحقق لهم من الخوارق بدون آلة ما قد يعجز البشر عن بعضه حتى بالآلة.

فقد روى ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ [1] بسنده قال: فأولياء الله المتقون هم المقتدون بسيّدنا محمّد ﷺ فيفعلون ما أمر به وينتهون عما عنه زجر،

---

(١) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي حنبلي المذهب ولد في حران وانتقل به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر. سجن بمصر مرتين من أجل فتواه. توفي بقلعة دمشق معتقلاً، فصيح اللسان، مُكْثِرٌ من التصنيف، من تصانيفه: السياسة الشرعية، ومنهاج السنة. ينظر: الأعلام للزركلي (١/ ١٤٠)، والبداية والنهاية (١٤/ ١٣٥).

ويقتدون به فيما بيّن لهم أن يتبعوه فيه فيؤيدهم بملائكته وروح منه، ويقذف في قلوبهم من أنواره، ولهم من الكرامات التي يكرم الله أولياءه المتقين بها..[(١)]. وكرامات أولياء الله إنما حصلت ببركة اتباع رسول الله ﷺ، فهي في الحقيقة تدخل في معجزات الرسول ﷺ مثل: انشقاق القمر[(٢)]، وتسبيح الحصى في كفه[(٣)]، وإتيان الشجر إليه[(٤)]، وحنين الجذع إليه[(٥)]، وإخباره ليلة المعراج بصفة بيت المقدس، وإخباره بما كان وما يكون[(٦)]، وإتيانه بالكتاب العزيز، وتكثير الطعام والشراب مرّات كثيرة، كما أشبع في الخندق العسكر من قدر طعام وهو لم ينقص في حديث أم سلمة[(٧)] المشهور[(٨)]، وملأ أوعية العسكر عام تبوك من طعام قليل ولم ينقص وهم

---

(١) ينظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية رحمه الله (١١/ ٢٧٤ - ٢٨٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب/باب: سؤال المشركين أن يريهم النبيّ ﷺ آية: (٧/ ٤٤٤).

(٣) أخرجه البيهقي في دلائل النبوّة: (٦/ ٦٤ - ٦٥).

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب/ باب: إثبات نبوته ﷺ: (٥/ ٥٩٤) وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب/باب: علامات النبوّة: (٧/ ٤١٤، ٤١٥).

(٦) صحيح مسلم (٤/ ٢٢١٧).

(٧) أم سلمة هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله، المخزومية. أم المؤمنين. ممن أسلم قديماً، ومن المهاجرات الأول. تزوّجها النبيّ ﷺ سنة أربع من الهجرة، بعد أن توفي زوجها أبو سلمة، موصوفة بالعقل البالغ والرأي الصائب. روت عن النبيّ ﷺ وأبي سلمة وفاطمة الزهراء عدداً من الأحاديث. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٨٠/ ١٥٠).

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المغازي/باب: غزوة الخندق وهي الأحزاب: (٨/ ٣٩٨ - ٤٠٢).

نحو ثلاثين ألفاً[(١)]، ونبع الماء من بين أصابعه مرّات متعددة حتى كفى الناس الذين كانوا معه[(٢)]، كما كانوا في غزوة الحديبية نحو ألف وأربعمائة أو خمسمائة[(٣)]، وردّه لعين قتادة[(٤)] حين سالت على خدّه فرجعت أحسن عينيه[(٥)]، ولما أرسل رسول الله ﷺ سرية لقتل كعب بن الأشرف، وقع الحارث بن أوس بن معاذ وانكسرت رجله، فمسحها فبرئت[(٦)]، وأطعم من شواء مائة وثلاثين رجلاً منهم، حزّ له قطعة، وجعل منها قطعتين فأكلوا منها جميعهم ثمّ فضل فضلة[(٧)]، وديْن عبد الله أبي جابر لليهود وهو ثلاثون وسقاً، قال جابر فأمر صاحب الديْن أن يأخذ التمر جميعه بالذي كان له فلم يقبل، فمشى فيها رسول الله ﷺ ثمّ قال لجابر: «**جدّ له**» فوفاه الثلاثين وسقاً وفضل سبعة عشر وسقاً[(٨)]. ومثل هذا كثير قد جمعت نحو ألف معجزة.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل/باب: في معجزات النبيّ ﷺ: (٧/ ٦٠).
(٢) صحيح البخاري (١/ ٧٤).
(٣) أخرجه مسلم (٣/ ١٤٨٤).
(٤) قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن يخلو بن ظفر، أمه أنيسة بنت قيس بن عمرو بن عبيد بن مالك بن عمرو بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار من الخزرج، قال محمّد بن عمر: وكان قتادة يكنّى أبا عمر، وقال عبد الله بن محمّد بن عمارة الأنصاري كنيته أبو عبد الله وكان لقتادة من الولد عبد الله وأم عمرو وأمهما هند بنت أوس بن خزمة. ينظر: الطبقات الكبرى (٣/ ٤٥٢).
(٥) رواه أبو يعلى في مسنده: (٣/ ١٢٠).
(٦) ينظر: فتح الباري في شرح صحيح البخاري: (٨/ ٣٤٢) رقم: (٣٤٣).
(٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الهبة/باب: قبول الهدية من المشركين: (١/ ١٥٩) رقم: (١٦٠)، وأخرجه أيضاً مسلم في صحيحه في كتاب الأشربة/باب: إكرام الضيف وفضل إيثاره: (٦/ ١٢٩) رقم: (١٣٠).
(٨) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المناقب/باب: علامات النبوّة: (٧/ ٤٠٤) رقم: (٤٠٥).

ولا يزال الكلام لابن تيمية رحمه الله: وكرامات الصحابة والتابعين بعدهم وسائر الصالحين كثيرة جداً:

مثلما كان (لأُسيد بن حضير)[١] يقرأ سورة الكهف فنزل من السماء مثل الظلّة فيها أمثال السرج وهي الملائكة نزلت لقراءته، وكانت الملائكة تسلّم على عمران بن حصين[٢]، وكان سليمان وأبو الدرداء يأكلان في صحفة فسبّحت الصحفة أو سبّح ما فيها[٣]. وعبّاد بن بشر وأسيد بن حضير خرجا من عند رسول الله ﷺ في ليلة مظلمة فأضاء لهما نور مثل طرف السوط فلمّا افترقا افترق الضوء معهما[٤].

ونحن نقول: أم حسبت أن رؤية النبيّ ﷺ يقظة من آيات الله عجباً؟ ويضيف ابن تيمية رحمه الله تعالى فيقول: وقصّة الصدّيق في الصحيحين، لمّا ذهب بثلاثة أضياف معه إلى بيته، وجعل لا يأكل لقمة إلّا ربَى من أسفلها

---

(١) هو أسيّد بن حضير بن سماك بن عتيك، أبو يحيى، الأوسي، صحابي. كان شريفاً في الجاهلية والإسلام، من أهل المدينة، يعد من عقلاء العرب. وذوي الرأي فيهم. روى عن النبيّ ﷺ. وعنه أبو سعيد الخدري وأنس وأبو ليلى الأنصاري وكعب بن مالك وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين. شهد العقبة الثانية مع السبعين من الأنصار، وكان أحد النقباء الاثني عشر، وشهد أحداً فَجُرح سبع جراحات وثبت مع رسول الله ﷺ حين انكشف الناس، وشهد الخندق والمشاهد كلّها، وفي الحديث: «**نعم الرجل أسيد بن الحضير**». له ثمانية عشر حديثاً. ينظر: أسد الغابة (١/ ١١٣)، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب المساجد ومواضع الصلاة/ باب: نزول السكينة لقراءة القرآن: (٢/ ١٩٤).

(٢) تذكرة الحفاظ (١/ ٢٩).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية: (١/ ٢٢٤).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب/باب: منقبة أسيد بن حضير وعبّاد بن بشر رضي الله عنهما: (٨/ ١٢٥).

أكثر منها فشبعوا وصارت أكثر مما هي قبل ذلك، فنظر إليها أبو بكر وامرأته فإذا هي أكثر مما كانت، فرفعها إلى رسول الله ﷺ وجاء إليه أقوام كثيرون فأكلوا حتى شبعوا(١). وخُبيْب بن عدي كان أسيراً عند المشركين بمكّة - شرّفها الله تعالى - وكان يُؤتَى بعنب يأكله وليس بمكّة عنْبة(٢).

وعامر بن فُهيْرة قُتل شهيداً فالتمسوا جسدهُ فلم يقدروا عليه، وكان لمّا قُتِل رُفِع فرآه عامر بن الطفيل قد رُفِع، وقال عروة: فيرون الملائكة رفعته(٣).

وخرجت أم أيمن مهاجرة وليس معها زاد ولا ماء، فكادت تموت من العطش، فلمّا كان وقت الفطر وكانت صائمة سمعت حسّاً على رأسها فرفعت رأسها فإذا دلوٌ معلّق فشربِت حتى رويِت، وما عطشت بقيّة عمرها(٤).

أم حسبت أن رؤية النبيّ ﷺ يقظة كانت من آيات الله عجباً؟

ولايزال الكلام لابن تيمية: وسفينة مولى رسول الله ﷺ أخبر الأسد بأنّه رسول رسول الله ﷺ فمشى معه الأسد حتى أوصله مقصده(٥).

والبراء بن مالك(٦) كان إذا أقسم على الله أبرّ قسمه، وكانت الحرب

(١) صحيح البخاري: (٣/ ٢٧) رقم: (٢٨).
(٢) ذكره ابن سعد في الطبقات: (٨/ ٣٠١) رقم: (٣٠٢).
(٣) الإصابة: (٢ / ٢٥٦).
(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية: (٢/ ٦٧).
(٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية: (١/ ٣٦٩).
(٦) البراء بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي ابن النجار، شهد أحداً والخندق والمشاهد بعد ذلك مع رسول الله ﷺ وكان شجاعاً في الحرب، مجاب الدعوة. ينظر: الإصابة (١/ ٢٨٠).

إذا اشتدت على المسلمين في الجهاد يقولون: يا براء أقسمْ على ربك فيقول: يا رب أقسمت عليك لما منحتنا أكتافهم، فيهزم العدو، فلمّا كان يوم القادسية قال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وجعلتني أول شهيد! فمُنِحُوا أكتافهم وقتل البراء شهيداً(١).

وخالد بن الوليد(٢) حاصر أسوار مدينة حمص فقالوا: لا نسلّم حتى تشرب السمّ، فشربه فلم يضرّه(٣).

وعمر بن الخطّاب لمّا أرسل جيشاً أمّر عليهم رجلاً يسمى (سارية) فبينما عمر يخطب جعل يصيح على المنبر: يا سارية الجبلَ الجبلَ، يا سارية الجبلَ الجبلَ! فقَدِم الجيش، فسأل فقال: يا أمير المؤمنين لقينا عدواً فهزمونا فإذا بصائح: يا سارية الجبلَ! يا سارية الجبلَ! فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله(٤).

أم حسبت أن رؤية النبيّ ﷺ كانت من آيات الله عجباً؟.

ويستمر ابن تيمية رحمه الله تعالى فيقول: ولما عُذِّبت (الزُنيْرة) على الإسلام

---

(١) ماذا لو أقسم البراء على الله أن يريه رسول الله ﷺ أكان الله يعجز أن يبرّ بقسمه هذا كما أبرّ بقسمه في غير ذلك؟.

(٢) هو خالد بن الوليد بن المغيرة، أبو سليمان، المخزومي القرشي، الصحابي، سيف الله الفاتح الكبير، كان من أشراف قريش في الجاهلية، وأسلم قبل فتح مكة سنة ٧هـ. ينظر: الإصابة (١/ ٤١٣)، والاستيعاب (٢/ ٤٢٧).

(٣) أخرجه البيهقي في دلائل النبوّة: باب: ما في تسمية الله عز وجل من الحرز من السم (٧/ ١٠٦).

(٤) كشف الخفاء (٢/ ٥١٤). وكرامات الأولياء: (٢/ ٣).

فأبت إلّا الإسلام وذهب بصرها قال المشركون: أصاب بصرها اللّات والعزّى، قالت: كلا والله، فردّ الله بصرها[(١)].

ودعَا سعيد بن زيد[(٢)] على أروى بنت الحكم فأعمى بصرها لمّا كذبت عليه، فقال: اللهمّ إن كانت كاذبة فأعمِ بصرها واقتلها في أرضها، فعميت ووقعت في حفرة من أرضها فماتت[(٣)].

والعلاء بن الحضرمي[(٤)] كان عامل رسول الله ﷺ على البحرين وكان يقول في دعائه: يا عليم يا حكيم يا علي يا عظيم فيستجاب له، ودعا الله أن يُسقَوا ويتوضؤوا لمّا عدموا الماء والإسقاء لما بعدهم فأجيب، ودعا الله لمّا اعترضهم البحر ولم يقدروا على المرور بخيولهم فمروا كلّهم على الماء وما ابتلّت سروج خيولهم، ودعا الله أن لا يروا جسده إذا مات، فلم يجدوه في اللحد..[(٥)] أم حسبت أن رؤية النبيّ ﷺ من آيات الله عجباً؟

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة: (٧/ ٦٦٤).

(٢) هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب ويكنى أبا الأعور، وأمه فاطمة ابنة بعجة بن أمية بن خويلد بن خالد بن المعمور بن حيان بن غنم بن مليح من خزاعة وهو من العشرة المبشرين بالجنّة، شهد بدراً وكان بالكوفة ونزلها ثمّ رجع إلى المدينة وتوفي بالعقيق. ينظر: الطبقات الكبرى (٦/ ١٣).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية: (١/ ٩٦).

(٤) العلاء بن الحضرمي واسم الحضرمي عبد الله بن ضماد بن سلمى بن أكبر من حضرموت من اليمن، وكان حليفاً لبني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وأخوه ميمون بن الحضرمي صاحب البئر التي بأعلى مكة بالأبطح يقال لها بئر ميمون مشهورة على طريق أهل العراق. الطبقات الكبرى (٤/ ٣٥٩).

(٥) أخرجه أبو نعيم في الدلائل عن أبي هريرة: (٣/ ٢٠٨).

وجرى مثل ذلك لأبي مسلم الخولاني[(١)] - والكلام لا يزال لابن تيمية -: الذي ألقي في النار، فإنّه مشى ومن معه من العسكر على دجلة وهي ترمي بالخشب من مدّها، ثمّ التفت إلى أصحابه فقال: تفقدون من متاعكم شيئاً حتى أدعو الله عَزَّوَجَلَّ فيه؟ فقال بعضهم: فقدت مخلاة، فقال: اتبعني فتبعه فوجدها قد تعلقت بشي فأخذها[(٢)].

وطلبه الأسود العنسي لمّا ادّعى النبوّة فقال له: تشهد أن محمّداً رسول الله؟ قال: نعم. فأمر بنار فألقي فيها فوجدوه قائماً يصلّي فيها وقد صارت عليه برداً وسلاماً، وقدم المدينة بعد موت النبيّ ﷺ فأجلسه عمر بينه وبين أبي بكر الصديق رضي الله عنهم، وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني من أمّة سيّدنا محمّد ﷺ من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الله[(٣)]، وخببت امرأة عليه زوجته[(٤)] فدعا عليها فعميت، وجاءت فتابت فدعا لها فردّ الله عليها بصرها[(٥)].

ولا زلنا في كرامات الصحابة، ولا يزال الكلام لابن تيمية رحمه الله تعالى.

وعامر بن عبد قيس[(٦)] كان يأخذ عطاءه ألفي درهمٍ في كمّه وما يلقاه

---

(١) أبو مسلم الخولاني واسمه عبد الله بن ثوب وكان ثقة. ينظر: الطبقات الكبرى (٧/ ٤٤٨).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية: (٥/ ١٢٠ - ١٢١).

(٣) ذكر القصة ابن حجر في تهذيب التهذيب: (١٢/ ٢٣٦).

(٤) خببت امرأة عليه زوجته: أي أفسدت بينهما. ينظر: لسان العرب (١/ ٣٤١).

(٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية: (٥/ ١٢١).

(٦) عامر بن عبد قيس بن قيس ويقال: عامر بن عبد قيس بن ناشب بن أسامة بن حذيفة بن معاوية التميمي العنبري أبو عبد الله أو أبو عمرو الصحابي المشهور يقال أدرك الجاهلية ينظر: الإصابة (٥/ ٧٦).

سائل في طريقه إلّا أعطاه بغير عدد، ثمّ يجيء إلى بيته فلا يتغير عددها ولا وزنها[١]، ومر بقافلة قد حبسهم الأسد فجاء حتى مسّ بثيابه الأسد ثمّ وضع رجله على عنقه وقال: إنما أنت كلب من كلاب الرحمٰن وإني أستحيي أن أخاف شيئاً غيره، ومرّت القافلة[٢]، ودعا الله تعالى أن يهوّن عليه الطهور في الشتاء فكان يُؤتَى بالماء له بخار[٣]، ودعا ربّه أن يمنع قلبه الشيطان في الصلاة فلم يقدر عليه[٤].

أما كرامات التابعين فهي أيضاً بلا حصر كما رواها ابن تيمية أيضاً فقال:

صلة بن أشيم[٥] جاع مرّة بالأهواز فدعا الله عز وجل واستطعمه فوقعت خلفه دوخلة رطب في ثوب حرير فأكل التمر وبقي الثوب عند زوجته زماناً[٦].

ويستمر ابن تيمية رحمه الله في سرد هذه الكرامات للصحابة والتابعين فيقول: ولما مات (أويس القرني)[٧] وجدوا في ثيابه أكفاناً لم تكن معه قبل

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: (٧/ ١٠٣).
(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية: (٢/ ٩٢).
(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية: (٢/ ١٠٥ - ١٠٦).
(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات: (٧/ ١٠٥ - ١٠٦).
(٥) صلة بن أشيم العدوي أبو الصهباء قال ثابت البناني: كان صلة بن أشيم يخرج إلى الجبال فيتعبد فيها، فكان تمر عليه شباب يلهون ويلعبون فيقول لهم: أخبروني عن قوم أرادوا سفراً فحادوا النهار عن الطريق وباتوا بالليل متى يقطعون سفرهم؟ قال: فكان كذلك يمر بهم فيعظهم فمر بهم ذات يوم فقال لهم هذه المقالة فقال شاب منهم: يا قوم إنه والله ما يعني بهم غيرنا نحن بالنهار نلهو وبالليل نيام. ينظر: صفوة الصفوة (٣/ ٢١٦).
(٦) أخرجه أبو نعيم في الحلية: (٢/ ٢٣٩).
(٧) أويس بن عامر وقيل عمرو ويقال أويس بن عامر بن جزء بن مالك بن عمرو بن مسعدة بن =

ووجدوا له قبراً محفوراً في لحد في صخرة فدفنوه فيه وكفنوه في تلك الأثواب[(١)].

وكان مطرف بن عبد الله الشخير[(٢)] إذا دخل بيته سبّحت معه آنيته، وكان هو وصاحب له يسيران في ظلمة فأضاء لهما طرف السوط[(٣)].

وكان (عتبة الغلام)[(٤)] قد سأل ربه ثلاث خصال: صوتاً حسناً، ودمعاً غزيراً، وطعاماً من غير تكلف، فكان إذا قرأ بكى وأبكى ودموعه جارية، وكان يأوي إلى منزله فيصيب فيه قوته لا يدري من أين يأتيه[(٥)].

وكان عبد الواحد بن زيد[(٦)] أصابه الفالج فسأل ربّه أن يطلق له

= عمرو بن سعد بن عصوان بن قرن بن ردمان بن ناجية بن مراد المرادي وروى عن عمر وعلي، وروى عنه بشير بن عمرو وعبد الرحمٰن بن أبي ليلى ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل الكوفة وقال: كان ثقة، الإصابة (١/ ٢١٩).

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية: (٢/ ٨٣ - ٨٤).

(٢) مطرف بن عبد الله بن الشخير تقدم نسبه في ترجمة والده وهو التابعي المشهور، قال ابن حبان في ثقات التابعين: ولد في عهد النبيّ ﷺ وكان من عباد أهل البصرة، الإصابة (٦/ ٢٦١).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية: (٢/ ٢٠٥ - ٢٠٦).

(٤) عتبة الغلام: الخاشع الخائف عتبة بن أبان البصري كان يشبه في حزنه بالحسن البصري قال رياح القيسي: بات عندي فسمعته يقول في سجوده: (اللهم احشر عتبة من حواصل الطير). وقال مخلد بن الحسين: جاءنا عتبة الغلام غازياً وقال: رأيت أني آتي المصيصة في النوم وأغزو فأستشهد، قال فأعطاه رجل فرسه وسلاحه وقال: إني عليل فاغز عني فلقوا الروم فكان أول من استشهد ينظر: سير أعلام النّبلاء (٧/ ٦٢).

(٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية: (٦/ ٢٣٦).

(٦) عبد الواحد بن زيد العابد كنيته أبو عبيدة من أهل البصرة له حكايات كثيرة في الزهد والرقائق يروي عن الحسن ومالك بن دينار روى عنه أهل بلده يعتبر بحديثه إذا كان دونه وفوقه ثقات ويجتنب ما كان من حديثه من رواية سعيد بن عبد الله بن دينار فإن سعيداً يأتي بما لا أصل له عن الإثبات ينظر: الثقات لابن حبان (٧/ ١٢٤).

أعضاءه وقت الوضوء، فكان وقت الوضوء تطلق له أعضاؤه ثمّ تعود بعده[(١)]. وختم ابن تيمية رحمه الله هذا الباب بقوله: وهذا باب واسع... قد بسط الكلام على كرامات الأولياء في غير هذا الموضوع، وأما ما نعرفه عن أعيانه، ونعرفه في هذا الزمان فكثير[(٢)].

ونقول بعد ذلك: أي كرامة من هذه الكرامات التي أثبتها ابن تيمية رحمه الله هي من المعقول أو من الأمور التي يقرّها العلم وقواعد الحياة؟ ففي بحر الكرامات هذا أكثر على رسول الله ﷺ أن يرى صورته بعض أحبابه الصالحين وهي محفوظة في علم الله كما حفظت صورة المئات من الأموات في علم الإنسان المترجم إلى شريط أو فيلم أو نحوهما، أم حسبت أن رؤية رسول الله ﷺ يقظة كانت من آيات الله عجباً؟.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلاَّ رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحي حتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ**»[(٣)].

فماذا بقي من حاجز بين الأحياء وبين رسول الله ﷺ إذا تلاشى حاجز الموت بينهم.

وسعيد بن المسيب[(٤)] كان يسمع الأذان من قبر رسول الله ﷺ خمس مرات في اليوم، وذلك في أيام الحرّة حين أُغلِق المسجد ومنع الناس من

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية: (٦/ ١٥٥).

(٢) الفتاوى لابن تيمية (١١/ ٢٧٤ - ٢٨٢).

(٣) سنن أبي داود (٢/ ٢١٨) برقم: (٢٠٤١).

(٤) هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي مخزومي؛ من كبار التابعين، وأحد الفقهاء بالمدينة المنورة. جمع بين الحديث والفقه والزهد، توفي بالمدينة. الأعلام للزركلي (٣/ ١٥٥)، وطبقات ابن سعد (٥/ ٨٨).

الدخول إليه ولم يكن يسمح لأحد إلا لسعيد بن المسيّب[(١)]. فمن أين كان يأتي صوت الأذان من القبر؟[(٢)]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مِنْ أَشَدّ أُمّتِي لِي حُبّاً، نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي، يَوَدّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي، بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ**»[(٣)]. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه «أَنّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ أَتَى الْمَقْبُرَةَ فَقَالَ: «**السّلاَمُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنّا إِنْ شَاءَ اللّهُ بِكُمْ لاَحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا!**» قَالُوا: أَوَ لَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللّهِ؟ قَالَ: «**أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ**»[(٤)].

والسؤال أين تقع هذه الرؤية التي يتمنّاها رسول الله ﷺ ويتمنّاها أحبابه؟ لا بدّ أنّها تقع في الدنيا وذلك لأمرين: أحدهما: أن أحباب رسول الله ﷺ يتمنون ذلك ويدفعون أموالهم وأهليهم ثمناً لذلك، وهذا لا يكون إلّا في الدنيا، والثاني: أن كل الناس يرون رسول الله ﷺ في الآخرة، إذنْ تعيّنت الرؤية في الدنيا وحينئذٍ نقول: هل كان رسول الله ﷺ يتمنى أمراً

---

(١) الفتاوى (١١/ ٢٨٠ - ٢٨١).

(٢) أخرجه الدارمي في سننه: (١/ ٥٦ - ٥٧).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجنّة وصفة نعيمها/ باب: من يود رؤية النبيّ ﷺ بأهله وماله (٤/ ٢١٧٨).

(٤) صحيح مسلم كتاب الطهارة/ باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء (١/ ١٥٠) وتمامه: . . فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمّتِكَ يَا رَسُولَ اللّهِ؟ فَقَالَ: «**أَرَأَيْتَ لَوْ أَنّ رَجُلاً لَهُ خَيْلٌ غُرّ مُحَجّلَةٌ. بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ. أَلاَ يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟**» قَالُوا: بَلَىَ. يَا رَسُولَ اللّهِ! قَالَ: «**فَإِنّهُمْ يَأْتُونَ غُرّاً مُحَجّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ. وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ. أَلاَ لَيُذَادَنّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضّالّ فَأُنَادِيهِمْ: أَلاَ هَلُمّ فَيُقَالَ: إِنّهُمْ قَدْ بَدّلُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ: سُحْقاً سُحْقاً**».

مستحيلاً أم ممكناً؟ وعن أوس بن أوس[(١)] قال: قال رسول الله ﷺ: «**أكثروا عليّ من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة فإن صلاتكم معروضة عليّ**» قالوا: يا رسول الله ﷺ كيف تُعرَض صلاتنا عليك وقد أرِمت (أي بليت)؟ فقال: «**إن الله حرّم على الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء**»[(٢)].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه [(٣)] قال: قال رسول الله ﷺ: «**وإن أحداً لن يصلي عليّ إلا عُرِضت عليّ صلاته حتى يفرغ منها**» قال: قلت: وبعد الموت؟ قال: «**إن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**» عليهم الصلاة والسلام[(٤)].

والسؤال: ما هو وجه المنع في رؤية رسول الله ﷺ يقظة إذا كانت صلاتنا عليه تُعرَض عليه؟ وقد قال رسول الله ﷺ: «**إن لله ملائكة سيّاحين في الأرض يبلغونني من أمتي السلام**»[(٥)].

فإذا كانت الملائكة تُبلّغ رسول الله ﷺ صلاة أمّتهِ عليه؛ فلا بد أن في الأمر خصوصية من حيث إمكان الرؤية، كما لا يخفى أن عدم رؤية بعض الناس لرسول الله ﷺ يقظة لا ينفي عدم وجودها لآخرين أو عدم وجوده في

---

(١) أوس بن أوس الثقفي روى له أصحاب السنن الأربعة أحاديث صحيحة من رواية الشاميين ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ١٤٣).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (١/ ٤١٣).

(٣) أبو الدرداء واسمه عويمر بن زيد بن قيس بن عائشة بن أمية بن مالك بن عامر بن عدي بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج وأمه محبة بنت واقد بن عمرو. صحابي جليل. ينظر: الطبقات الكبرى (٧/ ٣٩١).

(٤) سنن ابن ماجه (١/ ٣٤٥) برقم: (١٠٨٥).

(٥) أخرجه النسائي في كتاب السهو/باب: السلام على النبيّ ﷺ: (٢/ ٢٤١).

حقيقة الأمر، فقد روى ابن تيمية: أَن الحسن البصري تغيّب عن الحَجَّاج، فدخلوا عليه ست مرّات فدعا الله عَزَّوَجَلَّ فلم يرهُ منهم أحد وكان أصحابه يرونه في تلك الساعة ولا يراهُ حُجّاب الحَجّاج(١).

والسؤال: أين كان الحسن البصري ساعةَ لم يكن الحرس يرونه؟ هل كان موجوداً أم كان معدوماً؟ ولماذا يراه أصحابه ولا يراه غيرهم؟.. وماذا يمكن أن نستدل بذلك على جواز رؤية رسول الله ﷺ يقظة من بعض الناس دون بعض؟

إن الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ موجود يَرى ويُرى من بعض صالحي هذه الأمة، وقد تواتر النقل عن كثير من صالحي الأمة منذُ الرسالة إلى يومنا هذا أنهّم يرونَ الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ بأشكال عدّة، فإذا كان الخضر يُرى فلماذا لا يُرى رسول الله ﷺ من الأنبياء والمرسلين؟ وإذا كان الشهداء أحياء عند ربّهم يرزقون فلماذا لا يكون الأنبياء أحياء أيضاً وهم أفضل من الشهداء؟ خاصّة قد صح أنّه ﷺ أمّهم ليلة الإسراء حيث صلّى الأنبياء خلفهُ(٢).

كما صحّ النقل عن قوم رأوا الخضر، فقد صحّ النقل عن قوم رأوا رسول الله ﷺ ويرونه يقظة، وهؤلاء القوم وإن لم يكونوا معصومين إلا أن صلاحهم وثقة الناس بهم ومدى خوفهم من الله ومدى حبهم لرسوله ومدى حذرهم من الكذب يجعلهم في حكم المعصومين في مسألة إخبارهم برؤية النبيّ ﷺ يقظة، ومن هؤلاء: الشيخ عبد القادر الجيلاني، والشيخ أحمد الرفاعي و.. والشيخ النّبهاني رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) الفتاوى لابن تيمية (١١/ ٢٨٠).
(٢) المستدرك (٤/ ٦٤٨) رقم: (٨٧٩٣).

وإذا قلنا: إن هذا الإنسان لا يكذب ولكنه يتخيل فالسؤال هو: لماذا يحدث هذا التخيل لفلان من الناس دون فلان؟ وحينئذ فإن الجواب الوحيد هو: لأنّ فلاناً هذا كثير التفكر برسول الله ﷺ فامتلأ عقله الباطن بصورة رسول الله ﷺ فخُيِّل إليه وهو من باب قوله عليه الصلاة والسلام: «**الرؤيا ثلاثة: فبشرى من الله، وحديث النفس، وتخويف من الشيطان، فإذا رأى أحدكم رؤيا تعجبه فليقصّها إن شاء، وإذا رأى شيئاً يكرهه فلا يقصّها على أحد وليقمْ فليصل**»[(١)].

وحينئذ نقول: هل هذا من علامات الصلاح أم من علامات الفساد؟ ولا بد أن يكون الجواب هذا من علامات الصلاح أن يمتلئ قلبك بحب رسول الله ﷺ فإن كان الأمر كذلك فما هو وجه التشنيع على أمثال هؤلاء بالابتداع، والخرافة، والتدليس، والتلبيس ونحو ذلك، على فرض كونه تخيلاً، فماذا ونحن نبرهن على أنّه حقيقة ومشاهدة وصلاح نفس.

ولا شك في أن من يرى رسول الله ﷺ في المنام تكون له ميزة على غيره بالوعد بأنّه سيراه حقاً، كما هو نص الحديث: «**من رآني في المنام فسيراني في اليقظة**»[(٢)]. فأين تكون هذه الرؤية؟ إن كانت في الآخرة فهي عامّة لكل الناس من رآه في المنام ومن لم يره، وإن كانت في الدنيا فالأمر واضح، إلا أن النص الآخر الوارد في الحديث هو موضع النظر حيث يقول رسول الله ﷺ: «**من رآني في المنام فقد رأى الحق**»[(٣)] أي رأى الأمر

---

(١) صحيح البخاري (٦/ ٢٥٧٤) برقم: (٦٦١٤).
(٢) صحيح البخاري (٦/ ٢٥٦٧) برقم: (٦٥٩٢).
(٣) صحيح البخاري (٦/ ٢٥٦٨) برقم: (٥٦٩٦).

الحق، فالحق صفة لموصوف محذوف تقديره الأمر الحق، أو الرسول الحق، أو المقصود الحق وهكذا، فماذا يعني هذا التعبير وما المانع أن نقول: إن رؤية رسول الله ﷺ في المنام كرؤيته في اليقظة من حيث إن كليهما رؤية حقيقية لشخصه الكريم وهذه الرؤيا جزء من النبوّة كما قال رسول الله ﷺ: «**ذهبت النبوّة وبقيت المبشرات**»[1]. وقد قال المفسرون كثيراً في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: ٦٢-٦٤]. ومن المبشرات بل من أعظمها في الحياة الدنيا أن ترى رسول الله ﷺ وكما يقول ابن تيمية رحمه الله في كلامه المتقدم عن كرامات الأولياء إن ذلك داخل في معجزات الأنبياء فقال بالحرف الواحد: وكرامات أولياء الله إنما حصلت ببركة اتباع رسوله ﷺ فهي في الحقيقة تدخل في معجزات الرسول ﷺ[2].

وقد تواتر النقل عن بعض الناس أنهم رأوا بعض موتاهم يقظة في عرفات وحول قبر النبيّ ﷺ. وإن امرأة لا تزال على قيد الحياة وهي أستاذة جامعية تاهت في دولة أوربية في طريقها إلى محل زوجها هناك فأصابها من ذلك رعب شديد، حيث لم يعد معها من المال ما يكفي للعودة إلى مسكنها وأوشكت على الانهيار، إلّا أنهّا فوجئت بوالدها المتوفى أمامها! فمدّ يدهُ إلى جيبهِ فأخرج لها مبلغاً من المال ودلّها على طريق العودة! وما من سبب

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: (٦/ ٣٨١).
(٢) الفتاوى لابن تيمية: (١١/ ٢٧٥).

يدعونا للشك في هذه القصّة، حيث لا يوجد سبب واحد يدعوها لاختراعها، بل إنهّا هي الأخرى تتساءل عن تفسير ذلك وهي كالمذهولة؛ لأنهّا بعيدة عن فهم العالم الذي نتحدثّ عنه؛ نظراً لأن ثقافتها أجنبية رغم كونها تصلّي وتصوم.

ما دمنا نسلّم بالخوارق على وجه العموم بشقّيها الكرامات والاستدراج فإن الإقرار ببعضها وإنكار بعضها الآخر تحكّم من غير دليل، فما بالك وإن رؤية النبيّ ﷺ يقظة قام عليها أكثر من دليل؟.

إن معجزة الإسراء والمعراج أعظم بكثير من حيث خطورتها وعظمتها من رؤية النبيّ ﷺ يقظة؛ لأن الأولى منافية لكل قواعد العلم والسنن الكونية، وليست الرؤية كذلك، فمن يؤمن بالإسراء والمعراج يسهل عليهِ الإيمان والاقتناع بالرؤية، ورضي الله عن سيّدنا أبي بكر الذي استدلَّ على صحة الإسراء والمعراج بمثل ما نحاول الاستدلال به من هذه الفقرة، حيث قال: إن قالها فقد صدق، فإذا كنت أؤمن بأن جبريل يأتيه من السماء إلى الأرض، فلماذا لا أؤمن بأن هو نفسه يذهب إلى جبريل من الأرض إلى السماء؟.

تأملْ في الاستدلال، ولهذا كان لأبي بكر ميزة بشيء وقر في قلبه، وهذا الشيء هو مدى حبه وتعظيمه ومعرفته قدر رسول الله ﷺ من قال عنه: «**إن من أمنّ الناس علي في صحبته وماله أبو بكر الصدّيق**(١)». فعلى قدر حبك لرسول الله ﷺ ومعرفتك مقامه وجليل مكانته وكبير قدره تفهم هذه الأمور.

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ١٣).

الفصل الثاني

أقوال العلماء والأولياء وتعليقاتهم

إن هذه الرؤية ليست مستحيلة عقلاً ما دامت هي حالة برزخية ورؤية كشف وبصيرة قلبية، ومن الأمور البديهية أن كل علم أو فن إنّما يؤخذ عن أهله، وأن فاقد الشيء لا يعطيه، كما أن إنكار الأعمى على البصير في رؤية الشمس غير مقبول شرعاً وعقلاً وعادةً، وليس من الإنصاف أن يعترض نجار على كيميائي أو فيزيائي فيما ثبت لديه من علم يقيني في البحوث والمختبرات.

ولمّا كانت هذه الرؤية منوطة بأهل القلوب والصفاء والبصيرة، الذين ينهلون فتوحاتهم من مراتب الإحسان ومناهل الشهود؛ فحرّي بنا سماع شهادة أهل الاختصاص في هذا الميدان العظيم، لا سيما وأن الذين نقل أخبارهم أئمة ثقاة عرفتهم الأمة الإسلامية بالولاية تواتراً وقد تفاوتت أزمانهم وأماكنهم وليس فيهم من غاب عنه حديث رسول الله ﷺ: «**من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**»[1]، كيف لا وهم أحباب الله وخاصّة الصادقين؟

١. ما وقع للسيّد أحمد الرفاعي الحسيني رضي الله عنه [2] عام خمس

---

(١) رواه البخاري (١/ ٥٢) برقم: (١٠٧) قال العيني في شرح الهداية: قال الحافظ أبو بكر البزاز: هذا حديث متواتر مقطوع به، لا يوجد له مشابه في طرقه! ويقال: رواه مائتان من الصحابة. البناية في شرح الهداية (١/ ٨).

(٢) السيّد أحمد بن أبي الحسن الرفاعي: وسكن أم عبيدة بأرض البطائح في العراق إلى أن توفي بها، وكانت انتهت إليه الرياسة في علوم الطريق، توفي يوم الخميس وقت الظهر، =

وخمسين وخمسمائة العام الذي رزقه الله فيه الحج، فلما وصل إلى المدينة المنورة وقف تجاه الروضة المطهرّة المعطرة، وقال على رؤوس الأشهاد وبمحضر آلاف العباد: السلام عليك يا جدّي!. فقال ﷺ: «**وعليك السلام يا ولدي!**» سمع ذلك كل من في المسجد النّبوي، فتواجد السيّد أحمد وارتعد واصفرَّ لونه، وجثا على ركبتيه ثمّ قام وبكى وأنَّ وحنَّ طويلاً وقال: يا جدّاه

في حالة البعد روحي كنت أرسلها تقبّل الأرض عنّي وهي نائبتي

وهذه دولة الأشباح قد حضرت فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فمدّ له رسول الله ﷺ يده الشريفة المباركة من مرقده الأزهر فقبَّلها!(١).

وقد أفرد لإثبات هذه الكرامة الباهرة الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي والإمام الرافعي من أجلّة علماء الشافعية وكذا العلاّمة أبو القاسم ابن السيّد إبراهيم البرزنجي كلٌّ برسالة على حدة، هي: الشرف المحتم، وسواد العينين، وإجابة الداعي.

٢. عن سيّدنا عبد القادر الجيلاني قدس سره(٢) قال: رأيت

= ثاني عشر جمادى الأولى سنة سبعين وخمسمائة، وكان شافعي المذهب. ينظر: الطبقات الكبرى: (١/ ١٢٥).

(١) ينظر: أبهى القلائد للشيخ أحمد فائز البرزنجي: ٧٠.

(٢) الشيخ عبد القادر الجيلي (الجيلاني) وهو ابن موسى بن عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمّد ابن داود. أحد الأقطاب توفي سنة إحدى وستين وخمسمائة، ودفن ببغداد رضي الله عنه. ينظر: الطبقات الكبرى: (١/ ١٠٨).

رسول الله ﷺ قبل الظهر، فقال لي: يا بني لم لا تتكلّم؟، فقلت: يا أبتاه أنا رجل أعجم كيف أتكلّم على فصحاء بغداد؟ فقال: افتح فاك، ففتحته فتفل فيه سبعاً وقال: تكلّم على الناس، «وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة»، فصليت الظهر وجلست وحضرني خلق كثير فأُرتِجَ عليّ، فرأيت عليّاً رضي الله عنه قائماً بإزائي في المجلس فقال: يا بني لم لا تتكلّم؟ فقلت: يا أبتاه أرتج عليّ، فقال: افتح فاك. ففتحه فتفل فيه ستاً، فقلت: لِمَ لَمْ تكملها سبعاً؟ قال: أدباً مع رسول الله ﷺ [(١)].

٣. قال الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي رضي الله عنه: رأيت جميع الرسل والأنبياء مشاهدة عين وعاشرت من الرسل محمّداً ﷺ وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وهوداً، وداود، وما بقي فرؤية لا صحبة[(٢)].

٤. قال أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي رضي الله عنه: رأيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله ﷺ ما حقيقة المتابعة؟ فقال: رؤية المتبوع عند كل شيء، ومع كل شيء، وفي كل شيء[(٣)].

٥. وكان الشيخ أبو العباس أحمد التيجاني رضي الله عنه يرى رسول الله ﷺ في اليقظة، حتى سأله عن صحة نسبه إليه عليه الصلاة والسلام؟ فأجابه ﷺ: أنت ولدي حقاً، أنت ولدي حقاً، أنت ولدي حقاً، نسبك إلى الحسن بن علي صحيح[(٤)].

---

(١) تفسير الآلوسي: (٢٢/ ٣٥).
(٢) الفتوحات المكية/للشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي، الباب الثالث والستون وأربعمائة ٧.
(٣) الطبقات الكبرى للشعراني (٢/ ٢٣).
(٤) جواهر المعاني وبلوغ الأماني، في فيض سيّدي التيجاني: (١/ ٣٠ - ٣١).

٦. عن سيّدنا علي الخوّاص رضي الله عنه [(١)] شيخ الشعراني أنّه كان يجتمع بالنبيّ ﷺ ويخبر عنه بالأمور المستقبلة في أوقات معينة فلا تخطئ أبداً من وباء أو قحط أو موت سلطان ونحو ذلك، وكان رسول الله ﷺ إذا أخبره بنزول بلاء في وقت معيّن يتأهب لذلك بكثرة الاستغفار والتضرع، ولا يأكل ولا ينام حتى ينقضي أمده [(٢)].

٧. قال الإمام الشعراني [(٣)]: ومما أنعم الله تبارك وتعالى به عليّ شدة قربي من رسول الله ﷺ وطيّ المسافة بيني وبين قبره الشريف في أكثر الأوقات، حتى ربّما أضع يدي على مقصورته وأنا جالس بمصر وأكلمه كما يكلم الإنسان جليسه وهذا الأمر لا يدرك إلا ذوقاً [(٤)].

وقال أيضاً: وأخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن نتبع السنّة المحمّدية في جميع أقوالها وأفعالها وعقائدها، فإن لم نعرف لذلك الأمر دليلاً في الكتاب والسنة أو الإجماع أو القياس توقفنا عن العمل به، ثمّ ننظر فإن كان ذلك الأمر قد استحسنه بعض العلماء استأذنّا رسول الله ﷺ فيه ثمّ فعلناه أدباً مع ذلك العالم وذلك كلّه خوف الابتداع في الشريعة

---

(١) علي الخواص البرلسي: كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وكان يتكلّم في معاني القرآني العظيم والسنة المشرفة كلاماً نفيساً تحير فيه العلماء. ينظر ترجمته في: الطبقات الكبرى: (٢/ ١٣٤).

(٢) لطائف المنن للشعراني (١/ ٢٧).

(٣) هو عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي نسبة إلى محمّد بن الحنفية الشعراني أبو محمّد من علماء الصوفية ولد في قلقشندة (بمصر) ونشأ بساقية أبي شعرة (من قرى المنوفية) وإليها نسبته وتوفي في القاهرة، له تصانيف منها: أدب الطالبين إلى مراتب العلماء العالمين، وأدب القضاة. ينظر: الأعلام (٤/ ١٨٠).

(٤) لطائف المنن للشعراني (١/ ١٤٧).

المطهرّة فنكون في جملة الأئمة المضلين وقد شاورته ﷺ في قول بعضهم: إنّه ينبغي أن يقول المصلي في سجود السهو: سبحان من لا ينام ولا يسهو فقال: هو حسن[(١)].

٨. عن الشيخ أحمد بن إدريس المغربي[(٢)]، كان له شيخ محقق من علماء شنقيط مشهورٌ بالعلامة المجيدري، وكان يتردد إلى مدينة فاس حيناً فحيناً، وكان سيّدي أحمد رضي الله عنه حين طلب إقامته بفاس يسرد عليه بعض الكتب المطولة ظننت أنهّا من كتب الحديث والدين غير المتداولة هناك، فمرّةً أراد الرجوع إلى شنقيط وقد بقي بعض تلك الكتب التي شرحها ولم يتمّها، فقال له: يا سيّدي لو تأذن لي بالسفر معك لأتمم تلك الكتب؟ فقال له: اصبر حتى استأذن لك شيخي فقال له: هل لك شيخ؟ قال: نعم هو سيّدي عبد الوهاب التازي رضي الله عنه فاستغرب سيّدي أحمد من كونه شيخاً له لأنّه رضي الله عنه كان خامل الذكر لم يعرف مقامه أكثر الناس، ثمّ ردّ له المجيدري بعد قليل: إن الشيخ لم يأذن لي في ذلك، وقال لي: ائتني به أجمعه برسول الله ﷺ فازداد تعجباً من ذلك! فذهب سيّدي أحمد مع المجيدري إلى سيّدي عبد الوهاب وأخذ عنه الطريق وأقبل عليه ولازمه وانقطع بكليّته لديه[(٣)].

---

(١) لواقح الأنوار القدسية للشعراني/القسم الأول من الكتاب وهو قسم المأمورات: ١٤.

(٢) هو أحمد بن إدريس أبو العباس صاحب الطريقة الأحمدية المعروفة بالمغرب، من ذرّية الإمام إدريس بن عبد الله المحض مولده في ميسور من قرى فاس وتعلم بفاس فقرأ الفقه والتفسير والحديث ورحل إلى اليمن إلى أن مات. ينظر: الأعلام (١/ ٩٥).

(٣) الأحزاب والأوراد الإدريسية للشيخ أحمد بن إدريس: ٢٠٤.

٩. عن الشيخ إبراهيم المتبولي رضي الله عنه [١]: كان من أصحاب الدوائر الكبرى في الولاية ولم يكن له شيخ إلا رسول الله ﷺ وكان يرى النبيّ ﷺ كثيراً في المنام فيخبر بذلك أمّه، فتقول: يا ولدي إنما الرجل الذي يجتمع به في اليقظة! فلمّا صار يجتمع به في اليقظة ويشاوره في أموره قالت له: الآن قد شرعت في مقام الرجولية[٢].

وعن المتبولي رضي الله عنه أيضاً: نحن في الدنيا خمسة لا شيخ لنا إلا رسول الله ﷺ الجعيدي (يعني نفسه) والشيخ أبو مدين[٣]، والشيخ عبد الرحيم القناوي، والشيخ أبو السعود ابن أبي العشائر[٤]، والشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنهم أجمعين[٥].

١٠. وعن الشيخ أحمد أبي العباس المرسي رضي الله عنه [٦] قال: لو حجب

---

(١) إبراهيم المتبولي: من أصحاب الولاية والمعرفة، ولم يكن له شيخ إلا رسول الله ﷺ عاش ولم يتزوج، ومكث ثمانين سنة حتى مات لم يغتسل قط من جنابة لأنه لم يحتلم قط! رحمه الله. ينظر: الطبقات الكبرى: (٢/ ٧٨).

(٢) الطبقات الكبرى للشعراني (٢/ ٧٧).

(٣) أبو مدين المغربي: هو من أعيان مشايخ المغرب، واسمه شعيب، مدفون بتلمسان بأرض المغرب في جبانة العبادلة. الطبقات الكبرى: (١/ ١٣٣).

(٤) أبو السعود بن أبي العشائر: ابن شعبان بن الطيب الباذبني، بلدة بقرب جزائر واسط بالعراق، وكان السلطان ينزل إلى زيارته، مات رضي الله عنه بالقاهرة في يوم الأحد التاسع من شوال سنة أربع وأربعين وستمائة، ودفن من يومه بسفح الجبل المقطّم. الطبقات: (١/ ١٤٠).

(٥) لطائف المنن للشعراني (١/ ٢٧).

(٦) أحمد أبو العباس المرسي: كان من أكابر العارفين، وكان يقال: إنه لم يرث علم الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه غيره، مات رضي الله عنه سنة ست وثمانين وستمائة. ينظر: الطبقات الكبرى: (٢/ ١٢).

عنّي رسول الله ﷺ طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين، وفي لفظ آخر: لو حجبت عنّي جنّة الفردوس طرفة عين أو رسول الله ﷺ أو فاتني الوقوف بعرفة سنة واحدة ما عددت نفسي من جملة الرجال(١).

١١. عن الشيخ أبي المواهب محمّد الشاذلي رضي الله عنه (٢): كان رضي الله عنه كثير الرؤية لرسول الله ﷺ، ومن أخباره أنّه قال: رأيت رسول الله ﷺ على سطح الجامع الأزهر عام خمسة وعشرين وثمانمائة فوضع يده على قلبي وقال: يا ولدي الغيبة حرام، ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ﴾ [الحجرات: ١٢]. وكان قد جلس عندي جماعة فاغتابوا بعض الناس، ثمّ قال ﷺ: فإن كان ولا بد من سماعك غيبة الناس فاقرأ سورة الإخلاص والمعوّذتين واهدِ ثوابها للمغتاب فإن الغيبة والثواب يتوارثان ويتواقفان إن شاء الله تعالى، ثمّ قال لي: ثمّ تقول: اللهمّ أقلْ عثراتنا اللهمّ اغفر زلاتنا، وتصلّي عليّ وتقول وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين(٣).

١٢. ونقل الشيخ عبد القادر الشاذلي عن شيخه الحافظ جلال الدين السيوطي رحمه الله أنّه قال: رأيت النبيّ ﷺ يقظةً فقال لي: يا شيخ الحديث، فقلت له: يا رسول الله أمن أهل الجنّة أنا؟ قال: نعم، فقلت: من غير عذاب يسبق؟ فقال ﷺ: لك ذلك.

(١) من رماح حزب الرحيم على جواهر المعاني (١/ ١٩٨).
(٢) محمّد أبو المواهب الشاذلي: كان من الظرفاء الأجلاء الأخيار والعلماء الراسخين والأبرار، ألف الموشحات الربانية، وألف الكتب الفائقة، وكان مقيماً بالقرب من الجامع الأزهر، وكان كثير الرؤية لرسول الله ﷺ. ينظر: الطبقات الكبرى: (٢/ ٦٢).
(٣) من الطبقات الكبرى للشعراني: (٢/ ٦٧).

وأضاف الشيخ عبد القادر الشاذلي قال: قلت له: سيّدي كم رأيت النبيّ ﷺ يقظة؟ فقال: بضعاً وسبعين مرّة[١].

١٣. وذكر الشيخ الشعراني رضي الله عنه في مقدّمة الميزان الكبرى: رأيت ورقة بخط الشيخ جلال الدين السيوطي عند أحد أصحابه وهو الشيخ عبد القادر الشاذلي مراسلة لشخص في مسألة شفاعة عند السلطان قايتباي رحمه الله: اعلم يا أخي أنني قد اجتمعت برسول الله ﷺ إلى وقتي هذا خمساً وسبعين مرّة يقظة ومشافهة ولولا خوفي من احتجابه ﷺ عنّي بسبب دخولي للولاة لطلعت القلعة وشفعت فيك عند السلطان وإني رجل من خدّام حديثه ﷺ وأحتاج إليه في تصحيح الأحاديث التي ضعفها المحدّثون من طريقهم ولا شك أن نفع ذلك أرجح من نفعك أنت يا أخي!

وأضاف الشعراني رضي الله عنه: ويؤيد الشيخ جلال الدين في ذلك ما اشتهر عن سيّدي محمّد بن زين المادح لرسول الله ﷺ أنّه كان يرى رسول الله ﷺ يقظة ومشافهة، ولمّا حجّ كلّمه من داخل القبر ولم يزل هذا مقامه حتى طلب منه شخص من النحراوية أن يشفع له عند حاكم البلد فلمّا دخل عليه أجلسه على بساط، فانقطعت عنه الرؤية فلم يزل يطلب من رسول الله ﷺ الرؤية حتى قرأ له شعراً فتراءى له من بعيد فقال: تطلب رؤيتي مع جلوسك على بساط الظلمة؟ لا سبيل إلى ذلك! فلم يبلغْنا أنّه رآه بعد ذلك حتى مات[٢].

---

(١) ينظر: الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير: للشيخ يوسف بن إسماعيل النّبهاني (١/ ٨٧).

(٢) الميزان الكبرى للشعراني: (١/ ٤٤).

١٤. وعن الشيخ أبي السعود بن أبي العشائر قال: كنت أزور شيخنا أبا العباس البصير أحمد بن محمّد بن عبد الرحمٰن الأنصاري الخزرجي الأندلسي، برع في علوم الشرع ببلده ثمّ سافر على قدم التجريد فدخل الصعيد ثمّ أقام بالقاهرة يقرئ الناس وينفعهم، أجاز سبعة آلاف رجل بالقراءات السبع، وكان بارعاً في الحديث حافظاً لمتونه عارفاً بعلله ورجاله حسن الاستنباط بذهن وقّاد، مات سنة ثلاث وعشرين وستمائة، فلمّا انقطعت واشتغلت وفُتِح عليّ لم يكن لي شيخ إلا النبيّ ﷺ وذكر أنّه كان يصافحه عقب كل صلاة، وذلك يقظة وحسْبه بذلك شرفاً(١).

١٥. عن الشيخ خليفة بن موسى النهرملكي رضي الله عنه: كان كثير الرؤية لرسول الله ﷺ يقظة ومناماً ورآه في ليلة واحدة سبع عشرة مرّة، قال له في إحداهن: يا خليفة لا تضجرْ منّي فكثير من الأولياء مات بحسرة رؤيتي(٢).

١٦. عن الشيخ موسى بن ماهين الزولي رضي الله عنه (٣): كان رضي الله عنه كثير المشاهدة لرسول الله ﷺ وكانت أغلب أفعاله بتوقيف منه ﷺ (٤).

١٧. عن أبي سعيد الخزّار (أحمد بن عيسى صاحب ذي النون المصري) رضي الله عنهما: أنه اجتمع برسول الله ﷺ فقال له: يا رسول الله شغلتني

---

(١) ينظر: شرح المواهب اللدنية للزرقاني (٥/ ٢٩٦ - ٢٩٧).
(٢) ينظر: تفسير الآلوسي (٢٢/ ٣٥ - ٣٦).
(٣) موسى بن ماهين الزولي: وهو أحد الأئمة، شيخ جليل في التصوف والعلم، كان الشيخ عبد القادر الكيلاني يثني عليه ويعظم شأنه، وقال مرة: يا أهل بغداد، ستطلع عليكم شمس ما طلعت عليكم بعد، فقيل له: ومن هو؟ قال: الشيخ موسى الزولي، استوطن مدينة ماردين، ومات بها رحمه الله. ينظر: الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ١٢٠).
(٤) ينظر: الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ١٢٠).

محبة الله عن محبتك، فقال له ﷺ: «**يا مبارك محبة الله هي محبتي**»[(١)].

١٨. قال الأمير عبد القادر محيي الدين الجزائري رضي الله عنه المتوفى سنة (١٣٠٠هـ): «ومنها أنّي لما بلغت المدينة طيبةَ، وقفت تجاه الوجه الشريف بعد السلام عليه ﷺ وعلى صاحبيه اللذين شرّفهما الله تعالى بمصاحبته، حياةً وبرزخاً، وقلت: يا رسول الله عبدك ببابك، يا رسول الله كليمك بأعتابك، يا رسول الله نظرة منك تغنيني، يا رسول الله عطفة منك تكفيني، فسمعته يقول لي: «أنت ولدي ومقبول عندي». بهذه السجعة المباركة، ما عرفت هل المراد ولادة الصلبة أو ولادة القلب؟! ثم جلست تجاه القدمين الشريفتين معتمداً على حائط المسجد الشرقي أذكر الله تعالى فصعقت وغبت عن العالم وعن الأصوات المرتفعة في المسجد بالتلاوة والأذكار والأدعية وعن نفسي فسمعت قائلاً يقول: هذا سيدنا التهامي فرفعت بصري في حال الغيبة فاجتمع به بصري وهو خارج من شباك الحديد من جهة القدمين الشريفتين، ثم تقدم إلى الشباك الآخر وخرقه إلى جهتي فرأيته ﷺ فخماً مُفخّماً بادناً متماسكاً غير أنّ شيْبه الشريف أكثر وحمرة وجهه الشريف أشدّ مما ذكره أصحاب الشمائل، فلما دنا منّي رجعت إلى حسي فحمدت الله» ا.هـ[(٢)].

١٩. عن سيّدنا الوارث المحمدي الشيخ محمّد بن أحمد النّبهان الحلبي رضي الله عنه قال:

---

(١) أخرجه الأمير عبد القادر الجزائري في المواقف الروحية، الموقف التاسع والأربعون (١/ ١٠٠).

(٢) المواقف الروحية: (١/ ١٤٤ - ١٤٥).

● كنت أجلس معه ﷺ لا أريد مفارقته ولا يريد مفارقتي، وكان يمشي معي في الطريق، ويعلّمني كل شيء فإذا أردت أن أنفك عنه لا أقدر، حتى سلّمني إلى الحضرة الإلٰهية[(١)].

● أجتمع برسول الله ﷺ يقظة وأكلمه كما يكلم الجليس جليسه.

● الرسول ﷺ إمامنا وأمامُنا وصديقُنا، وإذا صدقتم فهو يمشي معكم في الطريق[(٢)].

● أنا من رجال لو غاب عني رسول الله ﷺ طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين.

● حدثنا السيد عبد القادر فؤاد مولود من مدينة الرمادي في العراق[(٣)] قال: كنت جالساً عند أخينا الحاج قحطان عبد العزيز الدرّاجي أحد أصحاب سيّدنا فسألته: هل رأيت حضرة النبيّ ﷺ في المنام؟ فأجاب رحمه الله تعالى: رأيته في اليقظة عندما زرت سيّدنا النبهان رضي الله عنه في حلب فقال رضي الله عنه مخاطباً من حوله: يا أولادي: هل تريدون أن تروا رسول الله ﷺ وأشار بيده، فنظرت إلى الجهة التي أشار، فرأيت حضرة النبيِّ ﷺ جالساً إلى جنبه.

---

(١) التسليم بمعنى: الوصول إلى حضرة الشهود.

(٢) ينظر: القسم الأول من كتاب السيّد النّبهان رضي الله عنه.

(٣) المدرّس في متوسطة الإمام العادل في مدينة الرمادي حالياً، وأحد محبي سيدنا النبهان رضي الله عنه.

أدلّة المحدّثين:

١. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من رآني في المنام فسيراني في اليقظة، ولا يتمثل الشيطان بي**»[(١)].

٢. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**والذي نفس أبي القاسم بيده لينزلنّ عيسى ابن مريم إماماً مقسطاً وحكماً عدلاً، فليكسرنّ الصليب وليقتلنّ الخنزير وليصلحنّ ذات البين وليذهبنّ الشحناء وليعرضنّ المال فلا يقبله أحد، ثمّ لئن قام على قبري وقال يا محمّد لأجيبنَّه**»[(٢)].

وفي لفظ آخر: «**ليهبطنَّ ابن مريم حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً وليسلكنّ فجاً حاجاً أو معتمراً وليأتينّ قبري حتى يسلّم عليّ ولأردنَّ عليه**»[(٣)].

٣. وأخرج الطبراني عن ضمرة بن ثعلبة[(٤)] أنّه أتى النبيّ ﷺ فقال: ادع الله لي بالشهادة فقال النبيّ ﷺ: «**اللهمّ حرّم دم ابن ثعلبة على المشركين والكفّار**» قال: فكنت أحمل في عرض القوم فيتراءى لي النبيّ ﷺ خلفهم فقال: يا ابن ثعلبة إنك لتغرر وتحمل على القوم، فقال: إن النبيّ ﷺ

(١) صحيح البخاري: كتاب التفسير/باب: من رأى النبيّ ﷺ في المنام (٦/ ٢٥٦٧).
(٢) مجمع الزوائد (٨/ ٢١١) قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح وهو في الصحيح مختصراً.
(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٥٩٥) وصححه.
(٤) ضمرة بن ثعلبة صحابي جليل عن يحيى بن جابر الطائي سمعت ضمرة بن ثعلبة أتيت النبيّ ﷺ وقال اللهم: «**أغفر لضمرة بن ثعلبة**» ينظر: التاريخ الكبير (٤/ ٣٣٦).

يتراءى لي خلفهم فأحمل عليهم حتى أقف عنده، ثمّ يتراءى لي أصحابي فأحمل حتى أكون مع أصحابي[١].

مناقشة في الدليل الأول:

قوله عليه الصلاة والسلام: «**من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي**»[٢].

أقوال علماء الحديث وتعليقاتهم على هذه الرؤية:

● قال الإمام المحدث عبد الله بن أبي جمرة[٣]: ظاهر الحديث يدلّ على حكمين: أحدهما: أنّه من رآه ﷺ في النوم فسيراه في اليقظة.

الثاني: الإخبار بأن الشيطان لا يتمثل به ﷺ، والكلام عليه من وجوه:

أن يقال: هل هذا على عمومه في حياته ﷺ وبعد مماته؟ أو في حياته ليس إلا؟.

وهل يتمثل بغيره من الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين؟ أو هذا من الأمور الخاصة به عليه الصلاة والسلام؟

وهل ذلك لكل من رآه مطلقاً أو خاصاً لمن فيه الأهلية والإتباع لسنّته ﷺ؟.

---

(١) مجمع الزوائد للهيثمي (٩/ ٣٧٩) وقال إسناده حسن.
(٢) صحيح البخاري: كتاب التعبير/ باب: من رأى النبيّ ﷺ (٦/ ٢٥٦٧).
(٣) عبد الله بن أبي جمرة السبتي المالكي خطيب غرناطة أبو محمّد روى عن الربيع بن سالم وولي خطابة غرناطة في أواخر عمره فاتفق أنه صعد المنبر يوم الجمعة فسقط ميتاً وذلك في سنة عشر وسبعمائة. ينظر: ذيل التقييد (٢/ ٧١ -٧٢).

أما قولنا: هل هذا على العموم في حياته ﷺ وفي مماته أم في حياته لا غير؟

اللفظ يعطي العموم ومن يدّعي الخصوص فيه بغير مخصص منه ﷺ فمتعسف.

وقد وقع من بعض الناس عدم التصديق بعمومه، وقال على ما أعطاه به عقله وكيف يكون من هو في دار البقاء يرى في دار الفناء؟ وفي هذا القول وجهان خطيران:

أحدها: أنّه قد يقع في عدم التصديق لعموم قول الصادق ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى.

والثاني: الجهل بقدرة القادر وتعجيزها، كأنّه لم يسمع في قصة البقرة وكيف قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣]، فضرب قبر الميّت أو هو نفسه ببعض البقرة فقام حيّاً سوياً، وأخبرهم بقاتله وذلك بعد أربعين سنة على ما ذكره أهل العلم؛ لأن بني إسرائيل تأخر أمرهم في طلب البقرة على الصفة التي نعتت لهم أربعين سنة، وحينئذ وجدوها، وكما أخبر أيضاً في السورة نفسها في قصة العزير، وقصة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في الأربع من الطير وكيف قصّ علينا في شأنهما، فالذي جعل ضرب الميّت ببعض البقرة سبباً لحياته، وجعل دعاء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ سبباً لإحياء الطيور، وجعل تعجّب العزير سبباً لإحيائه وإحياء حماره بعد بقائه مائة سنة ميّتاً؛ قادر على أن يجعل رؤيته ﷺ في النوم سبباً لرؤيته في اليقظة[١].

(١) بهجة النفوس: (٤/ ٢٣٧ - ٢٣٨).

والمُنكِرُ لهذا لا يخلو أن يصدّق بكرامات الأولياء أو يكذِّب بها، فإن كان ممن يكذِّب بها سقط البحث معه فإنّه يكذب ما أثبتته السنة بالدلائل الواضحة، وقد تكلّمنا على هذا أول الكتاب وبينّاه بما فيه الكفاية بفضل الله تعالى، وإن كان مصدّقاً بها فهذه من ذلك القبيل؛ لأن الأولياء تكشف لهم بخرق العادة عن أشياء في العالمين العلوي والسفلي عديدة فلا تنكر هذا مع التصديق بذلك.

وأما قولنا: هل جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام مثله ﷺ في ذلك لا يتمثل الشيطان على صورهم أو خاص به صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؟

فليس في الحديث ما يدلّ على الخصوص قطعاً ولا على العموم قطعاً، ولا هذه الأمور مما تؤخذ بالقياس ولا بالعقل، وما يعلم من علو مكانتهم عند الله يشعر أن العناية تعمهم فإنهّم صلوات الله عليهم أجمعين أتوا لإزالة الشيطان وخزيه، فأشعر ذلك أن الشيطان لا يتمثل بصورهم المباركة، كما أخبر ﷺ في كرامته وكرامتهم أن لحومهم على الأرض حرام حتى تخرجهم كما جعلوا فيها كذلك تساويهم في هذه الكرامة والله أعلم.

وأما قولنا: هل ذلك على عمومه لكل من رآه ﷺ أو خاص، فاعلم أنّ الخير كلّه المقطوع به والمنصوص عليه والمشار إليه بأدلّة الشرع قواعد إنما هو لأهل التوفيق، ويبقى في غيرهم على طريق الرجاء للجهل بعاقبتهم فلعلهم ممن قد سبقت لهم سعادة في الأزل فلا يقطع عليهم باليأس من الخير(١). وأكثر ما يقع ذلك للعامّة قبل الموت عند الاحتضار فلا تخرج

(١) ينظر كتابه: بهجة النفوس: (٤/ ٢٣٨).

روحه من جسده حتى يراه وفاء بوعده ﷺ في الحديث المتقدم، أما غيرهم فيحصل لهم ذلك بقلة أو كثرة بحسب تأهلهم وتعقلهم واتباعهم للسنّة، إذ الإخلال بها مانع كبير! وأشار الإمام ابن حجر الهيتمي[(١)] إلى معنى الحديث المذكور فقال: واحتمال إرادة القيامة بعيد من لفظ اليقظة على أنّه لا فائدة من التقيد حينئذٍ؛ لأنَّ أمته كلّهم يرونه يوم القيامة، من رآه في المنام ومن لم يره في المنام[(٢)]. وسئل رحمه الله تعالى: هل يمكن الاجتماع بالنبيّ ﷺ في اليقظة والتلقي منه؟ فأجاب بقوله: نعم يمكن ذلك، فقد صرّح بأن ذلك من كرامات الأولياء الغزالي[(٣)] والبارزي[(٤)] والتاج السبكي[(٥)] والعفيف اليافعي[(٦)] من الشافعية والقرطبي وابن أبي جمرة من المالكية[(٧)].

---

(١) هو أحمد بن حجر الهيتمي، شهاب الدين أبو العباس ولد في محلة أبي الهيثم بمصر ونشأ وتعلم بها، فقيه شافعي مشارك في أنواع من العلوم تلقى العلم بالأزهر وانتقل إلى مكة وصنف بها كتبه، وبها توفي برع في العلوم خصوصاً فقه الشافعي من تصانيفه: تحفه المحتاج شرح المنهاج، والصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة. ينظر: البدر الطالع (١/ ١٠٩)، ومعجم المؤلفين (٢/ ١٥٢).

(٢) ينظر: الفتاوى الحديثية: (٢٩٨).

(٣) ينظر: فتح الباري (١٦/ ٣٩).

(٤) إبراهيم بن هبة الله بن المسلم، الحموي الشافعي توفي بمدينة حماة وصلي عليه من الغد ودفن بمقابر ظبية بعقبة نقيرين. ينظر: الوفيات للسلامي (١/ ٢٢٧).

(٥) هو عبد الوهاب بن علي بن علي بن عبد الكافي بن تمام السبكي، تاج الدين أنصاري، من كبار فقهاء الشافعية. ولد بالقاهرة. سمع بمصر ودمشق، من تصانيفه: طبقات الشافعية وجمع الجوامع في أصول الفقه. ينظر: طبقات الشافعية لابن هداية الله الحسيني: ٩٠، وشذرات الذهب (٦/ ٢٢١)، والأعلام (٤/ ٣٢٥).

(٦) عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان بن فلاح شيخ الحرمين عفيف الدين التميمي مات في جمادى الآخرة سنة ٧٦٨هـ. ينظر: ذيل التقييد (٢/ ٣٠).

(٧) ينظر: الفتاوى الحديثية: (٢٩٧).

ويفهم كلام الهيتمي ﷺ أن النوم ظاهرة دنيوية يبعد حمل المعنى على الآخرة، قال ابن بطّال[(١)]: قوله «**فسيراني في اليقظة**» يريد تصديق تلك الرؤيا في اليقظة وصحتها وخروجها على الحق وليس المراد أنّه يراه في الآخرة لأنّه سيراه يوم القيامة في اليقظة فتراه جميع أمّته من رآه في النوم ومن لم يره منهم[(٢)].

وقال ابن التين[(٣)]: المراد من آمن به في حياته ولم يره لكونه حينئذٍ غائباً عنه، فيكون بهذا مبشرّاً لكل من آمن به ولم يره أنّه لابدّ أن يراه في اليقظة قبل موته[(٤)].

قال ابن الحاج المالكي[(٥)] في المدخل: وقلّ من يقع له ذلك الأمر، إلّا من كان على صفة عزيز وجودها في هذا الزمان بل عدمت غالباً، مع

---

(١) ابن بطال: هو علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال، ويعرف باللجام، عالم بالحديث، من أهل قرطبة، فقيه مالكي، وبنو بطال في الأندلس يمانيون، ينقل عنه ابن حجر كثيراً في فتح الباري من كتابه شرح البخاري. ينظر: الأعلام للزركلي (٥/ ٩٦)؛ وشذرات الذهب (٣/ ٢٨٣).

(٢) ينظر: فتح الباري: (١٦/ ٣٩).

(٣) ابن التين: أبو محمّد عبد الواحد بن عمر بن التين الصفاقسي المتوفى سنة (٦١١) له شرح على البخاري سمّاه: المخبر الفصيح في شرح البخاري الصحيح، الإمام العلامة المحدث المفسر الفقيه المتبحر توفي بصفاقس ينظر: شجرة النور الزكية: (١/ ١٦٨).

(٤) ينظر: فتح الباري: (١٦/ ٣٩).

(٥) هو محمّد بن محمّد، أبو عبد الله العبدري، نسبته إلى قبيلة عبد الدار، يعرف بابن الحاج، من أهل فاس، نزيل مصر، وتوفي في القاهرة، من أعيان المالكية، كان قاضياً فقيهاً عارفاً بمذهب الإمام مالك، أخذ الفقه عن أعلام منهم أبو إسحاق الطمامي، وصحب أبا محمّد بن أبي حمزة. من مصنفاته: شموس الأنوار، وكنوز الأسرار ينظر: الديباج المذهب ص: ٣٢٧، والأعلام للزركلي (٧/ ٢٤٦).

أننا لا ننكر من يقع له هذا من الأكابر الذين حفظهم الله تعالى في ظواهرهم وبواطنهم[(١)].

قال الخطيب القسطلاني[(٢)]: فلا يمتنع من الخواص أرباب القلوب القائمين بالمراقبة والتوجه على قدم الخوف بحيث لا يسكنون لشيء مما يقع لهم من الكرامات فضلاً عن التحدث بها لغير ضرورة، مع السعي في التخلص من الكدورات والإعراض عن الدنيا وأهلها جملة، وكون الواحد منهم يود أن يخرج من أهله وماله وأنّه يرى النبيّ ﷺ كالشيخ عبد القادر الكيلاني[(٣)].

قال الإمام الغزالي[(٤)]: ومن أول الطريقة تبتدأ المكاشفات والمشاهدات حتى إنّهم في يقظتهم (يعني أرباب القلوب) يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم ويقتبسون منهم فوائد، ثمّ يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق![(٥)].

---

(١) ينظر: المدخل لابن الحاج: (٣ - ٢٠٢ - ٢٠٣).

(٢) هو أحمد بن محمّد بن أبي بكر بن عبد الملك بن محمّد، أبو العباس، القسطلاني القيتي المصري، محدث، مؤرخ فقيه، ومقرئ. ولد بمصر ونشأ بها، قدم مكة وأخذ بها عن جماعة: منهم النجم بن فهد، كان يعظ بالجامع الغمري وغيره. ومن تصانيفه: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري. ينظر: شذرات الذهب (٢/ ١٢١)، والأعلام (١/ ٢٢١).

(٣) أورده الإمام الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال عن القسطلاني: (٤٥).

(٤) أبو حامد محمّد بن محمّد بن أحمد الطوسي الشافعي الغزالي صاحب التصانيف والذكاء المفرط تفقه ببلده أولاً ثمّ تحول إلى نيسابور في مرافقة جماعة من الطلبة فلازم إمام الحرمين فبرع في الفقه، ومهر في الكلام والجدل حتى صار عين المناظرين ينظر: سير أعلام النّبلاء: (١٩/ ٣٢٣).

(٥) ينظر: شرح المواهب اللدنية للزرقاني: (٥/ ٢٩٩).

وقال الشيخ عبد العزيز الدباغ[(١)]: واعلم وفقك الله أن الولي المفتوح عليه يعرف الحق والصواب ولا يتقيد بمذهب من المذاهب! ولو تعطلت المذاهب بأسرها لقدر على إحياء الشريعة، وكيف لا؟ وهو الذي لا يغيب عنه النبيّ ﷺ طرفة عين، ولا يخرج عن مشاهدة الحق جل جلاله لحظة، فهو العارف بمراد النبيّ ﷺ وبمراد الحق جل جلاله في أحكامه التكليفية وغيرها[(٢)].

دليل أهل الأصول:

قال الإمام الشاطبي[(٣)]: فصل: ومنها بطلان الكرامات التي لا أصل لها في المعجزات، ومن الفوائد في هذا الأصل أن ينظر إلى كل خارقة صدرت على يدي أحد، فإن كان لها أصل في كرامات الرسول عليه الصلاة والسلام ومعجزاته فهي صحيحة، وإن لم يكن لها أصل فغير صحيحة[(٤)].

وقال الملا علي القاري: إن أبا حنيفة رضي الله عنه كان يقول: إن كل ما كان

---

(١) هو عبد العزيز بن مسعود أبو فارس الدباغ صوفي من الأشراف الحسينيين مولده ووفاته بفاس، كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولأتباعه مبالغة في الثناء عليه ونقل الخوارق عنه، صنف أحمد مبارك اللمطي كتاب الإبريز من كلام سيّدي عبد العزيز في شمائله وما دار بينهما من محاورات في جزئين. الأعلام (٤/ ٢٨).

(٢) الإبريز للشيخ عبد العزيز الدباغ: (٢٢٨).

(٣) هو إبراهيم بن موسى بن محمّد، أبو إسحاق، اللخمي، الشهير بالشاطبي، من علماء المالكية. كان إماماً محققاً أصولياً مفسراً فقيهاً محدثاً نظاراً ثبتاً بارعاً في العلوم، من تصانيفه: الموافقات في أصول الفقه، والاعتصام، والمجالس شرح به كتاب البيوع في صحيح البخاري. ينظر: الأعلام (١/ ٧٥).

(٤) ينظر: الموافقات: (٢/ ٢٦٢).

معجزة للنبي جاز أن يكون كرامة لولي بشرط عدم التحدي[١].

وأورد الإمام الشعراني رضي الله عنه إجماع العلماء على هذا الأصل[٢].

إذنْ فرؤية الرسول ﷺ يقظة بعد وفاته تبعاً لهذا الأصل، حيث إنّه ﷺ اجتمع بالرسل والأنبياء يقظة بعد وفاتهم وصلّى بهم ليلة أسري به.

وهل الذي يرى رسول الله ﷺ يقظة صحابي أو لا؟

أورد شهاب الدين ابن حجر العسقلاني[٣] في الحديث المتقدم ستة أوجه قال في أحدها: إنّه يراه ﷺ في الدنيا حقيقة ويخاطبه، وقال عنه: وهذا مشكل جداً، ولو حمل على الظاهر لكان هؤلاء صحابة ولأمكن بقاء الصحبة إلى يوم القيامة.

ويعكّر عليه أن جمعاً رأوه في المنام لم يذكر واحد منهم أنّه رآه في اليقظة، وخبر الصادق لا يتخلف[٤] ودفع إشكال ابن الشيخ علي العزيزي المتوفى في ١٠٧٠هـ.

قال: وأقول الجواب على الأول: منع الملازمة لأن شرط الصحبة أن

---

(١) الفقه الأكبر للملا علي القاري: (٧١).
(٢) ينظر: اليواقيت والجواهر للشعراني (١/ ١٤٣).
(٣) هو ابن أحمد علي بن محمّد، شهاب الدين، أبو الفضل الكناني العسقلاني، المصري المولد والمنشأ والوفاة، الشهير بابن حجر نسبة إلى آل حجر قوم يسكنون بلاد الجريد وأرضهم قابس في تونس، من كبار الشافعية. كان محدّثاً فقيهاً مؤرّخاً من تصانيفه: فتح الباري شرح صحيح البخاري خمسة عشر مجلداً، والدراية في منتخب تخريج أحاديث الهداية ينظر: البدر الطالع (١/ ٨٧)، وشذرات الذهب (٧/ ٢٧٠).
(٤) ينظر: فتح الباري (١٦/ ٤٠).

يراه وهو في عالم الدنيا وذلك قبل موته، أما رؤيته بعد الموت وهو في عالم البرزخ فلا تثبت بها الصحبة.

وعن الثاني: أن الظاهر أن من لم يبلغ درجة الكرامات ممن هو في عموم المؤمنين إنما تقع له رؤيته قرب موته عند طلوع روحه أو عند الاحتضار، ويكرم الله من شاء قبل ذلك فلا يتخلف الحديث.

أما أصل رؤيته ﷺ في اليقظة فقد نص على إمكانها ووقوعها جماعة من الأئمة(١).

قال الشيخ يوسف بن إسماعيل النّبهاني(٢): ولا يلزم من وقوع ذلك منهم على جهة الكرامة الباهرة أنّهم صحابة؛ لأنّ الصحبة انقطعت بموته ﷺ وإذا كان من رآه بعد موته قبل دفنه غير صحابي فهؤلاء كذلك بالأولى، فاندفع قول فتح الباري، وهذا مشكل جداً ولو حمل على ظاهره كانوا صحابة(٣).

وإليك كلام الإمام بديع الزمان سعيد النورسي في هذا الباب: لا يستطيع أن يرقى أعظم ولي من أولياء الله الصالحين إلى مرتبة صحابي كريم للرسول الأعظم ﷺ بل حتى لو تشرف أولياء صالحون مراراً بصحبة

(١) ينظر: السراج المنير على الجامع الصغير (٣/ ٣٩٥).
(٢) يوسف بن إسماعيل بن يوسف النّبهاني شاعر أديب من رجال القضاء نسبته إلى بني نبهان من غرب البادية بفلسطين، استوطنوا قرية (إجزم) التابعة لحيفا في شمالي فلسطين وبها ولد. ونشأ وتعلم بالأزهر بمصر، له كتب كثيرة منها: المجموعة النّبهانية، وأفضل الصلوات على سيّد السادات. ينظر: الأعلام: (٨/ ٢١٨).
(٣) ينظر: أفضل الصلوات: (٤٣).

النبيّ ﷺ في الصحوة كجلال الدين السيوطي[١] مثلاً وأكرموا بلقائه يقظة في هذا العالم فلا يبلغون أيضاً درجة الصحابة؛ لأن صحبة الصحابة الكرام للنبي عليه السلام كانت بنور النبوّة أي كانوا يصحبونه في حالة كونه نبياً ورسولاً، أمّا الأولياء الصالحون فإن رؤيتهم له ﷺ بعد وفاته أي بعد انقطاع الوحي فهي صحبة بنور الولاية، أي إن تمثل الرسول ﷺ وظهوره لنظرهم إنما هو من حيث الولاية المحمّدية وليس باعتبار النبوّة، فما دام الأمر هكذا فلا بد أن تتفاوت الصحبتان بمقدار سموّ درجة النبوّة وعلوها على مرتبة الولاية[٢].

(١) هو عبد الرحمٰن بن أبي بكر بن محمّد السيوطي، جلال الدين أبو الفضل، أصله من أسيوط، ونشأ بالقاهرة يتيماً، كان عالماً شافعياً مؤرخاً أديباً وكان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه والفقه واللغة. سريع الكتابة في التأليف. ولما بلغ أربعين سنة أخذ في التجرد للعبادة، وترك الإفتاء والتدريس، وشرع في تحرير مؤلفاته فألف أكثر كتبه، وتبلغ مؤلفاته خمسمائة مؤلف؛ منها الأشباه والنظائر، والإتقان في علوم القرآن. ينظر: شذرات الذهب (٨/ ٥١)، والأعلام (٤/ ٧١).

(٢) ينظر كتابه: الاجتهاد في العصر الحاضر للنورسي (١/ ٣٣ - ٣٤).

الفصل الثالث

كيفية الرؤية

● قال تعالى في الحديث القدسي: «**من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب مما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها.. إلخ**[(١)]. فإذا وصل العبد إلى أن يسمع بالله ويبصر بالله فقد انخرقت لديه الحجب لأن سمع الله وبصره لا يحجبهما شيء.

● وقال ﷺ: «**اتقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله**»[(٢)]، قال المناوي في فيض القدير: أي يبصر بعين قلبه المشرق بنور الله تعالى، وباستنارة القلب تصح الفراسة لأنّه يصير بمنزلة المرآة التي تظهر فيها المعلومات كما هي والنظر بمنزلة النقش فيها[(٣)].

● أورد ابن أبي جمرة المالكي في بهجة النفوس: وقد ذكر بعض الصحابة وأظنه ابن عباس رضي الله عنه أنّه رأى النبيّ ﷺ في النوم، فتذكر هذا الحديث يعني «**من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي**» وبقي متفكراً فيه، ثمّ دخل على بعض أزواج النبيّ ﷺ وأظنها ميمونة، فقص عليها قصته فقامت وأخرجت له جبة ومرآة وقالت له: هذه جبته وهذه

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الرقاق/باب: التواضع: (٤/ ١٣٥).
(٢) سنن الترمذي: كتاب التعبير/سورة الحجر: (٥/ ٢٩٨).
(٣) فيض القدير: (١/ ١٤٣).

مرآته ﷺ. قال رضي الله عنه: فنظرت في المرآة، فرأيت صورة النبيّ ﷺ ولم أر لنفسي صورة![١]. قال الآلوسي[٢]: فهذا كالظهور الذي يدّعيه الصوفية إلا أنّه بحجاب المرآة، وليس من باب التخيل بالنظر الّذي قوي بالنظر إلى مرآته عليه الصلاة والسلام[٣].

ويوضح الإمام أبو حامد الغزالي آفاق السمو الروحي التي يترقى إليها من يفتح الله تعالى عليه، ويمثلها بالطاقة أو النافذة التي ينظر من خلالها فيقول في كيمياء السعادة: ولا تظننّ أنّ هذه الطاقة تنفتح بالنوم والموت فقط، بل تنفتح باليقظة لمن أخلص الجهاد والرياضة، وتخلّص من يد الشهوة والغضب والأخلاق القبيحة والأعمال الرديئة، فإذا جلس في مكان خالٍ وعطّل طريق الحواس وفتح عين الباطن وسمْعه وجلس القلب في مناسبة عالم الملكوت وقال دائماً: (الله الله الله) بقلبه دون لسانه، إلى أن يصير لا خبر معه من نفسه ولا من العالم ويبقى لا يرى شيئاً إلا الله سبحانه وتعالى[٤] انفتحت تلك الطاقة وأبصر في اليقظة الذي يبصره في النوم، فتظهر له أرواح الملائكة والأنبياء، والصور الحسنة الجميلة الجليلة وانكشف له ملكوت السمٰوات والأرض، ورأى ما لا يمكن شرحه ولا

---

(١) ينظر: كتاب بهجة النفوس: (٤/ ٢٣٨).
(٢) الآلوسي: هو محمود بن عبد الله، شهاب الدين، أبو الثناء الحسيني الآلوسي. مفسر، محدث، فقيه، أديب، لغوي، مشارك في بعض العلوم. من أهل بغداد، ، تقلّد الإفتاء ببلده سنة ١٢٤٨هـ وعزل فانقطع للعلم. من تصانيفه: روح المعاني في تفسير القرآن. ينظر: معجم المؤلفين (١٢/ ١٧٥)، والأعلام (٨/ ٥٣).
(٣) تفسير روح المعاني: (٢٢/ ٣٩).
(٤) يعني تجرد القلب مما سواه تعالى واستغراق الفكر به عز وجل .

وصفه، كما قال النبيّ ﷺ: «**إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها**»[(١)]. وقال الله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥]؛ لأن علوم الأنبياء عليهم السلام كلّها كانت من هذا الطريق لا من طريق الحواس كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾ [المزمل: ٨]. معناه الانقطاع عن كل شيء وتطهير القلب من كل شيء والابتهال إليه سبحانه وتعالى بالكليّة وهو طريق الصوفية في هذا الزمان[(٢)].

وعلى أيّة حال فإنّها واقعة لبعض أحباب الله تعالى، لا يتم الإقناع بها إلّا بالذوق والكشف الروحاني السليم، فإذا شاء الله تعالى رفع الحجاب عمن أراد إكرامه برؤيته إياه، رآه على هيئته التي هو عليها. والله أعلم.

وإن إنكار المنكر على هؤلاء الأجلاء يوقع في خطأ كبير وهو تجريح الأثبات من الأئمة والثقات من الصالحين ممن تلقتهم الأمّة بالقبول وأطبق على إمامتهم المتقدمون والمتأخرون.

تساؤلات:

١. هل تقع الرؤية بعين الرأس أم بعين البصيرة؟

٢. وهل تختص بالصالحين؟

٣. وهل المرئي جسمه؟ أو روحه أم مثاله؟

---

(١) صحيح مسلم عن سيّدنا ثوبان كتاب الفتن وأشراط الساعة/ باب: هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض (٤/ ٢٢١٥) برقم: (٢٨٨٩).

(٢) كيمياء السعادة ضمن مجموعة رسائل للإمام الغزالي/ ١٣٦، ١٣٧.

٤. وهل تستلزم خروجه من القبر أو لا؟

٥. وكيف يرى عليه الصلاة والسلام في آن واحد في أقطار متباعدة؟

٦. ولماذا لم تظهر هذه الرؤية في صدر الإسلام الأول؟

الأجوبة:

قال ابن علاّن الصديقي الشافعي(١):

١. هو على ظاهره فيمن رآه مناماً فلا بد أن يراه يقظة بعيني رأسه، وقيل بعيني قلبه، وحكاهما ابن العربي(٢)، وقد نقل عن جمع من الصالحين رؤياه مناماً ثمّ رأوه بعد ذلك يقظةً، وسألوه عن أشياء كانوا منها متخوفين، فأرشدهم إلى النجاة من ذلك، وجاء الأمر كذلك، وهذا نوع من كرامات الأولياء، وأكثر ما يقع له ذلك، وقد صرح بوقوع هذه الكرامة جمع: منهم الغزالي وابن العربي وابن عبد السلام.

---

(١) هو محمّد بن علي بن علان، البكري، الصدِّيقي، العلوي، الشافعي. مفسر. عالم بالحديث، مشارك في عدة علوم، وباشر الإفتاء وله من السن أربع وعشرون سنة، وجمع بين الرواية والدراية والعلم والعمل، وكان إماما ثِقة من أفراد أهل زمانه معرفة وحفظاً وإتقاناً وضبطاً لحديث رسول الله ﷺ. ولد بمكة، ونشأ وتوفي بها.
من تصانيفه: الفتوحات الربانية على الأذكار النووية، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين. ينظر: الأعلام (٧/ ١٨٧).

(٢) هو محمّد بن علي بن محمّد ابن عربي: أبو بكر الحاتمي الطائي المعروف بمحيي الدين بن عربي الملقب بالشيخ الأكبر من أئمة المتكلّمين بعلم الكلام ولد في مرسية بالأندلس وانتقل إلى أشبيلية وقام برحلة فزار الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز له نحو أربعمائة كتاب من مؤلفاته: الفتوحات المكية، وديوان الحكم، ومفاتيح الغيب، توفي سنة (١٢٤٠م). ينظر: الأعلام (٦/ ٢٨١).

قال الشيخ إبراهيم الباجوري[١]:

٢. ولا تختص رؤية النبيّ ﷺ بالصالحين بل تكون لهم ولغيرهم، وحكي عن بعض العارفين كالشيخ الشاذلي وسيّدي علي وفاء: أنّهم رأوه ﷺ يقظة، ولا مانع من ذلك فيكشف لهم عنه ﷺ في قبره فيرونه بعين البصيرة، ولا أثر للقرب والبعد في ذلك، فمن كرامات الأولياء خرق الحجب لهم فلا مانع عقلاً ولا شرعاً.

٣. إن الله يكرم وليّه بأن لا يجعل بينه وبين الذات الشريفة ساتراً وحاجباً[٢].

٤. وفي كون المرئي جسمه ﷺ أو مثاله خلاف، قال بالثاني الغزالي وقال ابن العربي: إن رآه ﷺ بصفته المعلومة فإدراك على الحقيقة، وإلا فإدراك مثاله، والصحيح أنّه يراه حقيقة سواء رآه على صفته المعروفة أو غيرها، وأيّد الحافظ السيوطي قول من فرّق بين كون المرئي بصفته أو غيرها فيكون الأول حقيقة والثاني للمثال[٣]. قال الآلوسي في تفسيره: والذي يغلب على الظن أن رؤيته ﷺ بعد وفاته بالبصر ليست كالرؤية المتعارفة عند الناس من رؤية بعضهم لبعض، وإنما هي جمعية حاليّة وحالة برزخية وأمر وجداني لا يدرك حقيقته إلا من باشره، ولشدة شبه تلك الرؤية

---

(١) هو إبراهيم بن محمّد أحمد الباجوري شيخ الجامع الأزهر. فقيه شافعي. ولد في باجور إحدى قرى المنوفية بمصر، وتعلم في الأزهر. من مؤلفاته: تحفة المريد على جوهرة التوحيد، وحاشية على شرح ابن قاسم. ينظر: معجم المؤلفين (١/ ٤)، وإيضاح المكنون (١/ ٢٤٤).

(٢) ينظر: شرح الشمائل المحمّدية للباجوري: (٢٠٣).

(٣) ينظر: دليل الفالحين لابن علان (٥/ ٣٩١ - ٣٩٢).

بالرؤية البصرية المتعارفة يشتبه الأمر على كثير من الرائين فيظنّ أنّه رآه ﷺ ببصره الرؤية المتعارفة وليس كذلك، وربّما يقال إنهّا قلبية ولقوتها تشتبه بالبصرية. والمرئي إما روحه عليه الصلاة والسلام التي هي أكمل الأرواح تجرداً وتقدساً، بأن تكون قد تطورت وظهرت بصورة مرئية بتلك الرؤية مع بقاء تعلقها بجسده الشريف الحي في القبر السامي المنيف على حد ما قاله بعضهم، مع أن جبريل عليه السلام مع ظهوره بين يدي النبيّ عليهم الصلاة والسلام في صورة دحية الكلبي أو غيره لم يفارق سدرة المنتهى، وإما جسد مثالي تعلقت به روحه ﷺ المجردة القدسية ولا مانع أن يتعدد الجسد المثالي إلى ما لا يحصى من الأجساد مع تعلق روحه القدسية، عليه من الله تعالى ألف ألف صلاة وتحية بكل جسد منها، يكون هذا التعليق من قبيل الواحدة بأجزاء بدون واحد ولا تحتاج في إدراكاتها وإحساساتها في ذلك التعلق إلى ما تحتاج إليه من الآلات في تعلقها بالبدن في الشاهد.. وغاية ما أقول: إن تلك الرؤية من خوارق العادة كسائر كرامات الأولياء ومعجزات الأنبياء عليهم السلام [1].

قلت: لو كان التلفزيون موجوداً آنذاك لأمكن الغزالي والآلوسي وغيرهما التمثيل به بتعدد الجسد المثالي إلى ما لا يحصى من الأجساد مع تعلقها جميعاً بكائن واحد في محطة البث التلفزيوني، وهل يكون البث التلفزيوني أقوى وأعمّ من البث المحمّدي وهو سيّد الوجود؟ لا سيّما أن روحه المطلقة ﷺ دائمة البث والإرسال لا يحجبها البرزخ، فرؤيته عليه الصلاة والسلام وسماع صوته يتوقفان على أجهزة الاستقبال، أعني بها

(١) ينظر: روح المعاني للآلوسي: (٢٢/ ٣٧ - ٣٩).

النفوس الزاكية والقلوب الطاهرة والبصيرة الصافية المؤهلة لاستلام الصورة والصوت كليهما أو على انفراد! فالحجب منا لا منه ﷺ بسبب إهمالنا وتعطيلنا لتلك الأجهزة المقيدة بعالم الشهادة بدلاً من أن تخرق الحجب وتتلقى من عالم الشهود..

٥. هل تستلزم رؤيته ﷺ خروجه من القبر أم لا؟

أجاب الملا علي القاري الحنفي فقال: إن رؤيته ﷺ يقظةً لا تستلزم خروجه من قبره؛ لأن من كرامات الأولياء - كما مرّ - أن الله تعالى يخرق لهم الحجب فلا مانع عقلاً ولا شرعاً ولا عادة أن الولي وهو بأقصى المشرق أو المغرب يكرمه الله تعالى بأن لا يجعل بينه وبين الذات الشريفة وهي في محلها من القبر الشريف ساتراً ولا حاجباً، بأن يجعل تلك الحجب كالزجاج الذي يحكي ما وراءه، وحينئذ فيمكن أن يكون الولي يقع نظره عليه ﷺ، ونحن نعلم أنّه ﷺ حي في قبره يصلي وإذا أكرم إنسان بوقوع بصره عليه ﷺ فلا مانع من أن يكرم بمحادثته ومكالمته وسؤاله عن الأشياء وأنّه يجيبه عنها، وهذا كلّه غير منكر شرعاً ولا عقلاً، وإذا كانت المقدّمات والنتيجات غير منكرين عقلاً ولا شرعاً فإنكارهما أو إنكار أحدهما غير ملتفت إليه ولا معوّل عليه(١).

٦. وكيف يرى عليه الصلاة والسلام من أقطار متباعدة في آن واحد؟

أجاب الشيخ بدر الدين الزركشي(٢) فقال: مع أن رؤيته ﷺ حق وهو

---

(١) ينظر: جمع الوسائل على شرح الشمائل للملاّ علي القاري: (٢/ ٢٣٧).

(٢) هو محمّد بن بهادر بن عبد الله، أبو عبد الله، بدر الدين، الزركشي. فقيه شافعي أصولي. تركي الأصل، مصري المولد والوفاة. له تصانيف كثيرة في فنون عدة. من تصانيفه:=

حي في قبره يصلي فيه بأذان وإقامة بأنّه ﷺ سراج، كما قال تعالى: ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦] ونور الشمس في هذا العالم مثال نوره في العوالم، وكما أن الشمس يراها كل من في المشرق والمغرب في ساعة واحدة وهي في محلها وبصفات مختلفة، فكذلك النبيّ ﷺ إذ نوره أتمّ وأعلى منها وهذا الجواب نسبه بعضهم للصوفية[(١)].

قال: وهو باطل (أي الزركشي) فإنّه ﷺ يراه زيد في بيته وعمرو كذلك في بيته بجملته والشمس إنما تُرى من أماكن عدة وهي في مكان واحد، فلو رؤيت داخل بيت بجرمها استحال رؤية جرمها داخل بيت آخر وهذا هو الذي يوازي رؤيته ﷺ.

فالإشكال إنما يرد في رؤيته في مواضع عدة، وإذا ورد بحسب ما قلنا فلا يتجه الجواب إلا بإثبات الأمثال وتعدادها فالمرئي في آن واحد في مكانين مثالان فلا إشكال[(٢)].

قال الإمام الغزالي رحمه الله: وليس المراد أنّه يرى بدنه، بل مثالاً له صار آلة يتأدّى بها المعنى، والآلة تكون حقيقية وخيالية، والنفس غير المثال المتخيل، فما رآه من التشكيل ليس روح النبيّ ﷺ ولا شخصه بل مثاله[(٣)].

وردّ عليه السيوطي فقال: لا مانع من ذلك ولا داعي إلى التخصيص برؤية المثال لأنّه عليه الصلاة والسلام حي بروحه.

= البحر المحيط في أصول الفقه. ينظر: الأعلام (٦/ ٢٨٦)؛ والدرر الكامنة (٣/ ٣٩٧).

(١) نسبه ابن حجر الهيتمي للشيخ محيي الدين بن عربي فقال: ولا مانع أن يراه كثيرون في وقت واحد لأنه كالشمس... نظر: الفتاوى الحديثية لابن حجر: ٣٠٠.

(٢) ينظر: المواهب اللدنية للزرقاني (٥/ ٢٩٤).

(٣) ينظر: فيض القدير للمناوي (٦/ ١٣٣).

قال الشيخ يوسف بن إسماعيل النّبهاني رحمه الله في همزيته:

هو حي في قبره ولهذا حرمت من تراثه الزهراء
ورث العلم والشريعة لا المال وورثه العلماء
خصه الله بالحياة على أكمـ ـل حال يسير حيث يشاء
كم رآه بيقظة ومنام من محبيه سادة أصفياء

٧. لماذا لم تظهر هذه الرؤية في صدر الإسلام الأول؟

أجاب الآلوسي في تفسيره فقال: وكانت الخوارق في الصدر الأول لقرب العهد بشمس الرسالة قليلة جداً، وأنّى يرى النجم تحت الشعاع أو يظهر كوكب وقد انتشر ضوء الشمس في البقاع! فيمكن أن يكون وقع ذلك لبعضهم على سبيل الندرة ولم تقتض المصلحة إفشاءه، ويمكن أن يقال: إنّه لم يقع لحكمة الابتلاء أو لخوف الفتنة أو لأن في القوم من هو كالمرآة له ﷺ أو ليهرع الناس إلى كتاب الله وسنته ﷺ فيما يهمهم فيتسع باب الاجتهاد وتنتشر الشريعة وتعظم الحجة التي يمكن أن يعقلها كل أحد أو لنحو ذلك[(١)]. وأضاف رحمه الله فقال: وهذه الرؤية إنما تقع للكاملين الذين لم يخلّوا باتباع الشريعة قدر شعيرة، ومتى قويت المناسبة بين رسول الله ﷺ وبين أحد من الأمة قوي أمر رؤيته إياه عليه الصلاة والسلام، وقد تقع لبعض صلحاء الأمة عند الاحتضار لقوّة الجمعية حينئذٍ[(٢)].

وقال أيضاً: وجوّز أن يكون ذلك بالاجتماع معه عليه الصلاة والسلام

(١) ينظر: روح المعاني للآلوسي: (٢٢/ ٣٩).
(٢) المصدر نفسه (٢٢/ ٣٧).

روحانية، ولا بدع في ذلك فقد وقعت رؤيته ﷺ بعد وفاته لغير واحد من الكاملين من هذه الأمة والأخذ عنه يقظة[١].

وهاك أخي وصية الإمام الشعراني رضي الله عنه: فسلّم يا أخي للفقراء فيما يدّعونه من مثل ذلك ولا تنكر عليهم إلّا ما صرّحت الشريعة بمنعه، فقد أجمعوا أن من أنكر شيئاً من مقاماتهم حُرِم الوصول إليه وربّ قائل يقول: لو سلّمنا لهؤلاء بما يدّعون فلماذا لا نتذوق ما ذاقوا ونرى ما رأوا؟

فالجواب: لو أننا سلكنا ما سلكوا وتجردنا كما تجردوا وصفت قلوبنا كما صفت قلوبهم وتزكت أنفسنا كما زكت أنفسهم ورغبنا في الله ورسوله كما رغبوا؛ لجنينا ما جنوا من ثمرات قال تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠].

تنبيه:

إن من أخطر الأمور على الإسلام أمرين:

أحدهما: أن تقرر قاعدة دينية ثمّ تبني عليها أحكاماً، وفي الحقيقة هي ليست قاعدة دينية، وحينئذٍ يفسد كل ما بني عليها من أحكام!

والثاني: أن تقرر قاعدة علمية ثمّ تحاول تطويع الإسلام لها، ثمّ يكتشف بعد فترة من التقدم العلمي أن هذه القاعدة العلمية خطأ وأن القاعدة العلمية الجديدة تقول غير ذلك.

ومن هنا وقع كثير من المسلمين في ورطة! عندما انخدعوا بأحد

(١) ينظر: روح المعاني للآلوسي: (٣٣/ ٣٥).

الأمرين أو بهما، فقد توهم المسلمون أن معرفة نوع الجنين في بطن أمه أمر لا يعرفه إلا الله فجعلوا ذلك قاعدة دينية(١) فجاء جهاز (السونر) ونحوه من أنواع أجهزة الأشعة فأصبح التعرُّف إلى نوع الجنين ممكناً، فتبين أن تلك القاعدة ليست قاعدة دينية وأننا كنا مخطئين في فهمها على هذا النحو.

ومثل مسألة صعود الإنسان إلى القمر، فقد صرّح عالم جليل من علماء المسلمين أن ذلك مستحيل بناء على توهُّم قاعدة دينية(٢)، فتبين أنّه واهم في تلك القاعدة، فقد هبط الكثيرون على القمر، ويقول الدكتور (فاروق الباز) الذي كان مرافقاً (لجيمس أروين) وهو يلقي محاضرته عن مركبته الفضائية التي صعد بها إلى القمر:

لقد استغل الغربيون النصارى هذه الفتوى أشد الاستغلال، فكانوا يوزعونها مطبوعة على آلاف الحاضرين في إطلاق أي مركبة إلى الفضاء بعد ذلك؛ ليبدو الإسلام والمسلمون حمقى في نظر الجمهور المحتشد حول قاعدة إطلاق الصواريخ ساعة إطلاقها.

والسؤال الآن: ما القاعدة الدينية التي يستند إليها من يمنع رؤية المصطفى يقظة؟ نجد أن أبرز قواعدهم هي قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] وقد مات رسول الله ﷺ فعلاً! ونحن نرى أن ذلك لا يتعارض مع هذه الحقيقة كما بينا سابقاً وذلك من وجوه:

---

(١) قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾. [لقمان: ٣٤] فقوله تعالى: ويعلم ما في الأرحام فإنه عَزَّوَجَلَّ لم يقل إنه لن يعلّمها لأحد من خلقه.

(٢) هو الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ.

الأول: أن الله قادر على أن يحييه كما فعل الله ببعض من أحياهم، بل إن الله تعالى أعطى هذه القدرة لعبد من عبيده وهو سيّدنا عيسى عليه السلام: ﴿وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩]. وقد نص رسول الله ﷺ على ذلك في مسألة ردّه سلام من سلّم عليه.

الثاني: أن هذه الرؤية ليست للرسول ﷺ المسجّى في مقامه الشريف، وإنما هي لصورته السابحة في الفضاء والمسجلة في فيلم من أفلام الله، كالصورة المسجلة على فيلم من أفلام البشر لأموات يعرضون علينا أحياء يتحركون ويتحدثون.

الثالث: أن الأرواح البشرية لا تفنى ولا يطرأ عليها العدم كما صرح بذلك كثير من العلماء، قال الشيخ عبد الغني النابلسي رحمه الله تعالى[(١)]: وليس هذا بأمر عجيب ولا شأن غريب، فشأن أرواح الموتى مطلقاً لم تمت ولا تموت أبداً، ولكنها إذا فارقت الأجساد الترابية العنصرية تصورت صورها، كتصور الروح الأمين جبريل عليه السلام في صورة أعرابي وفي صورة دحية الكلبي كما ورد في الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ، وإذا كان هذا في أرواح عامة الناس الذين لم تحبس أرواحهم بالتبعات والحقوق التي ماتوا وهي عليهم كما قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾﴾ [المدثر: ٣٨-٣٩]؛ فما بالك بأرواح النبيّين والمرسلين

---

(١) هو عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي شاعر عالم بالدين والأدب مكثر من التصنيف صوفي ولد ونشأ في دمشق ورحل إلى بغداد وعاد إلى سورية وتنقل في فلسطين ولبنان وسافر إلى مصر والحجاز وتوفي في دمشق، من مصنفاته الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية، وتعطير الأنام في تعبير المنام. الأعلام للزركلي (٤/ ٣٢).

صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وليس الموت بإعدام للأرواح وإن بليت أجسامها، وسؤال القبر حق وكذلك نعيمه وعذابه حق في مذهب أهل السنّة والجماعة والنعيم والعذاب إنما يكون في عالم البرزخ لا في عالم الدنيا، وعالم البرزخ بابه القبر وليس في القبور إلا أجسام الموتى؛ لأن القبور من عالم الدنيا أحياء بأرواحها، فلما عزلت عن التصرف فيها ماتت الأجسام والأرواح باقية في حياتها على ما كانت، وإنما الموت نقلة من عالم إلى عالم، فالأرواح المكلفة غير المرهونة بما كسبت تسير في عالم البرزخ وهي في صور أجسامها وملابسها وتظهر في الدنيا لمن شاء الله تعالى أن يظهرها له، كأرواح الأنبياء والأولياء والصالحين من عباد الله تعالى، وهذا أمر لا ينبغي للمؤمن أن يشك فيه لأنّه مبني على قواعد الإسلام وأصول الأحكام ولا يرتاب فيه إلا المبتدعة الضالون الجاحدون على ظواهر المعقول والأفهام، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وهو بكل شيء عليم(١).

(١) ينظر كلامه في: أفضل الصلوات، للشيخ يوسف بن إسماعيل النّبهاني: (٤٣).

خاتمة الموقظة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم، على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن رؤية سيّدنا رسول الله ﷺ في اليقظة ليست من جنس الرؤية المادية المتعارفة، إنّما هي رؤية كشف وبصيرة قلبية، لأفراد قوم صفت سرائرهم واستقامت أحوالهم، بعد أن قطعوا المفاوز والمسافات بالصدق مع الله تعالى والاتباع لرسوله ﷺ حتى أصبحت قلوبهم كالمرآة ينعكس لها كمال المصطفى ﷺ فهي على التحقيق رؤيةٌ للمثال اللطيف المتجسد.

ولكونها امتداداً للمعجزات ومن أجلّ الخصوصيات التي تُستنهَض بها همم السالكين الصادقين وأهل المحبة والعنايات، خضت بحرها وولجت ميدانها لكي لا تبقى (عرائس الحقائق) عن محبيه ﷺ محتجبات، وتوثيقاً لما جاء في سيرة سيّدنا النّبهان رضي الله عنه ، وليحذر مدّعوها ممن تشبهوا بأهل الشهود والكرامات أن يغفلوا البلاغ المحمّدي: «**من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**»[(١)].

وقد يتبادر لبعض الناس سؤال: لماذا لا تحدث لنا هذه الرؤية الشريفة؟ وهل الباب مفتوح للجميع؟ أم إنهّا اختصاص ومواهب؟

---

(١) رواه البخاري برقم: (١٠٧) (١/ ٥٢) وغيره بألفاظ متقاربة، قال العيني: رواه مائتان من الصحابة. البناية في شرح الهداية: (١/ ٨).

فنقول: لا شك في أن رؤية اليقظة مسألة ذوقية، تندرج في خوارق العادات، ولا خلاف بأنها من أعظم المنح الإلٰهية، وأن الأخذ بالأسباب الممكنة طريق إليها، فالمقدّمة أسباب، والنتيجة مواهب، وإن مهر الفتوحات: صدق في الطلب، وتجرد للهدف، وإخلاص بالوجهة إلى الله، واتباع لرسوله ﷺ وسير حثيث على يد مرشد كامل يجذب قلب مريده، ويضع له إشارات المرور على الجادّة، حتى يصل به إلى جواز العبور من العالم المحسوس إلى عوالم البرزخ، ليستلم الصورة والصوت كالتلفزيون، فعندما تصفو السريرة وتنجلي البصيرة تنكشف للسالك العجائب والغرائب، وحين تترقى النفس من أمّارة إلى لوامة، إلى مُلْهمَة فمطمئنة، إلى راضية فمرضية، إلى زاكية كاملة، تصبح النفس نفَساً، يرتحل معه العبد من (أشهد) اللسانية، التي تعني الإقرار والاعتراف لله بالوحدانية، إلى (أشهد البصيرية) التي تشهد الله بالله، وتشهد رسول الله ﷺ والجنّ والملائكة وعوالم الغيب.

وإن نظرة متفحص في سيرة سيّدنا محمّد النّبهان رضي الله عنه منذ إشراقات البداية إلى إطلالات النهاية تكفي تبياناً للمنصفين، وتفتح أبواباً للطالبين الصادقين، ومن جدّ وجد، ومن سار على الدرب وصل، والله ولي التوفيق، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أهم مصادر البحث في الموقظة

١ - القرآن الكريم.

٢ - صحيح البخاري: للإمام محمد بن إسماعيل البخاري.

٣ - صحيح مسلم: للإمام مسلم بن الحجاج

٤ - شرح صحيح مسلم، للإمام النووي.

٥ - فتح الباري، لابن حجر العسقلاني.

٦ - الإصابة في تمييز الصحابة، للإمام ابن حجر.

٧ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر.

٨ - الفتاوى الحديثية، لابن حجر الهيتمي.

٩ - المواهب اللدنية، للخطيب القسطلاني.

١٠ - شرح المواهب اللدنيّة، للإمام الزرقاني.

١١ - دليل الفالحين، لابن علان الصديقي.

١٢ - الفتوحات المكية، لمحيي الدين بن عربي.

١٣ - المدخل، لابن الحاج المالكي.

١٤ - الفتح الكبير، للشيخ يوسف بن إسماعيل النّبهاني.

١٥ - المنقذ من الضلال، للإمام الغزالي.

١٦ - الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز: لأحمد بن المبارك.

١٧ - اليواقيت والجواهر، للإمام الشعراني.

١٨ - الأحزاب الإدريسية، للشيخ أحمد بن إدريس المغربي.
١٩ - لواقح الأنوار القدسية، للإمام الشعراني.
٢٠ - شرح الشمائل المحمّدية، للشيخ الباجوري.
٢١ - لطائف المنن، للإمام الشعراني.
٢٢ - فيض القدير، للإمام المُنَاوِي.
٢٣ - جواهر المعاني في سيرة التجاني.
٢٤ - الميزان الكبرى، للشعراني.
٢٥ - الموافقات، للإمام الشاطبي.
٢٦ - جمع الوسائل في شرح الشمائل، للملا علي القارى الحنفي.
٢٧ - بهجة النفوس، لابن أبي جمرة المالكي.
٢٨ - أبهى القلائد في تخليص أنفس الفوائد، أحمد فائز البرزنجي.
٢٩ - أفضل الصلوات على سيّد السادات، للشيخ يوسف بن إسماعيل النّبهاني.
٣٠ - الفتاوى الكبرى، لابن تيمية.
٣١ - الاجتهاد في العصر الحاضر، للإمام النورسي.
٣٢ - تنبيه على كذب الوصية، لعبد العزيز بن باز.
٣٣ - تفسير روح المعاني، للإمام الآلوسي.
٣٤ - تعريف الخلف برجال السلف: لأبي القاسم محمد بن إبراهيم بن الغول.
٣٥ - كيمياء السعادة، للإمام الغزالي، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي.
٣٦ - الفقه الأكبر، للملا علي القاري.

وتم الفراغ من إكمال هذا الكتاب المبارك بجزئيه في ٨/ ربيع الأول الموافق ١٤٢٨ للهجرة النّبوية المباركة، والله ولي التوفيق.

تعريف بالمؤلف

وُلد الفقير إلى اللهِ تعالى بعد عصر الجُمعةِ الموافق ٢٦/ ١/ ١٩٤٥م في جزيرة (آلوس) الكائنة على نهر الفرات بمحافظة الأنبار في العراق، وينتسب من الأبوين إلى الأسرة الآلوسية الحَسنية الحُسينية من شعبِ الشيخ عبد القادر الطيّار، إلى الشيخ عبد الرزاق ابن سيِّدنا عبد القادر الجيلاني ﵁ ، وفي تلك الجزيرة نشأ في بيئة علمية متدينة، وفيها أنهى دراسته الابتدائية، ثم أكمل الثانوية في مدينة الفلوجة بعد هجرة والده مع أفراد أسرته إليها، في ٣/ ١٢/ ١٩٦٢م.

وفي ٢٥/ ٧/ ١٩٦٦ تشرف الفقير بزيارة السيِّد النبَّهان ﵁ لأولِّ مرّة في حلب، في ريعان شبابه بعمر هو واحد وعشرون عاماً ونصف، وعُمْرُ السيِّد النَّبهان ﵁ آنذاك ست وستونَ سنة، فما إن وقعَ عليه بصرُه حتى أدهشته شخصيته ووجد فيه كلَّ ما يحلم به وزيادة، فانجذب إلى حضرته وولع به أكثر من ولع الرضيع بأمّه، وتولى سيِّدنا النبهان ﵁ توجيهه وتربيته وأحاط بمهجته وأفكارهِ حتى هذّب صفاته وتخلّل ذاته، وبعد أن أكمل دراسته الجامعية من كلية الدراسات الإسلامية في بغداد سنة ١٩٦٩م أمره ﵁ بالعُزلة والاستزادة من العلم إضافةً إلى مسائل تجاوزت المائتين في أساسيات السير والسلوك إلى الله تعالى، فالتزم بما أَمَرَهُ ﵁ ، وانقطع إحدى عشرة سنة للعلم والسلوك في المدرسة الأحمدية الشرعية في الخالدية، ثم في جامع الفلوجة الكبير، وحصلتْ له فرصة الدراسة على يد

الشيخ عابد صالح الحماشي، والشيخ مصطفى موسى النيجري، والشيخ خليل محمد الفياض، وواصل أخذه للعلم على يد **الشيخ عبد الكريم محمد بيارة** المدرّس في الحضرة القادرية ورئيس رابطة علماء العراق لسنتين ونصف، فمنحه الإجازة العلمية بما أخذ منه واستفاد رحمه الله تعالى.

وتنفيذاً لوصية السيِّد النبهان ﵁ له بالخدمة، بادر بفضل الله وتوفيقه إلى تأسيس جامع ومدرسة الحضرة المحمَّدية الشرعية، والجمعيّة الخيريّة الإسلامية في الفلوجة، وشَغِلَ إدارة هذه المؤسسات، وهو لا ينتسب إلى حزب أو حركة سياسية، لكنه عضو مؤسس للأمانة العليا للإفتاء في العراق، وقد أكرمه الله تعالى بغاية الشرف أن جعلَه آلةً تَكْتُبُ وتَنْشُر عن سيِّدنا النبَّهان ﵁ ، وله في مدحه ديوان شعر يحتوي على أكثر من مائة وعشرين قصيدةً تحت عنوان (أغاريد اللبيب في لقاء الحبيب)، ولم يزل الفقير ينهل من توجيهاتِ مربيه ﵁ التي شملت والديه وإخوانه وأخواته، إذ كلُهم قد رأوه في حلب أو في العراق كما عَبَرتْ إلى عصوبته وأرحامه ومحبيه. والله ولي التوفيق والحمد لله رب العالمين.

انتهت المرحلة الأولى بالجزئين

وتليها المرحلة الثانية بأجزاء أخرى

إن شاء الله تعالى وهو ولي التوفيق

الفهرس

الموضوع | الصفحة

القسم الخامس: وهو من دروسه المسجلة ﵁

القسم السادس: إطلالات النهاية

القسم السابع: الموقظة في رؤية الرسول ﷺ في اليقظة